دير القديس أنبا مقار

المزامير

دراسة وشرح وتفسير
في ثلاثة مجلدات

المجلد الأول: المقدمة

الأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار

المزامير

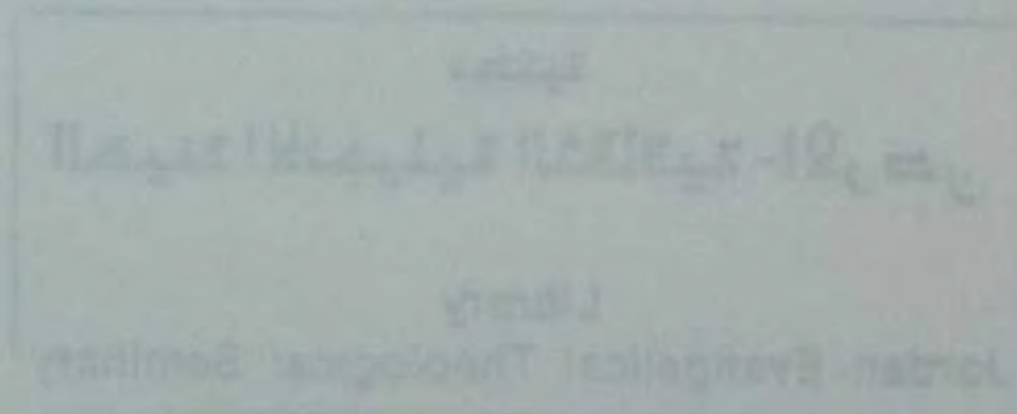
دراسة وشرح وتفسير

في ثلاثة مجلدات

المجلد الأول: المقدمة

الأب متى المسكين

كتاب: المزامير دراسة وشرح وتفسير، المقدِّمة.
المؤلف: الأب متى المسكين.
الطبعة الأولى: ٢٠٠٢ .
الطبعة الثانية: ٢٠٠٧.
مطبعة دير القديس أنبا مقار – وادي النطرون.
ص.ب ٢٧٨٠ القاهرة.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٢/٧١٢٨.
رقم الإيداع الدولي: ISBN 977-240-121-5



الفهرس

المقدِّمة

مقدِّمة

روح المزامير

إن كان الله قد خلق الإنسان أول ما خلق على صورته كمثاله، فذلك أعطانا نحن البشر أن ندرك كثيراً مما له ونتحدَّث معه.

ولكن إن كان الله قد خلق الإنسان في تدبير الأزل في المسيح يسوع، لكي بالنهاية نقف أمامه لكي نسبِّحه في قداسة وبلا لوم، فهذا أعطانا نحن المسيحيين الجرأة للاقتراب والتفرُّس في جماله ونعمته لنجد ما نسبِّحه عن وعي وحب.

والمزامير بحسب تعبير المسيح له المجد قد قيلت بالروح «لأن داود نفسه قال بالروح» (مر ١٢:٣٦)، فنحن في مواجهة الكلمة الحية إذ قد توافرت لها الروح لتُسمع وتُذوَّق وتُسبِّح.

والمزامير هي من مدوَّنات العهد القديم، فهي الأقرب من منابعه ولها ضياء وخبرات أنبيائه وقديسيه الأوائل. هذه كانت قوتها، أمَّا نعمتها الآن فهي في المسيح وصليبه.

والمزامير من كنوز ومميزات شعب إسرائيل وصدى أمجاد الهيكل، وقد نجحت الكنيسة في أن تسلب شعب الله المحبوب شيئاً من كنوزه وكثيراً من أمجاد هيكله، لأن المزامير في أصلها وتكوينها تسابيح قُدِّمت لله وأفراح في زمان تهيَّأ أنه نصرة، وزمان تهيَّأ أنه نحيب ومراثي. هذا سلبته الكنيسة وتعلَّمت كيف تحوِّله جميعاً إلى تسبيح مجد يدوم إن في هيكلها أو أفرادها. وبقيت شاكرة على كل حال محتفظة بغناها وكنوزها على مدى الأزمان.

وبقيت المزامير في أضعف فهمها وأحوالها حديثاً مع الله وصلاة وأنيناً.

فرق كبير وهائل جدًّا بين ظروفها التي قيلت بها في إسرائيل، وما تُقال به في الكنيسة اليوم. ولكن الروح في المزمور بقي مترفِّعاً فوق تخالف الأزمان والأوضاع والأماني والأوجاع. إذ احتفظ المزمور بالروح الذي فيه كنداء لله ومشاعر الحب له والشكر والشكوى والولاء. والإنسان هو الإنسان.

ولكن ما كان يُترجَّى في إسرائيل صار في المسيح يُعاش ويُعايَن، وما كان يُرعب القوم ويُنغِّص الحياة ويُقلق الشعب وطأته أقدامنا بالصليب وعانقناه بالحب. فصارت المزامير المُفرح فيها أكثر

فرحاً، والمُرعب منها فَقَدَ ما يُرعب فيه، وتحوّل الأنين والشكوى إلى رضا ومسرَّة. وصارت المزامير في جملتها يسودها الروح فعلاً والشكر والحمد والتسبيح كلها كلٌّ واحد لا يتجزَّأ.

قد يتغيَّر كلام المزمور ويتغيَّر مقصده، ولكن يبقى لنا كمسيحيين حديثَ قلبٍ مفتوح يسمع فيه الله ما يقوله الروح وما يتحرَّك في الضمير والوجدان. فتتحوَّل الشكوى إلى مديح والأنين إلى تسبيح، لأن في وقفة المسيحي يتحدَّث إلى الله بالمزمور تخطف بصرَه المواعيدُ العظمى والثمينة التي صرنا بها شركاء الطبيعة الإلهية عوض مواعيد أرض ولبن وعسل، ورعبة عدو وموت وسبي. فيتحوَّل الأنين في المزمور إلى رؤية قادمة وأفراح الأبد.

هي دعوة ملحَّة يتلوها الضمير للمزمور وصاحب المزمور أن يختزل الزمن، فبدل رجاء ودموع في خلاص من عدو، ومن سبي، ينظر ويشاهد ويلمس مع القديس يوحنا الحياة الأبدية التي كانت مخفية عند الآب وأُظهرت لنا وصارت لنا فيها شركة وحياة. فعوض رعبة الموت صارت لنا فرحة الحياة. والذي يرفع المزمور من واقعه في ذلك الزمان إلى واقعه في الآن: أن وراء الكلمات التي قيلت في الظلام، روحاً تغطِّي كل زمان ومكان، فإن تغيَّر الزمان وتغيَّر المكان وتغيَّر الإنسان بقي الروح وبقي الرب الروح لكل زمان ولكل مكان.

وإن وقفت الجماعة تُسبِّح الله، فمهما كانت الكلمات وكانت اللغات فالروح هو الذي يقدِّم الجماعة وهو الذي يزكِّيه الله، بقدر الحب والطاعة والولاء.

المزامير في أصلها لم تُكتب لتُسبِّح بها الجماعة أو يتلوها الفرد،

فهي ليست من تأليف أحد ولا من وضع إنسان!

ولكن كانت إلهاماً يهبط على المغني وهو يلعب بمزماره أو قيثارته،

أو روح يعصف بالجماعة المجتمعة وهي تشكر على صنيع مجيد أو تبكي وتنوح على كارثة وشيكة الوقوع أو قحط وجوع أصاب البلاد. فكان القائمون على الاجتماع يُهزِّون بالروح ويدوِّنون الكلام. فمن عمق الصلاة نشأت المزامير، إن بفرح القلب ومسرَّة النفس، أو من وجع وأنين ونحيب. وهكذا سبقت تلاوة المزامير على كتابتها.

ولكن الذي صنع المزامير حقاً هو أمانة الفرد وإخلاصه في رفعه القلب إلى الله، أو صدق الجماعة في صلواتها وتشكُّراتها، أو أحزانها وأوجاعها.

ساعد على ذلك المواقف التي تعرَّض لها الأفراد إن في السعة أو الضيق، كذلك ما حلَّ للجماعة

من انفراج طارئ عجيب كعبور البحر الأحمر والعدو يجري ليدرك، أو خراب حلَّ بعد غزوة مفاجئة استيقظ القوم وإذ هم أسرى.

وهكذا تحكَّمت السياسة أو الزراعة أو الاقتصاد أو الأمطار والجفاف في تحريك وجدان الشعب لتقديم التسبيح والشكر أو الأنين والشكوى.

وكانت الظروف التي تحكَّمت في حياة الشعب شديدة التأثير على روح العبادة والالتجاء إلى الله المنقذ الوحيد. فإسرائيل نمت وترعرعت في الغربة في مصر أربعمائة سنة تحت معاناة العبودية، ثمَّ أُجبرت على الهجرة بغير استعداد وعاشت في الصحراء أربعين سنة، ثمَّ دخلت غريبة في أرض غريبة لتحل محل شعوب أخرى. فعاشت مرفوضة تحت الاضطهاد وخطر الغزو طول عمرها.

كل هذا وكان الله هو المحرِّك والمدبِّر في حركتها، فكان اعتمادها على الله حياتها، وكانت الصلاة سواء بالتسبيح والشكر أو الشكوى والحزن طعامها اليومي.

فكانت انفعالات الشعب تكوِّن تاريخه. وهكذا دخلت تسابيحه كجزء من حياته وتاريخه مع الأحزان والأنين والشكوى.

كما دخل عنصر المحبة الخاصة التي عامل بها الله الشعب ورؤساءه بصورة خاصة جداً وفريدة صرَّح بها الله مراراً وتكراراً «لمَّا كان إسرائيل غلاماً أحببته» (هو ١:١١). ودعاه: «ابنه البكر» (خر ٤:٢٢) وأحبَّ الله إبراهيم وموسى وداود. فكان لعامل المحبة دالة حرَّكت مشاعر الأفراد والرؤساء والشعب وألهمتهم بالمزامير والتراتيل والأناشيد. فدُعي شعب إسرائيل بالشعب المختار ودخلته روح الموسيقى والغناء والرقص. فكانت المزامير تعبِّر عن موقف الشعب من الله، وكانت هي روح العبادة التلقائية التي ألهمه بها الروح. وبقدر ما كان الله هو كل شيء بالنسبة لحياة الشعب والأفراد، بقدر ما صارت العبادة هي حياته وواجبه. وكان الشعب يعيش في بركات تملأ كل نواحي حياته، قصدها الله قصداً حتى يربِّي الشعب على الشكر والتسبيح. وفعلاً كانت البركات أعظم محرِّك لروحه ولسانه في الصلاة ولكن ليس بالكتابة.

نحن هنا نتكلَّم عن الروح الذي ألهم الصلاة بالمزمور، فقبل أن نهتم بالكلام عرضنا الروح الذي صاغ الكلمات، حتى كما ورثنا الكلام نرث الروح، فالمزامير روح وحياة قبل أن تكون ألفاظاً.

فيتعذَّر جداً أن نفهم المزمور مهما كان نوعه دون أن نفهم أن روح العبادة الصادقة هي التي

ألهمته بدافع الاحتياج والاعتماد الكلّي على الله. فالإنسان المسيحي هو بشبه إسرائيل، كان تحت عبودية الخطية والشيطان، وأخرجه المسيح بالصليب وعبر به بحر الدم والانصبغ وتقدَّس ودخل تحت الاختبار، وأكل الخبز الحي النازل من السماء وشرب من الصخرة إيَّاها، ودخل عهد الحب وورث المواعيد العُظمى والثمينة. فنحن ورثنا المزامير بلحنها الفرايحي، ودخلنا خوارس الشاروبيم والساروفيم، وغير القدوس ليس لنا لحن.

وإسرائيل تعلّمت أن تخاطب يهوه وكأنها شخص واحد، وكان الله يعاملها هكذا: «إسرائيل ابني البكر»، وصار الحال عندنا بالمثل، فكان واحد يمثّل الكنيسة والكنيسة تمثّل كل فرد. فالكنيسة ملء الكل في الكل وهي الجسد ونحن أعضاؤه بعضنا البعض، والمسيح أحبَّ الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها، ونحن أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه، وقد فاقت محبته لنا محبته لإسرائيل، إذ صارت محبته كعريس لعروس، فنحن شركاء موته وحياته، وأجلسنا معه في السماويات في الموضع الأثيل للابن عن يمين العظمة في الأعالي، وقد أعطانا المجد الذي له فصرنا بانتظار ظهوره وشركة المجد.

المزمور نقدّمه كما هو ولكنه يحمل روح التجسُّد والموت والقيامة بكل أفراحها وليس فيها حزن ولا كآبة ولا تنهد، فالنور المحيط يأكل شوائب الزمن ويجلّي الواقع المرّ.

يهوه كانوا يجلّسونه كل عيد حصاد ومظال، ومسيحنا جلس مرّة واحدة عن يمين الله ونحن فيه بانتظار الظهور الذي سنستعلن فيه شركتنا في الحياة الأبدية معه لنعيشها لا كرجاء حيّ بل كحياة في ملء الرجاء. كانوا يجلّسونه كملك وهو أجلسنا معه كملوك وكهنة لله الحي.

هيكلهم نُقض ولم يبق فيه حجر على حجر لم يُنقض. وهيكلنا قام في ثلاثة أيام وتسبيحنا فيه منذ قام إلى آخر الأيام. تسبيحهم انقطع لمّا أخطأوا الزمن، وتسبيحنا امتدَّ فوق الزمان. فالمزمور كان في فمهم أملاً ورجاءً لم تحقّقه لهم الأيام، ولكنه صار في فمنا تسبيح مجد يدوم. مزاميرهم غابت بغياب الهيكل والعهد، وتجدّدت لنا من داخل كأس شربناه، فصرنا فيه وهو فينا كأغصان في كرمة تستمد حياتها منه لتمتد حياته فينا.

كان التاريخ يحدِّد معالم المزمور لإسرائيل، وصرنا في نور الخلاص نبحث عن عمق المزمور، يحدِّده الانصباغ والغسيل بالدم.

داود في المزمور قال بالروح: قال الرب لربي اجلس عن يميني، ونحن نقوله وقد جلس الرب عن يمين الله وأجلسنا معه في السماويات. فنحن نعيش تحقيق النبوَّة في المزمور.

كانت المزامير تجمع صلوات الأُمة في أفراحها وأتراحها، وتضم مزامير الأفراد الذين اختبروا الله وتحدَّثوا إليه كلٌّ في فرحه أو همِّه. ولكن مزاميرنا تأخذ ضوءها من فوق الصليب ونورها مما بعده.

قسَّموا المزامير إلى خمسة كتب لترمز إلى الخمسة أسفار لموسى، وبالمثل قسَّم القديس متى إنجيله إلى خمسة أجزاء وكأنها عهد بعهد أو بركة الخمس خبزات.

احتفلت مزامير يهوه بالجلوس على عرشه في كل سنة جديدة في عيد الحصاد عند قيام المظال لذكرى أعمال القدم ومواعيد أرض ولبن وعسل.

ومزاميرنا للملك المسيح حاضرة كل صباح تُجلسه على عرش قلوبنا، نرنِّم له نغمات تَغيرُ منها الملائكة، فيها رائحة حب المصلوب الذي ملّكه أبوه على خشبة ليسكب من مراحمه الأزلية على كل قلب، ويُشبع كل روح من عطر فدائه الذي يتقطَّر من فوق الصليب.

كانت المزامير ترافقها البركات: بركات الأرض والبحار، وبركات الثدي والحملان، وبركات الأيام والليالي. وهوذا مزامير تجليسنا للمحبوب على القلوب يرافقها شبع سرور من خبز السماء المكسور وفيض الكأس الممزوج، ليرتوي كل قلب عطشان، فتخرج منه ينابيع الحب والبذل المردود، كلها معطَّرة بالمواعيد العظمى والثمينة والشركة في كل ما لله حتى الأعماق، والأمجاد المنتظرة والموعودة وأفراح السماء.

ملّكه سليمان في هيكل منحوت وسط ضجَّة الذبائح ورقص وطبول، وها نحن نملّكه في قدس أقداس القلوب بترانيم لها أنغام الآلام والأمجاد التي بعدها، وأبواق النعمة وهتاف الخلاص الموضوع.

كانت مزامير يهوه لتجليس السنين وذكرى عهد الدهور، ومزاميرنا لترديد الأزل وتكميل بركات السماء في استعلان الابن الوحيد، أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له فصرنا مواطنين سماء بعد أن استوطن أرضنا، وأورثنا أمجاده بعد أن ورث ضعفنا، وقسَّم لنا حب أبيه، وسكن فينا وصنع منّا هيكله، ملّكناه قلوبنا فملّكنا بنوَّته وورَّثنا ميراث أبيه.

ذاق بنعمة الله الموت من أجل كل واحد وأكمل الألم، وحمل كل أحزاننا وتحمَّل أوجاعنا كلها وأكمل مراثينا في أنينه على الصليب، فأفرغ الإنسان من رعب ومن شكوى، وطوى سفر الغضب واللعنة، وختم على مزامير المراثي لما ارتفعت الأبواب الدهرية ودخل رب القيامة وسُمعت تسابيح الخلود. وتأسَّست صلاة الشكر نقدِّمها أثناء الليل وأطراف النهار، فلم نعد معوزين شيئاً من أعمال كرامته.

المزامير عبر التاريخ

المزامير في وضعها الرسمي كسفر تغطّي حقبة طويلة أكثر من ٧٠٠ سنة من تاريخ شعب إسرائيل، بدأت في زمن سحيق وانتهت حوالي سنة ٢٠٠ ق.م، ولو أن العلماء أضافوا الكثير على ما هو مدوَّن في السفر، ولكننا سنلتزم بالذي تسجَّل في دائرة الوحي المقدَّس.

ولقدمها السحيق فهي تتفاوت في الأسلوب والإيمان والإلهام، غير أنها تشع جميعاً ضوءًا إنجيلياً يكاد يكون جديداً عند كل قراءة، سواء كان في نطقها بصيغة الجمع بفم الكنيسة من فوق المذبح أو المنبر أو من صفوف الخوارس، أو كان ناطقها إنساناً يهتف بها من قلبه مسبِّحاً أو متوسِّلاً.

فإذا علمنا أن خطَّة الله في الإعلان عن ذاته في كل ما نطق به من الوحي تتسم بالتدرُّج على قدر نمو قامة الإنسان تحت يد النعمة، أدركنا بالتالي أننا سنواجه في المزامير هذا التدرُّج سواء في الروح أو في مقدار صفات الله وأعماله ومعاملاته، لذلك فأهم ما نُلفت النظر إليه منذ البدء هو أن المركز الذي تدور حوله المزامير هو شخص المسيَّا القادم، لذلك فنحن نحسب أن المزامير في تنوعها الهائل نوع من تاريخ الخلاص، تسير مترفقة على دربه حتى الصليب في توافق مطلق. وعلى هذا الأساس تستخدم الكنيسة سفر المزامير بأكمله وكأنها هي هي إسرائيل الجديدة، فأي مزمور تنطقه الكنيسة فهي إنما تردّه إلى أصله لتستعلن به سر نطقه.

أمَّا من جهة تعدُّد المواضيع في سفر المزامير فقد نجح العالِم هرمان جونكل[1] في تبويبها بحسب ما يتّسم به روح المزمور وخضع له فكر العلماء عامة. ولكن الذي نراه أن تعدُّد المواضيع في المزامير يكاد لا يحصره منهج ولا عدد، فلكل مزمور منهج بحد ذاته وروح ناطق يحكي عن شيء نعرفه وأشياء أخرى كثيرة لا نعرفها!! فإن كان تعداد مشاعر الإنسان في وقفته أمام الله لا يحصرها عدد، فهكذا المزامير في جملتها، في الحزن والفرح والضيق والسعة والصحة والمرض، في الهتاف بالمجد وفي الانبطاح حتى التراب. فمن ذا كفؤ ليقيس قياس الوحي.

ولكن الشيء الذي يردّنا إلى حدود السفر وبالتالي حدود الوحي هو أن المزامير كلها خرجت

(1) Hermann Gunkel, *The Psalms, A Form - Critical Introduction, 1930, Eng. transl. 1967.*

بروح الصلاة، يحكمها إحساس التعبُّد، ووُضِعَت بالروح ليتغنَّى بها الإنسان ويهتف في حضرة الله، نعم ويُنشد أناشيد الوطن البعيد المجهول ليتعزَّى في بيت غربته الأرضي!

تسألني: ما هي فائدة المزامير للإنسان المسيحي؟ أقول إنها ومضات أتت مع الوحي من لدن الله القدير قادرة أن تضيء أعماق القلب الذي انفتح على الله ليرى النور ويسير على هداه، فينكشف أمامنا طريق الخلاص واستعلان سر المسيح فينا، فهو الحياة الأبدية وهو وطننا السمائي، وبين المسيح والمزمور روح قادر أن يخطفنا ليضعنا في حضرته.

المزامير عند المسيح:

كان المسيح هو أول مَنْ كشف لنا استعلان نفسه الذي استودعه في مزامير داود النبي، ولفت نظرنا إلى أقوى استعلان نطقه داود عن صلة المسيح به وبالإنسان ككل. فإن كانت النبوات قد اتفقت جميعها على أن المسيح هو ابن داود، ففي المزمور جعل داود نفسه يعلن أن المسيح هو ربه أي إلهه بآن واحد حينما قال: «قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» (مز ١١٠: ١). هكذا وثَّق المسيح الصلة بينه وبين المزمور ليدخل المزمور حياتنا كمصدر استعلان للمسيح وعبادته.

كذلك أوضح المسيح للتلاميذ المجتمعين معاً أهمية دور المزامير في استعلان شخص المسيح وحياته وعمله عندما قال: «وقال لهم: هذا هو الكلام الذي كلَّمتكم به وأنا بعد معكم، أنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير.» (لو ٢٤: ٤٤)

المزامير عند بولس الرسول:

ولو أن المسيح توخَّى في إعلانه هذا منتهى الاختصار، إلا أنه حمَّله كل اللاهوت، الأمر الذي لم يفت على بولس الرسول وأيضاً بالوحي كإعلان حينما دوَّن هذه الحقيقة في رسالته إلى أهل رومية حينما أراد أن يُعرِّف أهل رومية بالمسيح في مطلع رسالته هكذا: «بولس عبد **ليسوع المسيح**، المدعو رسولاً، المفرز لإنجيل الله، **الذي** سبق فوعد به بأنبيائه في الكتب المقدَّسة عن ابنه، الذي **صار من نسل داود من جهة الجسد، وتعيَّن ابن الله بقوة** من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات. يسوع المسيح ربنا ...» (رو ١: ١-٤)

علماً بأن ق. بولس قد دوَّن رسالته هذه قبل أن تُدوَّن الأناجيل.

وكان بولس الرسول أول مَنْ بادر بذكر المزامير في العبادة اليومية في الرسائل التالية:

(كورنثوس الأولى ١٤:٢٦):

+ **«متى اجتمعتم فكل واحد منكم له مزمور، له تعليم، له لسان، له إعلان، له ترجمة. فليكن كل شيء للبنيان».**

والنص هنا شديد العلاقة بالعبادة وسط الجماعة إذا اجتمعت. وقوله للبنيان يدخل مفهوم المزمور مباشرة في دائرة مواهب الخدمة لتقويم النفوس المتعطِّشة للخلاص والبنيان. وواضح أن ذكر المزامير في بداية الاجتماع يشير إلى افتتاح الخدمة بالتسبيح بالمزامير المتفق عليها عامة للخدمة وتُقال باللحن ليشترك فيها كل مَنْ يحفظها.

(كولوسي ٣:١٦):

+ **«لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى، وأنتم بكل حكمة معلمون ومنذرون بعضكم بعضاً، بمزامير وتسابيح وأغاني روحية بنعمة، مترنِّمين في قلوبكم للرب».**

ويأتي هنا المزمور في بداية خدمة الجماعة على أساس التعليم، ويأتي بعد المزمور التسبيح ثمَّ الأغاني الروحية، وهي تعابير متماسكة لعمل الروح القدس في الجماعة أي الكنيسة إذا اجتمعوا على الاسم القدوس. وواضح أنها ذات رنَّة فرح خارجة من قلوب مفعمة بالروح القدس تسبِّح وتمجِّد الله والمسيح. وواضح هنا المناسبة جدًّا، فكما كانت هذه المزامير والتسابيح تبدأ مع الهتاف والرقص وآلات التسبيح داخل الهيكل عند لحظة تقديم الذبيحة في العهد القديم، فهنا إذ يجتمع المؤمنون حول اسم المسيح الخروف المذبوح القائم في السماء ذبيحة حية أبدية، يبدأون في الحال بالمزامير الخاصة بذبيحة الخلاص مع تسابيح الفرح وأغاني الروح المقدَّمة من الجماعة الملهمة بشبه مريم أخت هارون والشعب ملتف حولها يسبِّح بهتاف المجد لحادث العبور أمامهم. وهو ما تقدِّمه الكنيسة القبطية في تسبحة نصف الليل عندما تفتتح العبادة بلحن قوموا يا بني النور لنسبِّح رب القوات، وهو من أروع ألحان الكنيسة الذي يستمر ما يقرب من نصف ساعة بلسان الجماعة كلها، وتكمِّله بتسبحة مريم بنفس الروح والهتاف.

ولا يفوتنا هنا قول ق. بولس الرسول العجيب **«بنعمة مترنِّمين في قلوبكم للرب»** حيث يبلغ هنا عمل الروح القدس أعمق مستوياته، حيث ينتقل اللحن والنغم من الفم للقلب لتُسبِّح الروح بلا عائق! ألم يكن الروح القدس هو الناطق بالروح في قلب داود أولاً ليُخرج النغم من الفم، واليد على الوتر تسجِّل ذبذبات الروح؟

(يعقوب الرسول ٥:١٣):

+ **«أعلى أحدٍ بينكم مشقَّات؟ فليُصلِّ، أمسرورٌ أحدٌ؟ فليرتِّل».**

وصحتها بحسب الأصل اليوناني: "أمسرورٌ أحد فليرتِّل مزموراً ψαλλέτω"

يُلاحِظ القارئ هنا أن المشقَّات يناسبها الصلاة والدموع، ولكن يقابلها حتماً أوقات الفرح والسرور وبهجة الروح. فعلامة المسيحي أنه فرح دائماً: «افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا» (في ٤:٤)، «لأن فرح الرب هو قوَّتكم» (نح ٨:١٠). ويسأل الإنسان: لماذا يكون المسيحي فرحاً دائماً؟ والجواب واحد والسبب واحد وهو أننا بإيماننا المسيحي نلنا القيامة من الأموات ونحيا فيها، والقيامة من الأموات لا يدنو منها حزن أو كآبة، فهي من نصيب الإنسان الجديد المخلوق في المسيح يسوع والمولود من فوق، والذي نلناه بالإيمان وتوثَّق لنا بالمعمودية وتغذَّى على الجسد الإلهي والدم الأقدس ونلنا به روح الحياة الأبدية في المسيح.

فانظر أيها القارئ السعيد كيف صار الترنُّم بالمزمور صناعة الإنسان الجديد: «إن كنتم قد سمعتموه وعُلِّمتُم فيه كما هو حقٌّ في يسوع، أن تخلعوا مِنْ جهةِ التصرُّف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهواتِ الغرور، وتتجدَّدوا بروحِ ذهنكم، وتلبَسُوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب اللهِ في البرِّ وقداسةِ الحقِّ.» (أف ٤: ٢١-٢٤)

المزامير في الليتورجيا بالهيكل وفي المجامع العتيقة

إنها حقيقة مسلَّمة أن مزامير كثيرة في ما قبل السبي وفيما بعده يظهر بوضوح من تركيبها أنها استخدمت في العبادة في الهيكل.

ومعلوم أن سفر المزامير بأكمله كان في استخدام العبادة العامة، والمزامير تقدِّم لنا وثائق ليتورجية.

ولكن بفحص المزامير نجد أن بها مزامير غير قابلة للدخول في العبادة أي الليتورجيا، وبعضها واضح أنها لم تؤلَّف لقصد العبادة، كما أن بعضها لا يمكن التسبيح به داخل الهيكل.

وقد أثبت العالِم دوم[1] Duhm أن كلاً من جامعي المزامير أو مؤلِّفيها تضافروا لتقديم كتاب يد يحوي المزامير للهذيذ والتأمُّل وقراءة العبادة، لتضع الإنسان العادي في مستوى الاستقامة الدينية وتدفعه لدراسة الناموس[2] وتتبُّع معانيه. لذلك لا يمكن أن نتبع بلا تحفظ قول بعض العلماء الذين يقولون إن كل سفر المزامير كان للعبادة الليتورجية العامة[3]. فالحقيقة تقع بين هاتين الدراستين، بمعنى أنه بالرغم من أن معظم المزامير قد أُلِّفت لخدمة الليتورجيا، فإن بعضاً منها لم يكن القصد منها إطلاقاً للعبادة العامة. وفي الوجه الآخر يتضح لنا من واقع المزامير والتاريخ أن كثيراً من المزامير ألَّفها أنبياء الهيكل لخدمة الليتورجيا خاصة. وللأسف فإن كثيراً من مزامير الليتورجيا لا تفصح عن أصلها ومؤلفها، وربما كان تأليفها بدافع التقوى والهيام بالروح، وقد أُخذت أخيراً ضمن الليتورجيا بسبب إحساسها الطقسي الواضح. وهذا يكشف العلاقة بين التقوى الفردية والطقس والليتورجيا العامة. وسنقدِّم هنا بعض الفقرات اللامعة من بعض المزامير لكي نؤكِّد القيمة الليتورجية فيها.

أولاً: المزامير في الليتورجيا بالهيكل:

المزامير التي أُلِّفت من أجل الخدمة العامة:

وهي المزامير التي قصد الإحساس اليهودي أن يستخدمها ليُسبِّح بها في مناسبات خاصة في الهيكل.

---

(1) *Die Psalmen*, p. xxvii (1922). See also Staerk, *Die Schriften des Alten Testaments*, iii, I, cited by W.O.E. Oesterley, *A Fresh Approach to the Psalms*, 1937, p. 133.

(٢) كلمة الناموس كما جاءت في كلام المسيح تعني أيضاً المزامير.

(3) Gunkel-Begrich, *Einleitung in die Psalmen*, pp. 407 ff (1933).

ويوجد عندنا مثل ممتاز لهذا الغرض في مزمور (٦٦) آية ١-١٢ حيث أن بقية المزمور من الآية ١٣-٢٠ تُعتبر مزموراً آخر. وهذه الآيات المختارة تبدأ هكذا:

(أ) مز ٦٦: ١: «اهتفي لله يا كل الأرض!

٢: رنّموا بمجد اسمه. اجعلوا تسبيحه ممجَّداً.

٣: قولوا لله: ما أهيب أعمالك، من عظم قوتك تتملَّق لك أعداؤك.

٤: كل الأرض تسجد لك وترنّم لك. ترنّم لاسمك. سلاه.

٥: هلم انظروا أعمال الله، فعله المرهوب نحو بني آدم!

٦: حوَّل البحر إلى يبس، وفي النهر عبروا بالرجل. هناك فرحنا به.

٧: متسلِّط بقوته إلى الدهر. عيناه تراقبان الأُمم. المتمرِّدون لا يرفعن أنفسهم. سلاه.

٨: باركوا إلهنا يا أيها الشعوب، وسمِّعوا صوت تسبيحه.

٩: الجاعل أنفسنا في الحياة، ولم يسلِّم أرجلنا إلى الزلل.

١٠: لأنك جرَّبتنا يا الله. محَّصتنا كمحص الفضة.

١١: أدخلتنا إلى الشبكة. جعلت ضغطاً على متوننا.

١٣: ركَّبت أناساً على رؤوسنا. دخلنا في النار والماء ثمَّ أخرجتنا إلى الخصب».

ويُلاحَظ هنا أن التسبيح يبدأ بمقدِّمة قوية متكاملة أكثر من أي مزمور آخر من هذا النوع، فليتورجية هذا المزمور واضحة.

وأيضاً فإن الصفة الليتورجية واضحة في مزمور (١٣٥) في الثلاث آيات الأُولى:

(ب) مز ١٣٥: ١: «هللويا. سبحوا اسم الرب. سبحوا يا عبيد الرب.

٢: الواقفين في بيت الرب، في ديار بيت إلهنا.

٣: سبحوا الرب لأن الرب صالح، رنّموا لاسمه لأن ذاك حلوٌ.

٤: لأن الرب قد اختار يعقوب لذاته، وإسرائيل لخاصته».

وهذا المزمور كان يُسبَّح به في الفصح، وليس من الصعب تحديد ذلك، فالآية (٤) الأخيرة المذكورة تُخبر عن اختيار إسرائيل، والآية (٥) تُعلن عن قوة يهوه، والآية السادسة تحكي عن تكميل مقاصده، والآية (٧) تعلن عن قوة الله على الطبيعة، ثمَّ الآيات (٨و٩و١٠) تحكي عن ما حدث للمصريين وقت الخروج. فجميع هذه اللفتات تكشف عن الأسباب القوية لاستخدام المزمور في الفصح، فليس أكثر من هذا مناسبة. وبالرغم من أن هذا المزمور ليس من المزامير المبكِّرة، وأنه

يبدو أن هناك إضافات زيدت على صياغته الأُولى، ولكن واضح من تركيبه أن الغرض من تأليفه أن يكون ضمن التسابيح الليتورجية بلا شك. ويوجد في كتاب *Sopherim* xviii, 2 ما يفيد أن هذا المزمور كان مزمور تسبحة الصباح لعيد الفصح.

(ج) وأيضاً عن الهالليل، وهو الاسم الذي أُعطي بواسطة الربيِّين في كتاباتهم عن المزامير من مزمور (١١٣) حتى (١١٨)(٤). فإن هذه المزامير كانت معتبرة أنها تكوِّن كُلاً واحداً، وهذه كانت عماد تسبحة عيد الفصح. فعندما يُذبح حملان الفصح، يقف صفَّان من الكهنة في رواق الكهنة الذي فيه المذبح الكبير يستقبلون في قصعاتهم الفضية والذهبية دم الذبائح التي تقدِّمها كل عائلة في هذا العيد، ثمَّ تُسلَّم هذه القصع إلى الكاهن الذي يقوم بالخدمة على المذبح الكبير. فعندما يتسلَّم كل قصعة يقوم بتفضيتها على قاعدة المذبح ويُسلِّم القصعة فارغة.

وهذا الطقس الليتورجي يدوم من الساعة التاسعة حتى الساعة الحادية عشر (تقريباً من الساعة ٣ إلى الساعة ٥ بعد الظهر). وبينما تقوم هذه الخدمة، يقوم اللاويون بإنشاد مزامير من ١١٣–١١٨، وينبري الشعب كله بترديد الشطرة الأُولى من الستة مزامير، وبعد كل شطرتين يهلِّلون عالياً بهللويا. وعندما يصلون إلى آخر مزمور وهو المزمور (١١٨)، ليس فقط يهتفون بالشطرة الأُولى بهللويا، ولكنهم يكرِّرون أيضاً وراء اللاويين كلمات الآيات ٢٥و٢٦:

+ «آه يا رب خلِّص. آه يا رب أنقذ. مبارك الآتي باسم الرب».

وهكذا يكرِّر الهالليل بهذه الكيفية إلى أن تنتهي خدمة الليتورجيا للعيد.

وأهمية المزامير من ١١٣–١١٨ في ليتورجية الهيكل تظهر أكثر باستخدامها في عيد المظال. فمركز الخدمة في هذا العيد هو في إطلاق المياه على المذبح، وهي مذكورة في كتاب المشناه تحت اسم سوكّاه *Sukkah* (٤: ٩و١٠).

وهذه المزامير (١١٣–١١٨) تُدعى: "هالليل مصر" [«عند خروج إسرائيل من مصر» (مز ١:١١٤)]. وتُدعى كذلك لتمييزها عن "الهالليل الكبير" وهو مزمور (١٣٦)، وتمييزها أيضاً عن المزامير ١٤٦–١٤٨ التي تعتبر نوعاً من الهالليل نظراً لكثرة التلميح عن التهليل فيها.

ففي عيد المظال يذهب أحد الكهنة الخدَّام في الهيكل ومعه قِدرةٌ من الذهب سعتها ثلاثة لج

(٤) انظر تعليق العالِم Müller في كتابه الذي نُشر فيه نص كتاب *Sopherim* صفحة ٢٢٨ (١٨٧٨م).

Logs (حيث اللج وحدة سعة مذكورة في سفر اللاويين ١٤: ١٠) إلى بركة سلوام ويملؤها بالماء من البركة، ويعود راجعاً إلى الهيكل من باب الماء حينما يضرَب البوق صوتاً عالياً، ويبدأ الشعب بالغناء مقطوعة إشعياء (١٢: ٣). «فتستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص». وحينئذ يرفع الكاهن الجرَّة الذهبية ويضربها بشدَّة على المذبح، فينسكب الماء منها ويفيض على المذبح، ذلك كما ضرب موسى الصخرة بالعصى فتفجَّرت المياه من الصخرة. ومع انسكاب الماء يسكبون الخمر. وبينما يُجرى هذا يُنفخ في الأبواق، وبعدها تبدأ موسيقى الهيكل ويُنشد المزامير ١١٣–١١٨ كما هو جاري في عيد الفصح. ومع الموسيقى يُسمع صوت الناي flutes.

وفي أثناء التسبيح بالمزامير، وعندما يأتي اللاويون إلى كلمات المزمور (١١٨: ١): «احمدوا الرب لأنه صالح، لأن إلى الأبد رحمته»، وأيضاً (١١٨: ٢٥و٢٦): «آه يا رب خلِّص. آه يا رب أنقذ. مبارك الآتي باسم الرب»، ومرَّة ثانية إلى «احمدوا الرب لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته» (١١٨: ٢٩)؛ تبدأ كل الجماعة ترفع سعف الخوص وفروع الأشجار وتلوِّح بها نحو المذبح(٥). فبعد أن تنتهي الذبائح في كل من سبعة أيام العيد، يتقدَّم الكهنة في مارش أي مسيرة رسمية في موكب حول المذبح يغنون مزمور (١١٨)، وفي اليوم السابع يدورون سبع مرَّات حول المذبح وينشدون نفس المزمور. وهكذا في كل الأعياد ينشدون نفس مزمور (١١٨) بهذه الطريقة بعد تقديم الذبائح.

(د) أمَّا بقية المزامير من ١٢٠–١٣٤ فيتم الإنشاد بها أثناء خدمة أخرى لها صلة بهذا العيد. وذلك في رواق النساء بعد أن يُضاء بإضاءة لامعة وشديدة، إذ تكون الجماعة كلها مجتمعة في رواق خاص أعدَّه كهنة ولاويون، حيث كبار الإسرائيليين يشتركون في حفلة رقص حاملين المشاعل ينشدون تسابيح وأغاني للمديح، وفي نفس الوقت وعلى سلالم الرواق الداخلي نجد اللاويين ينشدون المزامير ١٢٠–١٣٤ وهي تسبيحات المصاعد (انظر: *Middoth* ii, 5) وذلك بصحبة آلات موسيقية كثيرة، ويمتد هذا الاحتفال البهيج حتى صياح الديك حينما تُعطى الإشارة بالانتهاء بواسطة اثنين من الكهنة على باب نيكانور ويتفرَّق الجمع.

(هـ) والمزمور (٣٠) له عنوان: «تسبحة تَدشين البيت». ونعلم من كتاب

(٥) الفروع تسمَّى لولاب Lulab وكانت ولاتزال تستعمل في السيناجوج أثناء الاحتفال بعيد المظال. وكانت هذه العادة بأمر أُعطي في سفر اللاويين: «وتأخذون لأنفسكم في اليوم الأول ثمر أشجار بهجة وسعف النخل وأغصان أشجار غبياء وصفصاف الوادي وتفرحون أمام الرب إلهكم سبعة أيام.» (لا ٢٣: ٤٠)

Sopherim (٢:١٨) أن هذا المزمور أُنشد به أثناء إعادة تدشين الهيكل بواسطة يهوذا المكابي بعد أن خرَّبه أنطيوخس إبيفانس في سنة ١٦٥ ق.م. وهذا مذكور في سفر المكابيين الأول (١مك ٤: ٥٤-٥٩)، والثاني: (٢مك ١٠: ٥-٨). وهذا العيد مذكور أيضاً في (يو ١٠:٢٢) باسم: «عيد التجديد». وفي الكتاب اليهودي *Shabbath* 21b مكتوب أن المزامير (١١٣:١١٨) (هالليل) كان يُسبّح بها أيضاً في هذا العيد (عيد التجديد). وأما المزمور (٣٠) فعلى الرغم من عنوانه: "لتدشين البيت" يبدو أنه لم يؤلّف خصيصاً لهذه المناسبة، لأنه مزمور فردي بصيغة الأنا، على أنه تمَّ تعديله فيما بعد ليُستعمل في هذه المناسبة.

وهو يذكر في آية ١١: «حوَّلت نوحي إلى رقص» حيث كانت تقوم الفتيات في هذا العيد بالرقص، كما هو مكتوب في مكان آخر أن عدداً محدَّداً من العائلات كان عليها أن تقدِّم فتياتها كل سنة في هذه المناسبة ليقمن بتقديم عروض للشعب أثناء الذبيحة لتمثيل الشعب لروح الأُمة، يقدِّمن رقصات دينية خاصة على دقات الطبول في أيديهن. فكانت بهجة للعيد ورفعاً لروح الشعب المجتمع.

(و) وكذلك الخواص الليتورجية لمزمور (٨١) واضحة للغاية، إذ كان يُستعمل في الاحتفال الشهري بالقمر الجديد، كما تقول آية ٣: «انفخوا في رأس الشهر بالبوق عند الهلال ليوم عيدنا». فالقمر الجديد كان يُحتفَى به داخل الهيكل وذلك بتقديم ذبائح خاصة:

+ «وفي رؤوس شهوركم تقرِّبون محرقة للرب، ثورين ابني بقر وكبشاً واحداً وسبعة خراف حولية صحيحة، وثلاثة أعشار من دقيق ملتوت بزيت تقدمة لكل ثور، وعُشرين من دقيق ملتوت بزيت تقدمة للكبش الواحد، وعُشراً واحداً من دقيق ملتوت بزيت تقدمة لكل خروف، محرقة رائحة سرور وقوداً للرب. وسكائبهن تكون نصف الهين للثور وثلث الهين للكبش وربع الهين للخروف من خمر. هذه محرقة كل شهر من أشهر السنة. وتيساً واحداً من الماعز ذبيحة خطية للرب فضلاً عن المحرقة الدائمة يُقرَّب مع سكيبه.» (عد ٢٨: ١١-١٥)

وكان يُنفخ بالأبواق بواسطة الكهنة: «وفي يوم فرحكم وفي أعيادكم ورؤوس شهوركم تضربون بالأبواق على محرقاتكم وذبائح سلامتكم، فتكون لكم تذكاراً أمام إلهكم. أنا الرب إلهكم.» (عد ١٠:١٠)

أمَّا مزامير ١١٣-١١٨ فكان يُنشد بها في هذه المناسبة الشهرية ولكن في صيغة مختصرة. وأمَّا مناسبة القمر الجديد في الشهر السابع فكانت محسوبة كأقدس هذه الأعياد: «وفي الشهر السابع في

الأول من الشهر يكون لكم محفلٌ مقدَّسٌ عملاً مَّا من الشغل لا تعملوا. يوم هتاف بوق يكون لكم» (عد ٢٩:١). وفي هذه المناسبة كان يُنشد بمزمور (٨١) أيضاً بواسطة الكهنة واللاويين أثناء سكب تقدمة السكيب، وكان لخدمة المساء وللذبيحة مزمور خاص هو المزمور (٢٩) وهو المحدَّد لمساء هذا اليوم. أمَّا مزمور (٨١) فهو يتبع مجموعة خاصة من المزامير، ويشير إلى ذلك ضمناً وسط أشياء أخرى النص العبري لآية (٣) (وهي الرابعة بالعبري) هكذا:

+ «صوِّتوا بالشوفار (shophar) عند القمر الجديد، في كمال القمر في يوم **عيدنا**».

وهنا ذكر العيد دون تعيينه يشير إلى عيد المظال، إذ يُقال بصورة ممتازة أنه "**العيد**"، كما هو مذكور في سفر الملوك الأول وفي سفر حزقيال:

+ «فاجتمع إلى الملك سليمان جميع رجال إسرائيل **في العيد** في شهر إيثانيم هو الشهر السابع.» (١مل ٨:٢)

+ «في الشهر السابع في اليوم الخامس عشر من الشهر في **العيد** يعمل مثل ذلك سبعة أيام كذبيحة الخطية وكالمحرقة وكالتقدمة وكالزيت.» (حز ٤٥:٢٥)

وعيد المظال هذا كان يُحتفل به في يوم اكتمال القمر (البدر) في الشهر السابع، وكان يسبقه في أول هذا الشهر يوم السنة الجديدة، وقد عُرف بعد ذلك باسم Rosh ha shana (رأس السنة).

ففي اليوم الأول من هذا الشهر أي يوم القمر الجديد كان يُنفخ في الأبواق كخدمة دينية كما هو مبيَّن في (عد ١٠:١٠، ٢٩:١) وسبق أن ذكرناه. وهكذا وبسبب هذا المزمور كان الأسبوعان اللذان يتبعان يوم السنة الجديدة يُحتفى بهما باعتبارهما إعداداً للعيد الكبير. هذا هو ما يُقال عنه بواسطة عزرا الكاتب: «ابتدأوا من اليوم الأول من الشهر السابع يُصعدون محرقات للرب، وهيكل الرب لم يكن قد تأسَّس.» (عز ٣:٦)

لذلك كان مزمور (٨١) واحداً من أخص المزامير التي يُنشد بها في عيد المظال وفي يوم السنة الجديدة عندما كان يُحتفل بعيد تنصيب يهوه ملكاً. ويقول "الترجوم" عن هذا المزمور: إن القمر الجديد المذكور هو الذي لشهر تشري أي الشهر السابع، الذي يقع فيه يوم السنة الجديدة، الذي يُذكر في سفر العدد: «وفي الشهر السابع في الأول من الشهر يكون لكم محفل مقدَّس. عملاً ما من الشغل لا تعملوا. يوم هُتاف بوق يكون لكم» (عد ٢٩:١). وفي التلمود أيضاً يُذكر يوم Rosh ha shana ومزمور (٨١) الذي يُنشد به في هذا اليوم.

(ز) أمَّا مزمور (٩٢) فله عنوان: "تسبيحة ليوم السبت"، وقد تعدَّل ليُقال في هذه المناسبة، على أنه لم يكن أصلاً قد أُلِّف لهذا الغرض، بل هو مزمور بصيغة "الأنا"، لذلك فاستعماله في العبادة الجماعية باعتبار "الأنا" يمثل الجماعة، فهذا ينحرف عن المعنى الأصلي للمزمور.

وفي المشناه (*Sukkah* iv, 5) نعلم أن اللاويين أنشدوا هذا المزمور في الهيكل في السبت أثناء تقدمة السكائب، وقد كان يُنشد على ثلاثة مقاطع، وهذا هو الوضع الاعتيادي الذي يُنشد به مزامير الليتورجيا. وفي ختام كل مقطع ينفخ الكهنة ثلاث مرَّات من خلال الأبواق Trumpets ليقع الشعب على وجوههم للسجود للعبادة (*Tamid* vii, 3).

وأخيراً نذكر المزامير التي كان يُنشد بها في ليتورجية كل يوم في الهيكل: فأثناء الذبيحة اليومية التي تحوي ذبيحة المحرقة وذبيحة الخطية والإثم وذبيحة السلامة وذبيحة السكائب فالكهنة كانوا ينفخون في الأبواق، واللاويون ينشدون المزامير برفقة الموسيقى، غير أنه للأسف لم يُذكر نوع هذه المزامير. وبعد الذبائح يقف خورس اللاويين ويُنشد مزمور اليوم بمصاحبة الآلات الوترية، وكان المزمور يختلف حسب اليوم في الأسبوع. وفي المشناه (*Tamid* vii) مذكور مزمور كل يوم مع ذكر السبب في اختيار هذا المزمور بالذات كالآتي:

في اليوم الأول من الأسبوع ينشد مزمور (٢٤): «للرب الأرض وملؤها». وهو ينشد في تذكار اليوم الأول من الخليقة.

وفي اليوم الثاني كان المزمور الخاص به هو مزمور (٤٨): «عظيم هو الرب وحميد جداً في مدينة إلهنا جبل قدسه».

وفي اليوم الثالث كان المزمور الخاص به هو مزمور (٨٢): «الله قائم في مجمع الله (والأصح: الله استوى في المجلس الإلهي) في وسط الآلهة يقضي».

واليوم الرابع له مزمور (٩٤): «يا إله النقمات، يا رب، يا إله النقمات، أشرق».

واليوم الخامس له مزمور (٨١): «رنّموا لله قوتنا، اهتفوا لإله يعقوب».

واليوم السادس له مزمور (٩٣): «الرب قد ملك. لبس الجلال، لبس الرب القدرة، ائتزر بها، أيضاً تثبّتت المسكونة. لا تتزعزع».

ولكن باستثناء مزمور اليوم الأول لا نجد أي علاقة بين اختيار المزمور بالنسبة ليومه، ولكن ربما يكون هناك سبب لاختيار كل مزمور ليومه. وباستثناء اليوم الثالث والخامس نجد العناوين في السبعينية تتناسب مع ما تقوله المشناه في هذا الموضوع. وبحسب (*Tamid* vii, 3) نجد أن النشيد

بالمزمور في يومه كان يبتدئ حينما كان الكاهن يصب تقدمة السكيب، ومثل كل مزامير الليتورجيا فقد كانت تنشد على ثلاث أجزاء، حيث كانت هناك وقفة في كل من الإنشاد والموسيقى، وأثناء هذه الوقفة ينبري اثنان من الكهنة ينفخان في أبواقهما، التي كانت تُحسب إشارة للجماعة العابدة لكي تسقط على وجهها وتصلّي. ولم يذكر هل كانت هذه الصلاة صامتة أو كانت تُتلى عالياً بواسطة أحد الكهنة نيابة عن الشعب الساجد. على أي حال يظهر أن الذبائح كانت هي حقًّا العنصر الأساسي في العبادة، في حين كان الإنشاد بالمزامير ومصاحبة الموسيقى كلاهما يُقصد بهما أساساً أن يكونا البطانة المصاحبة للعبادة.

مزامير تمليك يهوه:

والأمر الثاني الهام في الهيكل الذي ينبغي أن نذكره، هو المزامير الخاصة التي يُعيَّد بها حفظاً لتذكار صعود يهوه على عرشه. وهذا الموضوع مذكور جيداً بواسطة العالم مونكل(٦) وسنعود إلى عرضه بالتفصيل(٧) ونكتفي الآن بذكر عظمة المزامير التي يُنشد بها في هذا العيد وخواصها الليتورجية. ففي الوهلة الأُولى هي مزامير ٤٧ و٩٣ و٩٥ و٩٦ و٩٧ و٩٨ و٩٩. وهذه تكوِّن مجموعة خاصة تتميَّز بعبارة **«الرب قد ملك»**. وهناك مجموعتان أخريان تحويان بعض العناصر التي يجب أن تؤخذ في الاعتبار في دراسة هذا الموضوع. المجموعة الأُولى: مزامير ٨ و١٥ و٢٤ و٢٩ و٣٣ و٤٦ و٤٨ و٥٠ و٦٦ و٧٥ و٧٦ و٨١ و٨٢ و٨٤ و٨٧ و١١٨ و١٣٢ و١٤٩. والمجموعة الثانية: مزامير ٦٥ و٦٧ و٨٥ و١٢٠-١٣٤.

وفي كل هذه المزامير يُنادَى بيهوه ملكاً. ولا يلزم هنا أن نقدِّم عينات، فمعظمها يُنادي بأن الملك قد صعد إلى عرشه، حيث التتويج هو في الواقع عبارة عن محفل للملك البشري ممثلاً ليهوه، وهذه المزامير المذكورة تشير إلى هذه الحقيقة. كما يفيد العالم مونكل أن الاحتفال بصعود يهوه على عرشه هو من الطبيعي جداً على غرار الاحتفال بالملك البشري بمنطقته الملوكية ووضع التاج على رأسه، والشعب والأبرار يهلّلون ويفرحون:

مز ٩٧: ٨: «سمعت صهيون ففرحت، وابتهجت بنات يهوذا ...

١٢: افرحوا أيها الصديقون بالرب، واحمدوا ذكر قدسه».

(6) Sigmund Mowinckel. *The Psalms in Israel's Worship*, Eng. transl. 1967, pp. 106-192.

(٧) انظر صفحة ٢٦٧ وما يليها.

وليس فقط إسرائيل تفرح بل وكافة الشعوب ليرفعوه: «قد صعد الله بهتاف، الرب بصوت الشوفار shophar (الصور)» (مز ٤٧:٥ بالعبري)، «بالبوق وصوت الشوفار اصنعوا ضجَّة أمام الملك يهوه» (مز ٩٨:٦ بالعبري)

وفي وسط صرخات الفرح يجلس يهوه على عرشه: «علّوا الرب إلهنا، واسجدوا عند موطئ قدميه. قدوس هو» (مز ٩٩:٥)، «ملك الله على الأمم، الله جلس على كرسي قدسه» (مز ٤٧:٨)، «السحاب والضباب حوله، العدل والحق قاعدة كرسيه.» (مز ٩٧:٢)

وهكذا يجلس على كرسيه في تمام مجده، وشعبه وكل الشعوب الأخرى، والسموات من فوق، والطبيعة الحيَّة وغير الحيَّة كلها تُدعَى لتفرح وتعطي الشكر:

مز ٩٦:٩: «اسجدوا للرب في زينةٍ مقدَّسة، ارتعدي قدَّامه يا كل الأرض.

١٠: قولوا بين الأُمم: الرب قد ملك. أيضاً تثبَّتت المسكونة فلا تتزعزع. يدين الشعوب بالاستقامة.

١١: لتفرح السموات ولتبتهج الأرض، ليعج البحر وملؤه.

١٢: ليجذل الحقل وكل ما فيه. لتترنَّم حينئذ كل أشجار الوعر».

وحول عرشه يجتمع رؤساء الشعب ليقدِّموا الخضوع:

+ «شرفاء الشعوب اجتمعوا. شعب إله إبراهيم لأن لله مجانّ الأرض. هو متعالٍ جداً.» (مز ٤٧:٩)

وهذه المزامير هنا تدعو وتنادي لملوكية يهوه وتثبيت مملكة الله، وفيها يهوه قد شرع ليقيم مملكته وحكومته على الدنيا كلها. وهناك موضوعات أخرى أقل اعتباراً في هذه المزامير تتبع القصد الرئيسي ولكنها لا تخصنا هنا.

ولو أن دراسة هذه المزامير قد دفعتنا للتطرُّق لبعض الموضوعات الجانبية فيها، لكن الغرض الأساسي من هذا الفصل لا يفوتنا وهو الصفات الليتورجية لهذه المزامير، فقد تحقَّق الآن أن العناصر الليتورجية في هذه المزامير هي من الوضوح حتى أنه لا يعوزنا براهين.

مزامير لم يكن في أصلها اتجاه لاستخدامها في الليتورجيا:

مزامير لها صفة الفرادة "أنا": والموضوع قابل للنقاش فقد أعطيت فيه عدَّة آراء من قِبَل العلماء. ولكن لا يشك أحد منهم في أن هذه المزامير تعكس لنا حقيقة تماسك وتضامن الأُمة. ففي الأيام

الأُولى في إسرائيل لعبت القبلية دوراً هاماً في إسرائيل - كما لاحظ العالِم(٨) S.A. Cook - فيمكن للجماعة أن تعتبر نفسها كوحدة حتى أن اسماً شخصياً يكون له معنى جماعي:

+ «وأرسل **إسرائيل** رُسلاً ... قائلاً: دعني أمرّ في أرضك.» (عد ٢١:٢١و٢٢)

+ «وأرسل موسى رُسلاً من قادش إلى ملك أدوم. هكذا يقول أخوك إسرائيل.» (عد ٢٠:١٤)

ونسمع عن يعقوب إنه يقول: «أنا نفر قليل» (تك ٣٤:٣٠)، فالواحد يعبِّر عن بيت يوسف (يش ١٧:١٧)، وعن شعب أفرايم (قض ١:٢٩)، وعن بيت داود (٢صم ٧:٢٦)... وهكذا. وأيضاً حينما تشعر جماعة بتماسكها فإنَّ تعدِّي واحد يسيء ويُحدث خطراً للكل. وهكذا فإن إسرائيل قد تضرَّرت من تعديات بنيامين (قض ٢٠:١٣) أو بخصوص القبائل الشرقية (يش ٢٢:١٣-١٨) أو عخان (يش ٧:١١) ... إلخ.

وهكذا نخرج بهذه الحقيقة أنه حينما يكون المزمور بصفة "أنا" المفرد تكون في معظم الأحيان إسرائيل كلها هي المقصودة. ويُستثنى من هذا حالات فردية معروفة: كصلاة حنة وبعض صلوات داود والأنبياء، كذلك صلوات تقديم الذبائح الفردية. لذلك ليس من الضروري أن تكون المزامير الموسومة بـ"أنا" تعني إسرائيل كلها، ولهذا السبب لا يمكن حسابها ذات طابع ليتورجي.

فبعض المزامير الموسومة بـ"أنا" مثل المزامير (٢٧ و٤٢ و٤٣ و٥٥) ليست ذات طابع ليتورجي، ولكن توجد مزامير أخرى موسومة بـ"أنا" قد حدث لها تعديل لتكون مزامير لليتورجيا مثل المزامير (١٧ و٨٦ و١٠٢ و١٤٢).

على أن المزمور (١١٩) الذي يحوي نظام الألف باء وبه ١٧٦ آية لا يُعتبر مزموراً ليتورجياً، إذ هو مؤلَّف من نوع خاص. وعلى الرغم من ذلك كان يُقرأ في العصور الوسطى في السيناجوج في السبت بعد الظهر، ولكن لم يُستخدم في الهيكل، وهو ليس له عنوان.

كذلك فإن مزامير الحكمة مثل مزمور (١) ومزمور (١١٢) ومزمور (١٢٧) (مزمور المصاعد) وغيرها من المستبعد تماماً استخدامها في ليتورجية الهيكل.

نخرج من هذا أن أعداداً لا يُستهان بها من المزامير تخرج خارج استخدام الليتورجيا، وكانت

(8) S.A. Cook, *The Old Testament: A Re-interpretation*, 1936, pp. 116 ff.

تعتبر مزامير للصلاة، تسابيح، مزامير توسُّل، للتعليم، للسلام. وكانت في تأليفها غير مقدَّمة للجماعة للخدمة.

ومعلوم أن في العبادة اليهودية لم يُعتبر إطلاقاً كتاب المزامير أنه للخدمة الليتورجية بأجمعه. ومعلوم أنه يوجد في سفر المزامير ٨٤ مزموراً فقط للخدمة الليتورجية.

وأخيراً حينما ينظر الإنسان إلى سفر المزامير بنظرة شاملة يشعر أنه ليست كل المزامير تصلح لخدمة الليتورجيا فعلاً.

ولكن أكثر ما يهمنا هو أن نعتبر أن المزامير تحوي قِطَعاً شعرية تظهر فيها العلاقة الحميمة جدًّا بين الإنسان وخالقه، منسَّقة تنسيقاً بديعاً، حيث يسكب الإنسان نفسه وروحه أمام خالقه في إبداع ليس له مثيل في كل أدبيات العالم كله، حيث نجد الثقة المطلقة في الله والاعتقاد الراسخ برحمته واحتمال الله لأخطائنا، وحيث تكون الشركة الصامتة بين الإنسان والله بأقوى ما يمكن وليس كالحادث في الخدمة الجهارية العامة.

ونحن فخورون وشاكرون بكل احترام للمزامير غير المحسوبة ليتورجياً.

ثانياً: المزامير في العبادة في المجامع العتيقة:

أصل المجمع وتكوينه:

إذ أن المزامير في عبادة المجمع قد أُخذت أصلاً من استخدامها في الهيكل، كذلك إذ يوجد عندنا أدلّة واضحة على وجود المجامع أثناء ما كانت العبادة تُمارس في الهيكل، لذلك أصبح الأمر يهمنا أن نبحث ولو باختصار متى بدأ المجمع يظهر في الوجود. ومع أنه لا توجد شواهد أكيدة تدلنا على التاريخ الذي بدأ فيه المجمع وجوده، ولكننا سنحاول أن نبحث ذلك.

المسلَّم به أن هناك لأول وهلة بعض الإشارات ترجِّح أن مبادئ تأسيس المجامع يمكن أن تكون أثناء السبي؛ ولكن بالبحث الشامل نجد أن هذه النظرة غير مثبَّتة. فلا يوجد في العهد القديم ما يرجِّح ذلك، وبالرغم من ذلك، فإن بعض الكتّاب يؤمنون أن المجامع يُشار إليها في إشعياء النبي (٥٦:٧) حيث يذكر: «بيتي بيت الصلاة يُدعى»، ولكن بنظرة فاحصة يظهر عدم دقة هذا الاستنتاج، لأنه واضح هنا أن بيت الصلاة هو الهيكل كما هو مكتوب في سفر الملوك:

+ «لأنهم يسمعون باسمك العظيم وبيدك القوية وذراعك الممدودة. فمتى جاء وصلَّى في هذا **البيت** ...» (١مل ٨:٤٢)

+ « ليقيم كلام الشريعة المكتوب في السفر الذي وجده حلقيا الكاهن في **بيت الرب**.» (٢مل ٢٣:٢٤)

وتوجد بعض نظريات للربيين بخصوص هذا الموضوع وهي بعيدة عن الواقع وخيالية إذ ينسبون المجمع إلى موسى، كما أن بعض العلماء يتمسَّكون بكلام سفر التثنية: «اجمع الشعب الرجال والنساء والأطفال والغريب الذي في أبوابك لكي يسمعوا ويتعلّموا أن يتقوا الرب إلهكم ويحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة» (تث ٣١:١٢)، وأيضاً سفر إرميا: «أمَّا بيت الملك **وبيوت الشعب** فأحرقها الكلدانيون بالنار ونقضوا أسوار أُورشليم» (إر ٣٩:٨)، معتبرين أن كلمة بيوت الشعب تعني أماكن عبادتهم، حيث كانت تُعرف أماكن تجمعات الشعب للعبادة بالبيوت. ولكن صعب أن تؤخذ هذه النظرية بعين جادة.

+ «قالوا في قلوبهم: لنُفنينَّهُم معاً! أحرقوا كل **معاهد الله في الأرض**.» (مز ٧٤:٨)

وقد أُخذ بهذا المزمور كشاهد لوجود المجامع قديماً، وقد وُجِدَ هذا المزمور في الترجمة الإنجليزية RV هكذا: «أحرقوا كل السيناجوجات "وبين قوسين (أماكن العبادة)"». ولكن اللفظ العبري المترجم هنا بالسيناجوجات لم يُستخدم للإشارة إلى المجامع لا في أسفار العهد القديم ولا في الكتابات اللاحقة، على أنه مذكور في المراثي (٢:٦) هكذا: «أهلك مجتمعه» ولكنه لا يعني المجامع المعروفة. وافتراض آخر لا يفيد كثيراً هو أن المجامع أسَّسها عزرا الكاتب بمناسبة الاجتماع الكبير المعروف باسم ha keneseth ha gedolah والموصوف في سفر نحميا أصحاح ٩و١٠، إذ يقول العلماء إن هذا الاصطلاح ha keneseth هو الاسم الأخير اليهودي للسيناجوج (المجمع)، وهذا يعطي تاريخاً لتكوين المجمع مبكِّراً في القرن الرابع قبل الميلاد، ولكن البراهين تقف ضد هذا التاريخ. وهناك إشارة أخرى في سفر أخبار الأيام الثاني نجدها مسجَّلة عن يهوشافاط هكذا: «فثبَّت الرب المملكة في يده وقدَّم كل يهوذا هدايا ليهوشافاط وكان له غنى وكرامة بكثرة، وتقوَّى قلبه في طرق الرب ونزع أيضاً المرتفعات والسواري من يهوذا ... **وجالوا في جميع مدن يهوذا وعلَّموا الشعب**» (٢أي ١٧: ٥و٦و٩). وتؤخذ هذه كإرهاصة لبدء عمل المجامع. ولو صح ذلك يكون هذا أول ذكر بلغنا عن المجامع كمكان للتعليم. ويلزم أن نذكر أنه بعد العودة من السبي تكدَّست القبائل اليهودية في أُورشليم وما حواليها، وبمضي الوقت حتَّمت زيادة الشعب بالانتشار لإقامة اليهود في الأماكن التي لم تكن تحت رعاية أُورشليم. حينئذ بدأت الحركة المذكورة في (٢أي ١٧:٥ إلخ) وهي في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد إذ كانت المجامع لم تُبن بعد.

وهذا هو نفس الحال إذا عدنا إلى الأسفار القانونية الثانية وكتب الأبوكريفا، فلم يذكر فيها كلمة واحدة عن السيناجوج، ويوجد شهادة واحدة مذكورة في مكابيين الأول (٣:٤٦): «فاجتمعوا وساروا إلى المصفاة قبالة أُورشليم لأن المصفاة كانت من قبل هي موضع الصلاة لإسرائيل». فالقول "موضع الصلاة" ربما كان يشير إلى موضع السيناجوج، ولكن هذا مردود عليه في الآيات ٤٤و٤٥ من نفس الأصحاح. ويبدو أن الذي كان في فكر الكاتب هو (قض ٢٠:١ إلخ) وهي عن موضع آخر.

ولكن واضح من المذكور في (١صم ٧:٥): «فقال صموئيل اجمعوا كل إسرائيل إلى المصفاة فأصلي لأجلكم إلى الرب»، (١صم ١٠:١٧): «واستدعى صموئيل الشعب إلى الرب إلى المصفاة» واضح هنا أن المصفاة كانت تُستخدم كبديل للهيكل إذ لم يكن قد تأسَّس بعد.

وأمَّا الأبحاث الأثرية فتفيد أن عصر إنشاء المجامع قد بدأ متأخِّراً، فمن بقايا ٣٢ مجمعاً خارجاً عن أُورشليم نجد أن تاريخ معظمها يرجع إلى القرن الثاني أو الثالث بعد الميلاد(٩).

كذلك وُجد أن أكثر عدد للمجامع كان في الجليل، وهو المنتظر أن يكون، إذ هي بعيدة عن أُورشليم حيث تكون الحاجة إلى المجامع. وإذا رجعنا إلى إنجيل ق. لوقا (٧:٥) نقرأ عن مجمع في الجليل: «لأنه يحب أمتنا (قائد المئة) وهو بنى لنا المجمع».

والآن نأتي إلى برهان قاطع بخصوص تاريخ نشأة السيناجوج، حيث يظهر أنه بكل تأكيد قد وُجد السيناجوج بين يهود الشتات لوقت طويل قبل أن تدخل فلسطين، حيث أن مجامع فلسطين جاءت متأخرة على نمط مجامع الشتات. فأقدم وثيقة مثبتة عن المجامع توضِّح وجود مجامع بين يهود الشتات في مصر (أماكن عبادة προσευχαί). والوثيقة المذكورة تتبع أيام بطليموس الثالث Euergetes سنة ٢٤٧-٢٢١ ق.م. وليس ضرورياً أن نورد أمثلة أخرى لأنه معروف أن مجامع الشتات قد وُجدت قبل أن يكون لها قدم في فلسطين. وأول وثيقة عن مجامع فلسطين موجودة في جزء من كتاب أخنوخ(١٠) معروف باسم "الأمثال" ٣٧-٧١ (منذ ٩٤-٧٩ ق.م). ففي الأصحاح (٤٦:٨) يقول: "وإنهم اضطهدوا بيوت الاجتماعات والمؤمنين الذين تعلَّقوا باسم رب الأرواح"، كذلك في (٥٣:٦): "وبعد ذلك يقوم البار المختار ببناء بيت جماعته، لذلك لن يخزوا

(9) Sukenik, *Ancient Synagogues of Palestine and Greece.*
(10) Charles, *The Book of Enoch, or I Enoch*, p. 67 (1912).

من ذكر اسم رب الأرواح". وهنا الاصطلاح "بيت الجماعة" هو المعادل تماماً للسيناجوج أي المجمع.

وواضح أن المجامع قد وُجدت مباشرة بعد عصر المكابيين ولكن لم يُذكر شيء عن الغرض منها وما تقوم به. وبخصوص هذا نأتي إلى فيلو (حوالي ٢٠-٤٠ بعد الميلاد) وأيام يوسيفوس. وفيلو كان يهودياً إسكندرانياً، وقد كتب عن يهود الشتات وعن عينة من مجمع يهود الشتات، وكان هو نفسه مماثلاً لما في فلسطين. وهكذا فهذا يفيد أن ما يقوله فيلو ينطبق على سيناجوج فلسطين في الحقيقة وهو يكتب: "كان يجلس موسى في اليوم السابع محاطاً بالكهنة بينما يتقاطر الشعب للتعليم، لأنه كانت العادة في هذه الأيام البعيدة وخاصة يوم السبت أن يتحدَّثوا عن الحكمة، فكان الرئيس يشرح ما يجب أن يُقال ويُعمل، حتى يتشجَّع الشعب في الفضيلة ويرتقي إلى ما هو أفضل من جهة الأخلاق وأسلوب الحياة. وهكذا يحدث الآن أيضاً أن اليهود ينذرون أنفسهم في اليوم السابع لدراسة الفلسفة التي ورثوها من آبائهم، ويكرِّسون هذا اليوم للدراسة والتأمل في الطبيعة. فماذا تكون بيوت الصلاة في المدن إلاَّ أماكن للتعليم في الحكمة والاحتراس والرزانة والبر والفضيلة والقداسة، وبالاختصار في كل فضيلة تقدِّر وتقبل ما هو بشري وإلهي من الصلاح."(١١)

ويمكن ملاحظة أن الضغط الرئيسي في هذا القول يقع على "التعليم" ولا يذكر إلاَّ مصادفة أن السيناجوج "بيوت صلاة". والتعليم بحسب هذا القول لفيلو يتركَّز في موضوع الأخلاق. ونفس الأمر نجده في موضع آخر من كتابات فيلو(١٢)، حيث يشير إلى ما يجب أن تكون عليه الحياة الصحيحة، ولكن نجد فيه كلمات تُظهر أن فيلو يعتبر أن المعتقد الحقيقي في الله هو قاعدة الحياة الصحيحة، ونختصرها هكذا: "في أماكن التعليم هذه يقدِّم أحد المختبرين أكمل وأنفع تعليم يجعل حياة الإنسان تتزيَّن بأجمل الفضائل. لأن من بين الوصايا توجد وصيتان عظيمتان: الأُولى من جهة الله وهي تختص بالتقوى والقداسة، والأخرى من جهة الآخرين وتختص بالمحبة والفضيلة. وكل منهما ينقسم إلى أقسام كثيرة تؤدِّي إلى إدراكات فوق ما يُمتدح".

ولكن ربما يكون أوضح ما يقوله فيلو عن السيناجوج موجوداً في قطعة وصلتنا محفوظة في كتابات يوسابيوس (*Praep. Evang.* viii, 7) يقول فيها: "إنه فيما يخص وصايا موسى فإن

(11) *Vita Mos.*, ii, 168.
(12) *De Septen.*, ii, 282.

الشعب المجتمع في اليوم السابع ينصت بخوف وتوقير لقراءة الناموس، حتى أن كل واحد يصير متمرِّساً بما يحتويه، وأحد الكهنة يكون حاضراً أو أحد الشيوخ يقرأ لهم الناموس المقدَّس ويشرح كل ما فيه حتى المساء - حينئذ يعودون إلى بيوتهم مفعمين بالمعرفة في الناموس والتقدُّم في الفضيلة". ويختم فيلو قائلاً: "وهل يمكن أن يوجد تأسيس مثل هذا؟ لذلك فإنهم لا يحتاجون للذهاب لمن يشرح لهم الناموس ليسألوه في هذا الأمر أو ذاك. لأن بواسطة هذه المؤسَّسات يصيرون متعلِّمين بشئون الناموس ولا يخالفونه. فإذا سألت أحدهم فيما يخص ناموس آبائهم يستطيع أن يعطي معرفة في كل ما يُسأل بوضوح شديد. وهكذا فإن كل واحد سواء كان الزوج أو الأب أو السيد يكون على استطاعة أن يعلِّم الناموس لزوجته وأولاده أو خدَّامه".

فالتمرُّس بتعليم الناموس ومبادئ الديانة اليهودية كان هو الاتجاه الأول في مجامع الشتات وبلا شك أيضاً في مجامع فلسطين. ولكن عناصر العبادة لم تكن غائبة، حيث إننا نجدها مذكورة في ما يقوله فيلو كما رأينا، فهو يصف المجامع في بعض أقواله أنها "بيوت الصلاة". ويهمنا أن نذكر ما ورد في (*In Flacc.*, 14) حيث يقول إن "الترنيم والتسابيح والأغاني" كانت تُنشد في المجامع، ولا شك أن المزامير كانت داخلة ضمن هذه التسابيح.

والآن نأتي إلى الحقيقة التي ذكرها يوسيفوس متكلِّماً عن أوامر الناموس "المشرِّع" قائلاً: "لم يكن يحتمل جريمة الجهالة ويتركها تذهب بلا عقاب، فكان يشرح الناموس على أنه أفضل وأنفع من سائر التعاليم، وكان يسمح للشعب أن يتركوا كل مسئولياتهم الأخرى ليجتمعوا معاً لسماع كل ما يخص الناموس ويتعلَّمونه بدقة، وهذا لا مرَّة ولا مرَّتين بل كل سبت على الدوام"(١٣). وفي موضع آخر يتكلَّم يوسيفوس عن سيناجوج Dora "المكان الذي يجتمع فيه الكل معاً"(١٤) والازدحام داخل السيناجوج في قيصرية: "في اليوم السابع من الأسبوع."(١٥)

والشهادات القليلة التي يقدِّمها يوسيفوس نجدها لا تساعدنا كثيراً ولكنها تؤيِّد ما قدَّمه فيلو وتحقِّقه على الأقل في أمر أو أمرين. ويمكن الخروج من الاثنين بأن السيناجوج كان بدائياً وكان عبارة عن مكان للاجتماع يتدارس فيه الشعب ويتعلَّم الناموس كل سبت. وكل منهما يصفه أنه

(13) *Contra Ap.*, ii, 175.
(14) *Antiq.*, xix, 305.
(15) *Bell. Jud.*, ii, 289.

مكان أو بيت للصلاة بالرغم من أن هذا ليس وارداً كثيراً في كلام يوسيفوس مثل ما عند فيلو. وفيلو يذكر استعمال الأغاني للمديح والتسبيح داخل المجامع.

وينبغي أن نضيف أن يوسيفوس يتكلَّم عن السيناجوج كونه يستخدم أحياناً لاجتماعات غير دينية(١٦).

وأخيراً نأتي إلى أهم ما جاء في العهد الجديد عن المجامع:

ويلزم أن نذكر أولاً أن فيلو ويوسيفوس يتفقان مع وجهة نظر العهد الجديد بخصوص المجامع، أي ما جاء في الأناجيل في وضعها الحاضر. إذ لا شك أن معظم مواضع الإنجيل تتوافق مع فيلو ويوسيفوس في وصف المجامع كأماكن للتعليم:

فمثلاً: «وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلِّم في مجامعهم» (مت ٤: ٢٣) قارن: (مت ٩: ٣٥ و١٣: ٥٤، لو ٤: ١٥ و١٦ و٦: ٦، يو ٦: ٥٩ و١٨: ٢٠). وكثيراً ما كان يُذكر السبت كيوم للتعليم (مت ١٢: ٩، مر ١: ٢١ و٢٢ و٦: ٢، لو ٤: ٣١ و٣٢ و١٣: ١٠).

وبخصوص "بيوت الصلاة" التي ذكرها فيلو كثيراً فإن المجامع قد ذكرت مرَّتين في الأناجيل كمواضع للصلاة، ولكن بطريقة توضِّح أن هذه الحقيقة كانت معروفة جيداً: "ومتى صلَّيت فلا تكن كالمرائين. فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين في المجامع" (مت ٦: ٥). وأيضاً بخصوص ذكر المجامع والكتبة في المجامع يقول الرب: «ولعلَّة يطيلون الصلوات» (مر ١٢: ٤٠). فمن هذين الشاهدين يتضح أن المجامع كانت للصلاة.

وفي إحدى المرَّات يذكر يوسيفوس أن السيناجوج كان يستخدم في الأغراض العلمانية (مجمع دورا Dora المعروفة بين الكرمل وقيصرية). وقد ذُكرت مجامع كثيرة صنع فيها المسيح معجزاته: (مت ٩: ٣٥، مر ١: ٢٣ و٣: ١، لو ٤: ٣٣ و٦: ٦).

العبادة في المجمع:

تأكدنا أن السيناجوج كان في الشتات كما في فلسطين، وكان عمله الأساسي التعليم، وشيئاً فشيئاً دخلت العبادة أكثر. أمَّا كيفية العبادة فقد تنظَّمت على أساس ما كان في الهيكل. وللتأكيد على ذلك يلزم أن ندرس الكتابات اليهودية اللاحقة لزمن كتابة أسفار الكتاب المقدَّس، فهذه تقدِّم

(16) *Antiq.*, XIX, 300 ff.

لنا بأكثر وضوح استخدام المزامير في الكنيس اليهودي. وحتى بينما كان الهيكل لا يزال قائماً كان يوجد عدَّة سيناجوجات في فلسطين، وذلك كما يفيد العالِم "كراوس" بما له من الأدلة الكثيرة بمراجع دقيقة عن السيناجوجات الواقعة على نفس الجبل الذي فيه الهيكل وبجواره.

ونقرأ في سفر الأعمال عن بولس الرسول: «لم يجدوني **في الهيكل** أحاج أحداً أو أصنع تجمُّعاً من الشعب ولا **في المجامع** ولا **في المدينة**» (أع ٢٤:١٢)، ويقصد أُورشليم. ويظهر هنا ذكر المجامع مع الهيكل في أُورشليم، وهذه المجامع مذكورة أيضاً في التلمود (*Arakhin,* 11b.) حيث يُقال إن يشوع بن حنانيا الذي مات سنة ١٣٠م وهو واحد من أشهر تلاميذ يوحنان بن زكّاي (انظر *Aboth*, ii, 9)، كان قد خدم في الهيكل كعضو في خورس اللاويين. وهو يذكر كيف أن الخورس مجتمعاً في وحدة واحدة انتقل إلى المجمع ومعه الأوركسترا وذلك من خلال المذبح (*Sukkah*, 53a). وهكذا خدم في الموضعين خدمته الواحدة(١٧). وهكذا فإن الوجود المتزامن للهيكل والمجمع له أهمية قصوى، لأن هذا يفيدنا أن نتبيَّن الحقيقة التي كان اليهود دائماً يتمسَّكون بها وهي أن السيناجوج لم يكن البديل للهيكل ولكن ما يمثّله. وهذه الحقيقة موضَّحة بإتقان في صورة للهيكل مرسومة فوق الحنية(١٨) niche الباقية في آثار وُجدت لسيناجوج في منطقة Dura Europas (على الضفة الغربية للفرات):

"فعلى يمين صورة الهيكل المرسومة فوق الحنية يُرى مذبح، كما توجد صورة لإبراهيم وإسحق والخروف ... وتوضِّح الصورة أن الرسَّام كان مهتماً بالأكثر في إظهار المعنى الرمزي الذي يشير إليه المذبح. فالهيكل والمنارة واقفة بالسبعة أفرع، والمذبح، تكوِّن الرموز المقدَّسة التي لليهودية. وأمَّا وجود إبراهيم وذبيحته (ابنه) ملاصقاً لصورة المذبح فهو إشارة إلى الخلاص بدون ذبيحة!! وهذا التصوير يشرح بالتالي معنى الذبائح في الهيكل في العبادة القديمة والانتقال منها إلى العبادة الجديدة بدون ذبائح التي كانت قد سادت آنئذ (في السيناجوج)."(١٩)

لذلك يوجد هناك بالتأكيد ما يفيد الاعتقاد بأن خدمة السيناجوج قد أُقيمت لكي تكون على نمط خدمة الهيكل (حيث الشرقية في السيناجوج تسمَّى حتى الآن Hekal أو قدس Qodesh وهما

(17) F.L. Cohen, in the *Jewish Encycl.*, IX, 120a.

(١٨) الحنية هي الحناية كالموجودة أمام المذبح في الهيكل.

(19) Helen Rosenau, "Some Aspects of the Pictorial Influence of the Jewish Temple", in the *P.E.F. Quarterly Statement*, July, 1936, p. 160.

كلمتان تشيران إلى الهيكل في أسفار العهد القديم). كما أن "العادات الخاصة بالسيناجوج المبكِّرة جدًّا للعبادة - كما يقول العالِم Blau كانت مأخوذة من الهيكل ومطوَّرة، ومنها عادة الوقوف في سواعي الذبائح المسمَّاة Ma ‘amad. كما أُخذت العبادة العامة والخاصة من المزامير والصلوات، وقد تكوَّن نظامها تدريجياً في أوقات مختلفة وفي مناسبات متعددة، وقد استغرق ذلك مئات السنين قبل أن يستقر نظام الصلوات على الوضع المدوَّن حالياً في التلمود البابلي."(٢٠)

هذا أيضاً يساعدنا لكي نتحقَّق كيف أنه من وقت لآخر أصبحت مزامير الأفراد الموسومة بـ"أنا"، والتي كان لها قبولٌ خاصٌ في العبادة الفردية، قد دخلت تدريجياً كمادة دائمة في الليتورجيا اليهودية.

وبخلاف ذلك نعلم أنه كان في عبادة الهيكل بجوار تقديم الذبائح إقامة خدمات ليتورجية مطوَّلة كان الجزء الأساسي فيها هو إنشاد المزامير بصحبة الموسيقى. وبالتالي دخلت هذه المزامير خدمة السيناجوج. وبعض المزامير التي كانت تُقال على هيئة صلوات وتسابيح خاصة أخذت موضعها سريعاً كتسبيح في خدمة الهيكل، بالرغم من أنها لم تكن أصلاً قد أُلِّفت من أجل هذا الغرض، فكانوا ينشدونها في أيام الأعياد داخل المجمع أيضاً والاجتماعات الخاصة، خاصة المزامير الثمانية عشر الموسومة بهللويا: ١٠٥-١٠٧، ١١١-١١٨، ١٣٥و١٣٦ و١٤٦-١٥٠.

وكانت كل من النبوَّة والتسبيح يرمز لها بموسى وداود حتى وبعد هدم الهيكل. وهذه العناصر تركت آثارها وانطباعها على المجامع، فكانت القراءة مخصَّصة للناموس، والأحاديث للأنبياء، وكل المزامير أو بعض منها في الصلوات(٢١).

وقد تركت المزامير أثراً بطريقة محدَّدة أخرى في عبادة المجمع وذلك في البركات المقتبسة من نص المزامير، والتي كانت تُقال في أماكن محدَّدة من الخدمة. والمثل في ذلك يقدِّمه العالِم Blau مرَّة أخرى: «سبِّحوا الرب» أو «باركوا يهوه» كان يُخاطَب بها الشعب في الأيام الأُولى في وهج النصرة بعد النجاة من الأخطار وخاصة الحروب (قض ٥: ٢و٩). ولكن في الأيام الأخيرة حينما أصبح الطقس عادياً وقد تسجَّل، كان ينطق بها يومياً حتى صارت قطعة من الخدمة أو ختاماً للخدمة الإلهية، مثل (مز ١١٨:٢٦، ١٣٥: ١-٣، ١١٨: ٢-٤)، حيث ينادي بالإسرائيلين

(20) *The Jewish Encyclop.*, viii, 137 a,b.

(21) Zunz cited by Oesterley, *op. cit.*, p. 168.

وبالكهنة واللاويين والأتقياء لكي يجتمعوا إلى مجموعات «ليباركوا الرب». ويُلاحَظ في مز ١١٨ أن هذه الدعوة تكرر في نهاية المزمور حيث الآية الأخيرة: «احمدوا الرب لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته» (مز ١١٨:٢٩) وكذلك نهاية مزمور ١٣٥: «مبارك الرب من صهيون. الساكن في أُورشليم. هللويا (= سبحوا الله)» (مز ١٣٥:٢١)، وكانت تمثّل البركة الأخيرة لكل الجماعة المجتمعة. وكانت البركة التي يختم بها الخمسة كتب التي لسفر المزامير، أي نهاية مزمور **٤١، ٧٢، ٨٩، ١٠٦، ١٥٠**، كلها في تكوينها تكوّن موضوعاً واحداً كختام بركة، وهي تمثّل عبارات طقسية استعملت في المجامع منذ زمن الهيكل، حيث كان الشعب كله يجيد التسبيح بها معاً بنغم واحد بعد نهاية الإنشاد بالكتب المختلفة، وأحياناً كان يرد الشعب بآمين كما هو مذكور في نهاية الأربعة كتب الأُولى وفي (١أي ١٦:٣٦).

كذلك يتضح من بعض المزامير أن مثل هذه التبريكات لم تكن وقفاً فقط على عامة الشعب في الخدمة العامة؛ بل وفي الخدمة الخاصة أيضاً: «أبارك الرب في كل حين، دائماً تسبيحه في فمي» (مز ٣٤:١)، «في كل يوم أباركك وأُسبّح اسمك» (مز ١٤٥:٢). ويُذكر أن الدعاء يكون «مساءً وصباحاً وظهراً أشكو وأنوح فيسمع صوتي» (مز ٥٥:١٧)، والتسبيح يُقدَّم «سبع مرَّات في النهار» (مز ١١٩:١٦٤)، بينما في مكان آخر يكون التسبيح في باكر الصباح فقط. وأصل هذه العبارات الطقسية كان هو عادة الشعب أن يسبِّحوا الله في المناسبات المبهجة من أجل صلاحه(٢٢).

هذا يجعلنا نتحقَّق من أن عدداً من العبارات في المزامير لم يكن أصلاً لهذه المزامير، ولكن وجودها يعود فقط لليتورجيا، كما يظهر مدى تمسُّك اليهود بالعبارات الروحية الغنية التي استلموها من المزامير. فهي كانت الوسيلة للشركة مع الله.

بعض التوضيحات الأخرى:

في صحائف التلمود المدعوة *Sopherim* وغيرها، توجد بعض التوضيحات التي يمكن جمعها فيما يخص خدمة المزامير عند اليهود، خاصة في الأيام الأُولى للمجامع، وبعضها نسرده هنا:

إن عادة الكنيسة المسيحية في استخدام بعض المزامير في المناسبات المختلفة مأخوذة بلا شك من طقس المجامع اليهودية، وفي معظم هذه المزامير التي تُقال في مناسبات معيَّنة نجد شيئاً في المزمور، ربما بيتاً واحداً أو اثنين، يُظهر لماذا أُخذ به لهذه المناسبة بالذات. فمثلاً:

(22) *The Jewish Encyclop.* viii, 134 b.

- مزمور (٧) كان من بين الأناشيد في عيد البوريم لأنه يتكلَّم عن الانتصار والنقمة على الأعداء (*Sopherim* 18.2)، وانظر خاصة العدد ٦ و١١-١٦، حيث كان عيد الفوريم تذكاراً لنقمة اليهود على أعدائهم أيام أستير (أس ٩: ١٣-٢٦). وأمَّا المدراش على المزامير فيذكر أن كوش البنياميني المذكور في عنوان هذا المزمور هو شاول، وأن المزمور يتكلَّم عن العداوة بينه وبين داود.
- وفي اليوم الثامن للعيد (عيد المظال) كان احتفال خاص يُقال فيه مزمور (١٢)، وإنه قد اختير بسبب الكلمات الواردة في الأعداد ٦و٧ (*Sopherim* 9.2). «كلام الرب كلام نقي، كفضة مصفَّاة في بوطة في الأرض، ممحوصة سبع مرَّات.» (مز ١٢:٦)
- والمزمور الخاص بعيد التجديد [حانوكاه، انظر (١مك ٤:٥٩)، (٢مك ١:١٨)] كان مزمور (٣٠) (*Sopherim* 18.2) وكان يسمَّى "عيد المكابيين"، ولو أنه في التلمود معروف بعيد الإنارة = phota (Josephus, *Antiq*; xii: 325) وذلك لأن المصابيح كانت تضاء كل يوم في العيد في جميع البيوت. وكانت هذه الأنوار أصلاً تُضاء في المنازل ولكن مؤخراً كانت تضاء في المجامع أيضاً. وفي عنوان مزمور (٣٠) يُقال: تسبحة تُقال عند تدشين البيت، ولكن بحسب (*Soph.* 18.2) كانت أصلاً مزمور هيكل، وأخيراً نُقل إلى المجمع. والعالم Elbogen ربما يكون على صحة في قوله إن العنوان قد أُضيف أخيراً بسبب أن المزمور كان يُنشد به في عيد الحانوكاه. ومدى مناسبة هذا المزمور لهذا العيد واضح لمن قرأ قصة نصرة يهوذا المكابي المذكور في (١مكا ٤:٢٨-٣٦).
- وهناك مثل آخر عن الطقس المبكِّر المحفوظ في هذه الصفحات من التلمود وهو أن أحد المزامير التي كانت يتم الإنشاد بها في عيد السنة الجديدة هو مزمور (٤٧). ونحن نعلم من تكوين هذا المزمور أنه كان ولابدَّ يُنشد به في هذا العيد. ولكن يُذكر ذلك بوضوح في (*Sopherim* 19,2) الذي يحوي شيئاً كثيراً من القدم.
- ويوجد مزموران لعيد القمر الجديد: مزمور (٩٨) حيث يذكر في عدد (٦) من هذا المزمور: الصور أي الشوفار (قرن الخروف) الذي كان يُنفخ به في الهلال الجديد (عد ١٠:١٠)، ومزمور (١٠٤) بسبب افتتاحيته:

+ «باركي يا نفسي الرب، يا رب إلهي قد عظمت جدًّا، مجداً وجلالاً لبست.
اللابس النور كثوب، الباسط السموات كشقة.» (مز ١٠٤: ١و٢)

ولكن في الأيام الأخيرة كان مزمور (١٠٤) وحده هو المزمور الخاص لهذه المناسبة. والتقليد لم يذكر أبداً أنه هو المزمور الخاص بالهلال الجديد وعيده إذ كانت محسوبة معلومة عامة.

- وفي يوم الكفّارة كانت تُقال مزامير التوبة، ولكن هذا السفر (*Sopherim* 19.2) يذكر خصيصاً المزمورين ١٠٣، ١٣٠. ومناسبتهما لهذا اليوم واضحة.

- وفي الاجتماع في المجمع كان الشعب يتلو مزامير الهللويا عن ظهر قلب، وهي تحوي المزامير: ١٠٤-١٠٦، ١١١-١١٣، ١١٥-١١٧، ١٣٥، ١٤٦-١٥٠. واللغة الوطنية كانت الأرامية ولكن المزامير كانت تُقال بالعبرية. أمّا بخصوص هذه المزامير التي للهللويا فجدير بالذكر ما يقوله العالِم Dembitz وهو أن بعضاً من هذه المزامير مثل ١٠٦، ١١٣ فيها الافتتاح بهللويا يمتد معناه بالكلمات التي تليها، وفي البعض الآخر مثل مزمور ١١١ و١١٢ معنى هذه الكلمات لا يتخلل المزمور طبيعياً، وربما تكون هللويا قد أُضيفت بواسطة بعض السلطات في الهيكل لكي تهيّئ المزمور للخدمة العامة[٢٣].

وتبعاً لقول الرابّي المشهور Abba Arika في بكور القرن الثالث بعد الميلاد، فإن اسم كل سفر المزامير ينبغي أن يكون "هللويا"، لأن هذه الكلمة "ياه" تمثّل الله. وفي (*Sopherim* 16,11-12) يُقال إن الهللويا كانت تُنشد ١٢٣ مرّة بواسطة الشعب. والإشارة هنا إلى تلاوة الهالليل Hallel (مز ١١٣-١١٨)، لأنه كما أخبرونا في التلمود (*Sukkah* 38b) فإن الشعب كان يرد بهللويا بعد كل بيت منها. ويقول العالِم Müller في تعليقه على *Sopherim* أنه إذا عدّ الإنسان عدد الأبيات في هالليل بالنسبة لوزنها الشعري يكون العدد ١٢٣. وفي بحث آخر خيالي يُقال إن سبب هذا العدد أنها سنو عمر هارون (انظر: عد ٣٩:٣٣). «وكان هارون ابن مائة وثلاث وعشرين سنة حين مات في جبل هور». وسواء في الهيكل أو في السيناجوج فإن هالليل كانت دائماً ذات أهمية، وعادة إنشاد الهالليل في الهيكل في الأعياد الكبرى انتقلت منه إلى السيناجوج.

ويمكن أن يُقال الشيء الكثير من مراجع أخرى من جهة استخدام المزامير في السيناجوج، ولكن ما قلناه يُظهر مقدار أهمية المزامير في الحياة التقوية للمجمع.

(23) *Jewish Encyclop.* vi, 179 A.

المزامير في ليتورجيا الكنيسة

نقدّم هنا وثائق ذات أهمية فائقة لكل مَنْ يدرس تاريخ الليتورجيا في الكنيسة الأُولى، وخاصة أُولئك الذين يهتمون كثيراً بقوانين الكنيسة وليتورجياتها وآثارها الأُولى.

فنحن نقدّم دراسات تصلح أن تكون للتعليم والتثقيف وأيضاً للعبادة والتقوى. على أن هذه المحاولات الجادة كانت الكنيسة في بكور أيامها قد تقدّمت فيها خطوة لكي تعطي الإكليروس الأُول فيها وكذلك المؤمنين الطابع الليتورجي والوعظي على هيئة كتيبات قانونية طقسية، ذلك قبل أن يظهر عصر الليتورجيات العُظمى[١].

ومن الصعب الوصول إلى تحديد العلاقة بين هذه الوثائق، أمّا تواريخها فهي على نفس القدر من الصعوبة، ولكن هذه الوثائق جميعها تُنسب إلى الفترة بين القرنين الثالث والخامس الميلاديين.

وهي تعالج مواضيع رسامة الأسقف بعد اختياره، ووصف أول إفخارستيا يقوم بتقديمها والصلوات، كذلك رسامة الكهنة ورسامة الرتب الأقل: الشمامسة ومَنْ هُم بعد الشمامسة (مثل الإيبوذياكون)، وقبول المؤمنين الجدد وتقديم الكاتشزم لهم والعماد والتثبيت، واشتراكهم في التناول العام، والأغاني وبعض مناسبات الأعياد والصلوات، وفي الصلاة على الميت وحضور ساعات الصلاة[٢].

وبين هذه الوثائق الهامة جدًّا والتي تنقل لنا تراث الكنيسة مع ما فيها من إشارات على المزامير:

(أ) قوانين هيبوليتس.

(ب) أنظمة الكنيسة في مصر *Egyptian Church Order*.

(ج) أنظمة الكنيسة في إثيوبيا *Ethiopic Church Order*.

(د) وثيقة عهد ربنا *Testament of Our Lord*.

(1) Maclean, *The Ancient Church Orders*, p. 1, cited by Lamb, *The Psalms in Christian Worship, p. 30.*

(2) Wordsworth, *The Ministry of Grace*, pp. 12 ff, and Srawley, *Early History of the Liturgy*.

(هـ) المراسيم الرسولية *Apostolic Constitutions*.

وهذه الوثائق ينحصر تاريخ كتابتها بين سنة ٣٠٠م، سنة ٣٥٠م، ماعدا الأخيرة فيُظن أنها أحدث.

(و) نظام الكنيسة الرسولي (٣٠٠م) *Apostolic Church Order*.

(ز) الدسقولية أي تعاليم الرسل (القرن الثالث) *Didascalia*.

(ح) الدسقولية الأثيوبية والدسقولية العربية وكلاهما من القرن الرابع.

(ط) خولاجي سيرابيون أو كتاب الأسرار Sacramentary وهو من وضع سيرابيون الأسقف المصري أسقف مدينة تمويس (٣٥٠م) وبه ليتورجية تُنسب لسيرابيون صديق القديس أثناسيوس. وللأسف لا تذكر فيها أسماء للمزامير.

ولكن وللأسف أيضاً أن هذه الوثائق الكنسية ذات الاعتبار الكنسي الشديد بدأت تتلاشى من الكنيسة حينما تسجَّلت الليتورجيات الخاصة، واهتمت بها وأضافت إليها كل كنيسة في بكور القرن الخامس[٣].

والآن نبدأ بذكر ما استلمته الكنيسة من المزامير بواسطة هذه الوثائق.

وثيقة عهد ربنا:

وفيها يأتي ذكر التزمير بصورة موجزة، إذ عندما تصف أجزاء الكنيسة تشدِّد على ضرورة أن يكون: [ليت الكنيسة يكون لها بيت للموعوظين Catechumens ويُستخدم أيضاً للصلاة على المرضى (إخراج الشياطين)، على أن يكون هذا البناء غير منفصل عن الكنيسة، حتى أن الذين يدخلون الكنيسة يسمعون التسبيح **وتلاوة المزامير**.][٤]

كما تنص الوثيقة على أن يُسبَّح بالمزامير في ما قبل الأنافورا pro-anaphora وذلك بعد تسبحة السَحَر حيث تقول الوثيقة الآتي: [دعهم يرنمون بالمزامير وأربعة تسبيحات للمجد، واحدة عن موسى وسليمان وبقية الأنبياء (وذلك بعد تسبحة السَحَر)، على أن يكون خورس التسبيح مكوَّناً من الشمامسة المرنمين (ويدعون في الطقس الإبصالتس) واثنين من الشباب المكرَّس وثلاثة شمامسة وثلاثة كهنة. وأيضاً يقول الأسقف تسبحة المجد، وإن غاب يقولها الكاهن.][٥]

(3) Srawley, *op. cit.*
(4) I, 19, edited by Cooper and Maclean, p. 63.
(5) *Ibid.*, I, 26, p. 81.

وهناك توجيه عام على طريقة التسبيح بالمزامير أن كلما يُسبَّح بالمزمور في الكنيسة ينبري العذارى والأولاد الصغار يردون بالترنيم.

[وينبغي أن يستيقظوا ليسبِّحوا المزامير في السَحَر، لأن المسيح بعد أن قام من الأموات في وقت السَحَر كان يمجِّد الله بينما كانوا يسبِّحون بالمزامير.][٦]

كذلك يوجد أيضاً ذكر للتسبيح بالمزامير في وقت إيقاد المصابيح Lucernarium لتقديم العشاء أي الأغابي.

[ودع الأولاد الصغار يسبِّحون بالمزامير وتسابيح إيقاد النور على أن يرد الشعب بهللويا، مزموراً على مزمور أو تسبحة مقابل تسبحة، إنما يكون الكل بفم واحد وانسجام الصوت، ولا يُسمح لأحد أن يركع إلاَّ بعد أن ينتهي الوعظ.][٧]

التقليد الرسولي لهيبوليتس:[٨]

في الفصل (٣٦) يعالج مواعيد سواعي الصلاة، ويذكر الأسباب التي حدَّدت هذه الساعات سواء الثالثة أو السادسة أو التاسعة أو المساء والسَحَر، غير أنه لم يذكر أنواع المزامير.

أمَّا بخصوص ساعة إيقاد النور Lucernarium يوجد فصل يوازي ما جاء في وثيقة عهد ربنا السالفة الذكر، وإنما مطوَّل عنه نوعاً ما.

أمَّا النسخة الأثيوبية الفصل (٢٦) فهي تسجِّل أغابي خاصة، وفي الفصل (٢٦: ٢٨-٣٢) نقرأ: [وبعد العشاء يقوم الأولاد مع العذارى يرنمون المزامير، وبعدها يمسك الشمَّاس كأس التقدمة الممزوج (فيه الخمر ثلثين والماء ثُلث) ويقرأ مزموراً واحداً من الموسومين بهللويا. وبعدها يقف الأسقف ليقول ما يقرِّر من المزامير. وبعدها بعد أن يكون الأسقف قد قدَّم ما هو محدَّد من الصلاة للكأس، يقول المزمور الخاص بهللويا الذي فيه يقول: نحن نسبِّح الله العلي ونمجِّد الذي خلق العالم بكلمة، فإذا كمل المزمور يقدِّم الأسقف الشكر على الكأس، ويعطي من الخبز المكسور لكل المؤمنين.][٩]

(6) *Ibid.*, II, 24, p. 136.
(7) *Ibid.*, II, 11, p. 129.
(8) Ed. by Gregory Dix, vol. I. Cp. *DACL*, 6,2, 2409.
(9) *Ibid.*, *pp.* 51 f.

الدسقولية العربية:

وهي تشير إلى المزامير بوضوح في وصفها لليتورجية حسب الطقس المصري، وهي تمت بصلة إلى بقية الليتورجيات التي من نفس العصر، وهي بهذا الترتيب:

بعد صلاة الشكر يُبدأ في "شرح الكلمة" مع إعطاء دروس في الدين والعبادة، وبعدها "يتلو الشمامسة (الإبصالتس) الإبصلمودية من كتاب المزامير وذلك من أفواه الذين استلموا موهبة الألحان من معلّم حاذق. وكل جمهور الشعب جالس ليسمع بخوف وفهم ويتابعوا ما يُقال بانسحاق". وهذا يوضّح أن هذا الخورس هو لجماعة متمرّنة.

"وبعدما ينتهوا من الإبصلمودية يبتدئ الشمّاس أن يتلو مقاطع من كلمات الرسل وأجزاء من المزامير، وبعد ذلك كله يقرأ الإنجيل". وهكذا أثناء قراءة الفصول في الجزء الأول من القداس تتلى المزامير بين القراءات.

المراسيم الرسولية: Apostolic Constitutions

وهي من أهم تلك الوثائق المبكّرة وأكثرهم نمواً، وهي تعتبر بين وثائق القرن الرابع كشاهد فريد للعبادة آنذاك(١٠).

وفي هذه الوثيقة يوجد حوالي ٩٦ نصاً من كتاب المزامير، وهذا يوضّح أن الذي جمعها أو ألّفها له دراية ممتازة بالمزامير. كما يُذكر فيها أنواع المزامير التي تستخدم في الخدمات الكنسية والذين يقومون بترتيلها.

ففيها ذكر للمزامير التي تُقال أثناء الإفخارستيا، وفي أثناء الشركة أي التناول حيث يُقال المزمور (٣٤)(١١).

وواضح أن ذلك بسبب ما جاء فيه: «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب».

+ «أبارك الرب في كل حين، دائماً تسبيحه في فمي،
بالرب تفتخر نفسي، يسمع الودعاء فيفرحون، عظّموا الرب معي، ولنعلِّ اسمه معاً.
طلبت إلى الرب فاستجاب لي ومن كل مخاوفي أنقذني، نظروا إليه واستناروا ووجوههم لم تخجل.

(10) Maxwell, *Outline of Christian Worship*, p. 26.
(11) *Apostolic Constitutions*, Book VIII, xiii.

هذا المسكين صرخ والرب استمعه ومن كل ضيقاته خلّصه.
ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم. **ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب ...**» (مز ٣٤: ١-٨)

ويوجد في موضعين من الكتاب الثامن من المراسيم الرسولية إشارات إلى المرنّمين، ويستشف منها أنهم كانوا في درجة من درجات الشموسية ربما الإبصالتس وذلك في الفصل ٢٨ والفصل ٢١. ففي الفصل الواحد والعشرين إشارة إلى أن المرنمين لهم نصيب في الأولوجية. وفي الفصل الرابع والثلاثين تعالج الوثيقة موضوع سواعي العبادة وتعطي الأسباب الضرورية للاهتمام بها ولكن لا تذكر فيها أنواع المزامير.

ولكن على أي حال ففي الفصل الخامس والثلاثين نقرأ:

[عندما يأتي المساء عليك يا أسقف أن تجمع الكنيسة، وبعد تلاوة المزامير يصير إيقاد النور، ثمّ يأمر الشماس بتقديم الصلوات].

أمّا مزمور المساء فهو (١٤١)(١٢) وإليك بعضٌ منه:

+ «يا رب إليك صرخت، أسرع إليَّ. أصغ إلى صوتي عندما أصرخ إليك.
لتستقم صلاتي كالبخور قدّامك، ليكن رفع يديَّ **كذبيحة مسائية**.» (مز ١٤١: ١و٢)

وفي الفصل (٣٧) من الكتاب الثامن نحن نقرأ [وعلى نفس المنوال في الصباح بعدما يتلون مزمور الصباح ليت الشماس يقول ... إلخ](١٣). أمّا مزمور الصباح فهو المزمور (٦٣) وإليك بعضاً منه:

+ «يا الله إلهي أنت، إليك أُبكّر، عطشت إليك نفسي.
يشتاق إليك جسدي في أرض ناشفة ويابسة بلا ماء.
لكي أبصر قوتك ومجدك كما قد رأيتك في قدسك.
لأن رحمتك أفضل من الحياة. شفتاي تسبّحانك.
هكذا أباركك في حياتي. باسمك أرفع يديَّ.» (مز ٦٣: ١-٤)

وفي الفصل (٤٢) توجد إشارة للترنّم بالمزامير فيما يخص طقس تشييع الجنازة للمتوفي. وتقول الدسقولية: [اجعلوا اليوم الثالث للمنتقل يوم تشييع بالمزامير وفصول وصلوات، تمثُّلاً بالذي قام في

(12) *Ibid.*, II, lix.
(13) *Ibid.*, VIII, xxxvii.

اليوم الثالث.](١٤)

ويتبقّى نقطة ذات أصالة في الطقس، وهي تختص بالشعب حينما يُدعى لكي يرد على الترنيم بالمزامير، فواحد يرنّم المزمور والشعب يرد عليه بآية مختارة من أحد المزامير التي بها آية متكرِّرة بصفتها مرد، وتسمّى باليونانية akrostichia.

وهكذا نجد أن ذكر المزامير في المراسيم الرسولية له أهميته لجمال طقسه.

المزامير في ليتورجيا الكنيسة الأُولى:

تنقسم الخدمة في القداس إلى قدّاس الموعوظين وقدّاس المؤمنين، والمزامير كانت ترنّم في كلتا الخدمتين، ولكنها كانت تُزاد في خدمة الموعوظين.

ففي قدّاس الموعوظين يكون موضع المزامير بين فصول القراءة، وهذا ما وُجد في الوثائق الأُولى، ويشهد على ذلك **ترتليان** إذ يقول إن المزامير كانت تُتلى بين الفصول. والقديس أُغسطين يشهد أن المزمور كان يُتلى بالترنيم بين الرسائل والإنجيل كما هو جاري الآن عندنا في مصر، ويقول ق. أغسطين: [هذا سمعناه في فصول الرسل، التي بعدها صار التسبيح بالمزمور مشجِّعين بعضنا البعض بصوت واحد وقلب واحد كما ينبغي أن يكون]. ويذكر أن المزمور الذي كان يُسبَّح به في هذا اليوم مزمور (٩٥) وإليك مقتطفات منه:

هلم نرنم للرب نهتف لصخرة خلاصنا .:. نتقدَّم أمامه بحمدٍ وبترنيمات نهتف له.
لأن الرب إله عظيم ملك كبير على كل الآلهة .:. الذي بيده مقاصير الأرض وخزائن الجبال له.
الذي له البحر وهو صنعهُ ويداه سبكتا اليابسة
هلم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا .:. لأنه هو إلهنا ونحن شعبه مرعاه وغنم يده
اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسُّوا قلوبكم .:. كما في مريبة يوم مسَّة في البرية.

(مز ٩٥: ١-٨)

ثمَّ يكمِّل ق. أغسطين أن بعد ذلك التسبيح بالمزمور يُقرأ فصل الإنجيل وهو (في ذلك اليوم)

(14) *Ibid.*, VIII, xlii, cited by J.A. Lamb, *The Psalms in Christian Worship*, p. 33.
تذكر قوانين الرسل الحكمة في صلاة الثالث والأربعين هكذا: [صلاة الثالث بالمزامير والصلوات لأن المسيح قام من بين الأموات في اليوم الثالث؛ وصلاة الأربعين لأن المسيح صعد إلى السموات في اليوم الأربعين بعد قيامته] (قوانين الرسل الأطهار).

معجزة تطهير الأبرص(١٥)، وفي يوم آخر كان المزمور قبل الإنجيل (مز ٨٠: ٧) شطرة واحدة منه فقط [**يا إله الجنود أرجعنا وأنر بوجهك فنخلص**](١٦).

والقديس باسيليوس يقول إنه في كنيسة الكبادوكيين كانت المزامير تُقرأ بين الفصول(١٧). أمّا القديس أمبروسيوس فيقول إن المزامير كانت تُقرأ في قداس الموعوظين(١٨).

والقديس كيرلس الأُورشليمي يقول إن الأنافورا (قدّاس المؤمنين) يبدأ بمزمور (٢٦: ٦) الذي يُقال أثناء غسل الكاهن ليديه:

أغسل يديَّ في النقاوة فأطوف بمذبحك يا رب(١٩).

ويعود ويقول إن المزمور (٣٤) يُقال عندما يدعو الشمَّاس المؤمنين للتناول(٢٠)، الذي يقول:

ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب طوبى للرجل المتوكِّل عليه
اتّقوا الرب يا قدِّيسيه لأنه ليس عوز لمتقيه

(مز ٣٤: ٨و٩)

ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم بخصوص هذا المزمور (٣٤) إنه كان يُسبَّح به بالتبادل (أنتيفونا) بين الكاهن والشعب أثناء التناول(٢١).

أمّا القديس أمبروسيوس فيبدو أنه يُعيِّن المزمور (٢٣) على أنه هو الذي يُقال أثناء التناول(٢٢):

الرب راعيَّ فلا يعوزني شيءٌ، في مراع خضر يربضني، إلى ماء الراحة يُوردُني
يردُّ نفسي، يهديني إلى سبل البر من أجل اسمه أيضاً إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معي
عصاك وعكازك هما يعزِّيانني **ترتِّب قدَّامي مائدة تجاه مضايقيَّ**
مسحت بالدهن رأسي. **كأسي ريًّا**

(مز ٢٣: ١-٥)

(15) *Sermo X de Verbis Apostoli*, PL XXXVIII, 875.
(16) *Hom. XXXIII de Verbis Domini.* Serm CXII, PL XXXVII, 643.
(17) *In Psalm. XXVIII*, PG XXIX, 295 f.
(18) *Ep. XXII*, 4,7, PL XVI, 1063, 1064.
(19) *Catechesis*, XIX-XXIII, PG XXXIII, 1059 f.
(20) *Ibid., XXIII*, PG XXXIII, 1124.
(21) *Comm. in Psalm.* 144, PG, LV, 464.
(22) *De Elia* X, 34, PL XIV, 714.

أمّا المزامير ونظامها في بقية الخدمات فلم يظهر ترتيبها إلاّ بعد زمان القديس جيروم (٣٤٢-٤٢٠م)، على الأقل فيما يخص النظام الروماني لكنيسة روما، ولكن المعروف أن الخدمات اليومية كانت تقوم أساساً على المزامير بكثرة وتركيز حتى زمان مجمع لاودكية (٣٦٥م) الذي أصدر القانون رقم XVII بخصوص أن لا يُرنّم بالمزامير الواحد تلو الآخر مباشرة، ولكن يتخللها بعد كل مزمور فاصل من الكتاب المقدّس. وهذا يكشف عن استخدام المزامير بصورة أساسية في بدء الخدمة في الكنيسة.

ويخبرنا كاسيان عن الوضع في مصر وصعيد مصر بأن الخدمة كانت تبدأ بالمزامير كتسبحة وبعدها فصلان من التوراة والإنجيل، أي فصل من العهد القديم وآخر من العهد الجديد(٢٣)، وهذا يُفهم على أنه يشير إلى التسبحة (تسبحة نصف الليل الآن) التي تقوم على المزامير والتسابيح وبعدها يبدأ القداس. وهذا النظام وجده في مصر ويقصد كنائس الإسكندرية والإسقيط، كما وجده في طيبة أي الأقصر عاصمة الصعيد آنئذ(٢٤).

المزامير في ليتورجيا الكنيسة القبطية في القرن الثالث عشر وبكور الرابع عشر:

عندنا تقرير ضافٍ عن الخدمة في الكنيسة القبطية بجميع طقوسها والمزامير التي يُسبّح بها، وذلك في المؤلف الانسيكلوبيدي الشامل لشمس الرياسة أبي البركات المشهور بابن كبر قسيس كنيسة المعلّقة، الذي أسماه مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة، كما كان جارياً في أيامه أي في القرن الثالث عشر الميلادي، وهو العصر المعروف بالعصر الذهبي للكنيسة القبطية مع بداية القرن الرابع عشر.

وقد جمعنا فصول الخدمة التي تُقرأ فيها المزامير ومواضعها وأرقامها كالآتي:

١ - في تكريس بناء الكنيسة:

يصلّى بمزمور (١٠٥، ١٠٦) تسبيحاً، وإليك أجزاء منهما(٢٥):

+ «احمدوا الرب ادعوا باسمه، عرّفوا بين الأمم بأعماله.
غنوا رنّموا له، أنشدوا بكل عجائبه.
افتخروا باسمه القدوس، لتفرح قلوب الذين يلتمسون الرب.»

(مز ١٠٥: ١-٣)

(23) *Instit. Coenob.* ii, vi.

(24) *Ibid.*, ii, iv.

(٢٥) مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة، الباب الثامن (طبعة مكتبة الكاروز ١٩٧١) صفحة ٣٣٨.

+ «هللويا احمدوا الرب لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته
مَنْ يتكلّم بجبروت الرب، مَنْ يُخبر بكل تسابيحه،
طوبى للحافظين الحق وللصانع البر في كل حين.»

(مز ١٠٦: ١-٣)

وفي ختام تكريس بناء الكنيسة يُصلّى بهذا الترتيب(٢٦): **المزمور ٢٥** (أي مزمور ٢٦ في العبري) - الإنجيل من القديس لوقا ثمَّ قراءات القداس وهي الأبسطولوس: الفصل السادس من الرسالة إلى العبرانيين - الكاثوليكون - الإبركسيس - **المزمور ١٤** (أي مزمور ١٥ في العبري) - الإنجيل من ق. يوحنا. وبذلك تكمل فصول تكريس البيعة وإليك أجزاء من المزمور ٢٥ (أي مزمور ٢٦ في العبري):

أغسل يديَّ في النقاوة فأطوف بمذبحك يا رب
لأُسمّع بصوت الحمد وأُحدِّث بجميع عجائبك
يا رب أحببتُ محل بيتك وموضع مسكن مجدك

(مز ٢٦: ٦-٨)

٢ - وأثناء طبخ الميرون(٢٧):

وهو زيت النعمة للمعمودية، يُسبّح بمزمور (٨٩: ١٩):

+ «حينئذ كلّمتَ برؤيا تقيّك وقلتَ جعلتُ عوناً على قويٍّ،
رفعتُ مختاراً من بين الشعب. وجدتُ داود عبدي بدهن قدسي مسحتُه».

وفي نهاية عمل الميرون يبدأ القداس على الميرون ويُسبّح فيه بالمزمور (٤٥):

+ «كرسيك يا الله إلى دهر الدهور، قضيب استقامة قضيب مُلْكِكَ.
أحببتَ البرَّ وأبغضتَ الإثمَ من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك.
كل ثيابكَ مُرٌّ وعودٌ وسليخةٌ مِن قصور العاج سرَّتْكَ الأوتارُ.»

(مز ٤٥: ٦-٨)

(٢٦) شرحه صفحة ٣٤٨و٣٤٩.

(٢٧) شرحه الباب التاسع صفحة ٣٦١-٣٦٤.

٣ - في تكريس الأسقف[٢٨]:

يُسبَّح بالمزامير (١١٨:١٩)، (٥:٧)، (١٢٦:١)، (٤٥:٦).

(مزمور ١١٨:١٩):

+ «افتحوا لي أبواب البر، أدخل فيها وأحمد الرب».

(مز ٥:٧):

+ «أمَّا أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك، أسجد في هيكل قدسك بخوفك».

(مزمور ١٢٦:١):

+ «عندما ردَّ الرب سبي صهيون صرنا مثل الحالمين».

(مزمور ٤٥:٦):

+ «كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك».

المزامير في ليتورجيا الكنيسة القبطية في العصر الحالي:

في خدمة القداس مع رفع بخور باكر وعشية على مدار السنة:

في خدمة القداس مع رفع بخور عشية وباكر على مدار السنة سواء في الصوم أو الفطر أو الأعياد يُنتخب من المزامير ما يُناسب الظروف، إمَّا آية واحدة أو آيتان أو ثلاثة على أساس أن يستوفي استخدام المائة والتسعة والأربعين مزموراً على مدار السنة، أمَّا المزمور (١٥٠) فهو يدخل في كل قدَّاس للتسبيح به أثناء التناول.

وعلى سبيل المثال نجد أن الكنيسة قد اختارت الآية الأُولى من المزمور الأول (مز ١:١) ليوفي خدمة ثمانية أيام: ٢٧ بابه، ٩ طوبة، ٥ أمشير، ٢٧ برمهات، ١٨ بشنس، ٨ أبيب، ١٤ أبيب، ١٩ مسرى[٢٩]، وذلك في خدمة القداس خاصة وهو يعبِّر عن المناسبة ويغطِّي حاجتها الروحية.

وواضح هنا ألمعية الروح القبطية الملهمة إذ انتخبت من المزمور آية أو اثنتين أو ثلاثة والتي تحمل مطابقة شديدة لروح المناسبة، مثل التي ذكرناها في رسامة الأسقف الذي يمثِّل المسيح في

(٢٨) شرحه الباب الحادي عشر صفحة ٤١٥ و٤١٦ و٤٢٠.

(٢٩) يُلاحظ أن هذه المناسبات هي أعياد خاصة بالثلاثة مقارات القديسين، وذلك بسبب أن (مز ١:١) يبدأ بكلمة مكاريوس ⲙⲁⲕⲁⲣⲓⲟⲥ أي «مطوَّب» في اللغة اليونانية والقبطية.

الكنيسة، فانتخبت له الروح القبطية الآية: «كرسيك يا الله إلى دهر الدهور، قضيب استقامة قضيب ملكك».

وبهذا استطاعت الكنيسة أن تستخلص من سفر المزامير المائة والخمسين كل ما يتناسب مع ظروف الصلوات.

ويأتي المزمور في القداس أو رفع بخور باكر وعشية شديد الإحكام ليغطِّي المناسبة من وحي المزامير التي تجمع جماع العهد القديم بأكمله، وفي المقابل يُختار من الأناجيل الأربعة ما يناسب التذكار المراد إحياؤه، كذلك من قراءة البولس والكاثوليكون والإبركسيس التي هي رسائل بولس الرسول وبقية الرسل وسفر الأعمال. وبهذا تغطِّي الكنيسة التذكار اليومي باختيار ما يناسبه من وحي العهد القديم الذي تمثِّله المزامير ومن الأناجيل من فم المسيح، ومن الرسل والأعمال من إلهام الروح القدس للرسل.

وكانت الكنيسة الأُولى تحدِّد في القداس قراءة فصل من العهد القديم وفصل من العهد الجديد، ولكن بعد ذلك اكتفت بالمزامير لتغطِّي روح العهد القديم في العبادة. ولا يفوتنا أن المزامير - كقول المسيح - تستعلن لنا فكر المسيح وروحه، كما قال المسيح بعد قيامته للأحد عشر المجتمعين في العلية هكذا: «وقال لهم: هذا هو الكلام الذي كلَّمتكم به وأنا بعد معكم، أنه لا بُدَّ أن يتم جميع ما هو مكتوبٌ عني في ناموس موسى والأنبياء **والمزامير**» (لو ٢٤:٤٤). وهنا نلفت نظر القارئ لقول المسيح: «هذا هو الكلام الذي كلَّمتكم به وأنا بعد معكم أنه لا بدَّ أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ... **والمزامير**»، أن هذا يعني **أن المسيح كان يفسِّر لهم المزامير التي حملت نبوَّات عن مجيء المسيح وصفاته وأعماله** مدَّة الثلاث سنوات التي قضاها معهم. ومن هنا تأتي أهمية المزامير المطلقة سواء في عبادتنا وصلواتنا أو دراستنا وتعزيتنا.

المزامير في صلوات السواعي اليومية:

في الكنيسة الأُولى:

بدأت الكنيسة الأُولى في بكور ترتيباتها تعيين بعض المزامير الخاصة للسواعي: فمثلاً (المزمور ٦٣) قرَّرته الكنيسة الأُولى لصلاة باكر بشهادة كل من أثناسيوس[٣٠] ويوحنا ذهبي

(30) Athanasius, *Epist. ad Marcellinam.* PG. XXVII, 17, *De Virginitate,* PG XXVIII, 253.

الفم(٣١) وكاسيان(٣٢).

كذلك مزمور المساء كان اختيار الكنيسة أيام هؤلاء الآباء هو المزمور (١٤١) ويتفق في ذلك كل من الآباء القديسين يوحنا ذهبي الفم وهيلاري.

وتعطينا الحاجة إيثريا معلومات قيّمة عن الليتورجيا في نهاية القرن الرابع، وهي التي قامت برحلتها من أحد أديرة الراهبات في أسبانيا وقصدت مصر ثمَّ الأقطار المقدَّسة في أديسّا وآسيا الصغرى والقسطنطينية، وهي تمتاز بذكاء ودقة الملاحظة، وأهم ما لفت نظرها وسجَّلته بدقة هو الاحتفال بالقداس والصلوات اليومية وكل المناسبات الهامة في الكنائس التي مرَّت عليها(٣٣)، وتقول:

[إنه بصورة خاصة قد رتّبوا المزامير المتناسبة والأنتيفونا التي تُقال في كل مناسبة، كل ما يُقال في المساء أو الذي يُقال في الصباح، وكذلك ما يُقال أثناء النهار في الساعة السادسة والتاسعة وفي وقت إيقاد النور Lucernarium، والكل بانضباط ورزانة لكي يوفي المطلوب.](٣٤)

وهكذا نرى أن منذ القرن الرابع كانت السواعي معمولاً بها في الكنيسة باهتمام ودقة في جميع الكنائس التي زارتها هذه الحاجة العالمة التقيَّة.

في الكنيسة القبطية حتى الوقت الحالي:

بحسب ما علمناه عن الآباء الرهبان الأُول فإنهم كانوا يصلُّون السواعي وكتاب المزامير باللغة القبطية مفتوحاً أمامهم باستمرار، فهم يسبِّحون في كل ساعة من ساعات النهار والليل قدر ما يستطيعون دون تحديد، فربما يكمِّلون قراءة المزامير كلها في يوم أو في ثلاثة أيام أو في خمسة أيام، على أنهم كلما ينتهون من تسبيح كل ساعة يضعون علامة على نهاية المزمور ليبدأوا الساعة التالية من بداية المزمور الذي يليه، وهكذا إلى أن ينتهي الكتاب ثمَّ يبدأون من جديد. وكانت المزامير يُسبَّح بها وليست مجرَّد قراءة.

ولكن تغيَّر الحال بعد ذلك منذ زمن قريب وصار الآباء يقسِّمون المزامير على السواعي، وكل

(31) Chrysostom, *Comm in Ps.*, 140, PG. LV, 427.
(32) Cassian, *Instit. Coenob.* III, iii.
(33) *Oxford Dictionary of the Christian Church.*
(34) *Peregrinatio Etheriae*, II, 2.

دير له نظامه، إلى أن استقر في الوقت الحاضر على تقسيم المزامير على السواعي كما هو معمول به في الأجبية (ومعناها السواعي).

ونجد هذه السواعي السبعة مذكورة كما هي الآن في القوانين المنسوبة لاكلمندس بابا رومية، ويُقال عنها إنها صياغة أخرى من الدسقولية كما ذكرها ابن كبر كاهن كنيسة المعلّقة في القرن الثالث عشر(٣٥):

القانون رقم ٢٠:

صلِّ بالغداة وفي وقت الساعة الثالثة والساعة السادسة والساعة التاسعة وفي عشية النهار (الغروب) والحادية عشر (صلاة النوم) ونصف الليل.

وفيها أيضاً بالنسبة للكهنة **القانون رقم ٣٨:**

أن يدرس الكاهن في نهاره المزامير وفي الليل التسابيح.

طرائق التسبيح بالمزامير:

أولاً: التسبيح في العهد القديم:

افتتح موسى عهد التسبيح في حياة الشعب "بتسبحة موسى"، وردَّت عليه مريم أخت هارون بالتسبيح الديني أو الإنشاد الإلهامي بالروح وبالكلمة والمعنى واللحن والموسيقى والرقص معاً، في أنشودة عبور البحر الأحمر التي قالها موسى النبي وردَّدتها مريم مع جميع النساء في وسط الشعب، الذي عبر البحر سائراً على الأقدام في القاع، وفرعون وعجلاته الحربية غاطسة في الطين وقد غمرها البحر بأمواجه وفرعون على رأس الجيش الغارق. ولا يزال إلى اليوم هذا اللحن الفريد تبتدئ به الكنيسة خدمتها الليلية في نصف الليل، التي تفتتح بها الليتورجيا العظمى التي تنتهي بالقداس والتناول من الجسد المقدَّس والدم الكريم. وهكذا يربط هذا اللحن الفريد أول حدث خلاصي بالرمز في نجاة شعب الله من الهلاك بيد فرعون مصر بآخر عمل خلاصي أكمله الابن الوحيد على الصليب بكسر الجسد وسفك الدم كذبيحة الخلاص الإلهية، كفعل خلاص نهائي وكامل لشعب الله الذي آمن بالابن الوحيد واعتمد.

وعندنا إشارات عتيقة جداً من التوراة تكشف عن دخول الألحان والتسبيح والآلات الموسيقية

(٣٥) مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة صفحة ١٨٩و١٩٠.

منذ العصور الأُولى. وكفانا في البداية ما ابتدعته مريم النبية أخت هارون فكان أول وأهم حدث تسبيحي عبادي باللحن والشعر والموسيقى والرقص.

وقد بلغتنا تسبحة الخلاص الأُولى لعبور شعب الله البحر الأحمر **عن موسى النبي نفسه:**

+ «حينئذ رنَّم موسى وبنو إسرائيل هذه التسبيحة للرب وقالوا: أرنِّم للرب فإنه قد تعظَّم،
الفرس وراكبه طرحهما في البحر. الرب قوتي ونشيدي وقد صار خلاصي،
هذا إلهي فأمجِّده. إله أبي فأرفِّعه،
الرب رجل الحرب، الرب اسمه، مركبات فرعون وجيشه ألقاهما في البحر،
فغرق أفضل جنوده المركبية في بحر سوف
تغطِّيهم اللجج، قد هبطوا في الأعماق كحجر،
يمينك يا رب معتزَّة بالقدرة، يمينك يا رب تحطِّم العدو،
وبكثرة مجدك تهدم مقاوميك، ترسل سخطك فيأكلهم كالقش،
وبريح أنفك تراكمت المياه، انتصبت المجاري كرابية، تجمَّدت اللجج في قلب البحر،
قال العدو أتبع أدرك أقسِّم غنيمة. تمتلئ منهم نفسي. أجرِّد سيفي تفنيهم يدي،
نفخت بريحك فغطَّاهم البحر، غاصوا كالرصاص في مياه غامرة،
مَنْ مثلك بين الآلهة يا رب، مَنْ مثلك معتزًّا في القداسة. مخوفاً بالتسابيح. صانعاً عجائب
تمدُّ يمينك فتبتلعهم الأرض. ترشد برأفتك الشعب الذي فديته. تهديه بقوتك إلى مسكن قدسك.
يسمع الشعوب فيرتعدون، تأخذ الرعدة سكان فلسطين،
حينئذ يندهش أمراء أدوم. أقوياء موآب تأخذهم الرجفة،
يذوب جميع سكان كنعان، تقع عليهم الهيبة والرعب،
بعظمة ذراعك يصمتون كالحجر، حتى يعبر شعبك يا رب، حتى يعبر الشعب الذي اقتنيته،
تجيء بهم وتغرسهم في جبل ميراثك المكان الذي صنعته يا رب،
لسكنك المقدس الذي هيأته يداك يا رب، الرب يملك إلى الدهر والأبد،
فإن خيل فرعون دخلت بمركباته وفرسانه إلى البحر.
وردَّ الرب عليهم ماء البحر، وأمَّا بنو إسرائيل فمشوا على اليابسة في وسط البحر.»

(خر ١٥: ١-١٩)

وهنا تنبري مريم النبية أخت هارون لتصنع مع بقية النسوة جميعاً أعظم وأجمل وأكمل أنتيفونا

عرفها عالم الإنسان والموسيقى والعبادة. فموسى قال بالوحي المباشر مآثر أعجوبة عبور الشعب المفدي بالشعر المنثور، وردَّت عليه مريم تقود جميع النساء بنشيد موزون بمصاحبة الموسيقى والنسوة يرقصن!! أعظم أوبريت حيَّة لأعظم حدث تاريخي ألَّفه الله ونفَّذه شعب تعداده ٦٠٠,٠٠٠ شاب مع الرجال والنساء والشيوخ والأطفال بقيادة بطل تاريخي ورئيس أركان حرب، موسى الذي قاد جيش الخلاص لرحلة الأربعين سنة في القفر، بلا معدات حرب ولا ذخيرة ولا مؤن ولا ماء!!

هكذا بدأت قصة المزامير والتسبيح وآلات الموسيقى تخدم الله بالشكر والعرفان بالجميل مع عبادة تعبيرية وعواطف صادقة وفن وروح وإيقاع!

+ «فأخذت مريم النبية أخت هارون **الدف بيدها**، وخرجت جميع النساء وراءها **بدفوف ورقص** وأجابتهم مريم: **رنِّموا للرب** فإنه قد تعظَّم، الفرس وراكبه طرحهما في البحر.»

(خر ١٥: ٢٠و٢١)

وكان هذا إيذاناً بدخول المرأة في زمرة المغنين كخوارس نساء مغنيات. ويُسمع عن ذلك في التاريخ حينما هاجم سنحاريب ملك أشور يهوذا وكانت السنة الرابعة عشر للملك حزقيا في سنة ٧٠١ ق.م وحاصر أُورشليم وكل مدن يهوذا، وأخذ كل نفائسها ووضع جزية ثقيلة على حزقيا وأخذ منه بناته وأولاده عبيداً. ومكتوب في التاريخ أنه[٣٦] [استولى على فرق المغنيات والموسيقيات Female musicians][٣٧].

وباليقين استمر شعب إسرائيل يستخدم هذه التجربة الحيَّة التي لا تُنسى قط، تجربة التسبيح والهتاف لله بالآلات التي أخذوها عن مصر الفرعونية سيدة الموسيقى وآلات التسبيح الديني في تلك العصور. فعبادة الفراعنة كانت كلها تسبيح وإنشاد وموسيقى ورقص للكهنة بجميع الآلات، التي أخذت عنها الدول الأخرى وطوَّروها، آلات دق كالدفوف والصنوج والطبول، ونفخ كالناي والصفارة (الأرغن) والقرون والأبواق، وأوتار كالجيتار والرباب.

ودليلنا على استخدام هذه كلها في العبادة بعد ذلك سواء في الخيمة أو في الهيكل الأول أو الثاني، هو ما جاء في النبوَّة التي تحكي كيف ابتذل هذا الشعب هذه العبادة والموسيقى وصارت

(٣٦) انظر كتاب تاريخ إسرائيل للمؤلِّف صفحة ١٦٧.

(37) G. Ernest Wright, *Biblical Archaeology*, pp. 109,110.

مزيَّفة لا تسندها أخلاق ولا عواطف روحية صادقة ولا ضمير عبادة!

وإلينا هذه الشهادة من عاموس النبي الذي تنبَّأ سنة ٧٨٧ ق.م لإسرائيل أيام يربعام الثاني، وليهوذا أيام عزريا الملك. وهو يُعتبر تاريخياً ثاني نبي يقوم للشعب ولا يسبقه إلاَّ يونان النبي:

+ «بغضتُ، كرهتُ أعيادكم، ولستُ ألتذ باعتكافاتكم. إني إذا قدَّمتم لي محرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضي، وذبائح السلامة من مسمَّناتكم لا ألتفت إليها. أَبْعِد عني **ضجَّة أغانيك ونغمة ربابك لا أسمع!**» (عا ٥: ٢١-٢٣)

هذه صورة واضحة جدًّا وصادقة جدًّا لنوع العبادة التي تقوم على أساس ضجة الأغاني، أي خوارس كثيفة يقودها لاويون مهرة في الإنشاد وتأليف الأوزان وتعليم الشعب منذ الطفولة على القيام بدراسة وحفظ الأغاني التي يكتبها ويعلِّمها اللاويون ويحفظها ويردِّدها اللاويون أيضاً.

إذن، فالتسبيح بالأغاني والأناشيد ظلَّت كما سمعناها من موسى ومريم تتردَّد في الخيمة حتى جاء داود وأغنى العبادة بالمزامير والألحان والموسيقى والرقص أيضاً، وسلَّم الهيكل الأول، والهيكل الأول سلَّم الثاني وأيضاً المجدَّد، حتى سمعنا المسيح نفسه يسبِّح بمزمور هاليل الكبير بعد عشاء الخميس هو والتلاميذ وذهب ليكمِّل فدية الخلاص الأبدي.

ويذكر الوحي المقدَّس استخدام الناي والأغنية في العبادة هكذا كما يقول إشعياء النبي هناك سنة ٧٨٦-٧٢٤ ق.م أيام عزريا ويوثام وآحاز وحزقيا في يهوذا: «تكون لكم أغنية كليلة تقديس عيد، وفرح قلب كالسائر بالناي ليأتي إلى جبل الرب إلى صخر إسرائيل.» (إش ٣٠: ٢٩)

كذلك نسمع في سفر صموئيل النبي عن داود الملك:

+ «وكان داود **يرقص بكل قوته أمام الرب**، وكان داود متنطقاً بأفود من كتان، فأصعد داود وجميع بيت إسرائيل تابوت الرب بالهتاف **وبصوت البوق**.» (٢صم ٦: ١٤و١٥)

وقد استمرت الخدمة في الهيكل بالمزامير والتسابيح والآلات مع الأغاني: «صعد الله بهتاف، الرب **بصوت الصور**، رنِّموا لله رنِّموا، رنِّموا لملكنا رنِّموا، لأن الله ملك الأرض كلها، رنِّموا قصيدة.» (مز ٤٧: ٥-٧)

ثانياً: طرائق التسبيح بالمزامير في العهد الجديد:

في البداية علينا أن ندرك أن المزامير بصفة عامة لم تكن تُتلى في الكنيسة منذ البدء بالتلاوة،

ولكن كان يُسبَّح بها تسبيحاً، بمعنى إعطائها أوزاناً صوتية موسيقية جميلة تبهج السمع، حيث تقوم بحد ذاتها في العبادة كخدمة عاطفية تعبِّر عمَّا يُحسُّه الإنسان تجاه الله. وهذا طبيعي لأن الذي استلمناه من خدمة المزامير في الهيكل أو حتى في المجامع أنها كانت تُتلى باللحن ويصاحبها غالباً في الهيكل إيقاع كما وصفنا سابقاً.

ولكن الذي يميِّز خدمة التسبيح في الكنيسة أنه لا توجد الآلات الموسيقية مرافقة للتسبيح بالمزامير، إنما توجد آلة أو آلتان وهما الدف والتريانجل (أو التريانتو) لضبط الإيقاع (الرتم) وليس لتحسين الإنشاد(٣٨).

والقديس باسيليوس(٣٩) يصف كيف أن المزمور يُسبَّح به بخلاف الأغاني التي يصاحبها الموسيقى قائلاً: إن المزمور لا يرافقه آلات لتحسين الصوت وكان أحياناً يُكتفى بالتلاوة لعدم القدرة على التسبيح.

وعلى العموم طرق التسبيح التي جمعها العالِم لامب(٤٠) تنحصر في الأنواع الآتية:

(أ) مزمور يُسبَّح به بواسطة كل الجماعة.

(ب) مزمور يُسبَّح به بواسطة فرد واحد وبقية الجماعة تسمع.

(ج) مزمور يُسبَّح به بالتبادل بواسطة نصف الجماعة، أو بتعبير آخر بواسطة خورسين. خورس يقول والآخر يرد عليه وهذا النوع يسمَّى الأنتيفونا.

(د) مزمور يُسبَّح به بواسطة فرد يقول آية أو نصف الآية والجماعة ترد عليه بالآية التالية أو بالنصف الآخر للآية، وتسمَّى بالمحاوبة.

(هـ) مزمور يبدأه مُسبِّحٌ واحدٌ أو جماعة مسبِّحين بتسبيح آية والجماعة ترد بهللويا أو آمين. أو بآية ترديدية مثل «لأن إلى الأبد رحمته» حتى نهاية المزمور.

(٣٨) لذلك يُخطئ بجهالة كل من الرهبان أو العرفان الذين يلعبون بالدف أو التريانجل بسرعة ليتمشَّى مع التسبيح وكأنها آلة تسبيح، وهذا إتلاف للتقليد والطقس وأذية للأذن.

(39) Basil, *Hom. in Ps. 28*, PG XXIX, 301.

(40) Lamb, *op. cit.*, p. 38.

تعليق على هذه الطرائق الخمس:

الطريقة (أ):

حيث كل الجماعة تسبِّح المزمور كله معاً كما هو عندنا الآن في تسبيحة موسى خورساً واحداً في نصف الليل، رنماً واحداً، لأن هكذا أهاب موسى بالشعب جميعاً والنسوة معاً أن يسبِّحوا تمجيداً وشكراً لله الذي أكمل لهم الخلاص من مصر وعبور البحر الأحمر. والعدو يقتفي آثارهم عبثاً لأن قوة الله كانت تحميهم. وهذا النوع يشير إليه القديس يوحنا ذهبي الفم قائلاً:

[إن العابدين كانوا يأتون في القديم (للكنيسة) جميعاً معاً ويسبِّحون معاً ἐπέψαλλον κοινῇ، ونحن الآن - أي ق. يوحنا ذهبي الفم يتكلَّم عن المؤمنين في كنيسته - نصنع هكذا](٤١)

ويقول أيضاً ذهبي الفم إنهم كانوا يرتِّلون في المساء مزمور (١٤١) ويقول:

[إن هذا المزمور قد تعيَّن من الآباء كتسبحة مسائية "كدواء سلامي ليطهِّرنا من الخطية"].

وإليك المزمور الذي يحمل هذا المعنى تماماً:

يا رب إليك صرخت، أسرع إليَّ   أصغ إلى صوت تضرُّعي عندما أصرخ إليك.
لتستقم صلاتي كالبخور قدَّامك   ليكن رفع يديَّ كذبيحة مسائية.
اجعل يا رب حارساً لفمي   احفظ باب شفتيَّ.
لا تمل قلبي إلى أمر رديء   لأتعلل بعلل الشر مع أناس فاعلي إثم ولا آكل من نفائسهم
ليضربني الصديق فرحمة   وليوبِّخني فزيت للرأس لا يأبى رأسي.

(مز ١٤١: ١-٥)

ويقول ذهبي الفم:

[إن النساء والرجال والشيوخ والشباب قد يختلفون في العمر والجنس، ولكن الروح يؤلِّف بين أصواتهم ويجعلها نغمة واحدة للجميع.](٤٢)

الطريقة (ب):

وتوجد أوقات أيضاً حين يبتدئ واحد بأن يُسبِّح وجميع الحضور يسمعون، وهذه ولو أنها

(41) *In Psalm, 140 (141)*, PG LV, 427.
(42) *Ibid.*

ليست شائعة ولكنها تُتبع عند الرهبان في بعض الأحيان. ويقول كاسيان:

[قد يقوم واحد ليرتِّل بينما الآخرون يجلسون صامتين يسمعون له، ثمَّ يقوم واحد منهم ليرتِّل والباقي أيضاً يسمعون وهكذا بالدور. فإذا كان هناك اثنا عشر مزموراً يراد التسبيح بها، فيمكن اثنان يكمِّلان كل واحد ستة مزامير أو ثلاثة كل واحد أربعة مزامير وهكذا، ولكن هذه الطريقة لا تسمح إلاَّ لواحد فقط أن يُسبِّح في كل مرَّة.](٤٣)

وهذه الطريقة أيضاً معروفة عند القديس أغسطين فهو في موضع أشار إليها كما أشار إلى تسبيح الجمهور جميعاً، ويعود ويشرحها ق. أغسطين هكذا:

[فأحياناً في المزامير الكل يُسبِّح فيكون الكل واحداً، وأحياناً واحد يُسبِّح فيكون الواحد للكل.](٤٤)

الطرائق (ج، د، هـ):

كل هذه الطرائق تتميَّز بمنهج الأنتيفونا والمحاوبة، والطريقتان لهما تاريخ طويل وأصلهما مأخوذ من التقليد اليهودي في التسبيح.

والمؤرِّخ بليني يذكرهما في خطابه فيقول إنها الطريقة المستخدمة في الكنيسة الأُولى لمديح المسيح كإله، وهي تماماً كالأصل اليهودي - سواء في المزامير أو التسابيح. والقديس باسيليوس يذكر هاتين الطريقتين باعتبارهما الترتيل بالتبادل فيقول: [أحياناً يقسِّم الشعب نفسه إلى قسمين ويتبادلون التسبيح، ولكن أحياناً يجعلون واحداً يبدأ النغمة والباقي يجاوب]. وبعد ذلك يضيف القديس باسيليوس: [يمكن أن الجميع كما من فم واحد وقلب واحد يرتِّلون بفم واحد مزمور التوبة (٥١)]. ويضيف ما معناه أن هكذا يسلك المصريون (أقباط الإسكندرية) والطيبيون (أقباط الصعيد) وساكنو فلسطين والعربية وفينيقية وسوريا وما بين النهرين.(٤٥)

وهكذا تتسع دائرة التسبيح بالأنتيفونا والمحاوبة لتشمل في القرون الأُولى وبالأكثر القرن الرابع معظم الأقطار الشرقية، ولكن طريقة المحاوبة كانت هي الأكثر شيوعاً.

وطريقة المحاوبة هذه التي تكلَّم عنها القديس باسيليوس responsorius التي فيها واحد يُسبِّح

(43) *Instit. Coenob.*, II, 12.
(44) *In Joan. Tract.*, xii, PL xxxv, 1725.
(45) *Ep. cc vii, ad Cler. Neocaesar.*, PG xxxii, 783.

والجالسون يردّون، يمكن أيضاً أن تأخذ أوضاعاً عدّة: والوضع الأول المعروف بالأكروستيكيا akrostichia كما جاءت في وثيقة عهد ربنا[٤٦] حيث واحد يُسبِّح المزمور والشعب يجاوب بعد كل آية بعبارة معيّنة متكرِّرة كمرد، لأن الأكروستيكيا تعني الرد بعبارة متكرِّرة. والوضع الثاني هو الرد بكلمة واحدة متكرِّرة، والشائع في المردات كما جاء في وثيقة عهد ربنا هو هللويا[٤٧].

والقديس يوحنا ذهبي الفم يتكلّم عموماً عن هذه الطريقة: [فالذي يُسبِّح يُسبِّح وحده والباقون إذا جاوبوا فيكون صوتهم كأنه واحد][٤٨]، وفي مواضع أخرى يكون الكاهن هو القائد[٤٩]. ويقول أيضاً إن المزمور (١٤٥) **يتبادل الكهنة مع الشعب التسبيح به وذلك أمام مائدة الرب عند التناول**[٥٠].

ويقول أيضاً إن الشعب قد يجاوب على الكاهن بآية واحدة دائماً من المزمور مثل مزمور (١١٨: ٢٤) التي تقول: «هذا هو اليوم الذي صنعه الرب، نبتهج ونفرح فيه»[٥١]. وواضح أن هذا المرد فوق أنه مسموع وجميل فهو لاهوتي أيضاً.

وهذا الطقس البديع لايزال موجوداً في الكنيسة دون أن يدري به أحد، فالقدّاس الذي يشير إليه ذهبي الفم الذي كان يُقدَّس به يوم الأحد هو نفسه الذي يُقدَّس به الآن في جميع كنائسنا حتى اليوم، ولكن بصورة سريّة، فهو الذي يُدعى الآن "تقديم الحمل"، ويقدّس به بعد رفع بخور باكر وكأنه تقدمة للقداس الكبير. والحال معكوس، فـ"تقديم الحمل" - والاسم يكشف حقيقته - هو القداس الذي قدّس به السيد المسيح ليلة العشاء = "تقديم الحمل"، "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يو ١: ٢٩). وقد نجح الآباء الأوائل جدًّا في دسّه في مقدّمة القداس حتى لا يسقط من الطقس، أمّا القداس الآخر إن كان الباسيلي أو الغريغوري أو الكيرلسي (المرقسي) فهو مستخدم ومن تأليف البشر، ويعتبر إضافة تشرح معنى القداس الأصلي "تقديم الحمل". وفي أثناء تقديم "الحمل" لا يزال الشعب (خورس الشمامسة) يرد نفس المرد: "هللويا فاي بيي إيهوؤه: وترجمتها:

(46) *Testamentum Domini*, II, 22.
(47) *Ibid., II, 11.*
(48) *Hom. xxxvi, in 1Cor*, PG. LXI, 315.
(49) *In Ps. 137*, PG. LV, 407 f.
(50) *In Ps., 144*, PG. LV, 464.
(51) *In Ps. 117*, PG. LV, 328.

(هذا هو اليوم)" دون أن يعرف الشعب أصلها لأن تجهيل الشعب من قلة العلماء ضرب أطنابه في العصور الحديثة.

وبخصوص هذه الطريقة في المجاوبة يخبرنا القديس أثناسيوس كيف أنه أقام الشماس للتسبيح بالمزمور حينما كانت جنود الوالي تجتاح الكنيسة. ففي أثناء ما كان الشعب يرد «لأنه صالح وإلى الأبد رحمته» كان أثناسيوس يشق طريقه خارج الكنيسة للهرب[٥٢].

والقديس أغسطين يذكر هذه الطريقة مراراً: [في هذا المزمور الذي سمعنا التسبيح به والذي كنّا نرد عليه.][٥٣]

ويحكي إيسيذوروس أسقف سفيلا بأسبانيا في القرن السادس عن المجاوبة في التسبيح responsoria لماذا كان هذا الاسم هكذا: [المجاوبة في التسبيح جاءتنا من إيطاليا من مدة طويلة سالفة وسمّوها بهذا الاسم لأنه عندما يُسبِّح واحد يرد عليه الجميع.][٥٤]

والمعروف أن الأنتيفونا جاءت متأخّرة عن المجاوبة، وذلك في الغرب على أقل تقدير.

والقديس أغسطين يشرح ضرورة الأنتيفونا كونها تمنع الملل من الشعب، ويقول إن هذه الطريقة أُخذت عن ق. أمبروسيوس الذي بحسب ما يقول ق. أغسطين قد اقتبسها من الشرق في كنيسته بميلانو ومنها انتشرت في الأنحاء. لذلك يقول ق. أغسطين: [إن هذه الطريقة الأنتيفونا هي بحسب طقس الكنائس الشرقية.][٥٥]

ويستمر العالم لامب[٥٦] في الاستقصاء من أين جاءت في الشرق، ولكن ردّنا عليه أن أول مَنْ قال بالمجاوبة هو إشعياء النبي حينما قال عن السرافيم هكذا: «السرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة، باثنين يغطّي وجهه وباثنين يغطّي رجليه وباثنين يطير. **وهذا نادى ذلك وقال:** قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض» (إش ٦: ٢و٣). فواضح هنا أنه قد تمّت أول مجاوبة في التسبيح عند السرافيم بكلمة قدوس ثلاثاً! وهذه بداية الأنتيفونا والمجاوبة أيضاً في العهد

(52) *Apol. ad Const.* ii.
(53) *In Ps.* 46, I, PL. XXXVI, 525.
(54) *De Eccles. off.* I, ix, PL. LXXXIII, 742.
(55) *Conf.* IX, vii, PL. XXXII, 779.
(56) Lamb, *op. cit.*, p. 41.

القديم وأخذ منه العهد الجديد.

والقديس أغسطين يقول إن مردَّات الشعب بهللويا لها مواسم طقسية لا تُقال إلاَّ فيها وحدها بالتحديد، وهي في أيام عيد القيامة وفي الخمسين يوماً فيما بعد القيامة وفي الخمسين نفسه(٥٧) كما يمنع التسبيح بهللويا في أيام صوم الأربعين(٥٨). على أنه معروف أنه حينما يُصرَّح بالتسبيح بهللويا معناه أنه ينبغي التسبيح بالمزامير الموسومة بهللويا في نهايتها أو أحياناً في أولها(٥٩).

كذلك يؤكّد القديس كاسيان أنه كان ممنوعاً لدى الكنيسة التسبيح بهللويا للمزمور إلاَّ إذا كان مدموغاً بهللويا(٦٠).

وهذا وبالرغم من أن الكنيسة القبطية كانت ملتزمة بهذا التقليد تماماً، ولكن في الأيام الأخيرة أصبح التهليل بهللويا في آخر تلاوة مزمور **كل قداس** مهما كان المزمور غير مدموغ بهللويا.

وتلافياً لذلك يقول القديس كاسيان إن **في مصر** - كما في الشرق - كان في ختام التسبيح بالمزامير في خدمة السواعي يُسبَّح **بالمجد للآب والابن والروح القدس**(٦١) ويبدو أن ذلك تلافياً للتسبيح بهللويا في أيام الصوم، على أن تُقال بواسطة الواقف على المنجلية للتسبيح وحده.

وقد اتخذت المجامع المقدَّسة تعديلات وتوصيات في تلاوة المجد للآب والابن والروح القدس(٦٢).

ألحان الكنيسة في القرن الثالث والرابع:

لم يكن في الكنيسة قط ألحان تُجرى مع الموسيقى في نغم واحد Harmony متحد مع الموسيقى، ولكن الألحان كما يقول "لامب" كان لها عدة طرائق Melodies أو نغمات Tunes. ويعطينا القديس أغسطين مدى تأثُّره من الألحان في الكنيسة عندما حضرها لأول مرَّة بعد توبته:

[كم بكيت أثناء التسبيح والألحان متأثِّراً بالأصوات المتناغمة في الكنيسة. كانت الأصوات

(57) *Ep. LV. ad. Januar.*, xvii, PL. XXXIII, 220; *Enarr. in Ps.* 106, PL XXXVII, 1419; *Sermo CCLIV, de Tempore* PL. XXXVIII, 1184.
(58) *Enarr. in Ps.* 148, PL. XXXVII, 1938.
(59) *In Ps.* 105 PL XXXVII, 1404.
(60) *Instit. Coenob.* 11, xi.
(61) *Instit. Coenob..* 11, viii.
(62) *DCA* I, P. 578; *DACL* 4, 2, 1525-8.

تنساب في أذني والحق يتكوَّم في قلبي، وحينئذ فاضت مشاعري وجرت دموعي وما كان أكثر سعادتي بذلك.](٦٣)

[وحينما أعود وأتذكَّر دموعي التي ذرفتها في الكنيسة في بداية حركة إيماني، وكيف أن في ذلك الوقت تأثَّرت لا بالترتيل ولكن بمعنى اللحن عندما كان يُسترسَل فيه بصوت واضح ونغمة متوافقة، لذلك أنا أمتدح هذه الطريقة.](٦٤)

ويبدو من كلمات ق. أغسطين أن الألحان كانت قصيرة فكانت واضحة، ويُقرِّظ ق. أغسطين تدبير ق. أثناسيوس: [كيف أمر الشماس ليلة هروبه أن يبدأ لحن المزمور الذي كما قيل لي إنه كان كلاماً مرتَّلاً أكثر منه لحن.](٦٥)

ولكن في مناسبات أخرى كانت هناك ألحان مطوَّلة النغم كما يقول يوسابيوس القيصري، كما يقول إن في مواضع أخرى كانت المزامير يرتَّل بها بألحان منغَّمة(٦٦).

وكانت هناك ألحان تسمَّى أمبروزيان (لتفريقها عن ألحان جريجوريان الأحدث) لأن **أمبروسيوس كان قائداً موسيقياً مشهوراً**. وذلك يظهر من معرفته بالأنتيفونا الشرقية وكيف أدخلها كنيسة ميلان، وأمبروسيوس مشهور بكتابة الألحان (على النوتة)(٦٧).

ومن أقوال القديس أمبروسيوس المشهورة التي توضِّح تخصُّصه في الألحان قوله: [حلو هو التسبيح باللحن الذي لا يثير الأعصاب وإنما يعضِّد العقل والنفس.](٦٨)

وكان النُسَّاك يرفضون التجاوب في تسبيح المزامير بالرغم من أن هذه الطريقة كانت منتشرة جدًّا في الكنيسة، ولكن النُسَّاك كانوا يفضِّلون التسبيح الواحد المباشر للمزمور دون المجاوبة وذلك طلباً للبساطة، والتسبيح بدون المجاوبة أي بدون الأنتيفونا يسمَّى Cantus directaneus وهو الذي يُسبَّح به الآن في دير القديس أنبا مقار. ويُشار إلى هذه الطريقة في قانون القديس بنديكتوس -

(63) *Conf.* IX, vi, PL XXXII, 769.
(64) *Conf.* X, xxxiii PL XXXII, 800.
(65) *Ibid.*
(66) *In Ps.* 65, PG. XXIII, 647; *In Ps.* 91, PG. XXIII, 763.
(67) Cp. Julian, *Dictionary of Hymnology*, p. 56.
(68) Quoted in DCA, p. 74 a.

وهو قد أخذها من إسقيط مصر(٦٩).

على أنه لم تكن آلات موسيقية في الكنيسة الأُولى تصاحب اللحن أو التسبيح، لأنه كان ممنوعاً قطعياً أن تُستخدم آلات موسيقية داخل الكنيسة(٧٠) حسب قول ق. كليمندس الإسكندري(٧١).

على أن التسبيح والألحان كان يتحتَّم أن تُقال وقوفاً، وكذلك عند القول: المجد للآب ... إلخ.

المزامير داخل القداس:

وسنكتفي بما كان حاصلاً في الكنيسة الشرقية فقط وبالأخص الكنيسة القبطية.

علماً بأن **كنيسة الإسكندرية** كانت تخدم بقداس ق. مرقس الأصلي (قبل أن يعدِّله ق. كيرلس ويغيِّر فيه)، أمَّا **كنائس الصعيد وبابلون** فكانت تخدم بقداس ق. كيرلس، وهو نفس قداس ق. مرقس، ولكن أضاف عليه ق. كيرلس الكبير الأواشي فسُمِّي بالكيرلسي.

عدد الاقتباسات من سفر المزامير داخل القداس: للعالِم برايتمان(٧٢):

قداس القديس مرقس باليوناني = ٥٩ اقتباس.
قداس الأقباط = ٣١ اقتباس.

وقد اهتم الآباء الأوائل بتسجيل هذه المفردات عند كتابة الطقس لاستخدام الإكليروس.

والقداس كان ينقسم إلى قداس الموعوظين وقداس المؤمنين. ففي قداس الموعوظين كانت المزامير كثيرة وتُقال بين فصول القراءة، أمَّا في قداس المؤمنين فكانت مجرَّد اقتباسات. وعموماً كانت المزامير تُقال في المواضع الآتية:

(أ) صناعة القربان داخل محيط الكنيسة.
(ب) عند لبس الكاهن ملابسه الكهنوتية.
(ج) عند تقديم الحمل.
(د) بعد قراءة الفصول وقبل قراءة الإنجيل مباشرة.

(69) *The Rule* of St. Benedict, Chapter XII.
(70) Lamb, p. 43.
(71) *Paedagogus*, II, iv, PG. VIII, 444 f.
(72) Lamb, *op. cit.*, p. 47.

(أ) صناعة القربان:

يُصنع القربان بواسطة طغمة الكهنوت شماس أو كاهن.

وتُقرأ المزامير أثناء صناعة القربان: أولاً من (١) إلى (٣٠) على ثلاثة دفعات مع صلاة في كل دفعة. وهنا إمَّا تُقال المزامير أو يُسبَّح بها بالترنيم.

فعندما يُحضِّر الكاهن العجينة يقرأ بالتسبيح (مز ١٤٥:٧ أ).
وعندما يضع الغطاء فوق العجينة (مز ٢٤:١-٦).
وعندما يقوم بالتقطيع من (مز ٨٢) إلى (مز ١٠١).

(ب) عند لبس الكاهن ملابسه الكهنوتية:

ويكمِّل الكاهن اللبس في الهيكل (والستارة تحجبه) ولكنه يقول الصلاة بالمزامير علناً، فهذه هي عادة الكنيسة الأُولى، ويقول وهو يلبس (مز ٣٠): «أعظمك يا رب»، ثمَّ المزمور (٩٣): «الرب قد ملك ولبس الجلال».

وقبل لبس الكاهن التونية يرشمها (ثلاث) رشومات وهو يقول: "حين افران"، ثمَّ غسيل الأيدي ويرافقه (مز ٥١: ٧و٨): «طهِّرني بالزوفا فأطهر. اغسلني فأبيض أكثر من الثلج، أسمعني سروراً وفرحاً. فتبتهج عظام سحقتها»، (مز ٢٦:٦): «أغسل يدي في النقاوة فأطوف بمذبحك يا رب».

(ج) عند تقديم الحمل:

يُقدَّم الحمل والخمر بيد الكاهن غير الخديم والشماس الخديم، ويلي ذلك زفَّة ولحن بالمزمور (٧٦:١٠ حسب الترجمة القبطية): «لأن فكر الإنسان يحمدك وبقية فكر الإنسان يعيِّد لك» وذلك في أيام الأصوام، أو يُقال المزمور (١١٨) باللحن: «هذا هو اليوم الذي صنعه الرب، نبتهج ونفرح فيه» في أيام الآحاد وأيام الفطر. وهي بقايا طقس كان يُتلى فيه المزمور (١١٨) كله بالمحاوبة: الكاهن مع المتناولين.

(د) قداس الموعوظين:

أثناء القراءات يقوم الكاهن بتقديم البخور، وكل فصل من القراءات ينتهي بصلاة خاصة به تتم آيات من مزمور مثل (مز ٩٨: ٩و١٠): «لأنه جاء ليدين الأرض، يدين المسكونة بالعدل» مع هللويا (علماً بأن المزمور غير مدموغ بهللويا).

(هـ) بين القراءة والإنجيل:

لحن ثمَّ مزمور.

(و) قداس المؤمنين:

جميع صلوات الأنافورا تتخللها آيات مقتبسة من المزامير.

وفي نهاية القداس أثناء التوزيع يُقال مزمور (١٥٠): «سبِّحوا الله في جميع قديسيه» هللويا. وينتهي بالمجد للآب والابن والروح القدس. وهكذا يلاحِظ القارئ الدارس أن هناك فروقاً طفيفة بين الطقس القديم في القرن الرابع عشر والطقس الآن في نهاية القرن العشرين.

المزامير في الصلوات اليومية:

تبدأ بسهر الليل وكان بحسب القديس مار إسحق ووصفه لنظام برية شيهيت (الإسقيط) كما كان حوالي **القرن الخامس والسادس:**

[من الكتاب الذي صنع القديس مقاريوس ... بل في يوم السبت يخرجون من قلاليهم وقت العشاء ويأتون إلى المجمع وهم صيام، لأن طول السنة صيف شتاء كانوا يتقرَّبون عشية السبت. ولمَّا كان الآباء يخرجون والإخوة أيضاً ويأتون إلى المجمع ليسمعوا القراءة، فالذي كان يتهاون ولا يحضر كانوا يقطعون عليه بحكم صعب.

ومن بعد أن يتقرَّبوا يدخلون المائدة، ومن بعد المائدة (الأكل) يقفون للصلاة ليلة الأحد (صابح الأحد) ساهرين بلا نوم **من العشية إلى بكرة بخدمة المزامير والتسابيح** وقراءة الكتب وتفاسيرها، ومسائل الإخوة وأجوبة المشايخ ويرتِّبون منهم للوعظ.](٧٣)

وهذا يوضِّح لنا أن سهر الليل يوم الأحد (صابح الأحد) كان مخصَّصاً للمزامير والتسابيح كأول عمل في الخدمة. ومنها ندرك أهمية المزامير والتسابيح عند آباء القرن الخامس والسادس.

ويُلاحِظ القارئ أن يوم السبت كان يُصام حتى العشية، كما يُلاحَظ أن التناول كان مقصوراً على عشية السبت من كل أسبوع فقط، لأن التناول كان يتم في دخول ليل الأحد، لأن بعد عشية السبت التي قبل المساء يعقبها دخول الليل مباشرة، فيكون التناول في الحقيقة في أول ساعات يوم الأحد. ولماذا يوم الأحد فقط المعيَّن للتناول؟ لأنه في الطقس يُحسب يوم الأحد يوم القيامة، لذلك لا يصح إقامة تناول إلاَّ في يوم الأحد.

(٧٣) القديس مار إسحق "الجزء الأول الميمر الأول".

ويقول العالِم لامب(٧٤) إن صيام الأربعاء والجمعة وأيام السهر الأخرى على مدار السنة لتذكار الشهداء والقديسين كانت تعتبر غير رسمية حسب الطقس، ولم تكن تُقام هذه التذكارات في الكنيسة باعتبارها عبادات خاصة - (طبعاً لفصلها عن العبادات الطقسية التي للمسيح) - ذلك كله قبل القرن الرابع، ولكن بعد ذلك دخلت هذه التذكارات شيئاً فشيئاً إلى الطقس الرسمي.

ويقول العالِم لامب(٧٥): على أن خدمة الصباح والمساء بالمزامير كما نعلم من القديس أثناسيوس، كانت خدمة الصباح تسمَّى παννυχίς(٧٦) وكانت تُقام باكراً جدًّا عند صياح الديك، والكلمة اليونانية تفيد أنها كانت أقرب إلى الليل. أمَّا خدمة المساء فكانت تُقام عند إيقاد المصباح لذلك كانت تسمَّى λυχνικόν أو باللاتينية Lucernarium وأخيراً أصبحت تسمَّى vespers أي صلاة الغروب.

ويُضيف العالِم لامب أيضاً ويقول: إنه في كتاب توجيهات للعذارى *De Virginitate*(٧٧) منسوب للقديس أثناسيوس تُنصح العذارى أن يُقمن كل ليلة خدمة خاصة تحوي عدة مزامير يرتِّلونها وقوفاً وبعدها صلاة مع ركوع.

وبعد زمن قليل تثبَّتت صلوات السواعي النهارية وأُضيفت إلى صلاة نصف الليل والفجر، وهي صلوات سواعي الثالثة والسادسة والتاسعة، كما ذكرها كُتَّاب كثيرون مثل كليمندس الإسكندري(٧٨) وترتليان(٧٩) والقديس كبريانوس(٨٠) والقديس جيروم(٨١) والتقليد الرسولي لهيبوليتس الذي نشره العالِم دكس(٨٢). ولكن ترتليان يؤكِّد أن صلوات السواعي النهارية تختلف عن الصلوات الرسمية المعتادة التي تعتبر كواجب إلزامي ولا تحتاج إلى مذكِّر لها، والتي هي في أول

(74) Lamb, *op. cit.*, p. 55.
(75) *Ibid.*
(76) *Apol. ad const.*, XXV, PG. XXV, 626.
(77) PG. XXVIII, 276.
(78) Clement of Alex., *Strom.*, VII, vii, 4, PG. IX, 469.
(79) Tertullian, *De Orat.*, XXV, PL I, 1300.
(80) St. Cyprian, *De Orat. Domin.*, XXXIV, PL IV, 559.
(81) St. Jerome, *Ep. CVII*, 9, PL XXII, 875.
(82) *Apost. Trad.*, xxxvi, Dix pp. 62 ff.

النهار (الفجر) والليل[٨٣] وهذا يؤكّده أيضاً القديس كبريانوس[٨٤].

وهذا يعلّله العالِم لامب في كتابه صفحة ٥٦ بقوله إن صلاة الفجر وصلاة الليل جذورها قديمة (من الهيكل)، إذ كان يرافقها رفع ذبيحة، ولكن صلوات السواعي (٣و٦و٩) دخلت أخيراً ومزاميرها غير ثابتة.

كما أن هناك اختلافاً آخر بين صلوات السواعي (٣و٦و٩) وصلوات الفجر والمساء، فصلوات السواعي لا تحتوي إلاّ على المزامير والصلوات، في حين أن صلاة الفجر والمساء الأكثر قدماً فهي تحوي فصولاً من الإنجيل وشرحها أيضاً. ولكن أخيراً اندمج الكل في التركيب دون تمييز.

أمّا صلاة الصباح باكر النهار وصلاة النوم (وهي غير صلاة المساء عند إضاءة المصابيح) فقد أضافها الرهبان في صلوات الأديرة[٨٥] على وجه التأكيد.

كما يضيف العالِم لامب أن الأبصلمودية أي التسبيح بالمزامير كان كالآتي:

(مزمور ٦٣) خاص بصلاة باكر:

«يا الله إلهي أنت إليك أبكّر ∴ عطشت إليك نفسي.
يشتاق إليك جسدي ∴ في أرض ناشفة ويابسة بلا ماء.»

(مز ٦٣:١)

ومزمور (١٤١) هو مزمور المساء:

«يا رب إليك صرخت أسرع إليَّ ∴ أصغ إلى صوتي عندما أصرخ إليك.
لتستقم صلاتي كالبخور قدّامك ∴ ليكن رفع يديَّ كذبيحة مسائية.»

(مز ١٤١:١و٢)

والتسبيح بالمزامير إمّا يقوده مختص وهو الإبصالتس - الآن يختارونه ولداً - وإمّا تكون بالأنتيفونا على خورسين.

والقديس باسيليوس (٣١٦-٣٧٩م)[٨٦] يقول إن المزامير كان يصحبها فصول من الإنجيل

(83) *De Orat.*, XXV, PL I, 1300.
(84) *De Orat. Domini*, XXV, PL IV, 557.
(85) Lamb, *op. cit.*, p. 56.
(86) Basil, *Regulae Fusius Tractatae* and *Regulus Brevius Tractatae*, PG XXXI, 890 ff, 105ff.

وصلوات، ويذكر أن الكنيسة كانت تصلّي الصباح، الثالثة، السادسة، التاسعة، ختام النهار، بداية الليل، ونصف الليل، والفجر.

ويذكر أن المزامير التي تُختار لساعة من السواعي كان يُراعى أن تكون مناسبة لتلك الساعة: فمثلاً صلاة الساعة السادسة يُقال المزمور (٥٥):

«أمّا أنا فإلى الله أصرخ والرب يخلّصني ∴ مساءً وصباحاً وظهراً أشكو وأنوح فيسمع صوتي»

(مز ٥٥: ١٦و١٧)

وفي صلاة نصف الليل (مز ١١٩):

«في منتصف الليل أقوم لأحمدك على أحكام برّك ∴ رفيق أنا لكل الذين يتقونك ولحافظي وصاياك»

(مز ١١٩: ٦٢و٦٣)

ويوصي القديس باسيليوس بالمزمور (٩١) لكل من صلاة الساعة السادسة (ظهراً) وصلاة بدء النهار:

«الساكن في ستر العلي في ظل القدير يبيت ∴ أقول للرب ملجإي وحصني إلهي فأتكل عليه
لا تخشى من خوف الليل ومن سهم يطير في النهار ∴ ولا من وبا يسلك في الدُّجى ولا من هلاك يفسد في الظهيرة»

(مز ٩١: ١و٢و٥و٦)

ويقول القديس باسيليوس:

[ليس أي ساعة من هذه السواعي التي للصلاة يمكن أن تهمل عند الذين عقدوا العهد بحرارة أن يعيشوا لمجد الله ومسيحه!][٨٧]

كما تسعفنا الحاجة إيثريا الأسبانية عن الصلاة في أُورشليم في النصف الثاني من القرن الرابع فتتكلّم عن الخدمة اليومية وتذكر صلاة الفجر والسادسة والتاسعة والغروب، كما تذكر سهر يوم الأحد والقداس. ويُلاحَظ أن صلاة الفجر هي عند صياح الديك أي والليل لايزال باق: فالرهبان والعذارى (الراهبات) والعلمانيون رجالاً وسيدات يجتمعون في الكنيسة قبل صياح الديك، ومن هذه الساعة حتى طلوع النهار تُقال تسبيحات وألحان ومزامير وفي كل لحن أو تسبحة صلاة[٨٨].

(87) *Basil, Reg. Fus. Tract*, xxxvii, 3-5, PG XXXI, 1013 f.
(88) *Peregrinatio Etheriae*, I, 1.

ثمَّ يجتمعون ثانية في الساعة السادسة والتاسعة ويُسبِّح بالمزامير والأنتيفونا بينما الأسقف يكون قد استُدعي(٨٩). وفي الساعة العاشرة من النهار التي تُدعى Lucernare أي إيقاد النور، تُقام خدمة أخرى بمزامير المساء والأنتيفونا، وهذه تستمر مدة كبيرة، ثمَّ يزفّون الأسقف حتى كنيسة الصليب بالمزامير وبالتسابيح(٩٠).

أمَّا القديس كاسيان في كتابه المنظمات الرهبانية *Institutis Coenobitorum* الذي كتبه سنة ٤٢٠م يصف فيه خدمة الرهبان كما رآها عند رهبان مصر والإسقيط. ويذكر أن نوع المزامير وعددها كان يختلف باختلاف المكان، فأحياناً عشرون أو ثلاثون مزموراً كانت محدَّدة لكل ليلة، وهذه كانت تنتهي بتسبيح الأنتيفونا والتلحين الرخيم، ولكن البعض كان يتجاوز هذا العدد والبعض جعل عدد المزامير على عدد الساعات: الثالثة ثلاثة مزامير والسادسة ستة مزامير ...، والآخرون جعلوا كل خدمة محدَّدة بستة مزامير أثناء سواعي النهار(٩١).

ولكن في مصر والإسقيط والصعيد (ثبايد - أي طيبة - أي الأقصر الآن) كان هناك قانون واحد موحَّد، فكانوا يسبِّحون باثني عشر مزموراً في المساء وفي الليل مع تسبحة من العهد القديم وتسبحة من العهد الجديد(٩٢).

فإذا كان راهبان فإنهما يسبِّحان كل واحد ستة مزامير، ولو كانوا ثلاثة رهبان فإن كل واحد يسبِّح أربعة مزامير، أمَّا إذا كانوا أربعة رهبان فكل واحد ثلاثة مزامير. على أنه لا يزيد عن أربعة رهبان يسبِّحون على التوالي(٩٣).

وفي أثناء التسبيح يكون بقية الرهبان جالسين على مراشح صامتين بكل انتباه.

على أنه لا يُقال هللويا إلاَّ في المزامير الموسومة بهللويا(٩٤).

وإذا خرج الرهبان يذهبون إلى قلاليهم ليمسكوا عمل أيديهم دون أن يكفُّوا عن الترتيل

(89) *Ibid.*
(90) *Ibid.*
(91) Cassian, *Instit. Coenob.*, II, ii.
(92) *Ibid.*,. II, iv, v.
(93) *Ibid.*, II, xi.
(94) *Ibid.*, II, x, xi, xii.

بالمزامير، حتى كان يومهم صلاة واحدة متصلة.

وفي نهاية القرن الرابع الميلادي أبدت الرهبنة تقدُّماً عظيماً في كل مكان - ولكن في نتريا وشيهيت بدأت مبكِّراً جدًّا - وهذا التقدُّم أثَّر على صلوات السواعي. فالنساك والعذارى ازدادوا في العدد جدًّا، وعملوا مجتمعات خاصة وازدادت الغيرة لكي يتركوا المدينة والقُرى، فظهر نموَّان:

ففي الكنيسة داخل الأبروشيات ظلت صلاة باكر وصلاة المساء عماد الخدمات، هذا بخلاف القداس، ولكن رجال الكهنوت ظهروا مهملين لهذه الخدمات باكر والمساء، وظهر قانون سنة ٥٢٨ يوبِّخ الكهنة على إهمالهم للخدمة اليومية في الكنائس. ويُلزمهم بقيادة الخدمات في باكر والمساء والتسابيح:

[وعيب على الكهنة أن يؤجِّروا علمانيين ليقوموا عوضاً عنهم في أداء خدمات الكنيسة.](٩٥)

ولكن الشعب الغيور أبدى حماساً شديداً وذلك لصالح نفوسهم وأرواحهم وواظبوا على الذهاب إلى الكنيسة ليقوموا بالتسبيح وخدمة المزامير. وقد صار طرد رجال الكهنوت الذين يهملون الصلوات.

أمَّا النُسَّاك فذهبوا بعيداً عن المدن وكثرت الأديرة جدًّا وزادوا المزامير في الصلوات بقدر همَّتهم.

وما أن جاء القرن السادس إلاَّ وصاروا أعداداً غفيرة في كل مكان، وكوَّنوا جماعات نظامية ووهبوا أنفسهم للصلاة بالمزامير التي دعوها Opus dei أي "العمل الإلهي"(٩٦).

(95) Lamb. *op. cit.*, p. 58.
(96) *Ibid.*

الباب الأول

دراسة شاملة لكل جوانب السفر

شعر المزامير(١)

يُعتبر هذا الشعر أقدم أنواع الشعر عامة، وهو يُعتبر شعراً وجدانياً أو شعراً موسيقياً أو شعر الربابة. وهو يتجنّب الاتجاه التمثيلي أي الروائي وكذلك الاتجاه الحماسي. وإن كان هناك بعض اللمسات للاتجاه الروائي فهو يهدف أصلاً للتعليم، كسفر أيوب مثلاً أو نشيد الأنشاد، فهو شعر موسيقي طقسي للعبادة.

والمعروف أن سفر المزامير مثل بقية أسفار العهد القديم اتجاهه الأصيل ديني وللعبادة. فالشعر فيه هو شعر ديني للعبادة، وهو يتجه إلى التعبير عن العواطف والأحاسيس من جهة الله ونقلاً عن الله للشعب. وهذا الاتجاه هو عام بالنسبة لجميع المزامير، فبعضها موجَّه لله للتسبيح بمجده والآخر للحمد والشكر وأيضاً للتوسُّل. وبعض المزامير تعبِّر عن شركة النفس مع الله للتعبير عن الإيمان أو الرجاء أو المحبة أو الحاجة أو الخوف. وبعضها مجرَّد تعبير عن الفرح بالله أو التوقان إلى الله أو الانتصارات التي حازتها النفس بالله، أو للتعجُّب من أعماله سواء في الإنسان أو في الطبيعة أو الخليقة عموماً أو التاريخ، وبعضها يختص بطرح الأحوال المعاكسة التي تواجه الإنسان من جهة أحكام الله في العالم. والكل يدور حول العلاقات بالله كما تدور الأرض كلها حول الشمس، ونورها يغمر الكل.

وعلاقة المزامير بالعهد القديم علاقة وثيقة، فهي تعبِّر بأسلوب شعري عن رد فعل الإنسان لاستعلان الله سواء في الناموس أو التاريخ أو النبوات أو حتى الحكمة.

وتتجه المزامير دائماً لتحتفل بناموس الله الأخلاقي كقائد ومدبِّر للإنسان وسلوكه، وتقدِّمه في صورة وصايا للعبادة وللمسرَّة بعناية الله وحضوره في الهيكل باعتبار ذلك قمة فرحة الإنسان في حياته.

والطقس في العهد القديم كان يعني طريقة العبادة والعقيدة مع السلوك الأدبي معاً. وكانت المزامير أعظم ما كشف عن الطقس في العهد القديم، فهي عبادة وعقيدة وسلوك حيّ. ولا يمكن أن توجد عبادة صادقة بدون طقس، أي بدون وسيلة للتعبير عن العبادة والعقيدة والسلوك بالفعل والكلمة، حيث تلتحم الجماعة مع الله بالروح والحق. ولكن نقطة البدء هي من الله، وإن كان على الإنسان أن يبحث عن الله ويطلب الله من كل قلبه ولكن هذا لا يتم إلاّ بعد أن يكون الله

(١) تمت الاستعانة بالعالِم كيركباتريك:

A.F. Kirkpatrick, *The Book of Psalms*, Cambridge, 1902, reprint, 1957, p. ix ff.

قد أعلن نفسه وعلَّم الإنسان أين ومتى وكيف يتقابل معه. والله يمثِّل القوة والحقيقة المختلفة تماماً عن ما هو للإنسان، هذه القوة والحقيقة هي ما يُعبَّر عنه بالقدوس، ومعناها: الوحيد المتباعد، ولكنه يقترب ويسكب قداسته كقوة ترفع الإنسان فوق ذاته ويتم هذا كله من خلال الطقس!!(٢) وبالتالي تربطه بالله الذي يهب الحياة! وهذه هي "الطوبى". وكانت واسطة الطقس الأول التي يقترب بها الإسرائيلي إلى الله هي "الذبيحة" التي فيها يتقرَّب الإسرائيلي إلى الله، والتي كانت تُحسب من البداية أنها عهد في أكلة مقدَّسة يأكل فيها مقدِّمها ويأكل منها الله في النصيب الذي يأخذه الكاهن لحساب الله ويأكله، حيث يصبح العابد ضيفاً عند الله على مائدته. وبقدر ما تتكرَّر الذبيحة تتوثَّق العلاقة ويتقدَّس الإنسان ويتطهَّر وتغفر له خطاياه. وهذا هو جوهر ذبيحة المسيح في العهد الجديد، حيث قدَّم الله جسد ابنه ليكون وليمة سمائية مقدَّسة يشترك فيها الإنسان ويتحد! وهي تتكرَّر حتماً وبالضرورة لتمتد الحياة وتمتد العلاقة مع الله في مقابل مقاومة عوامل الموت وظلم العالم وإفساد الخطية للإنسان التي هي اللعنة، هنا ضرورة تكرار الطوبى بالاقتراب من الله والشركة ونوال الحياة بتجديد، لكي تُلغى أولاً بأول عوامل اللعنة التي يقدِّمها العالم وقوات الظلمة. هذا هو الخلاص المنبثق من الطوبى. لهذا يتكرَّر الطقس وتتعدَّد أشكاله على مدار السنة. فتكرار الطقس هو تكرار تقبُّل الطوبى والحياة، وهذا بعينه هو تكرار فعل الخلاص حتى آخر لحظة من حياة الإنسان - فالطقس يبدأ ببدء الحياة ولا ينتهي إلاَّ بانتهائها، حيث تستمر الحياة الأخرى التي يعمل الطقس لحسابها. والمزامير نشأت بنشأة الطقس واستعلان قوة الله وعمله، فهي رد فعل الإنسان لما يأخذه ويحسّه.

ويعكس التاريخ في المزامير كيف أن الله صالح وأن إلى الأبد رحمته، في الوقت الذي يبرز فيه عدم صلاح الإنسان وعصيانه في أسلوب تعليمي باعتبار ذلك تحذيراً وتعليماً للحاضر، لتشديد الإيمان وتجديد العزم للحياة تحت طاعة الله وخضوعه.

وعلاقة المزامير **بالنبوات** شديدة، حتى أن التنبُّؤ يأتي غالباً في صورة شعرية موسيقية ويُحسب كمزمور، كما جاء في سفر صموئيل الأول عن شاول هكذا:

+ «ولمَّا جاءوا إلى هناك إلى جبعة إذا بزمرة من الأنبياء لقيته فحلَّ عليه روح الله فتنبَّأ في وسطهم.» (١صم ١٠:١٠)

(2) Mowinckel, *The Psalms in Israel's Worship*, I, pp. 17 ff.

+ «فأرسل شاول رُسلاً لأخذ داود، ولمَّا رأوا جماعة الأنبياء يتنبَّأون وصموئيل واقفاً رئيساً عليهم كان روح الله على رُسُل شاول فتنبَّأوا هم أيضاً. وأخبروا شاول فأرسل رُسلاً آخرين فتنبَّأوا هم أيضاً. ثمَّ عاد شاول فأرسل رُسلاً ثالثة فتنبَّأوا هم أيضاً. فذهب هو أيضاً (شاول) إلى الرامة وجاء إلى البئر العظيمة التي عند سيخو وسأل وقال: أين صموئيل وداود؟ فقيل ها هما في نايوت في الرامة. فذهب إلى هناك إلى نايوت في الرامة فكان عليه أيضاً روح الله فكان يذهب ويتنبَّأ حتى جاء إلى نايوت في الرامة. فخلع هو أيضاً ثيابه وتنبَّأ هو أيضاً أمام صموئيل وانطرح عُرياناً ذلك النهار كلَّهُ وكل الليل، لذلك يقولون: أشاول أيضاً بين الأنبياء.» (١صم ١٩: ٢٠-٢٤)

ولكن لعلَّ أعظم شهادة من العهد القديم لصلة المزامير بالنبوات والأنبياء والتسبيح بالآلات الموسيقية ما جاء في (١أي ٢٥: ١-٧):

+ «**وأفرز داود ورؤساء الجيش للخدمة بني آساف وهيمان ويدوثون المُتنبِّئينَ بالعيدان والرباب والصنوج، وكان عددهم من رجال العمل حسب خدمتهم من بني آساف زكُّور ويوسف ونثنيا وأشرئيلة بنو آساف تحت يد آساف المتنبِّئ بين يدي الملك، من يدوثون بنو يدوثون جدليا وصري ويشعيا وحشبيا ومتثيا ستَّةٌ تحت يدِ أبيهم يدوثون المتنبِّئ بالعود لأجل الحمد والتسبيح للرب، من هيمان بُقيَّا ومتنيا وعزيئيل وشبوئيل ويريموث وحننيا وحناني وإيلياثة وجدلتي وروممتي عزر ويُشبقاشة وملوثي وهوثير ومحزيوث. جميع هؤلاء بنو هيمان رائي الملك بكلام الله لرفع القرن. ورزق الرب هيمان أربعة عشر ابناً وثلاث بناتٍ. كل هؤلاء تحت يَدِ أبيهم لأجل غناء بيت الرب بالصنوج والرباب والعيدان لخدمة بيت الله تحت يد الملك وآساف ويدوثون وهيمان. وكان عددهم مع** إخوتهم المتعلِّمين الغناء للرب كل الخبيرين **مئتين وثمانية وثمانين** (٢٨٨).» (١أي ٢٥: ١-٧)

والمعروف عن رؤساء الموسيقى هيمان وآساف ويدوثون أنهم كانوا رائين، أي ينظرون رؤى الله ويتكلَّمون بالنبوَّة (أصل المزامير) وإليك النص:

+ «جميع هؤلاء **بنو هيمان رائي الملك** بكلام الله.» (١أي ٢٥: ٥)

+ «وقال حزقيَّا الملك والرؤساء للاويين أن **يسبِّحوا بكلام داود وآساف الرائي** (مزامير). فسبَّحوا بابتهاج وخرُّوا وسجدوا» (٢أي ٢٩: ٣٠)

+ «والمغنون بنو آساف كانوا في مقامهم حسب أمر داود **وآساف وهيمان ويدوثون رائي**

الملك.» (٢أي ٣٥: ١٥)

- **(١أي ١٦: ٤-٣٧):**

٤-٧: «وجعل أمام تابوت الرب من اللاويين خُدَّاماً ولأجل التذكير والشكر وتسبيح الرب إله إسرائيل، آساف الرأس وزكريا ثانيهُ ويعيئيل وشميراموث ويحيئيل ومتثيا وأليآب وبنايا وعوبيد أدوم ويعيئيل **بآلاتٍ رباب وعيدان**، وكان آساف يُصوِّت بالصنوج، وبنايا ويحزيئيل **الكاهنان بالأبواق دائماً أمام تابوت عهد الله**. حينئذ في ذلك اليوم أولاً جعل داود يحمد الرب بيد آساف وإخوته».

٨ و ٩: «احمدوا الرب، ادعوا باسمه، أخبروا في الشعوب بأعماله. غنُّوا له، ترنَّموا له، تحادثوا بكل عجائبه».

١٠-١٢: «افتخروا باسم قدسه، تفرح قلوب الذين يلتمسون الرب. اطلبوا الرب وعزَّهُ. التمسوا وجهه دائماً. اذكروا عجائبه التي صنع، آياته وأحكام فمه».

١٣-١٧: «يا ذرية إسرائيل عبده وبني يعقوب مختاريه. هو الرب إلهنا. في كل الأرض أحكامه. اذكروا إلى الأبد عهده الكلمة التي أوصى بها إلى ألف جيل. الذي قطعه مع إبراهيم (انظر: تك ٢:١٧، ٣:٢٦، ١٣:٢٨، ١١:٣٥)، وقسمه لإسحق. وقد أقامه ليعقوب فريضة ولإسرائيل عهداً أبدياً».

١٨-٢٢: «قائلاً لك أعطي أرض كنعان حبل ميراثكم. حين كنتم عدداً قليلاً قليلين جدًّا وغرباء فيها. وذهبوا من أُمة إلى أمة ومن مملكة إلى شعب آخر. لم يدع أحداً يظلمهم بل وبَّخ من أجلهم ملوكاً. لا تمسُّوا مسحائي ولا تؤذوا أنبيائي».

والآيات التالية تتفق مع مزمور ٩٦:

٢٣و٢٤: «غنوا للرب ياكل الأرض، بشِّروا من يوم إلى يوم بخلاصه. حدِّثوا في الأمم بمجده وفي كل الشعوب بعجائبه».

٢٥و٢٦: «لأن الرب عظيم ومفتخر جدًّا. وهو مرهوب فوق جميع الآلهة. لأن كل آلهة الأمم أصنام وأمَّا الرب فقد صنع السموات».

٢٧و٢٨: «الجلال والبهاء أمامه. العزَّة والبهجة في مكانه. هَبُوا الرب يا عشائر الشعوب هَبُوا الرب مجداً وعزَّةً».

٢٩: «هبوا الرب مجد اسمه، احملوا هدايا وتعالوا إلى أمامه، اسجدوا للرب في زينة مقدَّسة.»

٣٠و٣١: «ارتعدوا أمامه يا جميع الأرض. تثبّتت المسكونة أيضاً لا تتزعزع. لتفرح السموات وتبتهج الأرض ويقولوا في الأمم الرب قد ملك».

٣٢و٣٣: «ليعج البحر وملؤه ولتبتهج البرية وكل ما فيها. حينئذ تترنّم أشجار الوعر أمام الرب لأنه جاء ليدين الأرض».

إلى هنا ينتهي المأخوذ من المزمور (٩٦).

١أي ١٦: ٣٤: «احمدوا الرب لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته» (مز ١٠٦: ١، ١٠٧: ١، ١١٨: ١، ١٣٦: ١).

٣٥: «وقولوا خلّصنا يا إله خلاصنا» (مز ١٠٦: ٤٧و٤٨). «واجمعنا وأنقذنا من الأمم لنحمد اسم قدسك ونتفاخر بتسبيحك» (هنا إشارة إلى تث ١٠: ٢١)

٣٦: «مبارك الرب إله إسرائيل من الأزل وإلى الأبد (هنا إشارة إلى: ١مل ٨: ١٥) فقال كل الشعب آمين وسبحوا الرب».

انتهى المزمور الذي ألّفه داود.

٣٧: «وترك هناك أمام تابوت عهد الرب آساف وإخوته ليخدموا أمام التابوت دائماً خدمة كل يوم بيومها».

نتيجة هامة جداً: وبهذا يتضح لنا أن خدمة التسبيح بالمزامير والآلات رتّبها داود في آخر أيامه أمام التابوت، وظلّ هذا الترتيب الذي صنعه داود في آخر أيامه بالنسبة لنظام التسبيح بالمزامير والآلات كخدمة ليتورجية طو ل النهار حتى أيام **نحميا:**

+ «حارسين حراسة إلههم وحراسة التطهير، وكان المغنون والبوّابون حسب وصية داود وسليمان ابنه. لأن في أيام داود وآساف منذ القديم كان رؤوس مغنين وغناء وتسبيح وتحميد لله. وكان كل إسرائيل في أيام زربابل وأيام نحميا يؤدّون أنصبة المغنين والبوابين أمر كل يوم في يومه.» (نح ١٢: ٤٥-٤٧)

لذلك فالشعر المقدّس يرتفع إلى رؤى النبوّة والكلام يصبح له سلطان النبوّة، والأمثلة على ذلك:

مز ١٢: ٥: «من اغتصاب المساكين من صرخة البائسين **الآن أقوم يقول الرب.** أجعله في أمان، الأمر الذي يشتاق إليه.» (بحسب الترجمة الإنجليزية RSV)

مز ٩٦: ١٠: «**قولوا بين الأمم الرب قد ملك.** أيضاً تثبّتت المسكونة فلا تتزعزع».

مز ٧٥: ٢: «لأني أعيّن ميعاداً. أنا بالمستقيمات أقضي».

مز ٨١: ١٠: «**أنا الرب إلهك الذي أصعدك من أرض مصر.** أفغِر فاك فأملأه».

كذلك فإن الرؤيا غالباً تتحوّل إلى مزمور كما نراها في عدّة نبوّات حيث تأتي النبوّة على مستوى المزمور:

+ «وتقول في ذلك اليوم: أحمدك يا رب لأنك إذ غضبت عليَّ ارتدَّ غضبك فتعزيني.
هوذا الله خلاصي فأطمئن ولا أرتعب لأن ياه يهوه قوتي وترنيمتي وقد صار لي خلاصاً.
فتستقون مياهاً بفرحٍ من ينابيع الخلاص، وتقولون في ذلك اليوم احمدوا الرب ادعوا باسمه.
عرِّفوا بين الشعوب بأفعاله ذكّروا بأن اسمه قد تعالى، رنّموا للرب لأنه قد صنع مفتخراً.
ليكن هذا معروفاً في كل الأرض. صوّتي واهتفي يا ساكنة صهيون لأن قدوس إسرائيل عظيم في وسطك.» (إش ١٢: ١-٦)

+ «في ذلك اليوم يُغنَّى بهذه الأُغنية في أرض يهوذا: لنا مدينة قوية يجعل الخلاص أسواراً ومترسة.
افتحوا الأبواب لتدخل الأُمة البارة الحافظة الأمانة،
ذو الرأي الممكَّن تحفظه سالماً سالماً لأنه عليك مُتوكِّل!
توكّلوا على الرب إلى الأبد لأنه في ياه الرب صخر الدهور!» (إش ٢٦: ١-٤)

+ « فلمَّا سمعت هذا الكلام جلست وبكيت ونحت أياماً وصمت وصلّيت أمام إله السماء.
وقلت: أيها الرب إله السماء الإله العظيم المخوف الحافظ العهد والرحمة لمحبيه وحافظي وصاياه،
لتكن أُذنك مصغية وعيناك مفتوحتين لتسمع صلاة عبدك الذي يصلّي إليك الآن نهاراً وليلاً،
لأجل بني إسرائيل عبيدك ويعترف بخطايا بني إسرائيل التي أخطأنا بها إليك، فإني أنا وبيت أبي
أخطأنا، لقد فسدنا أمامك و لم نحفظ الوصايا والفرائض والأحكام التي أمرت بها موسى عبدك!
اذكر الكلام الذي أمرت به موسى عبدك قائلاً: إن خنتم فإني أفرّقكم في الشعوب، وإن
رجعتم إليَّ وحفظتم وصاياي وعملتموها إن كان المنفيون منكم في أقصاء السموات فمن
هناك أجمعهم وآتي بهم إلى المكان الذي اخترت لإسكان اسمي فيه! ...» (نح ١: ٤-٩)

+ «يا رب قد سَمِعْتُ خبرك فجزعت. يا رب عملك في وسط السنين أحيِهِ. في وسط السنين عرِّف. في الغضب اذكر الرحمة!
الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران. سلاه!
جلاله غطّى السموات، والأرض امتلأت من تسبيحه. وكان لمعانٌ كالنور، لهُ مِنْ يَدِهِ شعاعٌ

وهناك استتار قدرته ...» (حب ٣: ٢–٤)

وتوجد مزامير تحمل نفس شكوى أيوب من الضربات التي حاقت به والأمراض والآلام والترك والتخلية مثل المزمور ٣٨:

+ «يا رب لا توبِّخني بسخطك ولا تؤدِّبني بغيظك، لأن سهامك قد انتشبت فيَّ ونزلت عليَّ يدك.
ليس في جسدي صحة من جهة غضبك، ليست في عظامي سلامة من جهة خطيتي،
لأن آثامي قد طمت فوق رأسي كحمل ثقيل أثقل مما أحتمل.
قد أنتنت قاحت حُبُرُ ضربي من جهة حماقتي.» (مز ٣٨: ١–٥)

ولعلَّ من أهم مميزات المزامير هي عرض حيّ لتاريخ إسرائيل، فالكتب الخاصة بالتاريخ نجدها ناقصة لولا أن أسفار الأنبياء تكمِّل حيويتها. ثمَّ وحتى كتب التاريخ وأسفار الأنبياء لا تعطي الصورة الزاهية إذا لم تُضِفْ عليها المزامير حرارتها ولونها.

فالمزامير تكشف عن الروح الداخلية لشعب إسرائيل بملوكه وأنبيائه وكهنته، وتشهد على المستوى الإيماني لكل فئة ومقدار إخلاصهم وحبهم وتقواهم بالرغم من محدودية العهد القديم.

لهذا جاءت دراسة سفر المزامير تحليلياً وتاريخياً لتوضِّح وتؤكِّد لنا معانيها الأولى الهادفة، وتوضِّح لنا أهميتها في دور الاستعلان بواسطة النور الذي تلقيه على تاريخ إسرائيل الديني ومعاملات الله مع شعبه. والبحث والاستقصاء في سفر المزامير لإعطاء هذه الصورة صعب ويحتاج إلى جهد ومثابرة ودراسة. فمثلاً تحديد أزمنة المزامير وتأليفها شاق للغاية، حيث تعترضنا آراء وتصوُّرات شتّى حتى أننا خرجنا من جميع الأبحاث بقناعة أن المزمور، أي مزمور، ينبغي أن نصرِّح بأنه لا يمكن تحديد زمنه بدقة. بل وأيضاً لا يمكن تحديد مؤلِّفه بدرجة يقينية.

على أن دراسة المزامير تاريخياً تعتبر هامة كدرجة أُولى لدراسة أعلى روحية ولاستخدامها في الخدمة الدينية. وسفر المزامير ظلَّ في جميع العصور السالفة وسيظل فريداً من نوعه، ولا يمكن الادعاء بالوصول إلى استيعاب كل كنوزه سواء من جهة الكنيسة أو الأفراد.

ولكن أهم ما يتصف به هذا السفر الثمين هو أنه يهيِّئ للنفس التقية فرصة نادرة للشركة مع الله بالروح، فهو يمدّ الإنسان بأسهل وأعمق لغة روحية لمخاطبة الله والتعبُّد له عن أصالة وصحة ويقين. علماً بأن الأسفار المقدَّسة من طبيعتها أنها توصِّل الحقيقة الإلهية للإنسان بفكره ولغته، وما علينا إلاَّ الفحص بدقة لكل ما تخبِّئه اللغة والمعنى الدفين.

على أننا سنعتبر علم النقد الذي طغى على جميع الأبحاث الدينية هو في حقيقته الوسيلة العُظمى لبلوغ المعرفة الصحيحة واليقينية دون اعتباره مُخِلاً لقداسة النص. وحينما نفحص وندقِّق لنعرف أكثر عمَّا يقصده مؤلِّف المزمور لنفسه ولربه ولشعبه، سنغتني نحن بدورنا في كل معارفنا عن الله وعن أنفسنا وكنيستنا.

على أنه دائماً أبداً وكقاعدة، فإن لغة الشعر تحوي من المعاني العميقة والاتجاهات السريَّة أكثر بكثير مما يبدو في معاني الكلمات الظاهرية، وخاصة الأسفار الملهمة فإنها قد صيغت وشُكِّلت بواسطة الروح القدس بقصد أن تمتد وتتعمَّق بها النفوس والشعوب والكنيسة والأزمان دون أن تقل أو تَقْدمَ أو تتغيَّر عن معناها ومقصدها، ذلك بقدر ما يمكن أن تستعلنها النفس البشرية الداخلة في أعماقها والمنفعلة معها، بل ويزداد غناها على ممر الدهور. وإن كانت المزامير هي من نتاج العهد القديم وإنها حصيلة شعب إسرائيل، ولكنها كانت هي بعينها إلهامات الروح القدس الذي لا يحدُّه عهد ولا زمان ولا إنسان. فهي إلهامات الله للنفس البشرية المحتاجة والفاغرة فمها ليملأها الله دائماً. وحياة الإنسان في العهد الجديد إنما بُنيت وتُبنى على مفاخر معاملات الله للآباء في العهد القديم، ويقولها بولس الرسول بعمق وأصالة هكذا:

+ «شاكرين الآب الذي أهَّلنا لشركة ميراث القديسين في النور.» (كو ١: ١٢)

باعتبار أن القديس بولس يتكلَّم عن شركة القديسين مثل الآباء إبراهيم وإسحق ويعقوب وبقية القديسين في الآباء الأوائل.

لذلك أصبح سفر المزامير لا يتبع حقبة زمنية معيَّنة عندنا في الوقت الحاضر. فكل ما قيل فيه بالروح تمَّ لنا في المسيح يسوع. فالكنيسة أصبح عليها أن تستخدم سفر المزامير باعتباره سفراً مكتوباً ومضيئاً بالروح القدس وبنور المسيح والإنجيل، حيث المقولة السائدة: إن سفر المزامير هو القلب الذي يُغذي ويصنع اللاهوتيين!

سفر المزامير

من جهة موضعه في العهد القديم واسمه وأعداد مزاميره وأقسامه

موضعه في العهد القديم:

هو يتبع القسم الثالث في أقسام الكتب المقدَّسة في العهد القديم: التوراة، الأنبياء، الكتابات المقدَّسة Hagiographa وهذه الحقيقة مثبتة في سفر حكمة يشوع بن سيراخ المكتوب سنة ١٣٢ ق.م، في مقدِّمته بقلم حفيد مؤلِّف هذا السفر الذي ترجم الكتاب من العبرية إلى اليونانية، هكذا مكتوب: [حيث أن أموراً كثيرة قد قُدِّمت وسُلِّمت إلينا بواسطة الناموس والأنبياء وغيرها مما تبعها بعد ذلك ... فإن جدِّي "يشوع بن سيراخ" حينما أسلم نفسه بغيرة لقراءة الناموس والأنبياء وبقية الكتب التي للآباء] وهنا بقية الكتب في مفهومها يتبعها المزامير بكل أنواعها.

فالمفهوم الأصلي لكلمة "العهد القديم" يحوي في الحال الثلاثة أجزاء الكبرى التي من بكور الأزمنة ترتَّبت على هذا الترتيب: الناموس والأنبياء والكتب التي تتبعها تسمَّى الكتابات المقدَّسة "الهاجيوجرافا"، وأخيراً في مجمع يمنيا اليهودي قد تحدَّدت أسماء هذه الكتابات المقدَّسة مثل أخبار الأيام وسفر المزامير ونشيد الأنشاد وسفر الجامعة أو السفر الكنسي. علماً بأن كتاب المزامير (البسالتير) اعتبر سفراً قانونياً منذ البدء وكذلك كل مزمور فيه.

ولكن في أيام ترجمة الكتب المقدَّسة من العبرية إلى اليونانية بواسطة السبعين شيخاً اليهود، الذين ترجموا العهد القديم كله، دخلت الأسفار القانونية الثانية وضُمَّت إلى القانون اليهودي. وقد تبعتها في ذلك الترجمة الفولجاتا (اللاتينية) في القرن الرابع التي جاء فيها ترتيب الأسفار كما هو في السبعينية مع اختلافات بسيطة. وقد ترتَّبت الكتب الشعرية فيها كما يلي: أيوب ثمَّ المزامير ثمَّ الأمثال بناءً على وضعها التاريخي[1].

ولكن ترتيب سفر المزامير بين هذه الكتب - أي بين أيوب والأمثال - اختلف من نسخة لأخرى، فمثلاً في النسخة الألمانية المأخوذة عن مخطوطة أصلية وكذلك في الطبعات العبرية الحديثة

(1) Charles Augustus Briggs, *A Critical and Exegetical Commentary on the Book of Psalms*, ICC, 1906, pp. xix f.

تأتي المزامير قبل الأمثال وأيوب، وهل هذا هو الترتيب الأول والأقدم؟ هذا أمر محتمل خاصة أن القديس لوقا في إنجيله يعتبر سفر المزامير أهم الأسفار الشعرية كلها، إذ يقول عن فم المسيح نفسه: «وقال لهم هذا هو الكلام الذي كلَّمتكم به وأنا بعد معكم، إنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير» (لو ٢٤:٤٤). وهكذا يقف سفر المزامير مع الناموس والأنبياء باعتبارها الكتب المقدَّسة.

ولكن للأسف فإن النسخة الإنجليزية المترجمة عن السبعينية في النسخة الفاتيكانية تجيء فيها المزامير بعد سفر أيوب وهو الأمر الذي أخذت به الترجمة العربية، في حين أنه حسب الأصول العبرية يقع سفر أيوب بعد نشيد الأنشاد، كذلك تخطئ هذه النسخة في جعل الأنبياء الصغار بعد الأنبياء الكبار في حين أن تاريخهم يضعهم قبل الأنبياء الكبار.

أسماء سفر المزامير:

اسم المزمور الواحد بالعبري هو مِزْمور Mizmôr وباليونانية في السبعينية ψαλμός وهذه الكلمة سواء في العبرية أو اليونانية تعني في الأصل ترنيمة على آلة موسيقية وترية، ومنها جاء اسم الكتاب كله باليونانية بسالتريون ψαλτήριον وبالإنجليزية Psalter. وهذا الاسم استخدمه كل من هيبوليتس وأثناسيوس وإبيفانيوس، وتسجَّل هكذا في المخطوطات.

وهذه الأسماء باليونانية سواء للمزمور الواحد أو لسفر المزامير ككل التي جاءت في النسخ اليونانية أخذت بها أيضاً اللغة اللاتينية Psalmus, Psalterium.

ويُسمَّى الكتاب في اللغة العبرية كتاب التسابيح = Sepher Tehillim والكلمة المفردة Tehilleh جاءت بمعنى "تسبحة" في عنوان مز ١٤٥، وهي مأخوذة أصلاً من "هللويا". والفعل منها يُستخدم في خدمات الهيكل بمعنى يسبِّح: «وجعل (داود) أمام تابوت الرب من اللاويين خدَّاماً ولأجل التذكير والشكر **وتسبيح** (تهليل) الرب إله إسرائيل» (أي ١٦:٤)، «فقال كل الشعب آمين **وسبَّحوا** (هللوا) الرب» (١أي ١٦:٣٦). وهذا الاسم العبري كان يعرفه كل من هيبوليتس وأريجينوس منذ بداية القرن الثالث، وكان معروفاً لدى ق. جيروم أيضاً[2].

(٢) وهذا الاسم يقرِّره أيضاً العالم الفيلسوف فيلو في كتابه *De Vita Contemplata* II, 475

أعداد المزامير:

النسخة الماسورية (العبرية التقليدية) والترجمة السبعينية كل منهما يقدِّر عدد المزامير بـ ١٥٠ مزموراً، ولكن الترجمة السبعينية تضيف مزموراً أخيراً ليصير العدد الإجمالي ١٥١ مزموراً، ولكن تشرح ذلك في عنوان المزمور الأخير الـ (١٥١) قائلة إنه خارج العدد الإجمالي. ولكن هذا التقدير لم يُؤخذ به دائماً.

والمزمور الـ (١٥١) موجود في النسخة القبطية والعربية المترجمة عنها. ويُقال في عنوانه إنه مكتوب بواسطة داود نفسه وهو غير موجود في النسخة العبرية والفارق بينه وبين بقية المزامير القانونية واضح.

وداود يحكي فيه عن أنه كان أصغر إخوته والرب اختاره وأنه ألَّف مزماراً وأصابعه ألفت تسبحة موسيقية (مزماراً)، ومن يخبر السيد؟ وأن الرب أرسل ملاكه وأخذني من بين الغنم ومسحني بزيت. ومع أن إخوتي كلهم طوال وحسان ولكن الله لم يستحسنهم. ذهبت لمقابلة الفلسطيني الذي لعنني بأوثانه ولكني استللت سيفه من جنبه وقطعت رأسه ورفعت العار عن بني إسرائيل. ويُقال إنه أُلِّف تحية لداود.

ولكن حساب المزامير لم يبق دائماً (١٥٠)، فبعض الرئاسات اليهودية قدَّرتها (١٤٩) مزموراً والآخر قدَّرها (١٤٧) مزموراً. والطريف أن عدد (١٤٧) يقول تلمود أُورشليم إنها على عدد سني عمر يعقوب. والسر في الزيادة والنقصان هو ضم بعض المزامير أو تقسيمها.

وبالرغم من أن السبعينية والعبرية يتفقان في العدد الـ (١٥٠) ولكن يختلفان في ترقيم المزامير، لأن السبعينية تضم المزمور التاسع مع العاشر ومزمور (١١٤) مع (١١٥) وتقسِّم مزمور (١١٦) ومزمور (١٤٧) لذلك جاءت أرقام معظم المزامير في الترجمة السبعينية مختلفة واحداً عن العبرانية.

ويُلاحَظ أن عنوان المزمور إذا زاد عن كلمة أو اثنين يُحسب عدداً داخل المزمور وذلك في النسخة العبرية، وهذا ينبغي أن يُراعى في مقارنة نص المزامير في العبرية والترجمات الأخرى.

تقسيم سفر المزامير:

وُجِدَ هذا السفر مقسَّماً منذ القديم إلى خمسة كتب برسم خمسة كتب التوراة كما فعل القديس متى في إنجيله أيضاً.

الكتاب الأول: ١-٤١،
الكتاب الثاني: ٤٢-٧٢،
الكتاب الثالث: ٧٣-٨٩،
الكتاب الرابع: ٩٠-١٠٦،
والكتاب الخامس والأخير: ١٠٧-١٥٠.

وهذا التقسيم يوضِّح بوضع التمجيد - الذكصا - الخاصة بالخدمة، وتأتي بصيغ تختلف قليلاً عن بعضها في نهاية الأربعة كتب: (١٣:٤١)، (٧٢: ١٨و١٩)، (٨٩:٥٢)، (١٠٦:٤٨). أمَّا الثلاثة ذكصولوجيات الأُولى فلا تُحسب مرتبطة من جهة المعنى بآيات المزمور الذي جاء في آخره. أمَّا الذكصولوجية الرابعة فإنها تتبع معنى المزمور ١٠٦. ويُلاحَظ في المزمورين (١٠٦، ١٠٧) أنهما متصلان جداً وهما يحدِّدان الفاصل بين الكتاب الرابع والخامس.

أمَّا المزمور (١٥٠) فلا يوجد في آخره ذكصولوجية مضافة لكن المزمور بكامله يُعتبر ذكصولوجية كبيرة يُختم بها سفر المزامير.

علماً بأن تقسيم الخمسة كتب هو أسبق زمنياً من الترجمة السبعينية، فهو يأتي أصلاً في النسخة العبرية برسم الخمسة كتب التي للتوراة، وقد أشار إليه كل من القديسين هيبوليتس وجيروم.

عناوين المزامير

توجد تقريباً في الخمسة كتب عناوين لكل مزمور تشير إمَّا **لنوع الشعر أو لطريقة الموسيقى أو لنوع عملها في الخدمة أو لمؤلف المزمور أو لنوع المجموعة التي أُخذ منها المزمور، أو للمناسبة التاريخية التي دعت إلى تأليفه أو التي يتميَّز بها.**

ولكن يوجد ٣٤ مزموراً ليس لهم عنوان وهي: ١، ٢، ١٠، ٣٣، ٤٣، ٧١، ٩١، ٩٣-٩٧، ٩٩، ١٠٤-١٠٧، ١١١-١١٩، ١٣٥-١٣٧، ١٤٦-١٥٠.

وقد تأتي هذه العناوين إمَّا متحدة أو مفردة، ومعظمها شديد الاختفاء في المعنى ولا يُستقصَى معناها إلاَّ بالتخمين، وكل ما سنحاول هنا عمله هو أن نعطي الأكثر احتمالاً في المعنى.

ونبدأ ببعض العناوين الخاصة التي جاءت في المزامير مثل:

عناوين تصف نوع المزامير:

مزمور: mizmôr وباليونانية: ψαλμός وتُنطق: بسالموس:

وهو تعبير فني يأتي فقط بمعنى أغنية أو تسبحة. وتعنون بها ٥٧ مزموراً، وهو إمَّا يسبقه أو يليه اسم المؤلف - وغالباً يكون داود - هكذا: مزمور لداود. والفعل المُستخرج من اسم mizmôr يأتي حوالي ٤٠ مرَّة في السفر كما في مزامير (٧:١٧)، (٤٧: ٦و٧)، (١٤٩:٣) وهو يترجم عادة (يُرنم).

ففي سفر إشعياء (١٢:٢) يأتي هكذا في البداية: «لأن ياه يهوه قوتي **وترنيمتي** [بالعبرية: وزمراتي]». ثمَّ في الآية (١٢:٥) هكذا: «**رنموا** للرب ... [بالعبرية: زمِّروا]».

كذلك تأتي في سفر القضاة (٥:٣)، فعنوان هذه القطعة يقول: «فترنَّمت [في العبرية: تشر - من كلمة shir أي تسبحة] دبورة وباراق بن أبينوعم في ذلك اليوم قائلين» (قض ٥:١)، ثمَّ تأتي الآية (٥:٣) هكذا: «أنا للرب أترنَّم. **أزمِّر** للرب إله إسرائيل».

كذلك تأتي في سفر صموئيل الثاني (٢٢:٥٠): فالعنوان: «وكلَّم داود الرب بكلام هذا النشيد (shir) في اليوم الذي أنقذه فيه الرب من أيدي كل أعدائه ومن يد شاول» (٢صم ٢٢:١)، ثمَّ

تأتي الآية هكذا: «لذلك أحمدك يا رب في الأُمم ولاسمك **أُرنِّم** [في العبرية: أُزمِّر]».

كذلك في سفر أخبار الأيام الأول: (١أي ١٦:٨و٩)، فالعنوان: «لأجل التذكير والشكر وتسبيح الرب» (١٦:٤)، والآية: «احمدوا الرب ... غنُّوا له، **ترنَّموا له** [بالعبري: زمِّروا]». وهي تأتي غالباً كتحديد لنوع الآلة الموسيقية التي سيُقال عليها المزمور للتفريق بين مزمور بالصوت البشري ومزمور باللحن على الآلة، لذلك هنا كلمة mizmôr تعني تماماً قطعة موسيقية، ترنيمة بمصاحبة آلة موسيقية.

تسبيحة: "شير"[1] shîr: canticle - song وباليونانية: ᾠδή:

وتأتي ثلاثين مرَّة في العناوين، ومنها ١٣ مرَّة يسبقها أو يتبعها كلمة mizmôr. وفي غير العناوين تأتي في المزامير (٢٨:٧)، (٤٠:٣)، (١٣٧: ٣و٤)، (١٤٤:٩)، وهي تعني: «تسبحة» إمَّا بموسيقى أو بدون، وقد يكون الشعر علمانياً.

كذلك تأتي في غير سفر المزامير في:

(تك ٣١:٢٧) «لماذا هربت خفية وخدعتني ولم تخبرني حتى أشيِّعك بالفرح **والأغاني** shirim بالدف والعود.»

(قض ٥:١٢): العنوان: "نشيد لدبورة": «استيقظي استيقظي يا دبورة، استيقظي استيقظي وتكلَّمي **بنشيد** shîr».

(١مل ٤:٣٢): عن سليمان: «وتكلَّم بثلاثة آلاف مثل وكانت **نشائده** shîr ألفاً وخمساً».

(إش ٣٠:٢٩): «تكون لكم **أغنية** shîr كليلة تقديس عيد وفرح قلب كالسائر بالناي ليأتي إلى جبل الرب إلى صخر إسرائيل».

(نح ١٢:٢٧): «لكي يدشِّنوا (سور أُورشليم) بفرح وبحمدٍ **وغناء** shîr بالصنوج والرباب والعيدان».

(نح ١٢:٣٥): «زكُّور بن آساف وإخوته ... بآلات **غناء** shîr داود رجل الله ...».

(نح ١٢:٤٦): «لأنه في أيام داود وآساف منذ القديم كان رؤساء مغنين **وغناء** shîr تسبيح وتحميد لله».

---

(١) هذه الكلمة تُرجمت في طبعة بيروت في عناوين المزامير أحيانا إلى: «تسبحة» (كما في عنوان مزمور ٤٨، ٦٥ إلى ٦٨، ٧٥، ٧٦، ٨٣، ٨٧، ٨٨، ٩٢) وأحياناً إلى: «ترنيمة» (كما في عنوان مزمور ٤٥، ٤٦، ١٢٠ إلى ١٣٤) ومرَّة واحدة إلى «أغنية» (كما في مزمور ٣٠)، ومرَّة واحدة إلى: «حمد» (كما في مزمور ١٠٠).

"ماسكيل": Maskîl:

وفي السبعينية Συνέσεως أي تسبحة "للفهم والدراية الروحية"(٢)، وفي الفولجاتا intellectus أي للعقل والذكاء الروحي. وجاءت عند جيروم eruditio:

أتت في عنوان ثلاثة عشر مزموراً(٣)، إحدى عشر منها في الكتابين الثاني والثالث. ومعنى الكلمة غامض، ولكن شُرحت على أنها تعني مزموراً تعليمياً، وهي تظهر جداً بهذا المعنى في مزموري ٣٢، ٧٨، أو قد يُظن أنها تعني تأملاً.

ولكن الظن السائد للمعنى هو مزمور ذو مهارة خاصة skilful وهي تستعمل بهذا المعنى في المزمور (٤٧: ٦و٧): «رنّموا لله رنّموا. رنّموا لملكنا رنّموا ... لأن الله ملك الأرض كلها رنّموا بفهم = (ماسكيل)».

وقد تعني أن هذا المزمور ذو قوة وفهم ونعمة خاصة ويلزم أن الموسيقى تستجيب لخدمة المزمور على نفس المستوى الفني.

"ميختام": Mikhtam

وتأتي في عنوان ستة مزامير فقط، إمَّا يسبقها أو يتبعها داود، وهم مزامير ١٦، ٥٦ - ٦٠ (٤) وقد تكون مثل سابقتها ماسكيل تعني أمراً يتعلّق بالموسيقى، والمعنى يصعب تقديره، وربما تعني أن المزمور مزدحم بالمعاني. ولكن ق. جيروم يتفق مع نسخة سيماخوس أنها تأتي لتعني صفة لداود كأنه بلا لوم أو متضع، وآخرون يقولون إنها تصف المزمور كمزمور ذهبي أو أن المزمور مخفي ومعناه سرّي.

"شجايون":

وتأتي عنواناً للمزمور السابع(٥) كما تأتي في صلاة حبقوق النبي، والفعل منها يأتي "يتعجّب"، وقد تعني طبقة خاصة من الموسيقى أو الشعر أو الاثنين معاً، فيها يختطف العقل في حالة من الدهش ecstasy.

---

(٢) وهي نفس الكلمة التي استخدمها بولس الرسول في أف ٣: ٤: «وتفهموا درايتي σύνεσιν بسر المسيح».

(٣) وهي مزامير ٣٢، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٥٢ إلى ٥٥، ٧٤، ٧٨، ٨٨، ٨٩، ١٤٢ وفي جميعهم تُرجمت كلمة (ماسكيل) إلى "قصيدة".

(٤) وتُرجمت كلمة "ميختام" في طبعة بيروت في عناوين هذه الستة مزامير إلى: «مذهبة».

(٥) وترجمت في طبعة بيروت إلى: «شجوية».

"صلاة" Tephellah:

وتأتي عنواناً لخمسة مزامير ١٧، ٨٦، ٩٠، ١٠٢، ١٤٢.

وفي آخر المزمور (٧٢) يوجد تعليق يقول: «تمّت صلوات (تفلّوت) داود بن يسّى»، وفي سفر حبقوق النبي الأصحاح الثالث تدعى "صلاة" حبقوق، وفي سفر صموئيل الأول (٢: ١) تأتي في عنوان تسبحة حنّة: «فصلّت حنّة وقالت: فرح قلبي بالرب. ارتفع قرني بالرب، اتسع فمي على أعدائي. لأني قد ابتهجت بخلاصك».

عناوين متصلة بكيفية ترتيب الموسيقى:

لإمام المغنين:

"لإمام المغنين" = بريستور Precentor = مرتّل القداس في الكنيسة = قائد المرتلين.

وتأتي هكذا لعدد خمسة وخمسين مزموراً، منها عدد ٥٢ مزموراً في الكتاب الأول والثاني والثالث، وثلاثة فقط في الكتاب الخامس.

ويوجد هذا العنوان أيضاً في سفر حبقوق النبي (٣: ١٩) في النهاية هكذا: «لرئيس المغنّين على آلاتي ذوات الأوتار». ويأتي مصدر هذه الكلمة هكذا في (١أي ٢٣: ٤) بمعنى "المناظرة": «من هؤلاء للمناظرة superintending على عمل بيت الرب أربعة وعشرون ألفاً وستة آلاف عرفاء وقضاة». وكذلك في (٢أي ٢: ٢و١٨): تأتي هذه الكلمة بمعنى: "وكلاء" لتشغيل الشعب. وكذلك في سفر عزرا (عز ٣: ٨و٩) وتأتي بمعنى: "المناظرة" على عمل بيت الرب. كذلك تأتي في (١أي ١٥: ٢١) بمعنى "الإمامة".

والمعنى من هذا العنوان هو أنه عندما يبدأون بأي مزمور من هذه المزامير في الهيكل للخدمة يكون على الإمام precentor الذي يُسمَّى بالعبرية menasseh أي المرتّب لخوارس الهيكل والذي يمرّن الخوارس، يكون عليه أن يقود الموسيقى، فهذا العنوان يختص باستخدام المزامير في الهيكل. فالمزمور يُسلَّم ليد الإمام لترتيب الموسيقى وتكميل الخدمة الموسيقية. وهذا الاصطلاح غائب عن الكتاب الرابع وقليل الاستخدام في الكتاب الخامس. وربما يكون سبب ذلك أنه كان لرئيس الموسيقى هذا - الإمام - مجموعة مزامير خاصة: كمجموعة داود ومجموعة آساف أو أولاد قورح. والسبب في غيابها في الكتاب الرابع وندرتها في الكتاب الخامس للمزامير قد يكون لأن غرض المزامير فيها أصبح معروفاً، غير أن هذا التفسير غير كافٍ.

ومعظم المزامير المعنونة بهذا العنوان في الثلاثة كتب الأُولى معروفة بوضوح أنها لاستخدام الهيكل العام. ويبدو أن هذا العنوان كان سارياً في مجموعات أقدم قد بطل استخدامها، وعلى كل حال فالذي ترجم السبعينية لم يكن له علم بها.

"سلاه":

هذا التعبير ولو أنه لا يُستخدم كعنوان ولكن علينا شرحه هنا.

فالكلمة وردت ٧١ مرَّة في سفر المزامير وذلك في ٣٩ مزموراً، ووردت ثلاث مرَّات في سفر حبقوق الأصحاح الثالث، وهي موجودة أيضاً في الثماني عشرة بركة المدعوة بالعبري shemoneh Esreh أي "الثمانية عشر" في الليتورجيا اليهودية، ووجدت مرَّتين في سفر "مزامير سليمان" (٣١:١٧)، (١٠:١٨) (وهو ليس من أسفار الكتاب المقدَّس) وعدد مرات ورودها في المزامير هي: مرَّة واحدة في ١٦ مزمور، مرَّتين في ١٥ مزمور، ثلاث مرَّات في سبعة مزامير، أربع مرَّات في مزمور واحد.

وهذه المزامير التي فيها سلاه: ٩ مزامير في الكتاب الأول، ١٧ مزمور في الكتاب الثاني، وأحد عشر في الكتاب الثالث، ولا يوجد في الكتاب الرابع، ومزمورين في الكتاب الخامس. وهذه المزامير وُجِدَت وبها اسم داود أو اسم المغنين أو اللاويين الآخرين، أبناء قورح، آساف وهيمان ويدوثون وفي جميعها مذكور أنها تُوقَّع على الموسيقى.

ومعظم هذه المزامير (٢٨ مزموراً) وسفر حبقوق (الأصحاح الثالث) مكتوب عليها "لإمام المغنين" كعنوان مع تخصيص الأدوات الموسيقية أو اللحن: [مزامير: ٤ و٩ و٢٠ و٢١ و٣٩ و٤٤ و٤٦ و٤٧ و٤٩ و٥٢ و٥٤ و٥٥ و٥٧ و٥٩ و٦٠ و٦١ و٦٢ و٦٦ و٦٧ و٦٦-٦٨ و٧٥-٧٧ و٨١ و٨٤ و٨٥ و٨٨ و١٤٠ وحبقوق].

وأمَّا الباقي فكُتب عليها إمَّا: "مزمور" (مز ٣ و٢٤ و٥٠ و٨٢ و١٤٣)، أو "شير" (تسبحة: مز ٤٨ و٨٣ و٨٧)، واثنان منهم: "ماسكيل" (أي قصيدة: مز ٣٢ و٨٩) وواحد "شجايون" (شجوية: مز ٧٠).

ومن هذا يمكن أن نلاحظ أن كلمة **"سلاه"** هو تعبير فني قديم للغاية يصاحب الموسيقى ولكن عمله غير معروف، ويوجد خطَّان في التقليد القديم:

١ - في السبعينية وترجمة سيماخوس وترجمة ثيودوتيون عموماً تصير كلمة "سلاه" διά ψαλμα

"ديابسالما" التي تشير إمَّا إلى اللعب القوي أو الأكثر احتمالاً أنها استراحة فاصلة أو تغيير اللحن أو تغيير في المعنى. ولكن الذي يشكِّك في هذا أنها قد تأتي في ختام المزمور. أما في الفولجاتا فقد حُذفت نهائياً.

٢ - في الشرح اليهودي **القديم** جدًّا اعتبرت كلمة "سلاه" أنها تعني "إلى الأبد!" أو "دائماً" لتثبِّت القول في النهاية مثل كلمة "آمين".

ولكن في الشرح **الحديث** يُقال إن معناها up أي "إلى أعلى" كإشارة للموسيقى أن تعلِّي النغمة، أو عند توقُّف الغناء.

مصطلحات أخرى موسيقية تأتي في المزامير:

هيجايون: Higgaion

وتأتي مرَّتين في سفر المزامير في (١٦:٩) مع سلاه كتوجيه للموسيقى، وفي مزمور (٤:٩٢) هكذا: "مع هيجايون عزف على الرباب"، وهذا يعني أن هناك فاصلاً اسمه "هيجايون" يضرب على الرباب، والاسم قد يعني معنى التأمُّل:

وفي مزمور (١٦:٩) تُرجمت هكذا: «**ضرب الأوتار**. سلاه».

وفي مزمور (٣:٩٢): «على ذات عشرة أوتار وعلى الرباب على **عزف** العود».

وتأتي هذه الكلمة في سفر إشعياء (٤:٣١) بمعنى: "يهرّ الأسد"، وفي إشعياء (١٤:٣٨) بمعنى: "هدير الحمامة"، كذلك في إشعياء (١١:٥٩) بنفس المعنى السابق وفي إشعياء (٧:١٦) بمعنى "تولول".

نجينوث: Neginoth أي «على ذوات الأوتار»

وتعني على موسيقى وترية، وتأتي ٨ مرَّات في سفر المزامير(٦)، وفي سفر حبقوق (١٩:٣) هكذا: «... على آلاتي ذوات الأوتار». وعلى النجينا Neginah تعني على الموسيقى الوترية، والفعل كما أتي في (١صم ١٦: ١٦-١٨) يعني: "يضرب أو يلعب" بالموسيقى على آلات وترية. كما يأتي أيضاً بنفس المعنى في (١صم ٢٣:١٦). ويأتي في (مزمور ٦:٧٧) بمعنى "ترنُّم"، ويأتي في (إش ٢٠:٣٨) هكذا: «**فنعزف بأوتارنا** كل أيام حياتنا في بيت الرب»، وفي مراثي إرميا (١٤:٥) هكذا: «كفَّت الشيوخ عن الباب والشُّبان **عن غنائهم**».

(٦) في مزمور ٤:١ و٦:١ و٥٤:١ و٥٥:١ و٦١:١ و٦٧:١ و٦٩:١٣ و٧٦:١.

وهكذا فإن هذا العنوان يعني العزف على آلات وترية.

نحيلوت:

بالنحيلوت، والمعنى بواسطة آلات النفخ، ووُجدت في المزمور الخامس فقط في العنوان هكذا: «لإمام المغنين على **ذوات النفخ**. مزمور لداود». وهي آلة الفلوت أو الناي، وهي تُستخدم في الموسيقى المقدَّسة كما جاء في (إش ٣٠:٢٩): «تكون لكم أغنية كليلة تقديس عيد وفرح قلب كالسائر **بالناي** ليأتي إلى جبل الرب إلى صخر إسرائيل». تصوير مبدع، وكذلك في (١صم ١٠:٥): «وأنك تصادف زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة وأمامهم رباب ودُف **وناي** وعود وهم يتنبَّأون»، وأيضاً (١مل ١:٤٠): «وكان الشعب يضربون **بالناي** ويفرحون فرحاً عظيماً ...».

علاموث: alamoth

وهي موجودة في عنوان مزمور (٤٦): «لإمام المغنين. لبني قورح. **على الجواب**. ترنيمة». وكذلك في مزمور (٩) في العنوان: «لإمام المغنين على موت الابن» (والأصح "**على الجواب** للأولاد" كما في الهامش)، ويُعتقد أنها كانت تأتي في نسخ قديمة في عنوان مزمور (٤٩).

والكلمة تعني **على طريقة العذارى** أو لأجل صوت العذارى: سبرانو ـ أعلى نغمة، (ويُلاحَظ أن كلمة "عالما" تعني عذراء) وقد جاءت بهذا المعنى في مزمور (٦٨:٢٥): «في الوسط **فتيات** (علاموث) ضاربات الدفوف».

شمينيت: على الثمانية

وفي الفولجاتا جاءت: Pro-octava

وقد شرحها الآباء رمزياً عن أسرار الإيمان الثمانية أو أنها "ثمانية أيام النهاية" = octave of eternity.

وفي عنوان مزموري (٦)، (١٢) تُرجمت هكذا: "**على القرار**".

وتعني الصوت المنخفض ـ التنور Tenor = Bass وهو اصطلاح موجود في (١أي ١٥: ١٩-٢١) حيث هذا النص يحوي الاصطلاح السابق: "علاموث = على الجواب" ثمَّ "عال هاشمينيت = على القرار" هكذا: «والمغنون: هيمان وآساف وإيثان بصنوج نحاس للتسميع. وزكريا وعزيئيل وشميراموث ويحيئيل وعُنّي وأليآب ومعسيا وبنايا بالرباب **على الجواب** (عال علاموث). ومتثيا وأليفليا ومقنيا وعوبيد أدوم ويعيئيل وعززيا بالعيدان **على القرار** (عال هاشمينيت) للإمامة».

وهكذا هيمان وآساف وإيثان على صنوج النحاس للصوت العالي = للتسميع!

وثمانية لاويين آخرين بالرباب على الجواب (صوت العذارى).

وستة آخرون بالعيدان للقيادة على القرار (على الثمانيات = الصوت المنخفض).

جتيث: upon Gittith

وتجيء في عنوان مزامير ٨ و٨١ و٨٤ «على الجتية» وهي صفة مؤنَّثة أتت من جتّ Gath وهي تعني:

١ ـ إمَّا آلة من آلات جت كما يقول الترجوم إنها آلة استحضرها داود من جتّ.

٢ ـ أو هي لحن جتّي كما جاء في صموئيل الثاني (١٥:١٨): «وجميع عبيده كانوا يعبرون بين يديه مع جميع الجلادين والسعاة وجميع **الجتيين** ستة مائة رجل أتوا وراءه من **جت** وكانوا يعبرون بين يدي الملك».

والترجمة السبعينية وجيروم ترجموها: على معصرة الخمر، وهي تعبر عن المزامير التي كانت تُنشد في عيد المظال أو جمع بواقي النبيذ. ومزمور (٨١) كان يُحسب أنه هو مزمور هذا العيد، وكذلك مزمور (٨٤) يصلح أن يكون من مزامير المصاعد للسائحين الآتين إلى الأعياد الثلاثة.

ليدوثون:

"على يدوثون" أي حسب نظام يدوثون: τῷ Ἰδιθοῦν - ὑπὲρ Ἰδιθοῦν

وهذا العنوان يأتي في مزموري ٦٢ و٧٧ «لإمام المغنين **على يدوثون**». وقد تعني أن المزمور يُزمَّر به بحسب لحن خاص وُضع بواسطة رئيس المغنين يدوثون مثل ما جاء في (١أي ١٦:٤١): «ومعهم هيمان ويدوثون وباقي المنتخبين الذين ذُكرت أسماؤهم ليحمدوا الرب لأن إلى الأبد رحمته». وفي مزمور (٣٩) يظهر في عنوان المزمور ليدوثون بصفته إمام المغنين خصيصاً «لإمام المغنين. **ليدوثون**. مزمور لداود».

العناوين غير الواضحة التي أُعطيت لبعض المزامير وهي كلها ربما تشير إلى نوع اللحن:

مزمور (٩): **على موت الابن**: «لإمام المغنين على الجواب للأولاد (في الهامش)» ويُلاحَظ أن المزمور يذكر الموت والدم والقضاء.

مزمور (٢٢): **على أيلة الصبح**: (الأيلة = الغزال) أي الغزال في الفجر ـ في العبري: [عال آيلة ها شحَر] = على أيلة السَحَر.

مزمور (٤٥)، (٦٩): **على السوسن:** سوسن Lilies

مزمور (٦٠)، (٨٠) **على سوسن الشهادة:** Lilies of testimony

مزمور (٥٧-٥٩ و٧٥): **على لا تُهلك:** وربما تكون إشارة إلى ما جاء في (إش ٦٥:٨): «كما أن السلاف يوجد في العنقود (فيه حبَّة) فيقول قائل **لا تهلكه** لأن فيه بركة. هكذا أعمل لأجل عبيدي حتى لا أهلك الكل».

عناوين تعود إلى نوع الليتورجية التي يُقال فيها المزمور:

في أيام خدمة الهيكل الثاني كان كل يوم له مزموره يُسبَّح به في الصباح وقت تقديم ذبيحة الصباح فمثلاً:

مزمور (٩٢): عنوان المزمور: «مزمور تسبيحة ليوم السبت»

وهذا يُحسب الدليل الوحيد في النسخة العبرية أن كل يوم كان له ذبيحة ومزمور.

أمَّا في النسخة السبعينية فنجد أيضاً عناوين المزامير التالية:

مزمور (٢٤): كان مخصَّصاً لأول أيام الأسبوع (يوم الأحد) ولكن هذا غير مذكور في الأصل العبري ولا في الترجمة العربية .

مزمور (٤٨): كان مخصَّصاً لثاني يوم الأسبوع (يوم الاثنين) ولكن هذا غير مذكور في الأصل العبري ولا في الترجمة العربية.

مزمور (٩٤): مخصَّص لليوم الرابع من الأسبوع ولكن هذا أيضاً غير مذكور في الأصل العبري ولا في الترجمة العربية.

مزمور (٩٣): مخصَّص لليوم السادس من الأسبوع (وهو اليوم السابق للسبت προσαββάτου أي الجمعة) ولكن هذا غير مذكور في الأصل العبري ولا الترجمة العربية.

وفي الترجمة اللاتينية القديمة يُضاف إلى ما سبق أن:

مزمور (٨١): مخصَّص لليوم الخامس من الأسبوع. ولكن في الترجمة العربية نجد في نص المزمور أنه يعيَّد لرأس الشهر عند الهلال ليوم عيدنا لأن هذا فريضة لإسرائيل.

هذه التعيينات التي للسبت وغيره نجد ما يماثلها في المشناه (تاميد ٧:٣) حيث بحسب المذكور فيها نجد أيضاً أن مزمور (٨٢) كان مخصَّصاً لليوم الثالث من الأسبوع.

كذلك توجد بعض عناوين تشير إلى المناسبة التي يُقال فيها المزمور:

مز (٣٨، ٧٠): العنوان: «لداود **للتذكير**» For the memorial offering (RSV) فهي تُشير إلى تقديم البخور للتذكار كما هو مكتوب في الترجمة الإنجليزية (غير مذكور في الترجمة العربية).

مزمور (١٠٠): هو مزمور الشكر، باللغة العبرية "لتوده" أي "**للحمد**" لأن الشكر غير موجود في العبرية، لذلك فهو مزمور يُقال في تقدمة "ذبيحة الشكر" For the thank-offering (RSV). كذلك جاء في مزمور (٦٦): «أدخل إلى بيتك بمحرقات أوفيك نذوري» (مز ٦٦:١٣)، «أُصعد لك محرقات سمينة مع بخور كباش أُقدِّم بقراً مع تيوس. سلاه.» (مز ٦٦:١٥)

مزمور (٣٠): «مزمور أغنية تدشين البيت»، وهو مزمور يُقال في عيد تدشين الهيكل الذي عيَّنه يهوذا المكابي سنة ١٦٤ ق.م عندما أُعيد تدشين الهيكل بعد تنجيسه بواسطة أنطيوخس إيبفانس (١مكا ٤:٥٩)، (يو ١٠:٢٢).

مزمور (٢٩): في السبعينية مذكور ما يُشير إلى استخدامه في آخر أيام عيد المظال.

مزمور (٦٠): «شهادة مذهبة لداود **للتعليم**» وذلك بالمقارنة مع (تث ٣١:١٩): «فالآن اكتبوا لأنفسكم هذا النشيد وعلِّم بني إسرائيل إيَّاه، ضعه في أفواههم (ليحفظوه عن ظهر قلب) لكي يكون لي هذا النشيد شاهداً على بني إسرائيل»، كذلك (٢صم ١:١٧و١٨): «ورثا داود بهذه المرثاة شاول ويوناثان ابنه وقال أن يتعلَّم بنو يهوذا نشيد القوس، هوذا ذلك مكتوب في سفر يَاشَرَ».

مزامير المصاعد: For the going up, Song of Degrees, Song of Ascents

وهي خمسة عشر مزموراً معنونة بهذا العنوان من مزمور (١٢٠) إلى (١٣٤)، وهي تظهر أنها كانت تشكِّل مجموعة مستقلة تحمل عنوان تسابيح الصعود، وله شروحات كثيرة:

١ - في الترجمة السبعينية تسمَّى ᾨδὴ τῶν ἀναβαθμῶν، أمَّا في الفولجاتا والقديس جيروم فتسمَّى Canticum graduum أو Song of Steps. وكان يُظن أنه هكذا كان اسمها بسبب أنها كان يُسبَّح بها على درجات السلم التي كانت تصل بين رواق النساء ورواق

الرجال في الهيكل الثاني، ولكن بالبحث أثبت العالِم دلتسش[٧] معتمداً على التلمود أن هذا الوصف غير وارد.

٢ - ولكن الشرح الذي قوبل بالتصديق في الأزمنة الحديثة يعتبر أن هذا الاصطلاح يشير إلى وجود كلمات لها معنى الصعود في هذا المزمور بحيث يكون كل مقطع منه له كلمة بهذا المعنى. والمزمور (١٢١) يقدّم في بدايته مثلاً جيداً لذلك: «**أرفع عينيَّ** إلى الجبال من حيث يأتي عوني. معونتي من عند الرب صانع السموات والأرض» (مز ١٢١: ١و٢)، ولكن غير وارد بعد ذلك في هذا المزمور استخدام كلمة تفيد معنى الصعود.

٣ - ولكن "الصعود" أو الارتفاع عموماً عبارة عن اصطلاح الرجوع من بابل كما جاء في (عز ٧:٩): «لأنه في الشهر الأول ابتدأ **يصعد** (المقصود هنا هو عزرا) من بابل وفي أول الشهر الخامس جاء إلى أورشليم حسب يد الله الصالحة عليه». فظنَّ البعض أن هذه المزامير كان يُرتّل بها المسبيون في مسيرتهم، لذلك فإن الترجمة السريانية وربما أكويلا أيضاً وسيماخوس وثيؤدوتيون يذكرون ذلك عندما ذكروا مزامير المصاعد. ولكن محتوى هذه المزامير لا تؤيِّد هذا الشرح.

٤ - "الصعود" كان هو اصطلاح للسياح الآتين إلى أورشليم في الأعياد الثلاثة الكبرى كما جاء في (١صم ١:٣): «وكان هذا الرجل (ألقانه أبو صموئيل) **يصعد** من مدينته من سنة إلى سنة ليسجد ويذبح لرب الجنود في شيلوه». كذلك جاء اصطلاح في المزمور (٤٢) هكذا واصفاً الصعود أنه تدرُّج، وهي الأكثر قرباً من مزامير الدرج: «هذه أذكرها فأسكب نفسي عليَّ. لأني كنت أمرُّ مع الجُمَّاع **أتدرَّج** معهم إلى بيت الله بصوت ترنُّم وحمد جمهور معيِّد» (٤:٤٢). بل وكثير من هذه المزامير تناسب جداً هذه المناسبة مثل المزامير الآتية التي للمصاعد:

مز ١٢١: ١و٢: «**أرفع عينيَّ** إلى الجبال من حيث يأتي عوني. معونتي من عند الرب صانع السموات والأرض».

مز ١٢٢: ١: «فرحت بالقائلين لي **إلى بيت الرب نذهب**».

مز ١٢٣: ١: «**إليك رفعت عينيَّ** يا ساكناً في السموات».

(7) F. Delitzsch Cited by Kirkpatrick, *op. cit.*, p. xxviii.

مز ١٢٥: ١و٢: «المتوكّلون على الرب مثل **جبل صهيون الذي لا يتزعزع** بل يسكن إلى الدهر. أورشليم الجبال حولها».

مز ١٢٦: ١و٢: «عندما **ردَّ الرب سبي صهيون** صرنا مثل الحالمين. حينئذ امتلأت أفواهنا ضحكاً».

مز ١٣٤: ١: «هوذا باركوا الرب يا جميع عبيد الرب **الواقفين في بيت الرب** بالليالي ...».

والمزامير الأخرى التي للمصاعد ولو أنها لا تحتوي على مثل هذه العبارات إلاّ أنها تليق بمثل هذا الغرض.

عناوين تشير إلى مؤلّفها:

وكلها تأتي بحرف توجيه مثل التي لفلان أو بواسطة فلان. ففي بعض الأمثلة مثل حبقوق (١:٣) هي تشير إلى المؤلّف بلا شك، ولكن في مثل مزمور (٣٣) فهي تشير إلى أصل المجموعة وليس إلى الكاتب مثل: «مزمور لبني قورح» فهي تشير إلى المجموعة الخاصة بهم ولكن ليس للمؤلّف، كذلك: «مزمور لآساف»، بل وفي حالات كثيرة «مزمور لداود».

(أ) هناك مزمور واحد يذكر اسم موسى: مزمور (٩٠).

(ب) هناك ٧٣ مزمور تحمل اسم داود. معظمها في الكتاب الأول (٣٧ مزمور)، ١٨ مزمور في الكتاب الثاني (٥١-٦٥، ٦٨-٧٠)، مزمور واحد في الكتاب الثالث (٨٦) واثنان في الكتاب الرابع (١٠١، ١٠٣)، ١٥ مزمور في الكتاب الخامس (١٠٨-١١٠، ١٢٢، ١٢٤، ١٣١، ١٣٣، ١٣٨-١٤٥).

(ج) اثنان يحملان اسم سليمان: (٧٢، ١٢٧).

(د) عدد ١٢ مزمور يحملون اسم آساف (٥٠، ٧٣-٨٣) أحد رؤساء موسيقى داود: «وهؤلاء هم الذين أقامهم داود على يد الغناء في بيت الرب ... هيمان المغنّي ... وأخوه آساف الواقف عن يمينه آساف بن برخيا بن شمعي.» (١أي ٦: ٣١-٣٩)

(هـ) عدد ١١ مزمور لبني قورح: (٤٢، ٤٤- ٤٩، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٨٨) ولكن بحسب النسخة R.V. تكون من أبناء قورح.

(و) الحكيمان هيمان الأزراحي وإيثان الأزراحي لكل منهما مزمور واحد (مز ٨٨، ٨٩) وقد أتى ذكرهما في سفر الملوك الأول (٤: ٣٠و٣١): «وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع

بني المشرق وكل حكمة مصر وكان أحكم من جميع الناس من إيثان **الأزراحي وهيمان** وكلكول ...».

عناوين تصف المناسبة التي قيل فيها المزمور:

نجدها تتقدَّم المزمور وذلك في ١٣ مزمور وكلها تحمل اسم داود. فالمزمور ٧، ٣٤، ٥٢، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ١٤٢ كلها تشير إلى مدة اضطهاد شاول لداود، المزمور (١٨) يشير إلى إنقاذ الرب لداود من أيدي كل أعدائه ومن يد شاول، والمزمور (٦٠) إلى الحرب السورية العمونية، مزمور (٥١) يشير إلى سقطة داود، مزامير ٣، ٦٣ تشير إلى هربه من وجه ابنه أبشالوم.

القيمة التي نخرج بها من العناوين جميعاً:

ولكن يلزم أن نسبق ونسأل: هل هذه العناوين لها شيء من الأصالة؟ أم يلزم أن نحسبها أنها إضافات قد تمّت بواسطة المحرِّرين والذين يجمعون المزامير إلى مجموعات؟

الإجابة هي أن معظمها توفيقي وغير موثوق بها:

(أ) بخصوص عناوين المزامير التي فيها الإشارات الموسيقية الفنية لا توجد بيِّنة مؤكَّدة تشير إلى أنها كانت تتبع زمن الهيكل الثاني أو أن بعضاً منها على الأقل يتبع الزمن القديم. أمَّا عنوان صلاة حبقوق وقوله على الشجينوت وختامها لرئيس المغنين على آلاتي الوترية فيمكن أن يكون دليلاً على استخدام مثل هذه المصطلحات فيما قبل السبي، وذلك إن كنّا واثقين أن هذا بيد النبي نفسه وليس مجرَّد إضافة متأخّرة.

(ب) الأوصاف المتعلّقة بالعناوين مثل المزمور (٣٠) الذي يشير عنوانه بوضوح إلى عيد تدشين الهيكل يُظن أنها قد أُضيفت مؤخراً. كما أن بعض العناوين ولو أنها متوافقة مع التقليد اليهودي إلاّ أنها غير موجودة في النص العبري.

(ج) اتفق حديثاً على أن العناوين التي تخص مؤلّف المزمور أو المناسبة التي قيل فيها المزمور لا يمكن اعتبارها أنها تعطي خبراً يعتمد عليه، خاصة وأن الاختلافات بين النسخ والمخطوطات تجيز هذا.

على أن السبب الأساسي في هذا التقدير هو أن كثيراً من هذه العناوين سوف تظهر أثناء الشرح لكل مزمور، أنها غير متوافقة مع ما يوجد في المزمور من معاني ولغة. فكثير من المزامير المعنونة لداود لا تمت في محتواها لأي صفة أو موقف لداود!

كذلك المزامير الخاصة بآساف معظمها لا ينتمي إلى ظروف مرنِّم داود وأيامه: كأن يصف المزمور مثلاً خراب أورشليم! ولو أن بعضاً منها يشير إلى ما قبل السبي.

ولكن بالرغم من أن العناوين كلها لا تعطي الثقة بأهميتها ولكن ليست جميعها بلا قيمة، فمثلاً عدم وجودها تقريباً في الكتاب الرابع والخامس يوضِّح أنها ليست من وضع جزافي للذي قام بتجميع المزامير، بل إنه كان يعتمد في ذلك على سلطان وثائقي وتقليدي هام. فإذا سألنا وما قيمة هذا؟ نقول إنها تكشف عن المصدر الذي جاء منه المزمور، فالعناوين التي جاء فيها «لأولاد قورح»، توضِّح أن المزمور هو جزء من مجموعة مزامير قورح، وهذا يشير بدوره أنه كان هناك كتاب خاص بمؤلّفات قورح وموسيقاه ومزاميره التي ألَّفها قورح وأولاده واحتُفظ بها بعد ذلك في الكتاب العام للمزامير. لذلك أصبح من الضروري أن تُعنون بهذا العنوان ليُعرف مصدرها.

كذلك مزامير آساف وعناوينها، فهي تشير إلى المؤلّف الخاص بآساف الذي انضم إلى المزامير العامة.

كذلك المزامير المُشار إليها بأنها لداود، تشير أيضاً إلى المجموعة التي أُخذت منها هذه المزامير. وهناك بناءً على ذلك مجموعتان لداود: **الأولى** ما جاء لداود في (الكتاب الأول)، **والثانية** عبارة عن المزامير المنسوبة لداود التي فيها لقب: "الألوهة" في الكتاب الثاني، وهذه المجموعة الثانية دُعيت "صلوات داود" وغالباً لها صلة تاريخية صحيحة به، لأن فيها أوضحت حياة داود بواسطة أشعار ذات أصالة تاريخية قديمة. فهذه المجموعات أخذت أسماءها من الذين ألَّفوها وفيها أهم أشعارهم، ولكن عند تسجيل هذه الأشعار دخلت فيها مؤلّفات لغيرهم. والذي يوضِّح ذلك جدًّا هو أن كتاب المزامير المائة والخمسين منسوب لداود! وهكذا أضيفت المزامير إلى أهم مؤلّف فيها، وهذا يكشف أن داود له فعلاً مجموعة قليلة كانت النواة التي تجمَّع حولها باقي المزامير وتآليف باقي الشعراء والموسيقيين، ولكن أقوى وأهم مؤلّف فيها نُسبت له المجموعة كلها. بل وهناك اعتقاد أن كثيراً من المؤلّفين الموهوبين كتبوا مزامير يصفون فيها داود وحياته ونُسبت لداود بعد ذلك.

ونحن إذا قارنّا مزمور ١٨ مع مثيله في (٢صم ٢٢) نرى أن النص عانى بعض التعديل عفوياً:

المزمور: ١٨	صموئيل الثاني: ٢٢
لإمام المغنين لعبد الرب داود الذي كلّم الرب بكلام هذا النشيد في اليوم الذي أنقذه فيه الرب من أيدي كل أعدائه ومن يد شاول، فقال:	وكلّم داود الرب بكلام هذا النشيد في اليوم الذي أنقذه فيه الرب من أيدي كل أعدائه ومن يد شاول، فقال:

المزمور: ١٨	صموئيل الثاني: ٢٢
١و٢– أحبك يا رب يا قوتي. الرب صخرتي وحصني ومنقذي. إلهي صخرتي به أحتمي. ترسي وقرن خلاصي وملجأي.	٢– الرب صخرتي وحصنى ومنقذي. ٣– إله صخرتي به أحتمي. ترسي وقرن خلاصي ملجأي. ومناصي مخلِّصي. من الظلم تخلِّصني.
٣– أدعو الرب الحميد فأتخلَّص من أعدائي.	٤– أدعو الرب الحميد فأتخلَّص من أعدائي.
٤– اكتنفتني حبال الموت وسيول الهلاك أفزعتني.	٤– لأن أمواج الموت اكتنفتني سيول الهلاك أفزعتني.
٥– حبال الهاوية حاقت بي أشراك الموت انتشبت بي.	٦– حبال الهاوية أحاطت بي شُرُك الموت أصابتني.
٦– في ضيقي دعوت الرب وإلى إلهي صرخت فسمع من هيكله صوتي وصراخي قدَّامه دخل أذنيه.	٧– في ضيقي دعوت الرب وإلى إلهي صرخت فسمع من هيكله صوتي وصراخي دخل أذنيه.
٧– فارتجت الأرض وارتعشت أُسس الجبال ارتعدت وارتجت لأنه غضب.	٨– فارتجت الأرض وارتعشت. أُسس السموات ارتعدت وارتجت لأنه غضب.
٨– صعد دخان من أنفه ونار من فمه أكلت جمرٌ اشتعلت منه.	٩– صعد دخان من أنفه ونار من فمه أكلت. جمرٌ اشتعلت منه.
٩– طأطأ السموات ونزل وضباب تحت رجليه.	١٠– طأطأ السموات ونزل وضباب تحت رجليه.
١٠– ركب على كروب وطار وهف على أجنحة الرياح.	١١– ركب على كروب وطار ورُئي على أجنحة الريح.
١١– جعل الظلمة ستره حوله مظلَّته ضباب المياه وظلام الغمام.	١٢– جعل الظلمة حوله مظلات مياهاً حاشكة وظلام الغمام.
١٢– من الشعاع قدَّامه عبرت سحبه. برد وجمر نار.	١٣– من الشعاع قدَّامه اشتعلت جمر نار.
١٣– أرعد الرب من السموات والعلي أعطى صوته برداً وجمر نار.	١٤– أرعد الرب من السموات والعلي أعطى صوته.
١٤– أرسل سهامه فشتتهم وبروقاً كثيرة فأزعجهم.	١٥– أرسل سهاماً فشتتهم برقاً فأزعجهم.
١٥– فظهرت أعماق المياه وانكشفت أُسس المسكونة من زجرك يا رب من نسمة ريح أنفك.	١٦– فظهرت أعماق البحر وانكشفت أُسس المسكونة من زجر الرب من نسمة ريح أنفه.

المزمور: ١٨	صموئيل الثاني: ٢٢
١٦ – أرسل من العلى فأخذني. نشلني من مياه كثيرة.	١٧ – أرسل من العلى فأخذني. نشلني من مياه كثيرة.
١٧– أنقذني من عدوي القوي ومن مبغضي لأنهم أقوى مني.	١٨– أنقذني من عدوي القوي من مبغضيَّ لأنهم أقوى مني.
١٨– أصابوني في يوم بليتي وكان الرب سندي.	١٩– أصابوني في يوم بليتي وكان الرب سندي.
١٩– أخرجني إلى الرحب. خلَّصني لأنه سُرَّ بي.	٢٠– أخرجني إلى الرحب. خلَّصني لأنه سُرَّ بي.
٢٠– يكافئني الرب حسب برِّي حسب طهارة يديَّ يردّ لي.	٢١– يكافئني الرب حسب برِّي حسب طهارة يديَّ يردّ عليَّ.
٢١– لأني حفظت طرق الرب ولم أعص إلهي.	٢٢– لأني حفظت طرق الرب ولم أعص إلهي.
٢٢– لأن جميع أحكامه أمامي وفرائضه لم أبعدها عن نفسي.	٢٣– لأن جميع أحكامه أمامي وفرائضه لا أحيد عنها.
٢٣– وأكون كاملاً معه وأتحفَّظ من إثمي.	٢٤– وأكون كاملاً لديه وأتحفَّظ من إثمي.
٢٤– فيرد الرب لي كبرِّي وكطهارة يديَّ أمام عينيه.	٢٥– فيرد الرب عليَّ كبرِّي وكطهارتي أمام عينيه.
٢٥– مع الرحيم تكون رحيماً. مع الرجل الكامل تكون كاملاً.	٢٦– مع الرحيم تكون رحيماً. مع الرجل الكامل تكون كاملاً.
٢٦– مع الطاهر تكون طاهراً ومع الأعوج تكون ملتوياً.	٢٧– مع الطاهر تكون طاهراً ومع الأعوج تكون ملتوياً.
٢٧– لأنك أنت تخلِّص الشعب البائس والأعين المرتفعة تضعها.	٢٨– وتخلِّص الشعب البائس وعيناك على المترفِّعين فتضعهم.
٢٨– لأنك أنت تضيء سراجي. الرب إلهي ينير ظلمتي.	٢٩– لأنك أنت سراجي يا رب. والرب يضيء ظلمتي.
٢٩– لأني بك اقتحمت جيشاً وبإلهي تسوَّرت أسواراً.	٣٠– لأني بك اقتحمت جيشاً بإلهي تسوَّرت أسواراً.
٣٠– الله طريقه كامل. قول الرب نقي ترس هو لجميع المحتمين به.	٣١– الله طريقه كامل. وقول الرب نقي ترس هو لجميع المحتمين به.

المزمور: ١٨	صموئيل الثاني: ٢٢
٣١- لأنه مَنْ هو إله غير الرب ومَنْ هو صخرة سوى إلهنا.	٣٢- لأنه مَنْ هو إله غير الرب ومَنْ هو صخرة غير إلهنا.
٣٢- الإله الذي يمنطقني بالقوة ويُصيِّر طريقي كاملاً.	٣٣- الإله الذي يعزِّزني بالقوة ويُصيِّر طريقي كاملاً.
٣٣- الذي يجعل رجليَّ كالإيل وعلى مرتفعاتي يقيمني.	٣٤- الذي يجعل رجليَّ كالإيل وعلى مرتفعاتي يقيمني.
٣٤- الذي يعلِّم يدي القتال فتُحنى بذراعيَّ قوس من نحاس.	٣٥- الذي يعلِّم يدي القتال فتُحنى بذراعيَّ قوس من نُحاس.
٣٥- وتجعل لي ترس خلاصك ويمينك تعضدني ولطفك يعظِّمني.	٣٦- وتجعل لي ترس خلاصك ولطفك يعظِّمني.
٣٦- توسِّع خطواتي تحتي فلم تتقلقل عقباي.	٣٧- توسِّع خطواتي تحتي فلم تتقلقل كعباي.
٣٧- أتبع أعدائي فأدركهم ولا أرجع حتى أفنيهم.	٣٨- ألحق أعدائي فأهلكهم ولا أرجع حتى أفنيهم.
٣٨- أسحقهم فلا يستطيعون القيام يسقطون تحت رجليَّ.	٣٩- أفنيهم وأسحقهم فلا يقومون بل يسقطون تحت رجليَّ.
٣٩- تمنطقني بقوة للقتال تصرع تحتي القائمين عليَّ.	٤٠- تنطِّقني قوة للقتال وتصرع القائمين عليَّ تحتي.
٤٠- وتعطيني أقفية أعدائي ومبغضيَّ أفنيهم.	٤١- وتعطيني أقفية أعدائي ومبغضيَّ فأفنيهم.
٤١- يصرخون ولا مخلِّص إلى الرب فلا يستجيب لهم.	٤٢- يتطلَّعون فليس مخلِّص إلى الرب فلا يستجيبهم.
٤٢- فأسحقهم كالغبار قدَّام الريح مثل طين الأسواق أطرحهم.	٤٣- فأسحقهم كغبار الأرض مثل طين الأسواق أدقهم وأدوسهم.
٤٣- تنقذني من مخاصمات الشعب تجعلني رأساً للأمم شعب لم أعرفه يتعبَّد لي.	٤٤- وتنقذني من مخاصمات شعبي وتحفظني رأساً للأُمم شعب لم أعرفه يتعبَّد لي.
٤٤- من سماع الأذن يسمعون لي. بنو الغرباء يتذلَّلون لي.	٤٥- بنو الغرباء يتذلَّلون لي. من سماع الأذن يسمعون لي.
٤٥- بنو الغرباء يبلون ويزحفون من حصونهم.	٤٦- بنو الغرباء يبلون ويزحفون من حصونهم.
٤٦- حي هو الرب ومبارك صخرتي ومرتفع إله خلاصي.	٤٧- حي هو الرب ومبارك صخرتي ومرتفع إله صخرة خلاصي.

المزمور: ١٨	صموئيل الثاني: ٢٢
٤٧- الإله المنتقم لي والذي يُخضع الشعوب تحتي.	٤٨- الإله المنتقم لي والمُخضع شعوباً تحتي.
٤٨- منجِّيَ من أعدائي رافعي أيضاً فوق القائمين عليَّ. من الرجل الظالم تنقذني.	٤٩- والذي يخرجني من بين أعدائي ويرفعني فوق القائمين عليَّ. وينقذني من رجل الظلم.
٤٩- لذلك أحمدك يا رب في الأمم وأُرنِّم لاسمك.	٥٠- لذلك أحمدك يا رب في الأُمم ولاسمك أُرنِّم.
٥٠- برج خلاص لملكه والصانع رحمة لمسيحه لداود ونسله إلى الأبد.	٥١- برج خلاص لملكه والصانع رحمة لمسيحه لداود ونسله إلى الأبد.

وهكذا فالمقارنة بين النصين ولو أنها توضِّح التطابق البديع الذي يكاد يكون لفظياً بالرغم من المسافة الزمنية وتعدُّد النُسَّاخ، إلاَّ أن هناك تعديلات أو تحويلات طفيفة أو أخطاء من النقل، ولكن أحياناً نشعر بأن هناك تصحيحاً مقصوداً.

ولكن على كل حال أمامنا الآن نصَّان من مصدرين مختلفين، ولكن قوام المزمور واضح أنه لولا الهنَّات القليلة لكان التطابق فائق الدقة. ويغلب الظن أن النص الأصلي موضوع منذ سنة ١٠٥٨ ق.م. أيام صموئيل النبي وبداية ملك داود. وهذا النص يشير إلى مدى التصاق المزامير بحوادث العصور الأُولى جدًّا، وهي تحمل لنا عبيق الآباء الأوائل القضاة وبداية عصر المزامير.

ولكن بمقارنة مزمور (٥٣) مع (١٤)، مزمور (٧٠) مع (٤٠:١٣ إلى آخره)، مزمور (١٠٨) مع (٥٧) و(٦٠) نكتشف أن المحرِّرين لم يرتابوا في تغيير المزامير الأُولى بأن يقسِّموها أو يضموا أجزاءً منها وذلك وفق أغراضهم، كما رأينا في (١أي ١٦) كيف جمَّع المحرِّر عدة مقاطع من المزامير بكل جراءة: مز ١٠٥، مز ٩٦، مز ١٠٦، ١٠٧، ١١٨، ١٣٦، ثمَّ مزمور ١٠٦ أيضاً.

أمَّا الإضافات على المزامير فكانت بغرض جعلها مناسبة للخدمات الهيكلية. والمزامير المرجَّح أنها مزامير مركَّبة هي كالآتي: ١٩ و٢٤ و٢٧ و٤٠ و٧٧ و١٤٤[٨].

(8) Kirkpatrick, *op. cit.*, p. xviii - xxxv.

المغنُّون في الهيكل وأدوات الغناء[1]

تُقابلنا مزامير كثيرة نجد فيها صاحب المزمور يقول أُغنّي للرب، وأحيانا تُذكر آلات الغناء. من هنا نفهم أن الغناء وآلات الغناء كانت داخلة ضمن طقوس الهيكل الرسمية، وكان مخصَّصاً للآلات جماعة اللاويين، أمَّا الأبواق والنفخ في القرن فكانت من اختصاص الكهنة.

وتبتدئ معرفتنا بالغناء والمغنّين وتخصّصاتهم وآلاتهم المختلفة من سفر التكوين بل ومن أولاد لامك بن متوشائيل بن قايين!:

+ «واتخذ لامك لنفسه امرأتين اسم الواحدة عادة واسم الأخرى صلّة. فولدت عادة يابال ... واسم أخيه يوبال الذي كان أباً لكل ضارب **بالعود والمزمار**. وصلة أيضاً ولدت توبال قايين **الضارب كل آلة من نحاس وحديد** ...» (تك ٤: ١٩-٢٢)

ولكن لم يبلغنا ما يفيد وجود فرقة مغنين بموسيقاهم بالنسبة للهيكل قبل أيام عزرا الكاهن (٤٠٠ ق.م)، فعزرا الكاهن هنا يتكلَّم عن الصاعدين من السبي إلى أُورشليم قائلاً: «المغنون بنو آساف مائة وثمانية وعشرون» (عز ٢: ٤١)، وقد وُضعوا بعد عدد اللاويين مباشرة. ثمَّ يذكر عزرا بعد ذلك بقية تعداد كل جمهور الراجعين من السبي الذين كانوا ٤٢,٣٦٠ فضلاً عن عبيدهم وإمائهم فهؤلاء كانوا ٧٣٣٧ ولهم من المغنين والمغنيات مئتان (عز ٢: ٦٤و٦٥). هذا يعني أنه كانت هناك فرق رسمية من المغنين بآلاتهم المتعدِّدة للهيكل، ومغنون ومغنيات من العبيد. ثمَّ يختم التعداد بقوله: «فأقام الكهنة واللاويون وبعض الشعب والمغنون والبوَّابون والنثينيم في مدنهم وكل إسرائيل في مدنهم.» (عز ٢: ٧٠)

ويذكر عزرا في الأصحاح الثالث: «ولمَّا أسَّس البانون هيكل الرب أقاموا الكهنة بملابسهم بأبواق، واللاويين بني آساف بالصنوج لتسبيح الرب على ترتيب داود الملك» (عز ٣: ١٠). **وهذه أوضح إشارة إلى أن طقس المغنين وآلاتهم وترتيب خدماتهم وأصنافها في الهيكل ومواعيدها كان طقساً رسمياً قائماً في الهيكل من ترتيب داود الملك.**

(1) Mowinckel, *op. cit.*, vol. II, pp. 79-84.

+ «وغنّوْا بالتسبيح والحمد للرب لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته على إسرائيل.» (عز ٣: ١١)

ثمَّ يقص لنا كاتب أخبار أيام أول عن كيف رتَّب داود الملك خدمة الترنيم والتسبيح والغناء في الهيكل مع الأشخاص الموهوبين بأسمائهم، وهذه تُحسب لنا في بحث عملية الغناء والمغنين في الهيكل وثيقة ذات وزن عالٍ جدًّا.

+ «وأفرز داود ورؤساء الجيش للخدمة: بني آساف، وهيمان، ويدثون المتنبّين **بالعيدان والرباب والصنوج** وكان عددهم من الرجال للعمل حسب خدمتهم:
من بني آساف زكور ويوسف ونثنيا وأشرئيلة بنو آساف تحت يد آساف المتنبّئ بين يدي الملك.
من يدوثون ... ستة تحت يد أبيهم يدوثون المتنبّئ بالعود لأجل الحمد والتسبيح للرب.
من هيمان ... أربعة عشر ابناً وثلاث بنات جميع هؤلاء بنو هيمان رائي الملك بكلام الله. لرفع القرن ... كل هؤلاء تحت يد أبيهم لأجل غناء بيت الرب بالصنوج والرباب والعيدان لخدمة بيت الله تحت يد الملك وآساف ويدوثون وهيمان. وكان عددهم مع إخوتهم المتعلّمين الغناء للرب كل الخبيرين مئتين وثمانية وثمانين ...» (١أي ٢٥: ١-٧)

فلو رجعنا إلى أيام داود الذي رتَّب خوارس المرنّمين والمغنين والمغنيات ووضع أصول طقس التسبيح ومواعيده، نجد أصولها الأُولى في كيف احتفي بتابوت عهد الله هكذا:

+ «وجمع داود أيضاً المنتخبين في إسرائيل ثلاثين ألفاً، وقام داود وذهب هو وجميع الشعب الذي معه من بَعَلَةَ يهوذا ليُصعدوا من هناك تابوت الله الذي يُدعى عليه بالاسم اسم رب الجنود الجالس على الكاروبيم. فأركبوا تابوت الله على عجلةٍ جديدة وحملوه من بيت أبيناداب الذي في الأكَمَةِ، وكان عُزَّة وأَخِيُوُ ابنا أبيناداب يسوقان العجلة الجديدة. فأخذوها من بيت أبيناداب الذي في الأكَمَة مع تابوت الله، وكان أخيو يسير أمام التابوت **وداود وكل بيت إسرائيل (بيت الرب) يلعبون أمام الرب بكل أنواع الآلات** من خشب السرو **بالعيدان وبالرباب وبالدفوف والجنوك وبالصنوج** ... وكان داود يرقص بكل قوته أمام الرب، وكان داود متنطّقاً بأفودٍ من كتان. فأصعَدَ داود وجميع بيت إسرائيل تابوت الرب بالهُتاف وبصوت البوق.» (٢صم ٦: ١-٥، ١٤و١٥)

وهنا يليق بنا جدًّا أن نقدِّم مزموراً يقول العلماء إنه من أقدم المزامير وإنه لدواد نفسه عند نقل التابوت، لكي يوازن القارئ ما بين نص المزمور ونص التاريخ المؤيَّد بالأسماء:

مزمور (٦٨) مع اختيار الآيات التي تؤيِّد ذلك:

+ «١ - يقوم الله يتبدَّد أعداؤه، ويهرب مبغضوه من أمام وجهه.

٣ - والصديقون يفرحون. يبتهجون أمام الله، ويطفرون (يرقصون) فرحاً.

٤ - غنوا لله. رنّموا لاسمه. أعدّوا طريقاً للراكب في القفار. باسمه ياه، واهتفوا أمامه.

٧ - اللهم، عند خروجك أمام شعبك، عند صعودك في القفر. سلاه!

٢٥ - (الموكب) من قدّام: المغنون. من وراء: ضاربو الأوتار. في الوسط: فتيات ضاربات الدفوف (الدفوف للرقص).

٢٨ - قد أمر إلهك بعزّك. أيد يا الله هذا الذي فعلته لنا.

٣٢ - يا ممالك الأرض غنُّوا لله. رنّموا للسيد! سلاه ...».

من هذا التطابق البديع نتأكَّد أن داود هو واضع طقس الغناء والمغنين في صميم خدمة الله. ويقول العالِم ماونكل[٢] إن داود أدخل التابوت "قلعة داود" وغطَّى التابوت بالخيمة كما يوحي النص:

+ «فأدخلوا تابوت الرب وأوقفوه في مكانه في وسط الخيمة التي نصبها داود ...» (٢صم ٦:١٧)

+ «فقام داود عن الأرض واغتسل وأدّهن وبدَّل ثيابه **ودخل بيت الرب** وسجد ثمَّ جاء إلى بيته ...» (٢صم ١٢:٢٠)

وكان المغنون في الهيكل لهم نصيب في وسط اللاويين وكانوا يشتركون في خيرات المذبح والهدايا. وقد أمدَّنا التاريخ بالعلاقة المتوترة بين الكهنة والمغنين، لأن المغنين كانوا يعتبرون أنفسهم أنهم ذوو انتماء للهيكل وخدمته على قدم المساواة مع الكهنة، ونادوا بحتمية وضع ذلك في طقس درجة الرآسة للهيكل.

ويخبرنا سفر العدد الأصحاح (١٦) عن مأساة أليمة لقورح نفسه أبي كل القورحيين، كيف ترأس جماعة وذهب إلى موسى غاضباً طالباً كرامة الكهنوت وطقس رفع البخور لبني لاوي المغنين مثل الكهنة. والنتيجة المؤلمة أن الله غضب عليه وعلى كل مَنْ معه وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم. وقيل إنهم نزلوا أحياء إلى الهاوية (عد ١٦:٣٣)[٣] وانطبقت الأرض عليهم! فمحاولة مساواة أبناء

(2) Mowinckel, *op. cit.*, II, p. 80.

(٣) حدث أني كنت منتدباً للخدمة الطبية في جبل الطور الذي هو جبل موسى، وقمنا برحلات في وسط الجبل وأخبرنا العرب هناك أنه في بعض الأحيان يسمعون ترنيماً صاعداً من الأرض مع رائحة بخور. ويقولون أنهم أصحاب قورح وداثان بالاسم.

قورح وبقية صفوف المغنين لم تكف لكي يكون لهم مستوى خدمة الكهنوت في الهيكل.

وبالفعل فإن بني قورح الممثلين لخدمة الغناء في الهيكل توصَّلوا في أواخر الأيام أن يأخذوا مركز الكهنوت والحق في لبس بدلة الكاهن البيضاء، وهذا عن تحقيق العالِم المؤرِّخ اليهودي الكبير يوسيفوس[٤].

ويُلاحِظ العلماء أن ذكر الكهنة في المزامير قليل جدًّا. وأمَّا ذكر المغنين والعازفين على الآلات فكثير، وكأمثلة لذكر آلات الغناء نورد ما يأتي:

مز ٣٣: ٢و٣: «احمدوا الرب **بالعود. بربابة ذات عشرة أوتار**. رنّموا له. غنُّوا له أغنية جديدة أحسنوا العزف بهتاف».

مز ٤٣: ٤: «فآتي إلى مذبح الله، إلى الله بهجة فرحي، وأحمدك **بالعود** يا الله إلهي».

مز ٤٧: ٥: «صعد الله بهتاف الرب بصوت **الصور**».

مز ٤٩: ٤: «أميل أذني إلى مثل، وأوضِّح **بعود** لغزي».

مز ٥٧: ٨و٩: «استيقظ يا مجدي! استيقظ يا **رباب** ويا **عود**! أنا أستيقظ سحراً. أحمدك بين الشعوب يا رب. أُرنّم لك بين الأمم».

مز ٧١: ٢٢و٢٣: «فأنا أيضاً أحمدك **برباب**، حقَّك يا إلهي. أُرنّم لك **بالعود** يا قدُّوس إسرائيل تبتهج شفتاي إذ أُرنّم لك، ونفسي التي فديتها».

مز ٨١: ٢و٣: «ارفعوا نغمة وهاتوا **دُفاً**، **عوداً** حلواً مع **رباب**. انفخوا في رأس الشهر **بالبوق**».

مز ٩٢: ٣و٤: «على **ذات عشرة أوتار** وعلى **الرباب**، على عزف **العود**. لأنك فرَّحتني يا رب بصنائعك. بأعمال يديك أبتهج».

مز ٩٨: ٤-٦: «اهتفوا ورنّموا وغنوا. رنّموا للرب **بعود**. بعود وصوت نشيد. **بالأبواق** وصوت **الصور**. اهتفوا قدَّام الملك الرب».

(4) Josephus, *Antiq.* XX, 216 ff.

مز ١٠٨: ٢و٣: «استيقظي أيتها **الرباب والعود**. أنا أستيقظ سحراً. أحمدك بين الشعوب يا رب وأُرنّم لك بين الأمم».

مز ١٣٧: ٢و٣ «على الصفصاف في وسطها علّقنا **أعوادنا**. لأنه هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمة، ومعذّبونا سألونا فرحاً قائلين: رنّموا لنا من ترنيمات صهيون».

مز ١٤٧: ٧: «أجيبوا الرب بحمد. رنّموا لإلهنا **بعودٍ**».

مز ١٤٩: ٣: «ليسبّحوا اسمه برقص. **بدفٍ وعودٍ** ليرنّموا له».

مز ١٥٠: ٣-٥: «سبّحوه بصوت **الصور**. سبّحوه **برباب وعود**. سبّحوه **بدف** ورقص. سبّحوه **بأوتار ومزمار**. سبّحوه **بصنوج التصويت** سبّحوه **بصوت الهُتاف**».

وقد عمل العالِم ماونكل قائمة بالآلات وأنواعها والمزامير الخاصة بها وأشكال الآلات، ولكن للأسف لم تسعفني اللغة العربية ولا الترجمة من الأصول لأن كلها آلات ذات أسماء غريبة عن كل ما عرفناه.

ولكن يلزم للقارئ أن يدرك أن هؤلاء المغنين أولاد الرجال الموهوبين لا يتعلّمون العزف كتعليم، ولكن فوق التعليم الموهبة وهي موهبة النبوّة بالتسليم. وأن كل المزامير أعلاه لهؤلاء المغنين هي من تأليفهم بالروح. فالغناء والضرب على الآلات والنبوّة هي موهبة واحدة أغنت الطقس الإسرائيلي وخدمة الهيكل وأبهجت قلوب العابدين. وكان العزف والنشيد معاً ملهِماً لكل مَنْ يسمع ويوقِد الروح ويرفع حالة العبادة إلى الدهش.

وتمدنا المشناه بتقليد يهودي كان يُجرى أثناء العيد العظيم السنوي وهو عيد المظال، حيث يقف المغنون على درجات الهيكل الخمسة عشر المؤدية من رواق الشعب إلى رواق النساء ويعزفون مع الأناشيد الخمسة عشر مزموراً من مزمور (١٢٠) - مزمور (١٣٤)، بينما يقف كاهنان ينفخان في القرون الفضية على الباب من ورائهم(٥).

والمعروف بيقين أن معظم المزامير استخدمت لخدمة الطقس الهيكلي، وكانت تصاحب تقديم الذبائح بكل أنواعها وخاصة في المواكب التي كانت تُقام في المواسم الرسمية. وهكذا كان المغنون

(5) Tosephta, *Sukka* 4, 7-9.

يمثّلون روح الطقس لدى الشعب وفي الهيكل.

ويُلاحَظ أن الغناء كان في الطقس اليهودي خاصاً بالمغنين الموهوبين فقط، ولا يشترك معهم الشعب إلاّ بالتصفيق الجماعي والهتاف بآمين أو هللويا.

وكان الكهنة يشتركون في تسبيح المزامير وهم وقوف خلف المغنين ومعهم أبواق فضية، فحينما ينفخون فيها أثناء تلاوة المزامير عند وقفات معيَّنة يخر الشعب سُجّداً:

+ «وبنو هارون الكهنة يضربون بالأبواق. فتكون لكم فريضة أبدية في أجيالكم ... وفي يوم فرحكم وفي أعيادكم ورؤوس شهوركم تضربون بالأبواق على محرقاتكم وذبائح سلامتكم فتكون لكم تذكاراً أمام الرب إلهكم.» (عد ١٠: ٨-١٠)

+ «فوقف اللاويون بآلات داود والكهنة بالأبواق، وأمر حزقيا بإصعاد المحرقة على المذبح، وعند ابتداء المحرقة ابتدأ نشيد الرب والأبواق بواسطة آلات داود ملك إسرائيل. وكان كل الجماعة يسجدون والمغنون يغنون والمبوّقون يبوّقون. الجميع إلى أن انتهت المحرقة وعند انتهاء المحرقة خرَّ الملك وكل الموجودين معه وسجدوا.» (٢أي ٢٩: ٢٦-٢٩)

وهنا يقترح العالم ماونكل(٦) أن لفظ سلاه هي اللحظة التي يتوقّف فيها الإنشاد والعزف ليسجد الشعب، وهي تتناسب مع وقفة معيَّنة في الذبيحة.

لذلك يعتقد أن حتى الذبائح الفردية التي يقدِّمها الأفراد سواء للتطهير أو الشكر أو غيره كان يلزم أن يلازمها مزمور يُنشد مع آلات للتسبيح لله. وذلك عن مقدِّم الذبيحة.

أمّا من جهة المغنين والأنبياء فمعروف جيداً أن دور النبي في الإلهام كان يصاحبه في الزمان الأول الضرب على الأوتار مثل داود. وحتى المزامير التي يتضح فيها أن مؤلّفيها من اللاويين المغنين فلا تخلو من لمسات الإلهام والنبوّة. لذلك تُعتبر العلاقة بين المزامير والأنبياء ككل أنهما على مستوى إلهامي واحد.

ولا ينبغي أن ننسى أن داود النبي مُنشد وموسيقي ومؤلّف مزامير من الطراز الأول. كذلك أيضاً نعرف أن ناحوم النبي وحبقوق النبي كانا أصحاب مزامير (ناحوم ١، حب ٣) وكانا أنبياء هيكل، ونبواتهما ألهمت كثيراً من المزامير، كذلك إرميا وإشعياء النبيان. وقد عرفنا وتأكدنا أن

(6) Mowinkel, *op. cit.*, vol. II, p. 83.

المغنين هم عائلات كبيرة وأولادهم يستلمون منهم النبوَّة والإنشاد والعزف. فتأليف المزامير كانت ترعاه أسر المغنين ويحفظونها عن ظهر قلب ويلحِّنون ألحانها ومعزوفاتها بالتسليم، الأمر الذي جعل المزامير تتوارث بألحانها وموسيقاها مئات السنين.

وقد اعترف أحد أصحاب المزامير بأنه كان يتعلَّم كيف يعبِّر عن الإلهام والألغاز التي يتقبَّلها بالضرب على العود:

+ «فمي يتكلَّم بالحكم. ولهج قلبي فهم!! أميل أذني إلى مثل، وأوضح بعود لغزي!» (مز ٤٩: ٣و٤).

وهو بهذا الاعتراف يكشف لنا كيف كان يستقبل الإلهام في حالة استغراق عقل وهو يضرب بالعود، وعندما يستقر فهمه يؤيِّده.

أصحاب المزامير

مَنْ هُم؟ وما علاقتهم بعناوين المزامير؟

ومَنْ هم أنبياء الهيكل؟

في بحثنا عن المغنين ومَنْ هُم؟ أدركنا أنهم بالتأكيد هم أصحاب المزامير التي ذُكرت فيها صفاتهم أي الغناء والعزف، مع إلهاماتهم من جهة خدمة الهيكل لتمجيد الله وإعطاء الذبائح والأعياد والمناسبات والمواكب بهجتها وما يلزمها من تعبيرات طقسية جميلة. ولكن مَنْ هُم أصحاب باقي المزامير؟ وهل العناوين الموضوعة فوق مزاميرهم تُعبِّر حقاً عن شخصياتهم؟

والعناوين وإن كانت تُعطي معرفة ما بالمؤلِّف إلاَّ أنها بطريقة غير التي تتبادر إلى الذهن.

ونفحص الآن فن تأليف المزامير الأصلي كونه لابد أن يكون قد بدأ مع الطقس وبالتالي مع الهيكل. هذا ما نواجهه دائماً في أبحاث كل مَنْ اضطلع بذلك[1]، وهو المعترف به حالياً وبالأخص عند العالِم جونكل على أن المزامير طقسية بما فيها المزامير المفردة. ولو أن جونكل يستثني بعضها خاصة مزامير المراثي الموسومة بـ"أنا" وبعض مزامير الشكر، ويتفق مع جونكل معظم العلماء الآخرين معتبرين أن المزامير التي تضمَّنها كتاب المزامير معظمها طقسية ومستخدمة في الهيكل.

ويتفق الآن الجميع – من جهة تطور المزامير – على أن المزامير في أصلها عتيقة جداً منذ أول تشكيل الأُمة اليهودية كما نراها في تسابيح موسى النبي ومريم النبية. وقد نشأت في الأول على هيئة مجموعات لأفراد عظماء علمانيين أو رؤساء.

أمَّا من جهة تقسيم الشعب إلى أتقياء (حسيديم) وأبرار (صدوقين) فهذه دخلت التاريخ مؤخَّراً قبل الميلاد بمئتي سنة فقط. وقد اندرجت في طائفة الفريسيين، ذلك في تقدير كل العلماء ومنهم عالِم العهد القديم فايفر[2]. ولكن على العموم فإن كلمة "**الأتقياء**" حينما تأتي في المزامير فهي

(1) Heiler, *Das Gebet*, pp. 165 f, cited by Mowinckel, *op. cit.*, p. 85.
(2) Pfeiffer, *Introduction to Old Testament*, cited by Mowinckel, *op. cit.*, p. 86.

تعبِّر عن كل مَنْ هو أمين ليهوه وعن شعب الله ككل بالمقارنة مع الأُمم والخارجين. ولا يوافق العالِم جونكل على ذلك ولكنه يعتقد خطأً أن الذين تضلَّعوا في كتابة وتأليف المزامير هم أشخاص منتمون لطبقة "الأتقياء" وهم يعيشون في جماعات معتزلة (Conventicle) وهم من الطبقات الفقيرة "المساكين" أو من المتصوفين من الشعب «الهادئين في الأرض» (مز ٢٠:٣٥)، وهم القسم الأكبر الذين عانوا من الاضطهاد والظلم والجوع والغربة فانطلقوا يفصحون عن مشاعرهم بالمزامير، ووضعوا آلامهم وأمراضهم وتعاذيبهم في هدوء دون شكوى، كما ذاقوا معونات يهوه وتعزياته. ولكن كثيراً من العلماء يعتبرون رأي جونكل موافقاً لأوضاع الغرب فقط، وهو مستحدث على طبيعة الشعب الإسرائيلي. والرد عليه أن معظم المزامير التي ينطلق فيها الشخص متكلّماً عن نفسه، لا يُسمح قط أن يكون فرداً من أفراد الشعب، بل هو إمَّا الملك أو رئيس أو كاهن أو نبي أو نبيَّة، أي أنه يكون قائداً ومدبِّراً وقد أُعطي الإحساس والإلهام أن ينطق بلسان الفقير والمسكين والمظلوم وينعطف إليهم أشد العطف كإحساس ديني ملهم وموهوب له بصفته المسئول العام. كذلك فإن وصفه للأعداء والمقاومين والمبغضين والحاسدين هو مشاركة منه فيما يعانيه الشعب والطبقات الفقيرة وبالأكثر ما تعانيه الأُمة كلها من الذين هم من خارجها. أمَّا طبقات الأسينيين والثيرابيوتا فهي طبقات حديثة جدًّا على الشعب اليهودي ولم تُعرف إلاَّ في أيام المسيح وما قبله قليلاً، وهم المعتزلة، وكانت لهم مزاميرهم وتسابيحهم ولكنها كانت مختلفة عن مزامير الهيكل الطقسية المعترف بها. أمَّا «**الهادئون في الأرض**» The quiet in the land الذين أتى ذكرهم في مزمور ٢٠:٣٥ فقد أتى ذكرهم مرَّة واحدة في المزامير ولا يُقصد بهم طبقة معيَّنة، ولكن يُقصد بهم الشعب عموماً الذين يريدون أن يعيشوا في هدوء مع جيرانهم وذلك تمييزاً عن بعض الشعب المشاغب.

على أنه بعد الفحص الدقيق تأكَّد العلماء أنه لم تأتِ مزامير فردية في كتاب المزامير من خارج المسئولين عن جماعة الشعب رسمياً. فالطقس في الهيكل الذي تدين له المزامير مربوط بالتقليد الصارم وبالتالي بقوانين حاسمة من التوراة تمنع دخول التأليفات الفردية في طقس الهيكل. خاصة ونحن نتكلَّم هنا عن أصل المزامير والجذور الأُولى لفن تأليف المزامير - على أن هناك بعض المزامير قد أتت مؤخَّراً من بعض "مدارس الحكماء" التي كان يضمها الهيكل رسمياً وضُمَّت إلى كتاب المزامير كما يقول بذلك العالِم ماونكل(٣)، ولكن هذا لا ينطبق إطلاقاً على الأصول الأُولى التي تكوَّنت منها غالبية المزامير.

(3) Mowinkel, *op. cit.*, vol. II p. 87.

أمَّا المزامير المسمَّاة خطأً بمزامير "سليمان" فهي مجموعة غير قانونية عُرفت في القرن الأول قبل المسيح ولم تدخل قط في طقس التسبيح في الهيكل.

أمَّا التسبيح والغناء بالمزامير فكان يمكن استخدامها استخداماً خاصاً للناس والأفراد، مثل مزامير هالليل وهي المزامير من (١١٣-١١٨) التي يُسبَّح بها في البيوت في عيد الفصح، وهي في الطقس، وهي مستخدمة ومعروفة عند كل اليهود، وهي بطبيعة الحال مأخوذة من طقس خدمة الهيكل.

وأخيراً في القرن الثاني قبل المسيح دخلت المزامير في المجامع، ولكن ليس بالنشيد أو الغناء ولكنها استُخدمت في دروس المجامع كجزء من الكتب المقدَّسة بحسب القانون اليهودي باعتبارها "كلمات الله المقدَّسة". وقد صارت جزءاً من الصلوات في السيناجوج "المجامع" بدءاً من القرن الثاني قبل الميلاد كصلاة يومية بالنسبة للأتقياء(٤) ولكن بدون غناء أو آلات أو أي استخدام آخر.

واضح الآن أنه إن كانت المزامير في غالبيتها العُظمى طقسية ومُستخدمة في خدمة الهيكل، فيلزم أن يكون أصحابها ومؤلِّفوها هم من ذوي العلاقة بالهيكل وخدمة الهيكل والطقس، وبالتالي يتأكَّد لنا أنها فعلاً طقسية.

وتُبرهن المزامير نفسها عن حقيقة أنها من إنتاج أشخاص لهم علاقة جوهرية بالهيكل وخدمته، لأن أصحاب المزامير يذكرون علاقاتهم الداخلية والخارجية بالهيكل ونظامه وخدمته والتواجد فيه. فيقول البعض إنهم يعيشون فيه ويفكِّرون ويهتمون بكل ما فيه وطقوسه.

فذكر **الهيكل** (بيت الرب) يستغرق من المزامير هذه الأجزاء: (٧:٥)، (٤:١١)، (٦:١٨)، (٦:٢٣)، (٧:٢٤)، (٨:٢٦)، (٤:٢٧)، (٢:٢٨)، (٩:٢٩)، (٨:٣٦)، (٤:٤٢)، (٣:٤٣)، (٩:٤٨)، (١٤:٥٥)، (٤:٦٥)، (١٣:٦٦)، (٢٩:٦٨)، (٩:٦٩)، (١٧:٧٣)، (٧٤: ٣و٤و٧و٨)، (٢:٧٦)، (١:٧٩)، (٨٤ كلــه)، (١٣:٩٢)، (٤:١٠٠)، (٢:١١٤)، (١٩:١١٦)، (٢٦:١١٨)، (١٢٢ كله)، (٧:١٣٢)، (١٣٤ كله)، (٢:١٣٥)، (٢:١٣٨)، (١:١٥٠).

وأيضاً ذكر **جبل الهيكل**: (٦:٢)، (٤:٣)، (١:١٥)، (٣:٢٤)، (٣:٤٣)، (٤٨: ١و٢و١١)، (٢:٧٤)، (٧٨: ٥٤و٦٨)، (٩:٩٩)، (١:١٢٥)، (٣:١٣٣).

وأيضاً **المدينة المقدَّسة**: (٢١:٣١)، (٤:٤٦)، (١:٤٨)، (٢:٥٠)، (٣:٨٧)، (٨:٩٧)،

(4) Mowinckel, vol. II, p. 88, n. 8.

(١٠١:٨)، (١٠٢: ١٣و١٦و٢١)، (١٢٥: ١و٢)، (١٣٢:١٣)، (١٣٥:٢١)، (١٣٧ كله).

وأيضاً ذكر **المذبح بمفرده**: (٢٦:٦)، (٤٣:٤)، (٥١:١٩)، (٨٤:٣)، (١١٨:٢٧).

وأيضاً **الانشغال بالذبائح بصفة عامة**: (٤:٥)، (٢٧:٦)، (١١٦:١٧).

وأيضاً **المحرقات كذبائح قائمة بذاتها**: (٢٠:٣)، (٥٠:٨)، (٥١:١٩)، (٦٦: ١٣و١٥).

وذبائح تكميل النذر: (٢٢:٢٥)، (٥٠:١٤)، (٥٦:١٢)، (٦١:٨)، (٦٥:١)، (٦٦:١٣)، (٧٦:١١)، (١١٦: ١٤و١٨).

وذكر **ذبائح الشكر (الحمد) بمفردها**: (٥٠: ١٤و٢٣)، (٥٦:١٢)، (١٠٧:٢٢)، (١١٦:١٧).

وذكر **تقدمة البخور**: (٦٦:١٥)، (١٤١:٢).

فيذكر أصحاب المزامير هذه الطقوس الخاصة باهتمام ووقار وإعجاب بكل المسرَّة والفرح كموضوع حب وثقة واعتداد وسرور، وهكذا يكشفون أنه من خلال الطقس في الهيكل يختبرون الله لتقييم الحياة، فيطلبون يهوه ليجدوا فيه الأمان «ويستظلوا بظل جناحيه»:

+ «احفظني مثل حدقة العين. بظل جناحيك استرني.» (مز ١٧:٨)
+ «يَرْوَوْنَ من دسم بيتك، ومن نهر نعمك تسقيهم.» (مز ٣٦:٨)
+ «أصرخ إلى الله العلي، إلى الله المحامي عني، يُرسل من السماء ويخلّصني ...» (مز ٥٧:٢و٣)
+ «لأنك أنت يا الله استمعت نذوري. أعطيت ميراث خائفي اسمك.» (مز ٦١:٥)
+ «التصقت نفسي بك يمينك تعضدني.» (مز ٦٣:٨)
+ «بخوافيه يظلّلك، وتحت أجنحته تحتمي، ترس ومجن حقُّه.» (مز ٩١:٤)

لأن من عنده تنبع الحياة:

+ «لأن عندك ينبوع الحياة، بنورك نرى نوراً.» (مز ٣٦:٩)

وكل الينابيع تنبع من عنده:

+ «ومغنون كعازفين، كل ينابيعي فيكِ.» (مز ٨٧:٧) (مصحَّحة على الهامش)

وكاتب المزمور يكشف أنه استعلن الله في الهيكل: «لكي أبصر قوتك ومجدك كما قد رأيتك في

قدسك.» (مز ٦٣:٢)

ويحكي صاحب مزمور (٧٣) أنه قد يفقد صوابه وتزل قدماه لأنه رأى الشرير في سلامه وليس في موته شدائد، فيصرِّح قائلاً: «حتى دخلت مقادس الله، وانتبهت إلى آخرتهم» (مز ٧٣:١٧). وهكذا يكشف أن أتعاب نفسه وتفكيره وجد حلّها في هيكل الرب.

وكثيرون من أصحاب المزامير المتعلّقة بالهيكل يعلنون أنهم وجدوا سكنهم الحقيقي هناك وإقامة راحتهم وسلامهم، فقرَّروا أن يعيشوا في بيت الرب إلى الأبد. ويقسِّمها ماونكل إلى ثلاث درجات: مَنْ يزورون، ومَنْ يسكنون، ومَنْ يسكنون إلى الأبد.

مَنْ يزورون ليجدوا راحتهم:

+ «أمَّا أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك، أسجد في هيكل قدسك بخوفك.» (مز ٥:٧)
+ «يا رب مَنْ ينزل في مسكنك ...» (مز ١٥:١)
+ «فرحت بالقائلين لي إلى بيت الرب نذهب. تقف أرجلنا في أبوابك يا أُورشليم ... اسألوا سلامة أُورشليم ليسترح محبوك.» (مز ١٢٢: ١و٢و٦)

أمَّا مزامير السكنى فهي:

+ «يا رب ... مَنْ **يسكن** في جبل قدسك.» (مز ١٥:١)
+ «مَنْ يصعد إلى جبل الرب، ومَنْ **يقوم** في موضع قدسه: الطاهر اليدين والنقي القلب ...» (مز ٢٤: ٣و٤)
+ «طوبى **للساكنين** في بيتك. أبداً يسبِّحونك.» (مز ٨٤:٤)

أمَّا مزامير الذين يقيمون إلى الأبد فهي:

+ «إنما خير ورحمة يتبعانني كل أيام حياتي، وأسكن في بيت الرب **إلى مدى الأيام**.» (مز ٢٣:٦)
+ «واحدة سألت من الرب وإيَّاها ألتمس: أن أسكن في بيت الرب **كل أيام حياتي**. لكي أنظر إلى جمال الرب وأتفرَّس في هيكله.» (مز ٢٧:٤)
+ «أمَّا أنا فمثل زيتونة خضراء في بيت الله. توكَّلت على رحمة الله **إلى الدهر والأبد**.» (مز ٥٢:٨)
+ «الصديق كالنخلة يزهو، كالأرز في لبنان ينمو. مغروسين في بيت الرب، في ديار إلهنا يزهرون. أيضاً يثمرون في الشيبة ...» (مز ٩٢: ١٢-١٤)

وأيضاً الملتصقون بالرب وبهيكله يجدون أعلى البركات: «لأن يوماً واحداً في ديارك خير من ألف ... الرب يعطي رحمة ومجداً. لا يمنع خيراً عن السالكين بالكمال.» (مز ٨٤: ١٠و١١)

من هذا يتبيَّن كيف يردِّد أصحاب المزامير تعلّقهم بطقوس الهيكل كلها ويذكرونها بتدقيق وتفصيل في مزاميرهم.

وهكذا ننتهي إلى حقيقة عامة هي أن المزامير تشكَّلت في الهيكل ولحساب الهيكل وخدمة كل طقوسه، هذا ما انكشف لنا من وحدة القصد والاهتمام في كافة المزامير بالهيكل وكل متعلقاته.

وبالرغم من أن أصحاب المزامير يُقرُّون بضرورة الذبائح في مواضع كثيرة جداً: «ليذكر كل تقدماتك، ويستسمن محرقاتك. سلاه» (مز ٢٠: ٣)، إلاَّ أنهم يعودون دائماً ويرفعون من قيمة تقديم مزامير الغناء والشكر والتوسُّل كأساسيات في العهد مع يهوه:

+ «أغنّي للرب لأنه أحسن إليَّ.» (مز ١٣: ٦)
+ «أحمد الرب حسب برّه، وأرنّم لاسم الرب العلي.» (مز ٧: ١٧)
+ «والآن يرتفع رأسي على أعدائي حولي، فأذبح في خيمته **ذبائح الهتاف**، أُغني وأُرنّم للرب.» (مز ٢٧: ٦)

(يُلاحَظ هنا قوله: «في خيمته» وليس في هيكله مما يكشف أقدمية المزمور عن الهيكل).

+ «لأني كنت أمرُّ مع الجمَّاع، أتدرَّج معهم إلى بيت الله، بصوت ترنُّم وحمد، جمهور معيِّد.» (مز ٤٢: ٤)
+ «فآتي إلى مذبح الله، إلى الله بهجة فرحي. وأحمدك بالعود يا الله إلهي.» (مز ٤٣: ٤)
+ «يا رب افتح شفتيَّ، فيُخبر فمي بتسبيحك. لأنك لا تُسر بذبيحة وإلاَّ فكنت أقدِّمها، بمحرقة لا ترضى، ذبائح الله هي روح منكسرة. القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره ... حينئذ تُسرُّ بذبائح البر محرقة وتقدمة تامة.» (مز ٥١: ١٥-١٧ و١٩)
+ «فأنا أيضاً أحمدك برباب، حقَّك يا إلهي. أرنّم لك بالعود يا قدوس إسرائيل. تبتهج شفتاي إذ أُرنّم لك ونفسي التي فديتها. ولساني أيضاً اليوم كله يلهج ببرك.» (مز ٧١: ٢٢-٢٤)

وغيره كثير جداً.

وأيضاً المقارنة بين الذبائح والقلب الشاكر الحامد المرتّل والمغنّي: «بذبيحة وتقدمة لم تُسرّ، أذنيَّ فتحت. محرقة وذبيحة خطية لم تطلب. حينئذ قلت: هأنذا جئت، بدرج الكتاب مكتوب عني: أن أفعل

مشيئتك يا إلهي سررت وشريعتك في وسط أحشائي، بشَّرت ببرٍّ في جماعة عظيمة.» (مز ٤٠: ٦-٩)

كذلك يؤكّد أصحاب المزامير أن موسيقى الهيكل والغناء فيه هي بكل تأكيد متمشية مع الإلهام الذي ينال صاحب المزمور:

+ «فمي يتكلّم بالحِكَم، ولهج قلبي فهم. أميل أذني إلى مثل، وأوضِّح بعود لغزي!!» (مز ٤٩: ٣و٤)

لذلك أصبح أمامنا بديهية أن نجد أصحاب المزامير من بين المغنين للهيكل. ومعروف عن المغنين واللاويين خدام المذبح أنهم طبقة فقيرة، لذلك نسمع نغمة الفقراء والمساكين والمعوزين بكثرة في المزامير. على أن هذه الأوصاف من فقر وعوز واضطهاد وظلم لا تغيب عن غالبية شعب إسرائيل إزاء الطبقات المسيطرة على الخيرات. لذلك يعتبر ذكر هذه الأعواز والاضطهادات والظلم والفقر والمرض لا يأتي لأصحاب المزامير من المستوى الاجتماعي أو السياسي، ولكن من المستوى الشعبي والديني كما برؤية الله! لذلك نجد بعض المزامير تعمل مقارنة بين الأغنياء والفقراء في الشعب الواحد:

+ «اصغوا يا جميع سكان الدنيا، عالٍ ودون، أغنياء وفقراء، سواء ... الذين يتكلون على ثروتهم وبكثرة غناهم يفتخرون ... لا تخش إذا استغنى إنسان، إذا زاد مجد بيته لأنه عند موته كله لا يأخذ، لا ينزل وراءه مجده» (مز ٤٩: ١و٢و٦و١٦و١٧)
+ «القليل الذي للصديق خير من ثروة أشرار كثيرين. لأن سواعد الأشرار تنكسر وعاضد الصديقين الرب.» (مز ٣٧: ١٦و١٧)

علاقة أصحاب المزامير بأنبياء الهيكل:

مَنْ هُمْ أنبياء الهيكل؟

نظرة إلى الوراء:

عندما أكمل موسى طقس رسامة الكهنة خلفاً لهارون (خر ٢٩ كله) وحدَّد خدمتهم وملابسهم: «وهارون وبنوه أقدِّسهم لكي يكهنوا لي» (خر ٢٩: ٤٤)، وسلَّم هارون ومن بعده الصدرة التي يلبسها الكاهن على صدره وفيها **"الأوريم والتميم"** لتكون على قلب هارون (والكهنة بعد ذلك) عند دخوله أمام الرب، فيحمل هارون (والكاهن من بعده) قضاء بني إسرائيل على قلبه أمام الرب. هذا الأوريم والتميم كان عند الكهنة واسطة الوحي ليعرف به الكاهن جواب الله عن كل ما يُطرح عليه. وكان الكاهن يتساوى مع الرائي مثل صموئيل النبي: فحينما كانوا يفتّشون عن شاول بن قيس تقدَّموا إلى صموئيل النبي يسألونه من الرب عن مكان اختبائه:

+ «فسألوا أيضاً من الرب هل يأتي الرجل أيضاً إلى هنا. فقال الرب (طبعاً على فم صموئيل النبي) هوذا قد اختبأ بين الأمتعة.» (١صم ١٠:٢٢)

كذلك أيضاً في أمر عخان بن كرمي في خيانته لإسرائيل لمَّا صرخ يشوع للرب بعد الكسرة:

+ «فقال الرب ليشوع قم، لماذا أنت ساقط على وجهك قد أخطأ إسرائيل» (يش ٧: ١٠و١١)

وهكذا بدأ التفتيش على الرجل بواسطة الرب نفسه الذي كان يعيِّن السبط ثمَّ العشيرة ثمَّ البيت حتى اكتشفوا الرجل.

وقد يمتنع الرب عن الإجابة كما في حالة شاول: «فسأل شاول الله أأنحدر وراء الفلسطينيين أتدفعهم ليدِ إسرائيل. فلم يجبه في ذلك اليوم.» (١صم ١٤:٣٧)

ولمَّا ضعف السماع لدى الكهنة لصوت الرب بدأوا يستخدمون القرعة، أو كانوا يبيتون في الهيكل ليتقبَّلوا الإلهام في الحلم كما حدث مع صموئيل الصغير فسمع صوت الرب وتكلَّم معه.

ولكن تركَّزت عملية تقبّل الإلهام في بعض كهنة لهم هذا الإلهام وسمُّوهم بالكهنة الرائين، ومعهم الأنبياء الذين يدخلون حالة الدهش ecstasy ويعيشون فيها وكانوا يدعون Nebhîîm. كموقف إشعياء النبي لمَّا سألوه عن إهانات ربشاقي رسول ملك أشور: «فقال لهم إشعياء هكذا تقولون لسيدكم (حزقيا الملك) هكذا يقول الرب: لا تخف بسبب الكلام الذي سمعته الذي جدَّف عليَّ به غلمان ملك أشور. هأنذا أجعل فيه روحاً فيسمع خبراً ويرجع إلى أرضه وأُسقطه بالسيف في أرضه.» (إش ٣٧: ٦و٧)

وهكذا كان أنبياء الهيكل يدخلون في حالة روحية يُختطف فيها العقل، فيسمعون ويرون إلهامات من الله بحضور الرب ويمتلئون بالقوة ويتنبَّأون بكلمات الله وأعماله، كاشفين المستقبل وعمل الله فيه.

وكان الشعب يلجأ إلى هؤلاء الأنبياء ليجروا الأعمال الإعجازية أو يتقبَّلوا كلمات العزاء من الله. والمثل في سفر صموئيل الأول، حيث يذهب شاول عندما ضلَّت الأتن ليسأل «**رجل الله**» وكان صموئيل: «هوذا رجل الله في هذه المدينة والرجل مكرَّم كل ما يقوله يصير، لنذهب الآن إلى هناك لعلّه يخبرنا عن طريقنا التي نسلك فيها ... هوذا يوجد بيدي ربع شاقل فضة فأعطيه لرجل

الله فيخبرنا عن طريقنا ... لأن النبي اليوم كان يُدعى سابقاً الرائي ... والرب كشف أذن صموئيل قبل مجيء شاول بيوم ...» (١صم ٩: ٦و٨و٩و١٥)

هؤلاء هم أنبياء الهيكل الذين دُرِّبوا ليسمعوا أقوال يهوه(٥).

أمَّا الكهنة الذين استلموا الوظيفة بالوراثة وتسلَّحوا بالأوريم والتميم فقد تفرَّغوا لقيادة الشعب على أساس الطقوس والخدمات وعمل القضاء والفتاوي القانونية mispatîm والتمادي في استخراج القوانين. أمَّا أنبياء الهيكل "رجال الله" فقد استمروا في عملهم "كرجال الله Divine men" وكانت دعوة النبوَّة تأتي فجأة لأي إنسان كما جاءت على أليشع النبي وعاموس النبي، على أنه كان لهم مسبقاً استعداد للدخول في حالة الغيبوبة والرؤيا، وأصبحوا يعملون عمل الرائين السابقين: يرون الرؤى ويحلمون الأحلام ويسمعون صوت الله وينقلون كلمات الله المقدَّسة التي كان الروح يهمس بها لهم(٦)، أو حتى يحضر الله بروحه فيهم ويصبحون قوة فاعلة حقيقية(٧).

ولكن بقي هناك فارق واضح بين الكاهن والنبي في أمور الهيكل، علماً بأن صموئيل النبي كان كاهناً أيضاً كما كان كل من إرميا وحزقيال أعضاء في الأسرة الكهنوتية.

ولكن من هيئة هؤلاء الأنبياء الهيكليين قامت حركة رسمية تجديدية خرجت منها أسماء الأنبياء المشهورين الذين قاموا بعمليات النبوات الرسمية في إسرائيل، وتسجَّلت نبوَّاتهم وكتبهم المعروفة بالأنبياء الكبار والأنبياء الصغار، الذين ظلوا محتفظين بموهبتهم في تأليف المزامير.

وكذلك فإن المزامير أخذت كثيراً من النبوات وكلمات نبوية غاية في القوة والتعبير، لأن هيئة الأنبياء منذ الابتداء كان لها صلة قوية بالهيكل في أُورشليم(٨).

ونحن نجد هذه الصلة القوية المتداخلة في الهيكل في أيام النبي إرميا، حينما كان أنبياء الهيكل تحت السلطة الشرعية لأحد الكهنة، كما نسمعه من إرميا والرب يتكلَّم على فمه: «وكلِّم شمعيا النحلامي قائلاً: هكذا تكلَّم رب الجنود إله إسرائيل قائلاً: من أجل أنك أرسلت رسائل باسمك إلى

(5) Mowinckel, *op. cit.*, vol. II, p. 55.

(٦) **هام جدًّا**: نفس هذا الأسلوب تعمله الشياطين في الأشخاص الذين يتمرَّنون على خدمتهم.

(7) Mowinckel, in *JBL (Journal of biblical Literature)*, 54, 1934, pp. 199 ff.

(8) Mowinckel, *The Psalms in Israel's Worship*, pp. 55-56; Johnson, *The Cultic Prophet in Ancient Israel*, Cardiff, 1944.

كل الشعب الذي في أورشليم **وإلى صفنيا بن معسيا الكاهن وإلى كل الكهنة** قائلاً: قد جعلك الرب كاهناً عوضاً عن يهوياداع الكاهن لتكونوا وكلاء في بيت الرب لكل رجل مجنون ومتنبئ ...» (إر ٢٩: ٢٤-٢٦). وحتى أيضاً إلى زمان نحميا كان الهيكل له مهابته لدى الأنبياء: «فقلت أرجل مثلي يهرب ومن مثلي يدخل الهيكل فيحيا.» (نح ٦: ١١)

كما أن الأنبياء كان لهم سلطان أن يقدِّموا الذبيحة بروح الكاهن كما صنع إيليا النبي: «قال إيليا لجميع الشعب تقدَّموا إليَّ، فتقدم جميع الشعب، فرمَّم مذبح الرب المنهدم، ثم أخذ إيليا اثني عشر حجراً بعدد أسباط بني يعقوب ... وبنى الحجارة مذبحاً باسم الرب ... ثم رتَّب الحطب ... وكان عند إصعاد التقدمة أن إيليا النبي تقدَّم وقال أيها الرب إله إبراهيم وإسحق وإسرائيل، ليُعلم اليوم أنك أنت الله في إسرائيل وأني أنا عبدك وبأمرك فعلت كل هذه الأمور، استجبني يارب استجبني. ليعلم هذا الشعب أنك أنت الرب الإله وأنك أنت حوَّلت قلوبهم رجوعاً! فسقطت نار الرب وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ولحست المياه التي في القناة.» (١مل ١٨: ٣٠-٣٨)

هذه صورة لمدى صلة الأنبياء بالطقس وأهم ما فيه تقديم الذبيحة.

وقوة شكيمة الأنبياء في مواجهة الكهنة والملك ذاته كانت لا تقاوم: «فأرسل أمصيا كاهن بيت إيل (في إسرائيل) إلى يربعام ملك إسرائيل قائلاً: قد فتن عليك عاموس في وسط بيت إسرائيل، لا تقدر الأرض أن تطيق كل أقواله. لأنه هكذا قال عاموس: يموت يربعام بالسيف ويُسبى إسرائيل عن أرضه. فقال أمصيا **لعاموس: أيها الرائي** اذهب اهرب إلى أرض يهوذا وكُل هناك خبزاً وهناك تنبَّأ وأما بيت إيل فلا تعد تتنبَّأ فيها بعد لأنها مقدس الملك وبيت الملك. فأجاب عاموس وقال لأمصيا: لست أنا نبياً ولا أنا ابن نبي بل أنا راع وجاني جميز (لاحظ هنا كيف تقع روح النبوَّة على أشخاص عاديين) فأخذني الرب من وراء الضأن وقال لي الرب اذهب تنبَّأ لشعبي إسرائيل.» (عا ٧: ١٠-١٥)

وأيضاً إشعياء النبي وهو يُعنِّف بالنبوَّة كلاً من الكاهن والنبي اللذين أضلتهما الخمر بكل حزم وقوة: «ولكن هؤلاء أيضاً ضلوا بالخمر وتاهوا بالمسكر، الكاهن والنبي ترنَّحا بالمسكر ابتلعتهما الخمر تاها بالمسكر ضلاَّ **في الرؤيا** قلقا **في القضاء**» (إش ٢٨: ٧)

وكذلك إرميا في نبوته الدهرية عن بيت الله:

+ «ثم تأتون وتقفون أمامي في هذا البيت الذي دُعي باسمي عليه، وتقولون قد أُنقذنا حتى تعملوا كل هذه الرجاسات. هل صار هذا البيت الذي دُعي باسمي عليه مغارة لصوص في

أعينكم ... أصنع بالبيت الذي دعي باسمي عليه الذي أنتم متكلون عليه وبالموضع الذي أعطيتكم وآباءكم إيَّاه كما صنعت بشيلو. وأطرحكم من أمامي كما طرحت كل إخوتكم كل نسل أفرايم. وأنت فلا تصلِ لأجل هذا الشعب ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة ولا تلحّ عليَّ لأني لا أسمعك!» (إر ٧: ١٠-١٦)

وكان قد تعيَّن في أيام داود النبي كما هو مكتوب في (١أي ١٥: ٢٢) واحد من اللاويين الموهوبين الرائين الضاربين على الآلات رئيساً على جماعة الضاربين على آلة اسمها الحمل (تُرجمت باليونانية ᾠδῶν) (أي رئيساً للتسابيح، وتُرجمت بالإنجليزية leader of the music): «وكننيا رئيس اللاويين على الحمل مُرشداً في الحمل لأنه كان خبيراً» وكان يعمل مع المغنين (٢٧). ولكن العالِم ماونكل يشرح كلمة "الحمل" هذه بالنسبة لكننيا أنه كان رئيساً على الحكماء الموهوبين بتقبل الوحي أو الإعلان الإلهي[9] Master of the oracles. ويخبرنا أيضاً سفر أخبار الأيام الثاني عن لاوي رائي تنبَّأ علناً للشعب كله أمام الملك وهو كان من بني آساف هكذا: «وإن يحزئيل بن زكريا بن بنايا بن يعيئيل بن متنيا اللاوي من بني آساف كان عليه روح الرب في وسط الجماعة. فقال اصغوا يا جميع يهوذا وسكان أُورشليم وأيها الملك يهوشافاط. هكذا قال لكم الرب لا تخافوا ولا ترتاعوا بسبب هذا الجمهور الكثير، لأن الحرب ليست لكم بل لله» (٢أي ٢٠: ١٤و١٥). وهذا يكشف لنا أن الأنبياء اللاويين الموهوبين كانوا في خدمة الهيكل رسمياً تحت قيادة الكهنة. وهذا يأتي بنا إلى أن سجلات أخبار الأيام تؤكد لنا أن اللاويين المغنين هم موهوبون للنبوَّة ويستخدمون النبوَّة في صميم عملهم الغنائي. وهذا يعني أن غناء أصحاب المزامير اللاويين سواء بني آساف أو غيرهم إنما هو من منطلق الإلهام.

وقد ذُكر هذا رسمياً في (١أي ٢٥: ١) على يد داود: «وأفرز داود ورؤساء الجيش للخدمة بني آساف وهيمان ويدوثون **المتنبِّئين** بالعيدان والرباب والصنوج».

وهذا أيضاً يعني أن هيئة الأنبياء القديمة التي تكوَّنت لخدمة الهيكل من اللاويين قد سلَّمت للآخرين عملية الإلهام التي كانت من خواص قدامى الأنبياء. وهكذا فإن موهبة النبوَّة والإلهام والغناء كان ينظر إليها كإلهام إلهي، كانبثاق إلهام للحكمة على أعلى مستوى. وأحياناً المزمور ينطق بها نطقاً: «فاض قلبي بكلام صالح، متكلِّم أنا بإنشائي للملك. لساني قلم كاتب ماهر (حكيم)»

(9) Mowinckel, *op. cit.*, vol. II, p. 56.

(مز ٤٥: ١)، وبقية المزمور تكشف عن علو الموهبة وسمو النبوَّة التي انطبقت تماماً على المسيَّا الآتي!! «فمي يتكلّم بالحِكَمِ ولهج قلب فهم. أميل أذني إلى مثل وأوضّح بعود لغزي.» (مز ٤٩: ٣و٤)

هكذا كانت مواهب المغنين أصحاب المزامير في التأليف وفي العزف من صميم خدمتهم الهيكلية. كما ظلّ رئيس الكهنة حتى آخر زمانه قبل أن يخرب الهيكل على يديه له قدرة التنبُّؤ «إذ كان رئيساً للكهنة في تلك السنة تنبَّأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأُمة.» (يو ١١: ٥١)

وكان من ضمن الطقس في الاحتفالات أن النبي كان عليه أن يرد رداً من الله على سؤال وعناء المصلّي، وكان الرد يأتي في مكانه في أثناء العبادة، ولكن التعبيرات والكلمات كانت تُترك للنبي. وكانت كلمات الرد يمكن أن تأتي بتعبيرات العبادة مثل جملة الحِلّ والمغفرة التي تُقال في ختام الخدمة حالياً، كما يمكن أن يأتي ذلك في وعود النبي داخل المزمور، ولكن علينا أن نبحث هل كان الرد على السائل المتألّم يأتي عن طريق الكاهن الخديم أم عن طريق النبي، لأنه لا يوجد ما يحتّم أن يكون ذلك من اختصاص الكاهن دون غيره(١٠).

على أنه من منطوق اللفظ يتحدَّد قول الكاهن الذي لا يخرج عن الرد القانوني [اعمل هذا الشيء] كأمر قانوني، أو على هيئة صيغة تعليمية [إن حدث هذا الأمر فعليك أن تعمل كذا وكذا].

ولكن الحادث في المزامير أن الإلهام للنبي يأتي بصيغة نبوية حرَّة كما استلمنا في المزامير وعود الله، فكلها داخلة في صيغة أقوال الأنبياء المعروفة، هذا يعني أن ردود يهوه تأتي بالإلهام للأنبياء من داخل المزمور أثناء تأدية الخدمة. وعلى حسب ما رأينا في سفر أخبار الأيام (٢أي ٢٠: ١٤و١٥) فإن وعود يهوه في الاحتفالات الطقسية كلها أتت على لسان المغني أو اللاوي، ولكن يمكن أن يكون النبي أيضاً كاهناً كما رأينا في (إر ١: ١)، (حز ١: ٣) كما يأتي:

+ «كلام إرميا بن حلقيا من الكهنة الذين في عناثوث في أرض بنيامين، الذي كانت كلمة الرب إليه في أيام يوشيا بن آمون ملك يهوذا في السنة الثالثة عشر من ملكه.» (إر ١: ١و٢)

(10) Mowinckel, *op. cit.*, vol. II, p. 58.

+ «في الخامس من الشهر وهي السنة الخامسة من سبي يوياكين الملك. صار كلام الرب إلى حزقيال الكاهن بن بوزي في أرض الكلدانيين عند نهر خابور.» (حز ١: ٢و٣)

ولكن في أيام الملك الواحد (إسرائيل ويهوذا) كانت وعود الله يمكن أن تأتي أيضاً على فم الكاهن الخديم، وكانت النبوَّة تأتي بقوة تأثيرية شديدة حينما ينطق الكاهن الإعلان كنبي وبالصورة التقليدية كما كان يتكلّم الأنبياء:

وفي المزمور ٢ يتضح استجابة الله للتضرُّع:

مز ٢: ٦: «أمَّا أنا فقد مَسَحت ملكي على صهيون جبل قدسي».

إن لم يكن داود نفسه يتكلّم عن ابنه سليمان.

كذلك نجد استجابة الله في بعض مزامير المراثي والتضرُّع سواء للجماعة أو الأفراد:

مز ٦٠: ٦و٧: «الله قد تكلّم بقدسه: أبتهج أقسم شكيم وأقيس وادي سكوت، لي جلعاد لي منسّى، إفرايم خوذة رأسي، يهوذا صولجاني».

مز ٩١: ١٤-١٦: «لأنه تعلّق بي أنجيه، أُرفّعه لأنه عرف اسمي، يدعوني فأستجيب له، معه أنا في الضيق، أنقذه وأمجّده، من طول الأيام أشبعه وأُريه خلاصي».

مز ١٢: ٥: «من اغتصاب المساكين من صرخة البائسين الآن أقوم يقول الرب. أجعل في وسع الذي يُنفثُ فيه».

مز ٢٠: ٤و٥: «ليعطك (الرب) حسب قلبك ويتمّم كل رأيك ... ليكمّل الرب كل سؤلك».

مز ٢١: ٨: «تصيب يدك جميع أعدائك، يمينك تصيب كل مبغضيك».

مز ٣٥: ٣: «... قل لنفسي خلاصُكِ أنا».

مز ٦٢: ١١: «مرَّة واحدة تكلّم الرب وهاتين الاثنتين سمعتُ أن العزة لله ...».

ويُلاحَظ أن ردود الله تأتي أحياناً طبق الأصل مكرَّرة في مواقف كثيرة، لأنها أخذت شكلاً واحداً في الليتورجيا، وقليلاً ما تأخذ كلمات جديدة، كما نجدها في مزمور (٦٠) لحالة معيَّنة جداً، ثمَّ نجدها في مزمور (١٠٨) طبق الأصل ولكن في حالة أخرى.

وكثيراً ما يأتي الوعد بنفس المفهوم: فمثلاً في (مز ٣:٣٥): «قل لنفسي خلاصُكِ أنـا»، ثـمَّ في مزمور (١٤:٢٧): «انتظر الرب، ليتشدَّد وليتشجَّع قلبك، وانتظر الرب». وهـذا الأسلوب نفسه أخذه إشعياء النبي هكذا:

إش ٤١:٨-١٣: «وأمَّا أنت يا إسرائيل عبدي، يا يعقوب الـذي اخترته، نسل إبراهيم خليلي، الـذي أمسكته من أطراف الأرض ومن أقطارها دعوته، وقلت لك أنت عبـدي اخترتك ولم أرفضك. لا تخف لأني معك. لا تتلفَّت لأني إلهك، قد أيدتك وأعنتك وعضدتُك بيمين بري. إنه سيخزى ويخجل جميع المغتاظين عليك. يكون كلا شيء مخاصموك ويبيدون. تفتش على منازعيك ولا تجدهم، يكون محاربوك كلا شيء وكالعدم. لأني أنا الرب إلهك الممسك بيمينك، القائل لك لا تخف أنا أعينك».

إش ٤١:١٤-١٦: «لا تخف يا دودة يعقوب يا شرذمة إسرائيل، أنا أعينك يقول الرب، وفاديك قدوس إسرائيل. ها أنذا قد جعلتك نورجاً محدداً جديداً ذا أسنان تدرُسُ الجبال وتسحقها وتجعل الآكام كالعاصفة. تذريها فالريح تحملها والعاصف تبدِّدها وأنت تبتهج بالرب، بقدوس إسرائيل تفتخر».

ثمَّ يعود في الأصحاح (٤٣: ١-٣) ويردِّد نفس المعنى:

إش ٤٣:١-٣: «والآن هكذا يقول الرب خالقك يا يعقوب وجابلك يا إسرائيل، لا تخف لأني فديتك. دعوتك باسمك أنت لي. إذا اجتزت في المياه أنا معك وفي الأنهار فلا تغمرك، إذا مشيت في النار فلا تُلذَع واللهيب لا يحرقك. لأني أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلِّصك».

ثمَّ يعود في الأصحاح (٤٨) يردِّد نفس الدعاء والتشجيع:

إش ٤٨:١٧-١٩: «هكذا يقول الرب فاديك قدوس إسرائيل. أنا الرب إلهك معلمك لتنتفع وأمشيك في طريق تسلك فيه. ليتك أصغيت لوصاياي فكان كنهر سلامك وبرّك كلجج البحر. وكان كالرمل نسلك وذرية أحشائك كأحشائه لا ينقطع ولا يُباد اسمه من أمامي».

ثمَّ يعود إشعياء يكرِّر الدعاء والبركات بنفس المعنى ولكن الكلمات ربما تتغيَّر:

إش ٤٩:٧و١٤-١٦: «هكذا قال الرب فادي إسرائيل قدوسه، للمهان النفس لمكروه الأُمة لعبد المتسلِّطين، ينظر ملوك فيقومون. رؤساء فيسجدون لأجل الرب الذي هو أمين وقدوس إسرائيل الذي قد اختارك ... وقالت صهيون قد تركني الرب وسيدي نسيني! هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها. حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساكِ. هوذا على كفَّيَّ نقشتكِ أسوارِكِ أمامي دائماً».

إش ٥١: ٧ و ٨: «اسمعوا لي يا عارفي البر، الشعب الذي شريعتي في قلبه: لا تخافوا من تعيير الناس ومن شتائمهم لا ترتاعوا. لأنه كالثوب يأكلهم العث وكالصوف يأكلهم السوس، أمَّا برِّي فإلى الأبد يكون وخلاصي إلى دور الأدوار».

إش ٥٤: ٤ - ٨: «لا تخافي لأنكِ لا تخزين ولا تخجلي لأنك لا تستحين. فإنكِ تنسين خزي صباكِ وعار ترمُّلكِ لا تذكرينه بعد. لأن بعلكِ هو صانعكِ رب الجنود اسمه ووليكِ قدوس إسرائيل إله كل الأرض يُدعى. لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاكِ الرب وكزوجة الصبا إذا رُذلتْ قال إلهكِ. لحيظة تركتكِ وبمراحم عظيمة سأجمعكِ. بفيضان الغضب حجبت وجهي عنكِ لحظة وبإحسان أبدي أرحمكِ قال وليكِ الرب».

ولكن لنا ملاحظة هامة جداً، فإن كانت الاستجابة بالمعونة والمؤازرة لإسرائيل سارت عبر هذه المزامير، ولكن حدث في النهاية تغيُّر واضح في المضمون لتنكشف حقيقة إسرائيل فتصبح وكأنها شخص واحد: «هكذا قال الرب فادي إسرائيل قدوسه للمهان النفس لمكروه الأُمة لعبد المتسلِّطين ...» (إش ٤٩:٧)

كما نلاحظ أن المخاطب يكون أحياناً "أنت" كما في مزمور (١٤:٢٧)، وأحياناً أخرى "هو" كما في مزمور (٥:١٢). هنا يكون النبي أو الكاهن الوسيط ينقل إما للذي من أجله المزمور (لك أقول)، أو ينقل كلام الله فيردده بصفة الغائب "قل له".

وكان على الذي قيل المزمور من أجله أن يرد على وعود الله بالمعونة، يرد بالشكر أو تقديم الذبيحة أو التسبيح.

وأحياناً يقف صاحب المزمور كنبي ملهم يسمع صوت القدير ويفهمه ويبلِّغه:

مز ٨٥: ٨: «إني أسمع ما يتكلَّم به الله الرب، لأنه يتكلَّم بالسلام لشعبه ولأتقيائه، فلا يرجعن إلى الحماقة».

وفي مزمور سابق (٨١:٦) يحكي كيف أن صاحب المزمور كرائي ونبي كان يدخل في الغيبوبة ويسمع صوت الله الذي لم يكن قد سمعه قبل ذلك قط، ثمَّ ينقل مؤداه بتعبير تاريخي بديع:

مز ٨١:٥-٧: «جعله شهادة في يوسف عند خروجه على أرض مصر، سمعتُ لساناً لم أعرفه: أبعدتُ من الحمل كتفه، يداه تحولتا عن السَّل. في الضيق دعوتَ فنجيتكَ، استجبتكَ في ستر الرعد. جرَّبتك على ماء مريبة!»

هنا التحم الطقس بالرؤيا بالعبادة بالإلهام مع الإعلان عن قول يهوه. فهذه مزامير طقسية حقيقية تحمل وعوداً تدخل في صميم الخدمة الهيكلية، وهي ليست تشبيهات مأخوذة من التاريخ القديم.

وهناك أنبياء هيكل أعلنوا صراحة عن قدرتهم على الانفتاح على صوت الله لتقبُّل الإلهام والتوجيه مثل حبقوق النبي:

حب ١:١و٢: «الوحي الذي رآه حبقوق النبي: حتى متى يا رب أدعو وأنت لا تسمع، أصرخ إليك من الظلم وأنت لا تخلِّص!»

حب ٢:١-٣: «على مرصدي أقف وعلى الحصن أنتصب وأراقب ماذا يقول لي؟ وماذا أجيب عن شكواي؟ فأجابني الرب وقال: اكتب الرؤيا وانقشها على الألواح لكي يركض قارئها. لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد وفي النهاية تتكلَّم ولا تكذب، إن توانت فانتظرها لأنها ستأتي إتياناً ولا تتأخر»

ووعود الله التي أخذها أنبياء الهيكل في مزامير التضرُّعات، أخذوها أيضاً في مناسبات طقسية أخرى مثل المناسبات الملكية وأعيادها، ففي احتفالات المسحة وتذكارها توجد مزامير ذات وعود إلهية جميلة وواضحة:

مز ٢:٧: «إني أُخبر من جهة قضاء الرب: قال لي أنت ابني أنا اليوم ولدتُك.
٨: اسألني فأعطيك الأُمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض ملكاً لك».
مز ١١٠:١: «قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك.
٢: يرسل الرب قضيب عزِّك من صهيون تسلَّط في وسط أعدائك.

٤: أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق.»
مز ١٣٢:١٠: «من أجل داود عبدك لا ترد وجه مسيحك
١١: أقسم الرب لداود بالحق لا يرجع عنه، من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك!»
مز ٨٩:٣: «قطعت عهداً مع مختاري حلفت لداود عبدي.
٤: إلى الدهر أُثبِّت نسلك وأبني إلى دور فدور كرسيك. سلاه.
٢٧-٢٩: أنا أيضاً أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض.
إلى الدهر أحفظ له رحمتي وعهدي يُثبَّت له،
وأجعل إلى الأبد نسله وكرسيه مثل أيام السموات.
٣٦: نسله إلى الدهر يكون وكرسيه كالشمس أمامي
٣٧: مثل القمر يُثبَّت إلى الدهر والشاهد في السماء أمينٌ. سلاه».

وكل مشاعر إسرائيل من نحو ملكها تستعلن جدًّا في البركات المنطوقة عند تكريس الملك التي يتقبَّلها نبي الهيكل باسم الشعب للملك، حيث تصب الإلهامات في الصفات التي يمنحها له الله مع الأعمال العظيمة التي سيقوم بها بقوة يهوه: نصرة وسعادة وعظمة فوق كل ملوك الأرض.

وتتبادل في مزامير الملك استجابة الله بين الوعود والشفاعة كمزموري ٢٠، ٢١ اللذين نطقهما النبي عند الاستعداد للحرب، وهما يحملان وعود النصرة والمعونة، ولكنهما يبتدئان بالتشفُّع من جهة الشعب.

(مز ٢٠) دعاء: «ليستجب لك الرب في يوم الضيق ليرفعك اسم إله يعقوب ∴ ليرسل لك عوناً من قدسه ومن صهيون ليعضدك.
ليذكر كل تقدماتك ويستسمن محرقاتك سلاه ∴ ليعطك حسب قلبك ويتمِّم كل رأيك.
"الإلهام بالنبوَّة": الآن عرفت أن الرب مخلِّص مسيحه، يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه.
مع التأكيد: هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل أما نحن فاسم الرب إلهنا نذكر. هم جثوا وسقطوا، أمَّا نحن فقمنا وانتصبنا.
دعاء: يا رب خلِّص. ليستجب لنا الملك في يوم دُعائنا!»

(مز ٢١) دعاء حالي: «يا رب بقوتك يفرح الملك، وبخلاصك كيف لا يبتهج جدًّا ∴ شهوة قلبه

أعطيته وملتمس شفتيه لم تمنعه. سلاه.
لأنك تتقدَّمه ببركات خير، وضعت على رأسه تاجاً من إبريز ∴ حياة سألك فأعطيته. طول الأيام إلى الدهر والأبد.
عظيم مجده بخلاصك، جلالاً وبهاءً تضع عليه ∴ لأنك جعلته بركات إلى الأبد. تُفرحه ابتهاجاً أمامك.
دعاء لعنة: تُصيب يدك جميع أعدائك، يمينك تصيب كل مبغضيك ∴ تجعلهم مثل تنور نار في زمان حضورك. الرب بسخطه يبتلعهم وتأكلهم النار.
تُبيد ثمرهم من الأرض، وذريتهم من بين بني آدم ∴ لأنهم نصبوا عليك شراً تفكَّروا بمكيدة لم يستطيعوها.
دعاء بركة: ارتفع يا رب بقوتك، نُرنّم ونُنغّم بجبروتك».

أمَّا المزمور (٧٢) فكله رغبات حسنة ووعود وثقة:

رغبات طيبة: «اللهم أعطِ أحكامك للملك وبرك لابن الملك ∴ يدين شعبك بالعدل ومساكنك بالحق.
تحمل الجبال سلاماً للشعب والآكام بالبر.
يشرق في أيامه الصديق وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر.
وعود وثقة: يسجد له كل الملوك، كل الأمم تتعبَّد له ∴ لأنه ينجِّي الفقير المستغيث والمسكين إذ لا معين له.
نبوات: يعيش ويعطيه من ذهب شبا، ويصلى لأجله دائماً. اليوم كله يباركه».

ملاحظة هامة: في المزامير ٢٠ و٢١ و٧٢ أعلاه كل الدعاء الذي يقوم به النبي في المزمور وهو يرنّم به في الهيكل أمام الله هو في الحقيقة بحسب عقيدة إسرائيل صلاة مستجابة مرفوعة إلى الله، ينتظر الشعب تحقيقها برجاء وتأكيد، لأن النبي صوته مسموع لدى الله وهو يعبِّر عن طلبات الشعب والملك. هذا هو طقس دعاء النبي داخل الصلاة باسم الشعب.

وهذه العقيدة الثابتة في الأنبياء لم تأتِ في تاريخ إسرائيل من فراغ، فقد أراهم الله كيف صلَّى إيليا النبي فأغلق السماء، وكيف صلَّى أيضاً فنزل المطر إلى الدرجة التي فيها حذر إيليا أخآب الملك

أن ينزل سريعاً من على الجبل لأنه سيصلِّي وسينزل المطر فكان! (١مل ١٨و١٩). وكانت ردود الله دائماً على صلوات ورجوات ودموع الشعب تأتي على فم نبي الهيكل للشعب! لذلك كانت وظيفة أنبياء الهيكل أن يقدِّموا مزامير التضرُّع التي للشعب أمام الله في الخدمة في أوانها عن ثقة ويقين أن يسمع الله للشعب عن طريق نبي الهيكل. من هنا جاءت مزامير التضرُّع ولها صيغة المتكلِّم "أنا" **نيابة عن الشعب وعن الملك أيضاً**.

تطوُّر كبير في استجابة الله لصلوات الشعب والأنبياء:

قد عرضنا المزامير التي تأتي فيها وعود الله على فم نبي الهيكل وأهمها المزامير الخاصة بعيد الحصاد، وهي تختص بتوالي الاحتفالات التي يشترك فيها الشعب، وفيها طقوس المناسبة وبها النبوات التي تخص الشعب وخاصة جدًّا النبوات من أجل النصرة والسعادة والتمنيات الطيبة والخصوبة للأرض والشعب، وكل طبقات الشعب المحب ليهوه وعائلة الملك وما يناسبها من السلام والرجاء وغلبة الأعداء الذين يضايقون إسرائيل بل وكل قوى الشر:

(مز ٨٩: ٢٠-٣٢): «وجدت داود عبدي بدهن قدسي مسحته ∴ الذي تثبت يدي معه أيضاً ذراعي تشدِّده.
لا يرغمه عدو وابن الإثم لا يذلله ∴ وأسحق أعداءه أمام وجهه وأضرب مبغضيه».

(مز ١٣٢: ١١و١٨): «أقسم الرب لداود بالحق لا يرجع عنه. من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك. أعداءه أُلبس خزياً وعليه يُزهر إكليله».

هذه المزامير واضح فيها العنصر الملكي بكل الدعاء وكل مناصبة الأعداء، ولكنها مزامير قديمة جدًّا أيام المملكة الواحدة، الأيام التي يظهر فيها يهوه في مزامير السنة الجديدة كما هو واضح في مزمور (٨١):

(مز ٨١: ١ - ٤): «رنِّموا لله قوتنا اهتفوا لإله يعقوب ∴ ارفعوا نغمة وهاتوا دفًّا، عوداً حلواً مع رباب، انفخوا في رأس الشهر بالبوق عند الهلال ليوم عيدنا. لأن هذا فريضة لإسرائيل حكم لإله يعقوب».

ولكن في الأيام الأخيرة بعد ذلك اختفت هذه النغمة التي بملء الرجاء والثقة، ودخل مزامير النبوات عنصرٌ جديد هو إعادة قيام وبناء إسرائيل، وأصبح هو رجاء الشعب بالنسبة للمستقبل، بمعنى أنه دخل على عنصر النبوَّة عنصر الأخرويات، وأصبحت نبوَّة للمستقبل الذي يترجَّاه كل

الشعب بتدخُّل إعجازي من يهوه، حيث تأتي النبوات معلنة مجيء يهوه ليحكم ويدين الذين وقعت إسرائيل تحت ظلمهم ونقمتهم وهي تتنهَّد وتشكو، فتجيء النبوَّات كاستجابة لصراخ الشعب لإعادة قيام إسرائيل سياسياً وخلقياً. وأصبح هذا العنصر الجديد هو الأساسي في احتفالات السنة الجديدة. وهنا أصبحت النبوَّة ممزوجة بالصلاة.

مز ٨٢: (١و٢): «الله قائم في مجمع الله في وسط الآلهة يقضي ∴ حتى متى تقضون جوراً وترفعون وجوه الأشرار. سلاه.
(٣): اقضوا للذليل ولليتيم. انصفوا المسكين والبائس.
(٨): قم يا الله دن الأرض لأنك أنت تمتلك كل الأُمم».

ويأتي مزمور (٧٥) يمتزج فيه الحمد والشكر والتسبيح مع الشكوى والأنين وصراخ الشعب.

مز ٧٥: (١): «نحمدك يا الله نحمدك، واسمك قريب، يحدِّثون بعجائبك.
(٤): قلت للمفتخرين: لا تفتخروا، وللأشرار لا ترفعوا قرناً.
(٦و٧): لأنه لا من المشرق ولا من المغرب ولا من برية الجبال ∴ ولكن الله هو القاضي هذا يضعه وهذا يرفعه.
(٩): أما أنا فأخبر إلى الدهر. أرنِّم لإله يعقوب!».

وبعد سقوط أُورشليم سنة ٥٨٧ ق.م، وظهور حجاي الذي كان يحلم بمجيء عصر جديد يُمسح فيه ملوك من عائلة داود النبي، وببدء تولِّي زربابل رئيس الشعب المنحدر من نسل يهوياكين (الجيل الثالث)، اعتقد حجاي النبي أن زربابل سيكون هو مسيح الرب، ولكن زربابل لم يصر ملكاً، وبدأ عصر المزامير التي أخذ الأنبياء فيها بالآمال بعودة وبناء المملكة خاصة بعد انهيار بابل.

وكان عيد السنة الجديدة هو محط آمال الأنبياء في المزامير، فاختلطت الإلهامات بالطقوس بالعيد، وتمادى الأنبياء بالتنبُّؤ بالنعمة ورضى الله من داخل خدمة الهيكل. وقد علَّق أهل هذا الزمان على نبوات هؤلاء المختصين بخدمة الهيكل بأن نبواتهم كانت ذات فاعلية وكانت تعلن عن المستقبل حقاً، بل ويتمادى القوم بالتأكيد على قدرة النبوات على تشكيل هذا المستقبل الذي يسعون إليه[11]. فنبوة السعادة تنشئ سعادة. وكان الملوك يتهافتون على الأنبياء وقت الضيق والخطر حتى

(11) Mowinckel, *op. cit.*, vol. II, p. 65.

يسمعوا منهم كلمة رجاء وانتصار، فانتهزها الأنبياء الكذبة وبدأوا يظهرون في الميدان. وقصة اتحاد ملك إسرائيل مع ملك يهوذا لمحاربة آرام، وتبارى حوالي ٤٠٠ نبي كاذب وأبدوا معاً نبوة نصرة هذين الملكين هي أكبر مثال، ولكن جاء من يهوذا فقير غير معتد به وتحدَّى الأربعمائة نبي أنهما سيخسران الحرب. والقصة مشوِّقة للغاية (١مل ٢٢)، ولكن صِدق هذا النبي في نبوته - وهو ميخا بن يملة - تأكد وخسروا الحرب. وهكذا ثبت لنا بالتاريخ قوة صدق هؤلاء الأنبياء، وهكذا كان الشعب وملكه يتعلَّقون على كلمة من فم نبي صادق. هؤلاء كانوا يدعون أنبياء التجديد الذين لا يخضعون لأهواء الشعب ولا يخشون بطش الأنبياء الكذبة.

وبضعف الأنبياء ظهرت حالة الالتجاء إلى إشارة أو استخدام القرعة أو إظهار علامة (آية) مثل (مز ٨٦:١٧): «اصنع معي آية (sign = علامة) للخير فيرى ذلك مبغضيّ فيخزوا، لأنك أنت يا رب أعنتني وعزَّيتني». وقد تكون العلامة للخير "نعم" أو للشر "لا". والعلامة "بلا" ليس بالضرورة بالقطع إذ يمكن أن لا يجيب الرب كما حدث في حالة شاول (١صم ٢٨:٦)، وكان الجواب بنعم لداود (١صم ٣٠:٨) وكان بنعم أيضاً لجدعون (قض ٦: ٣٦-٤٠).

وكان الأنبياء يلجأون إلى الأوريم والتميم الذي كان يعطي إشارة معينة يحسها رئيس الكهنة أو نبي الهيكل فيترجمها، ثمَّ تنزل هذه الكلمات النبوية في مزمور خاصة أثناء الخدمة، أو لنبي مقتدر مثل إشعياء النبي كما جاء في وعوده. وللتدليل بصحة نبوَّة كان النبي يكرِّرها في أكثر من مزمور كما جاء في مزمور (٦٠)، مزمور (١٠٨) بنفس الألفاظ:

(مزمور ٦٠)	(مزمور ١٠٨)
«الله قد تكلَّم بقدسه: أبتهج أقسم شكيم وأقيس وادي سكوت، لي جلعاد ولي منسى وإفرايم خوذة رأسي، يهوذا صولجاني موآب مرحضتي، على آدوم أطرح نعلي. يا فلسطين اهتفي عليَّ.» (مز ٦٠: ٦-٨) مع بقية أعداد (مز ٦٠: ٩-١٢).	«الله قد تكلَّم بقدسه: أبتهج أقسم شكيم وأقيس وادي سكوت لي جلعاد لي منسى، وإفرايم خوذة رأسي، يهوذا صولجاني موآب مرحضتي، على آدوم أطرح نعلي. يا فلسطين اهتفي عليَّ.» (مز ١٠٨: ٧-٩) مع بقية أعداد (مز ١٠٨: ١٠-١٣).

هنا الله "تكلَّم بقدسه" تعني "أقسم"، "أبتهج" هنا الله "قسَّم" الأرض كمحارب منتصر (يش ١٨:١٠)، إفرايم مركز الدفاع عن المملكة ويهوذا كرسي الحكم - شكيم غرب الأُردن موضع

هام وأيضاً سكوت (يش ١٣:٢٧). شكيم وسكوت أرض ذكرى الآباء حينما استقر فيها سبطا جاد ومنسى والله كأنه يقسِّم هذه الأرض بوفائه كأنها أرضه. وبقية الشعوب حولها شعوب مغلوبة يغسل فيها قدميه عند عودته من النصر، أما آدوم فمحتقرة، عليها أن تحمل حذاءه مغلوبة على أمرها. أمَّا فلسطين فعليها الصراخ وحسب.

والمُلاحَظ أن هذا هو رد يهوه من داخل مزمور الهيكل الذي تكرَّر مرَّتين تأكيداً للنبوَّة بالنصر واحتقار الأعداء.

فكانت ردود الله الباعثة على الفأل الحسن للخير تقع في روح العبادة اليهودية موقعاً عميقاً جداً ولها وزنها العالي في طبيعة الإيمان عند الشعب. ومعروف أن كل العقيدة الطقسية في العبادة لإسرائيل هي أصلاً قائمة على العهد والاختيار، والاعتقاد بأمانة يهوه للعهد ومقاصد الله الحسنة نحو إسرائيل.

فالله لا يستطيع أن ينسى عهده ويهمله، وهو لن يُخذل شعبه في الكوارث والأحزان، ولا يخذل البار إزاء الذين يوقعون به. فهو لابد أن يجعل لكل موقف ما يناسبه بالنسبة للخلاص الذي يحتويه "الاختيار". وكان الاعتقاد "بمجيء يهوه" في الاحتفال لتجديد العهد والاختيار. على ذلك وبكل ثقة ويقين يعمل خدام الهيكل بثقة من نحو الإلهام الذي وضعهم لهذه الخدمة بكل طقوسها التي دُعوا إليها، والذي على أساسه يعمل أنبياء الهيكل ويَعِدون الشعب بالمعونة والرحمة من يهوه. هذا الذي ورثته الكنيسة المسيحية في وقفة المسئولين فيها يسمعون أخطاء الشعب ويَعِدونه بالغفران الأكيد لكل خطاياهم من قِبَل الله.

والآن ومن جهة العهد والاختيار، فالشعب محسوب أنه "بار" بالرغم من عقوق بعض أفراده، ولكن الشعب ككل محسوب أنه شعب "الأمناء للعهد" أي "الحسيديم hasidhîm" وهم أعضاء مشتركون مع يهوه في العهد، وهذه الأسماء والألقاب لا تخلو منها المزامير، وذلك كله بالرغم من خطايا الخطاة أو انحراف الأُمة كلها فيما يغضب الله. والمزامير أيضاً تذكر هذه الأخطاء والمواقف التي انحرف فيها كل الشعب، ولكن يظل الشعب هو "الشعب البار": «في ذلك اليوم يغنَّى بهذه الأغنية في أرض يهوذا: لنا مدينة قوية، يجعل الخلاص أسواراً ومترسة. افتحوا الأبواب لتدخل **الأُمة البارة الحافظة الأمانة**، ذو الرأي الممكن تحفظه سالماً سالماً لأنه عليك متوكِّل. توكلوا على الرب إلى الأبد لأن في ياه الرب صخر الدهور.» (إش ٢٦: ١-٤)

فالمقصود من العبادة هو حفظ وقيام ودوام بر الشعب والبركة المنبثقة من ذلك. لذلك فكل عبادة مستديمة للشعب عامة هي مخططة على أساس شعب تقي، أي شعب ينبغي أن يكون على مستوى هذه العبادة بالحق. فكلمات الطقس ودعاؤه هي لسان حال الشعب كما ينبغي أن يكون وعلى أعلى مستوى. فالمقصود من هذه العبادة أن ترفع الشعب وتحفظه في هذا المستوى.

كذلك فأنبياء التجديد يؤكدون على الشروط المسبقة لرضاء الله وقد تمسكوا بهذا كما اعتمدوا على العبادة العامة كتجديد لروح الشعب والعهد، لأن مواعيد الله مربوطة أصلاً بحفظ وصايا الله. لذلك فالمعرفة الصحيحة للمزمور وللتقوى عامة في العبادة تلقي ضوءاً على معنى النبوَّة عامة وحركتها على ممر الزمن.

وبهذا أيضاً تدخل المزامير في فهمها الصحيح كوسيلة صلة وعبادة بين الشعب والله من خلال أنبياء الهيكل وطقس العبادة والترنُّم والتسبيح، مثلها مثل كتب الأنبياء الكبار والصغار.

وتقدِّم لنا المزامير أعلى حالات تجليات أنبياء الهيكل في المزمور (٥٠) الذي فيه يقدِّم النبي من خلال مزمور الخدمة، صوت يهوه بقوة وتوبيخ ومراجعة لكل شعب إسرائيل، بل لكل مفهومه عن عبادة يهوه وقيمة الذبيحة، كنموذج يصلح ليكون كتاباً للعبادة. ويقدِّمه النبي بصفة تراثي ليهوه في محفل العيد السنوي ليدين شعبه بكلمات نبوية على أساس القيمة الروحية للوصية وشروطها. ويأتي المزمور في صورة "إبيفانيا" (للظهور الإلهي) لتجديد العهد والتذكرة بوصايا الله الأساسية، وفي ختامه يستعلن المزمور قيمته المحفلية للعيد، عيد السنة الجديدة.

ورنَّة مزمور (٥٠) كرنَّة استعلان يهوه على جبل موسى، ومزمور (٨١) يكشف هذه الرنَّة بصورة واضحة:

(مزمور ٨١: ٨-١١): «اسمع يا شعبي فأحذرك، يا إسرائيل إن سمعت لي .·. لا يكن فيك إله غريب ولا تسجد لإله أجنبي.

أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر. أفغر فاك فأملأه .·. فلم يسمع شعبي لصوتي وإسرائيل لم يرض بي!»

وفي المزمور الخمسين يقدِّم نبي الهيكل ثلاث خطايا كبرى للشعب يقترفونها ويوبِّخهم عليها باسم يهوه: السرقة والزنا ولسان الشر:

(مزمور ٥٠: ١٦-١٩): «وللشرير قال الله مالك تحدِّث بفرائضي وتحمل عهدي على فمك!
وأنت قد أبغضت التأديب وألقيت كلامي خلفك!
إذا رأيت سارقاً وافقته ومع الزناة نصيبك!
أطلقت فمك بالشر ولسانك يخترع غشًّا!»

فأمام هذه الخطايا كيف تقدَّم الذبائح ولأي قيمة تساوي؟

وهنا تظهر كفاءة النبي، فهو على مستوى الفحص والديونة العملية كخبرة نضحت في كلامه.

ونجح النبي في إعطاء المزمور صورة الإبيفانيا بظهور يهوه بالنطق الملكي المحكم، بنوع من الإلهام الفائق. وهكذا بكل لياقة يتكلَّم النبي عن التجديد المطلوب للشعب وعبادته كمن يعيش هذا الرجاء وكمن يعمل له.

ولا يفوت على القارئ هنا أن نبي الهيكل يتكلَّم عن صميم خدمة الهيكل وهي الذبائح والتسبيح معاً وكلاهما أصبحا في أشد الحاجة إلى التجديد، فالروح العبادية غائبة، التي يضمِّنها في آخر بيت في المزمور:

(مزمور ٥٠: ٢٢و٢٣): «افهموا هذا أيها الناسون الله لئلاَّ أفترسكم ولا منقذ!
ذابح الحمد يمجِّدني والمقوِّم طريقه أريه خلاص الله!»

وهكذا لا يغيب عن القارئ تدخُّل النبي في آخر شطرة من البيت فهو يتكلَّم عن الله: «أريه خلاص الله».

ولكن نبي التجديد الهيكلي هذا لا يقدِّم روح التجديد إلاَّ على أساس ما هو جيد في الماضي، فهو ينتقد ذبيحة السارق والزاني والشرير ولكنه لا يذم ذبيحة البار إنما بانسجام مبدع!

(مزمور ٥٠: ٧و٨): «اسمع يا شعبي فأتكلَّم، يا إسرائيل فأشهد عليك. الله إلهك أنا.
لا على ذبائحك أوبِّخك، فإن محرقاتك هي دائماً قدَّامي!»

ولكنه يعود إلى ذبيحة الحمد والشكر، يدفعها إلى الأمام لأنها اختفت من فم مقدِّم الذبائح، لأن الفم انسدَّ من الخطية. وهنا مفارقة جيدة جدًّا لحساب نبي الهيكل هذا إذ أن خدمته في الهيكل حصَّنته ضد النقد الشامل لتقديم الذبائح عموماً، الذي نراه عند هوشع النبي:

+ «إني أريد رحمة لا ذبيحة، ومعرفة الله أكثر من محرقات.» (هو ٦:٦)

وهنا يُحسب لنبي المزمور الخمسين أنه أعطى روحاً وحياة جديدة لمفهوم المحاكمة والديونة. فبعد مقدمة بارعة يقدِّم فيها المزمور استعلان الله أن «من صهيون كمال الجمال الله أشرق»، ويعلن مجيئ يهوه: «يأتي إلهنا ولا يصمت»، ويصف نار ورعود جبل موسى، فهذه مقدِّمة الإبيفانيا العظمى: «نار قدَّامه تأكل وحوله عاصف جدًّا». ثمَّ يعلن النبي بدء المحاكمة بحضور شهادة السماء والأرض: «يدعو السماوات من فوق والأرض إلى مداينة شعبه». ثمَّ يجعل في مقدِّمة الشهود والسامعين أتقياء الله القاطعين العهد مع الله بذبيحة: «اجمعوا إليَّ أتقيائي القاطعين عهدي على ذبيحة».

وبعد هذه المقدِّمة البارعة يبدأ المحاكمة لا على أساس القطع والإبادة ولكن ولأول مرَّة نسمعها على أساس التوبيخ الإيجابي مع تأديب وتعليم. وهكذا تنتهي ديونة يهوه إلى تعليم وتوبيخ أبوي. والسبب أن يهوه مرتبط بعهد. وفرادة مزمور (٥٠) في روحه واقعة في محيط نبوَّة التجديد بعدما عانى الشعب التأديب في السبي.

موضوع المزامير وتجميعها ونموها على مدى الزمن

موضوع المزامير:

المزامير كما سبق وقلنا في الفصل الأول إنها متعلّقة أساساً بالطقس تعلّقاً كلياً، فالمزمور هو رد فعل لعمل طقسي يتدخَّل فيه الله في حياة الشعب بصورة استعلانية تُرى فيها قوته وتُرى فيها نشأة الحياة المتجدِّدة للشعب. وأول عمل طقسي عرفته إسرائيل هو طقس الخروج من مصر بذبح الفصح وعبور البحر الأحمر، وللتو بدأ التسبيح بالمزمور كرد فعل لعمل الله المجّاني الذي فيه نالت إسرائيل بدء حياتها. والطقس الثاني الذي لم تَنْسَهُ إسرائيل قط والذي أخذت منه دفعة حياة مجدَّدة هو خروج الماء من الصخرة، فشرب الشعب وعاش في أقصى الظروف والموت محيط به. هذا الطقس كرَّسته إسرائيل وقدَّسته في عيد المظال بالاستقاء من الماء من بركة جيحون في وادي قدرون في قِدر فضية، يحملها الكهنة ويدخلون بها الهيكل، ويخبطونها خبطة شديدة كخبطة موسى للصخرة فينسكب الماء. ولكن حذق إسرائيل أن جعلت هذا الطقس في الخريف والشتاء على الأبواب كعمل تحضيري يحفِّز الله لتكرار معجزة المياه بسقوط الأمطار التي فيها حياة الشعب.

كما عرفنا أن الفصح هو الذبيحة الأساسية التي أخذت فيها إسرائيل بذرة حياتها الأُولى، حيث الذبيحة في مفهومها الأساسي هي أكلة عهد يأكل منها الشعب ويأكل منها الله ممثَّلاً في الكهنة الذين يأخذون نصيب الله. وهكذا جميع الذبائح هي طقس الشركة مع الله لنوال تجديد الحياة بالتقديس. والاحتفال السنوي بتنصيب الله ملكاً في الهيكل هو تأكيد لبقاء الأرض لا تتزعزع والحياة تسير ونصرة الله على تخريب الإنسان وقوى الظلام. وهكذا قامت المزامير بقيام الطقس كرد فعل من الإنسان مؤكداً استيعابه للحدث ودخوله كشريك فيه. فالمزامير هي تاريخ حياة الشعب مع الله وتسجيل أعمال الله مع الشعب. فالمزمور يحمل فعل الله ورد فعل الإنسان مسجِّلاً تاريخ الإنسان تحت يد الله.

وقد حرص الذين جمعوا المزامير أن يكتبوا عنواناً للمزامير يحمل موضوع المزامير، ولكن ضَعُفَ هذا القصد لعامل الزمن والنساخة حتى بقيت لنا معظم المزامير دون موضوعها، وأصبح علينا هذا الثقل أن نفتش عن موضوع المزمور لنحدِّد هويته.

أمَّا موضوع المزامير الذي من أجله كُتبت، فالبعض يعتبر سفر المزامير أنه: "**كتاب تسبيح يخص الهيكل الثاني**"، وقد قُصد به أن يكون للاستعمال في العبادة العامة. ولكن الحقيقة أن سفر المزامير لم يكن له مظهر التجميع لهذه التسابيح لخدمة الليتورجيا في الهيكل، ولم يكن له أيضاً هذا المظهر لخدمة الكنيس اليهودي (المجمع)، حتى جاء العصر المسيحي. فبعضها للخدمة وبعضها تذكار لحوادث معيَّنة تُقام مناسباتها في الهيكل، وكثير منها أيضاً يختص بالحياة. فبعض المزامير عبارة عن انسكاب قلب أمام الله بصورة شخصية جدًّا كشركة مع الله أو للتوسُّل أو الترجِّي أو الاعتراف أو الشكر والحمد أو لمجد الله، وتنبع كلها من حاجات النفس وإلهامها في مواقف الضيق، وقد جُهِّزت لتكون للعبادة الشخصية أكثر منها للعبادة الليتورجية العامة. وبعضها أيضاً له صفة التعليم وهو موجه للتربية والمعرفة ومهيَّأ للحفظ أكثر منه للتسبيح.

وغاية مؤلف المزامير تظهر أنها لم تكن في مجموعها مقصورة على تأليف تسابيح ليتورجية، ولكن بالأكثر أن يُوحَّد المزامير في كتاب للاحتفاظ به كتراث لأناشيد شعرية دينية لتكون في مجموعها كتاباً للتقوى وللخدمة العامة.

والسؤال بعد ذلك: من هو المتكلِّم في هذه المزامير؟

والجواب بحسب الفكر الغربي أن يكون هو صاحب المزمور نفسه! ولكن بحسب الفكر اليهودي القديم هو أنه في كثير من المزامير التي تبدو لأول وهلة أنها شخصية جدًّا وفردية يكون المتكلِّم ليس فرداً ولكنه الأُمة كلها، أو على الأقل المتدينون فيها المدعوون في المزامير خدام يهوه! هذا واضح في مزمور (١٢٩) فإسرائيل يتكلَّم كفرد: «كثيراً ما ضايقوني منذ شبابي ليقل إسرائيل ...» (مز ١٢٩:١). هذا التشخيص للأُمة لا يقوم على أساس شعري فقط فهو لغة التوراة، فإسرائيل غالباً ما تُخاطب أو تتكلَّم كفرد كما جاء في (تث ١٧:٧) وما بعده: «إن قلتَ في قلبك هؤلاء الشعوب أكثر مني كيف أقدر أن أطردهم، فلا تخف منهم، اذكر ما فعله الرب إلهك بفرعون وبجميع المصريين، التجارب العظيمة التي أبصرتها عيناك والآيات والعجائب واليد الشديدة والذراع الرفيعة التي بها أخرجك الرب إلهك. هكذا يفعل الرب إلهك بجميع الشعوب التي أنت خائف من وجهها.» (تث ٧: ١٧-٢٠)

والسؤال الآن: أليست هذه بعينها صارت لغة أساسية في المزامير؟ كونه كتاب تسبحة للأُمة؟ أليست هنا الجماعة كلها التي يخاطبها الله بصورة المفرد.

فقد وُجِدَ في الترجوم تفاسير لبعض الربيِّين تفسّر بالمعنى الجماعي المزامير التي تظهر كأنها للفرد كمثل مزمور (٢٣): «الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء ... يربضني ... يوردني ... يرد نفسي ... يهديني ... لأنك أنت معي ... مسحت بالدهن رأسي ... وأسكن في بيت الرب إلى مدى الأيام».

هذه تُفسَّر لحساب الأُمة كلها!! وهذا اتخذه الربيُّون والآباء والشُّرَّاح المحدثون على أنه للجماعة. أمَّا المزامير التي تُحسب فعلاً أنها للفرد فهي قليلة جدًّا.

وهكذا يتضح أن العداوة والأعداء التي تصرخ بها المزامير هي أعداء الأُمة وعداوة الشعوب حولها، حتى المرض والأوجاع والآلام هي تعبير عن آلام وأمراض الأُمة أدبياً كما جاء في إشعياء: «على مَ تُضربون بعد، تزدادون زيغاناً. كل الرأس مريض وكل القلب سقيم. من أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحة بل جرح وأحباطٌ وضربة طرية لم تُعصر ولم تُعصب ولم تُليَّن بالزيت» (إش ١: ٥و٦). هنا الكلام هو للأمة موجَّهاً لها بصيغة الفرد! ولكن ليس هذا معناه أن كل كتاب المزامير مخصَّص للأمة وكل مزاميره خُصِّصت للأمة، ولكن معناه أن كثيراً من مؤلِّفي المزامير كانوا فعلاً يشعرون بالأمة فضمَّنوا مزاميرهم ما يفيد الأُمة أو بعض أفرادها، وكان إحساسهم الشديد بالجماعة من جهة حقيقة الأُمة وامتدادها يجعلهم يدخلون بأشعارهم في أعماق رجاء الذين يصفونهم ومخاوفهم وأفراحهم وآلامهم أو نصرتهم، بعمق وحساسية شديدة جعلتهم في الحقيقة يُحتسبون فم الأُمة ولسانها. وهذا الإحساس الصادق قد حقَّق وضخَّم وعمَّم أحاسيس مؤلِّف المزمور وخبرته الخاصة، فجعلها تغطِّي الجماعة دون قصد.

هكذا يقول الشاعر الموهوب تنيسون[1] [إن "أنا" ليست دائماً تفيد الكاتب الناطق نفسه، ولكنها قد تكون صوت البشرية كلها منطوقاً بلسانه].

ولكن بينما صاحب المزمور يتكلَّم باسم الكثيرين يتكلَّم ضمناً أيضاً عن نفسه. فهو ليس دائماً يتقمَّص شخص الأُمة، إذ توجد مزامير كثيرة شخصية جدًّا يستحيل أن تكون إلاَّ خبرة الشخص ذاته، ولكنها تؤخذ بسهولة لتكون لخدمة الجماعة. وهكذا تماماً بالنسبة لكتابة إرميا النبي ونحميا فهي مِلك مشاع لكل مَنْ يتكلَّم بها لتليق أن تكون خبرة كل شخص وخبرة الأُمة بآن واحد.

(1) Tennyson's *Life*, I, 305, cited by A.F. Kirkpatrick, *The Book of Psalms*, p. lii.

وكثير من المزامير يكون فيها "أنا" و"نحن" متبادلة بسهولة حتى يصعب أن يحدِّد الإنسان إن كانت "أنا" تفيد الأُمة أو الشخص المتكلّم بصفته ممثل الأُمة والمتكلّم بلسانها، مثل مزمور (٤٤): «أنت هو **ملكي** يا الله فأَمُرْ بخلاص يعقوب. بك **ننطح** مضايقينا، باسمك **ندوس** القائمين علينا، لأني على **قوسي** لا أتكل وسيفي لا يخلّصني. لأنك أنت **خلّصتنا** من مضايقينا ... اليوم كله خجلي أمامي وخزي وجهي قد غطّاني.» (مز ٤٤: ٤-٧و١٥)

انظر أيها القارئ العزيز كيف يجمع المزمور بين أنا ونحن!!

وهكذا أيضاً مزمور (٦٠):

+ «يا الله رفضتنا. اقتحمتنا. سخطت. أرجعنا ... مَنْ يقودني إلى المدينة المحصَّنة» (مز ٦٠: ١و٩). وأيضاً:

مز ٦٥: ٣: «آثام قد قويت **عليَّ**، **معاصينا** أنت تكفِّر عنها».

مز ٦٦: ١٢: «**دخلنا** في النار والماء، ثمَّ أخرجتنا إلى الخصب.

١٣: **أدخل** إلى بيتك بمحرقات أوفيك نذوري».

مز ٧٤: ١: «لماذا **رفضتنا** يا الله إلى الأبد؟ ...

١٢: الله **ملكي** منذ القدم، فاعل الخلاص في وسط الأرض».

مز ٨٩: ٥٠: «اذكر يا رب **عار عبيدك** الذي **أحتمله في حضني ...**».

مز ٩٤: ١٤: «لأن الرب لا يرفض **شعبه** ...

١٦: مَنْ يقوم **لي** على المسيئين. مَنْ يقف **لي** ضد فعلة الإثم».

وبالفحص الداخلي للمزامير نجد أن محتويات كتاب المزامير تكوَّنت بالتدريج من اتحاد مجموعات سابقة أقدم وهي تختلف كثيراً فيما بينها، فمنها ما كان العنصر الشخصي الفردي سائداً فيها، وأخرى تشير إلى حوادث جرت في تاريخ الأُمة، وأخرى خاصة بالليتورجيا في الهيكل.

لذلك فالطبقات المختلفة التي تكوَّن منها سفر المزامير يمكن إلى حد ما تمييزها. فهناك ثلاثة أقسام مميزّة بصفات واضحة يمكن التعرُّف عليها ويبدو أنها تكوَّنت في أزمنة متعاقبة.

القسم الأول:

وهو متساوي في محتواه مع الكتاب الأول للمزامير، وهو من مزمور (١) إلى (٤١). فكل مزامير

الكتاب الأول لها عناوين وموصوفة أنها مزامير "لداود" ما عدا مزامير ١، ٢، ١٠، ٣٣. ويمكن التعرُّف على أسباب هذا الاستثناء من أن مزموري (١، ٢) يُعتبران مدخلاً للسفر كله وربما لا يكونان تابعين أصلاً للمجموعة الأصلية. أمَّا مزمور (١٠) فربما يكون جزءاً من مزمور (٩) أو يكون قد كُتب تعليقاً عليه. أمَّا مزمور (٣٣) فيبدو أنه من زمن متأخر، مضاف على أنه توضيح لآخر آية في مزمور (٣٢). على أن هذه المجموعة كلها تبدو أنها قد كُتبت بواسطة مؤلِّف واحد، وأنها لا تحتوي في داخلها على مجموعات سابقة لها.

القسم الثاني:

أمَّا القسم الثاني فهو يحوي الكتاب **الثاني والثالث** وهو من مزمور ٤٢ حتى مزمور ٨٩ وكل المزامير فيه ما عدا مزمور (٤٣) [الذي هو جزء من مزمور (٤٢)]، ومزمور (٧١)، عليها عناوينها وهو يتكون من:

(أ) سبعة مزامير (أو ثمانية إذا كان مزمور ٤٢، ٤٣ يعتبران مزمورين) هذه السبعة محسوبة أنها "لأبناء قورح" (٤٢-٤٩).

(ب) مزمور لآساف (٥٠).

(ج) عشرون مزموراً كلها ما عدا المزمورين ٦٦و٦٧ "لداود" (٥١-٧٠).

(د) مزمور بلا عنوان (٧١) ومزمور "لسليمان" (٧٢).

(هـ) أحد عشر مزموراً "لآساف" (٧٣-٨٣).

(و) ملحق يحوي ثلاثة مزامير "لأولاد قورح" (٨٤، ٨٥، ٨٧) وواحد "لداود" ومن الواضح أنه تجميع من مزامير أخرى (٨٦)، وواحد "لهيمان الأزراحي" (٨٨) وواحد "لإيثان الأزراحي" (٨٩).

وهكذا يبدو هذا القسم مكوَّناً من اتحاد ما لا يقل عن ثلاث مجموعات سابقة أو أجزاء منها.

القسم الثالث:

وهو يحوي الكتاب الرابع والخامس وهو المزامير من (٩٠) حتى (١٥٠). وفي هذا القسم نجد كثيراً من المزامير ليس لها عنوان، ولكن القليل منها يحمل اسم المؤلِّف: ففي الكتاب الرابع مزمور (٩٠) يحمل اسم "موسى"، مزامير (١٠١)، (١٠٣) تحمل اسم "داود". وفي الكتاب الخامس نجد أن المزامير من (١٠٨-١١٠) ثمَّ (١٢٢، ١٢٤، ١٣١، ١٣٣، ١٣٨-١٤٥) تحمل اسم "داود" ومزمور (١٢٧) يحمل اسم "سليمان". والباقي أغلبه بدون عنوان أو مجرَّد عنوان لاسم المجموعة

"مزامير المصاعد" وهي مجموعة قد تكون موجودة سابقاً في تكوين خاص لاستخدام الحجاج.

أمَّا المجموعات الأخرى المتضمّنة في هذا القسم فهي تتميَّز إمَّا باسم مؤلِّفها مثل مجموعات "داود": مزامير (١٠٨-١١٠)، (١٣٨-١٤٥)، أو بموضوع مشترك يجمعها مثل مزامير (٩٣-١١٠)، والمزامير المبتدئة بعبارة: «احمدوا الرب»: (١٠٥-١٠٧) ومزامير "هللويا" وهي من (١١١-١١٨)، (١٤٦-١٥٠).

خواص هذه الأقسام الثلاثة للمزامير:

١ - يُلاحَظ أن ترجمة إلوهيم هي الله وترجمة يهوه هي الرب أو السيد.

٢ - يُلاحَظ أن الجزء الأكبر من القسم الثاني يتصف ويتميَّز بوضوح عن القسم الأول والثالث من جهة استخدامه للأسماء الإلهية. فمن مزمور (٤٢) إلى مزمور (٨٣) تعتبر مزامير إلوهية elohistic بسبب كثرة استعمالها لاسم Elohim (الله) بالجمع ذلك بدل اسم يهوه أي "الرب" التي صارت في الإنجليزية الحديثة Lord.

٣ - من مزمور (١) إلى مزمور (٤١) كلمة "إلوهيم" (الله) تقع بدون ضمائر إضافة أو أسماء إضافة حوالي ١٥ مرَّة فقط (بل وفي البعض منها يكون ورودها اضطرارياً بسبب معنى الكلام مثل مزمور ١٤: ١ «قال الجاهل في قلبه ليس إله ...» وهكذا في ٩: ١٧، ١٠: ٤، ١٤: ٢و٥، ٣٦: ١و٧). بينما اسم يهوه (الرب) يتكرَّر في هذه المزامير ٢٧٢ مرَّة، فإذا أضفنا العناوين أيضاً يصبح عدد تكرار اسم يهوه ٢٧٨ مرَّة.

٤ - في المزامير من (٤٢) إلى (٨٣) تنعكس النسبة، فاسم إلوهيم يأتي ٢٠٠ مرَّة ويهوه ٤٣ مرَّة فقط (ويُستثنى منها الذكصولوجية الواردة في ٧٢: ١٨).

٥ - في حين أن من مزامير (٨٤) إلى (٨٩) نجد إلوهيم (عن الله الحقيقي) توجد ٧ مرَّات ويهوه ٣١ مرَّة.

٦ - في المزامير (٩٠) إلى (١٥٠) يهوه تتكرَّر ٣٣٩ مرَّة في حين إلوهيم (عن الله الحقيقي) توجد فقط في مزمور (١٠٨) المأخوذة مباشرة من مزمورين من مجموعة الإلوهيم، وفي مزمور (١٤٤: ٩) المجموع من مزامير في مجموعات أخرى.

ويلزم أن ننتبه أن أدوناي Adonai وترجمتها Lord أي رب أو سيد تجيء بالأكثر في القسم

الثاني من المزامير (٣١ مرَّة)، وفي القسم الأول (١٠ مرَّات) وفي القسم الثالث (٨ مرَّات).

على أن استخدام اسم إلوهيم بمثل هذه الكثرة في مزامير القسم الثاني هو بلا شك مقصود ولا يأتي مصادفة:

فمثلاً في مزمور (٥٠:٧) تأتي الآية «**ا لله إلهك أنا**» وهي مأخوذة بوضوح من (خر ٢٠:٢): «أنا **الرب إلهك**» وهي طبعاً في الأصل «أنا **يهوه** إلهك» وفيها استبدل واضع المزامير اسم يهوه باسم ا لله.

كذلك فإن في مزمور (٦٨: ١و٢و٧و٨): «يقوم **ا لله** يتبدَّد أعداؤه ويهرب مبغضوه من أمام وجهه ... يبيد الأشرار قدام **ا لله** ... عند خروجك أمام شعبك ... الأرض ارتعدت السموات أيضاً قطرت»، نجدها مأخوذة على قاعدة (عد ١٠:٣٥): «كان موسى يقول قم **يا رب** فلتتبدَّد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك»، وسفر القضاة (قض ٥: ٤و٥و٣١): «**يا رب** بخروجك من سعير، بصعودك من صحراء أدوم الأرض ارتعدت ... تزلزلت الجبال ... هكذا يبيد جميع أعدائك». وفيها أيضاً أورد المزمور "الله" بدلاً من "الرب" أي "يهوه".

كذلك مزمور (٧١:١٩): «وبرك إلى العلياء **يا الله**، الذي صنعت العظائم. **يا الله** مَنْ مثلك» مأخوذة من (خر ١٥:١١): «مَنْ مثلك بين الآلهة **يا رب** مَنْ مثلك، معتز في القداسة مخوفاً بالتسابيح صانعاً عجائب».

وفي كل مثل من هذه الأمثلة نجد أن كلمة إلوهيم تأخذ موضع يهوه، وفي الترجمة العربية كلمة "الله" تأخذ موضع "الرب".

ويقول العلاّمة كيركباتريك أن هذه التغييرات من يهوه إلى إلوهيم هي من عمل المحررين ربما في أيام السبي ليتفادوا النطق باسم "يهوه" في أرض غير مقدَّسة.

ومن جهة تفرُّد كل قسم من الأقسام الثلاثة بنفسه يؤكِّد لنا ذلك ما يلي:

١ - نجد في القسم الثاني تكراراً من مزامير القسم الأول وكذلك القسم الثالث يكرِّر بعض مزامير القسم الثاني:

▪ فالمزمور (٥٣) من القسم الثاني: «**قال الجاهل في قلبه** ليس إله. فسدوا ورجسوا رجاسة ليس مَنْ يعمل صلاحاً ...». هو هو تكرار للمزمور (١٤) من القسم الأول: «**قال الجاهل في قلبه** ليس إله فسدوا ورجسوا بأفعالهم ليس مَنْ يعمل صلاحاً ...».

▪ وكذلك مزمور (٧٠) من القسم الثاني: «اللهم إلى **تنجيتي يا رب**، إلى معونتي أسرع، ليخز ويخجل طالبو نفسي. ليرتد إلى خلف ويخجل المشتهون لي شراً ...» هو هو تكرار لمزمور (٤٠:١٣و١٤) من القسم الأول: «ارتضي يا رب بأن **تنجيني يا رب**، إلى معونتي أسرع ليخز وليخجل معاً الذين يطلبون نفسي لإهلاكها. ليرتد إلى الوراء وليخز المسرورون بأذيتي ...».

▪ وأيضاً المزمور (١٠٨) من القسم الثالث: «ثابت قلبي يا الله أغنّي وأُرنِّم. كذلك مجدي. استيقظي أيتها الرباب والعود أنا أستيقظ سحراً ...». هو تكرار لمزمور (٥٧:٧و٨) من القسم الثاني: «ثابت قلبي يا الله ثابت قلبي. أُغني أُرنِّم. استيقظ يا مجدي! استيقظي يا رباب ويا عود! أنا أستيقظ سحراً ...».

٢ - المُلاحَظة التي جاءت في آخر مزمور (٧٢):«تمَّت صلوات داود بن يسَّى»: سواء يكون أخذها الذي رتَّب المزامير من مجموعة سابقة تحوي الكتاب الثاني أو يكون أضافها هو، فهي تكشف عن أنه لا يعرف مزامير أخرى لداود أو أن المجموعة الموجودة لديه لا تحوي المزيد، ومن هذا يتضح أن هذه المجموعة مستقلة عن الكتاب الرابع والخامس اللذين يحويان مزامير أخرى كثيرة لداود.

٣ - من جهة الاختلافات التي لاحظناها في العناوين، نجد أن مزامير القسم الثالث تختلف بوضوح عن مزامير القسم الثاني والأول. ففي الأول والثاني نجد المزامير (مع استثناءات قليلة) لها عناوين تعطي اسم المؤلِّف أو المجموعة التي أُخذت منها المزامير، وفي حالات كثيرة أيضاً تذكر المناسبة أو تصف الموسيقى أو الليتورجيا أو الغرض منها. ولكن في القسم الثالث فإن الغالبية العظمى من المزامير غير منسوبة لمؤلِّف معيَّن والإشارات الموسيقية أو الليتورجية ضئيلة جداً. كذلك نجد الإشارة "سلاه" تتكرَّر في القسم الأول ١٧ مرَّة وفي القسم الثاني ٥٠ مرَّة، بينما نجدها في القسم الثالث تأتي أربع مرات فقط ومرَّتين في مزمورين لداود (١٤٠، ١٤٣).

٤ - كل من الثلاثة أقسام له صفة غالبة: فنجد معظم المزامير في القسم الأول **شخصية**، وفي القسم الثاني نجدها تخص **الأمة**، وفي القسم الثالث تخص **الليتورجيا** مع بعض الاستثناءات. ففي **القسم الأول:** نجد الصلوات الشخصية الفردية والتشكُّرات هي السائدة تقريباً. وفي القسم الثاني نجد الصلوات أحياناً تخص الاضطرابات مثل مزامير

٤٤،٦٠،٧٤، ٧٩،٨٠، ٨٣،٨٩. أمّا مزامير الشكر من جهة خلاص الأُمة فهي مزامير ٤٦،٤٧،٤٨، ٧٥،٧٦، (من ٦٥-٦٨). وفي **القسم الثالث** نجد مزامير المجد والشكر للاستخدام العام في خدمات الهيكل مثل مزامير ٩٢، (٩٥-١٠٠)، (١٠٥ إلى ١٠٧)، (١١١-١١٨)، (١٢٠-١٣٦)، (١٤٦-١٥٠).

مراحل تكوين كتاب المزامير:

١ - أول هذه المراحل تمت بتجميع مزامير الكتاب الأول باعتبارها صلوات لداود لأنه أول مَنْ بدأ هذه الأشعار العظيمة، بالرغم من أن هناك أشعاراً في هذه المجموعة لمؤلفين آخرين ولكن سميت كلها باسم أهم مؤلّفيها. ثمَّ حدث أن العنوان العام للمجموعة انتقل لكل مزمور بمفرده في المجموعة الأُولى.

٢ - تكوَّنت مجموعة أخرى لداود، ومجموعتان من التسابيح لعائلتي اللاويين قورح وآساف.

٣ - مجموعة "الإلوهيم" (مز ٤٢ إلى ٨٣) تكوَّنت من ضم مختارات من مزامير اللاويين من تسابيح جماعة القورحيين والأسافيين، وأضيف إليها بعض مختارات من مزامير داود، وتميَّزت بالاستعاضة عن اسم يهوه باسم الإلوهيم.

٤ - إلى هذه المجموعة أُضيف ملحق من مزامير القورحيين ومزامير أخرى (من ٨٤ إلى ٨٩) التي لم تتغيَّر بواسطة محرِّر مزامير الإلوهيم.

٥ - حدث أن مجموعات أخرى نمت وربما كانت متزامنة مع المجموعات السابقة ثمَّ انضمَّت إلى القسم الثالث مع بقايا من مزامير قديمة، بعضها يُظن فعلاً أنها كُتبت بواسطة داود أو أُخذت من مجموعة تحمل اسمه.

٦ - وأخيراً اتحدت هذه المجموعات كلها معاً وصار هو كتاب الابصالتر أي المزامير.

تاريخ تكوين أقسام المزامير:

ولو أنه لا يمكن تحقيق تاريخ هذه الأقسام بدقة، إلاَّ أن هناك دلائل تحمل على الاعتقاد بأن تجميع كتاب المزامير كَمُل قبل سنة ٢٠٠ ق.م، وأن مزامير من القسم الثالث كانت معروفة لصاحب سفر أخبار الأيام قبل ذلك بمائة سنة أي سنة ٣٠٠ ق.م. أمَّا القسم الثاني فيحوي مزامير من عصر الملكية الواحدة على إسرائيل ويهوذا، ولكن المزامير الأخيرة فيه تشير أنها كانت من زمن

السبي والعودة مثل مزمور (٨٥): «رضيت يا رب على أرضك، أرجعت سبي يعقوب، غفرت إثم شعبك، سترت كل خطيتهم.» (مز ٨٥: ١و٢)

والقسم الأول فيه أقدم المزامير من جهة زمن تأليفها. والبعض يعتقد أن تجميعها في مجموعة واحدة بوضعها الحالي لم يتم إلاَّ بعد السبي، ولو أن الأدلة التي يقدِّمونها على ذلك ليست بالدرجة الإيجابية التي يمكن أن تعطي قناعة بذلك.

وقد نما الرأي القائل بأن كتاب المزامير في وضعه الحالي هو **تجميع** ما بعد السبي، ولكن هذا لا ينفي أن تأليف المزامير نفسها وضمها إلى مجموعات قد تمَّ قبل السبي سواء بسواء مع النبوات والكتب التاريخية.

وعندنا إقرار من سفر المكابيين الثاني (٢: ١٣) هام وخطير: "وقد شُرح ذلك في السجلات والتذاكر التي لنحميا وكيف أنشأ مكتبة جمع فيها أخبار الملوك والأنبياء وكتابات داود ورسائل الملوك في التقادم".

وهذا يمدنا بتقليد محفوظ جيداً وحقيقي أنه حتماً ضمن هذا التجميع لكتابات داود مزاميره بالدرجة الأُولى. ومعروف أن نحميا عاش وعمل نهضته حوالي سنة ٤٤٥ ق.م.

ترتيب المزامير في الكتب الخاصة بها:

كان الترتيب الأول في المجموعات الخاصة بها، وربما كان ترتيبها يتبع أزمنة كتابتها وأشخاص كاتبيها، ثمَّ التجانس فيما بينها بالنسبة لمحتوياتها، وأيضاً بالنسبة لاستخدامها في ليتورجية الخدمة. لذلك نجد مجموعات مزامير ماسكيل (أي قصيدة): (٤٢-٤٥) و(٥٢-٥٥)، (٨٨ و٨٩).

ومجموعة ميختام: (أي مذهبة): (٥٦-٦٠).

أمَّا طريقة التجميع بسبب التجانس في المضمون فنجدها في مزامير ٥٠، ٥١، وبداية مزمور ٣٣ مرتبطة بنهاية مزمور (٣٢: ١١)، والمزموران ٣٤و٣٥ كلاهما يتكلَّم عن "ملاك يهوه" الذي لم يُذكر قط في المزامير إلاَّ في هذين المزمورين. كما نجد عنوان مزمور (٣٦) متصلاً بمزمور (٣٥: ٢٧) (يُذكر فيهما "عبد الرب").

وعنوان مزمور ٥٦ يربطه بمزمور (٥٥: ٦) حيث فيهما تُذكر "الحمامة".

ومزامير (١١١-١١٨)، (١٤٥-١٥٠) مزامير لخدمة الليتورجية.

خصائص الشعر العبري

الشعر العبري القديم يخلو من النظم أو البحر الشعري المعروف ويخلو من وزن القافية أيضاً. وهو أساساً يعتمد على الريتم rhythm الوزن، الإيقاع، الذي يظهر ذاته في إيقاع النغم في كل شطرة بمفردها وبنفس الوقت الإيقاع الموزون للشطرات كلها حينما تكوّن معاً آية واحدة.

والشعر العبري مشهور بقوة الحبك وأناقة التعبير، كذلك قوة تضاغط المعنى في كلمات قليلة ومختصرة، الأمر الذي لا يمكن الاحتفاظ به عند ترجمة هذا الشعر إلى الإنجليزية أو اللغات الغربية الأخرى.

فالشطرات في الشعر العبري قصيرة، فأحياناً تتكوّن من كلمتين فقط، وكثيراً ما تكون ثلاث كلمات وأحياناً تتكوّن من أكثر من ذلك.

ووزن الشطرة يكشف معناها. فمثلاً الوزن الحي الحماسي للأبيات التي يُفتتح بها المزمور الثاني: «لماذا ارتجّت الأُمم، وتفكّر الشعوب في الباطل؟ قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه قائلين: لنقطع قيودهما ولنطرح عنّا ربطهما» (مز ٢: ١-٣). ففي الحال تعطي تعبيراً واضحاً حيًّا: اجتماع الأُمم بهيجان.

في حين أن الوزن الهادئ للشطرة الرابعة: «الساكن في السماوات يضحك. الرب يستهزئ بهم»، يوضّح الهدوء الراسخ بجلال يهوه على عرشه في السماوات.

وهناك وزن غريب يدعى الوزن الرثائي لأنه مستعمل في مراثي إرميا أصحاح ١-٤. وفيه كل شطرة مقسّمة إلى جزئين أولهما أطول من الثاني كما في مزمور ١٩:

مز ١٩: ٧: «ناموس الرب كامل، يرد النفس ∴ شهادات الرب صادقة، تُصيِّر الجاهل حكيماً.
٨: وصايا الرب مستقيمة، تفرّح القلب ∴ أمر الرب طاهر، يُنير العينين.
٩: خوف الرب نقي، ثابت إلى الأبد ∴ أحكام الرب حق، عادلة كلها.
١٠: أشهى من الذهب، والإبريز الكثير ∴ وأحلى من العسل، وقطر الشهاد ... إلخ»

وهناك خصائص للشعر العبري لا تظهر في الترجمة إلى لغة أخرى مثل **السجع الصوتي** أو بدأ

الكلمات في أول الأبيات بأحرف متجانسة، فإن هذا لا يتذوّقه إلاّ مَنْ يرجع إلى الأصل العبري وحده، ولكن ما يختص بتوازي وتداعي المعاني في الأبيات فإنه يكون سهلاً في ترجمته، لأنه لا يعتمد على كلمات معيّنة النطق.

والمعروف أن الشعر المتناسق أو المتماثل في التركيب والمعنى يُدعى **شعر التوازي** parallelism أو المطابقة الذي يناسب الحركة الهارمونية (المنظومة أو المطربة أو حسنة الإيقاع) التي يتوافق معها الفكر البشري، وكانت مستخدمة منذ القديم في غناء الأنتيفونا كما هي في (خر ١٥: ١و٢٠و٢١) كذلك في (١صم ١٨: ٧). هذا النثر مرتفع وسامي جدًّا في معناه ومبناه ولا يقل عن الشعر، وكثير من كلام الأنبياء مكتوب بهذا النثر العالي المرتفع الوزن وهو على نمط الشعر، ويقوم أيضاً على "التوازي" مثل الشعر تماماً، مثل:

إش ٦٠: ١-٣: «قومي استنيري لأنه قد جاء نوركِ ومجد الرب أشرق عليكِ.
لأنه ها هي الظلمة تغطّي الأرض والظلام الدامس الأُمم.
أمّا عليكِ فيشرق الرب ومجده عليكِ يُرى.
فتسير الأُمم في نوركِ والملوك في ضياء إشراقكِ».

إش ٦٥: ١٣و١٤: «هوذا عبيدي يأكلون، وأنتم تجوعون،
هوذا عبيدي يشربون، وأنتم تعطشون،
هوذا عبيدي يفرحون، وأنتم تخزون،
هوذا عبيدي يترنّمون من طيبة القلب، وأنتم تصرخون من كآبة القلب ومن انكسار الروح تولولون».

هو ١١: ٨ و ٩: «كيف أجعلكَ يا أفرايم، أصيِّرك يا إسرائيل،
كيف أجعلك كأدمة، أصنعك كصبوييم،
قد انقلب عليَّ قلبي اضطرمت مراحمي جميعاً.
لا أجري حمو غضبي لا أعود أُخْرِبُ أفرايم.
لأني الله لا إنسان القدوس في وسطكِ فلا آتي بسخط».

وقانون التوازي في الشعر العبري له قيمة تفسيرية كبيرة، فيُرجع إليه لتوضيح تركيب الجملة أو اتصال الكلمات، أو لازدياد المعنى وضوحاً.

وقد اعتنى العالِم المشهور دكتور سكريفنر(١) بأن يوضّح هـذا التوازي في المعـاني في الإنجليزية كما هو في العبرية.

وكل أصناف المتوازيات في الشعر العبري مجموعة تحت ثلاثة رؤوس:

١ - متوازيات ذات معنى واحد:

حيث نفس الفكر يكرَّر بكلمات مختلفة في الشطرة الثانية في الأبيات الشـعرية ذات الشـطرتين، مثلما جاء في مزمور (١:١١٤):

+ «عند خروج إسرائيل من مصر، وبيت يعقوب من شعب أعجم»(٢).

حيث الشطرة الثانية هي نفس الشطرة الأُولى مع تعريف إسرائيل بيعقوب ومصر بشعب أعجم.

٢ - متوازيات متضادة أو متقابلة:

حينما يأتي الفكر في الشطرة الأُولى من البيـت الشـعري (ذي الشـطرتين) يؤكّـده أو يفسّـره بما هو ضدّه في الشطرة الأخرى. وهذا الصنـف من التوازي قديـم ويوجـد بكثرة في سـفر الأمثـال (أم ١٠ - ١٦:٢٢). وهو موجود في المزامير أيضاً مثل (مز ٦:١):

+ «لأن الرب يعلم طريق الأبرار. أمّا طريق الأشرار فتهلك».

٣ - متوازيات تركيبية:

وفيه ترتبط الشطرة الأُولى بالشطرة الثانية في البيت الشـعري الواحـد بعلاقـة سـبب بنتيجـة، أو بعلاقة شرط بجواب الشرط، أو بأي علاقة أخرى منطقية أو تركيبية، أو قد يكون التوازي بـلا أي علاقة بين الشطرتين.

مز ٦:٢: «أمّا أنا فقد مسحت ملكي، على صهيون جبل قدسي» (توازي بنائي)

وقد يكون التوازي ليس بين شطرتين بل ثلاث مثل:

مز ٣:٩٣: «رفعت الأنهار يا رب، رفعت الأنهار صوتها، ترفع الأنهار عجيجها!»

أو قد تكون الشطرتان الأُولى والثانية متحدتين في المعنى والثالثة مكمِّلة للمعنى مثل:

---

(1) Dr. Scrivener, Frederick Henry Ambrose (1813-91).

(٢) شعب أعجم تعني شعب له لغة غير لغة اليهود.

مز ٢:٢: «قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء معاً. على الرب وعلى مسيحه».

أو قد تجيء الشطرة الأُولى والثانية على التوازي والثالثة مناقضة مثل:

مز ٣:٥٤: «لأن غرباء قد قاموا عليَّ، وعتاة طلبوا نفسي. لم يجعلوا الله أمامهم! سلاه».

أو قد تكون الشطرة الأُولى مستقلة تفتتح المعنى والشطرتان الثانية والثالثة متوازيتين:

مز ٧:٣: «قم يا رب خلِّصني يا إلهي! لأنك ضربت كل أعدائي على الفك، هشَّمت أسنان الأشرار».

كذلك في المتوازيات ذات الأربع شطرات قد يكون:

(أ) - أربع شطرات متوازية المعنى مثل:

مز ٥:٩١ «لا تخشى من خوف الليل، ولا من سهم يطير في النهار.

٦: ولا من وبإ يسلك في الدجى، ولا من هلاك يُفسد في الظهيرة».

(ب) - أو أن الشطرة الأُولى موازية للثانية والثالثة موازية للرابعة مثل:

مز ٥:١٨: «حبال الهاوية حاقت بي، أشراك الموت انتشبت بي.

٦: في ضيقي دعوت الرب، وإلى إلهي صرخت (تكملة المعنى):

فسمع من هيكله صوتي، وصراخي قدَّامه دخل أذنيه».

(ج) - أو تكون الشطرة الأُولى موازية للثالثة والثانية موازية للرابعة مثل:

مز ٣:٢٧: «إن نزل عليَّ جيش، لا يخاف قلبي،

إن قامت عليَّ حرب، ففي ذلك أنا مطمئن».

(د) - أو أن الثلاث شطرات الأُولى تكون متوازية والرابعة إضافية مثل:

مز ٣:١: «فيكون كشجرة مغروسة عند مجاري المياه، التي تعطي ثمرها في أوانـه،وورقهـا لا يذبـل، وكل ما يصنعه ينجح».

(هـ) - أو قد تكون الشطرة الأُولى مستقلة والثلاثة الأخيرة متوازية مثل:

أم ١٢:٢٤: «إن قلت هوذا لم نعرف هذا، أفلا يفهم وازن القلوب، وحافظ نفسك ألا يعلـم، فيرد على الإنسان مثل عمله».

(و) - أو قد تكون الشطرة الأُولى والثانية متكاملتين والثالثة والرابعة متكاملتين مثل:

مز ٣٧: ٣٥: «قد رأيت الشرير عاتياً، وارفاً مثل شجرة شارقة ناضرة.

٣٦: عبر فإذا هو ليس بموجود، والتمسته فلم يوجد».

وقد تكون تركيبة فيها أكثر من أربع شطرات في البيت الواحد مثل:

مز ٣٩: ١٢: «استمع صلاتي يا رب، واصغ إلى صراخي، لا تسكت عن دموعي، لأني أنا غريب عندك، نزيل مثل جميع آبائي».

أو قد تأتي شطرة واحدة مستقلة غالباً كمقدّمة أو خاتمة مثل:

مز ١٨: ١: «أحبك يا رب يا قوتي».

مز ١٠٩: ١: «يا إله تسبيحي لا تسكت».

مز ١٣٠: ١: «من الأعماق صرخت إليك يا رب».

مز ٩٢: ٨: «أمّا أنت يا رب فمتعال إلى الأبد».

خر ١٥: ١٨: «الرب يملك إلى الدهر والأبد».

وهكذا نرى أن الشعر العبري بينما يحتفظ بكيانه الأساسي في الرتم ولكنه يسمح بحرية كبيرة جداً وأنواع عديدة في الشكل.

ترتيب الفقرات الشعرية:

حلقات من الأبيات تكون متحدة المعنى بحيث أن المزمور يحتوي على عدة فقرات أو مجموعات من الأبيات، كل منها يتحدَّث عن شيء غير الآخر. وقد يفصل بين الفقرات مردّ متكرِّر مثلما جاء في مزامير ٤٢و٤٣و٤٦و٥٧[3]، أو قد تكون الفقرات مرتّبة بالتدريج على الألف باء مثل (مز ١١٩) المشهور، أو مرتبطة بواسطة "سلاه" بينها مثل مزموري (٣و٤). ولكن غالباً ما يكون دون أي علامات بين الفقرات مثل مزمور (٢).

(٣) المرد المتكرِّر في مزمور (٤٢: ٥و١١، ٤٣: ٥) هو: «لماذا أنتِ منحنية يا نفسي ولماذا تئنين فيَّ»، وفي مزمور (٤٦: ٧و١١): «رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب»، وفي مزمور (٥٧: ٥و١١): «ارتفع اللهم على السموات. ليرتفع على كل الأرض مجدك».

المزامير المرتّبة على الألف باء:

هناك ثمانية أو تسعة مزامير مرتّبة بصورة متعدّدة على الألف باء وهي مزامير ٩و١٠و٢٥و٣٤و٣٧و١١١و١١٢و١١٩و١٤٥. ففي مزامير ١١١و١١٢ نجد أن كل سطر يبدأ بحرف من الألف باء وفي غيرها كل سطرين أو غير ذلك. ولكن من الصعب بل والمستحيل تتبع هذه الأنظمة باللغة العربية لأن الحروف العبرية غير اللغة العربية.

وقد عُملت هذه المزامير بهذه الحروف ليسهل حفظها في العبرية، ولتجمع الأفكار المتعدّدة وهي طريقة موجودة بكثرة في سفر المراثي.

النسخ العبرية والترجمات القديمة

النسخة العبرية:

يسجِّل لنا العالِم الألماني جنزبرج(١) أن المتحف البريطاني يحوي نسخة عبرية خالية من تاريخ، ويقرِّر أنها تعود لسنة ٨١٠-٨٥٠م تقريباً. وإن صحَّ ذلك تكون هذه أقدم نسخة معروفة للأصل العبري، لأن النص العبري المحفوظ حالياً لكل العهد القديم حديث، وأكثر نسخة قدماً، إذا توخَّينا الدقة، نسخة معروفة باسم: "نسخة بترسبرج" مخطوطة عليها تاريخ ٩١٦م، وغالبية المخطوطات من القرن الثاني عشر إلى السادس عشر، وكلها تحمل نصاً واحداً لا يختلف عن بعضه إلاَّ في أمور غير ذي بال، وهي كلها تحمل النص الماسوري. **وكلمة ماسورا تعني التقليد عموماً** وخاصة في تقليد كتابة العهد القديم، وتحوي نظام التشكيل الذي وضعه الكتبة للحفاظ على الأصل وطريقة النطق ويُسمَّى memoria technica، وهؤلاء دُعوا علماء الماسورا massora، جاءت الصفة ماسوريين، والنسخة الماسورية تعني النسخة التي تحوي النظام الفني الدقيق الذي وضعه هؤلاء الكتبة الأحبار.

وهكذا بينما نحن نحتفظ بنسخ من العهد الجديد ليست أقدم من كتَّابها بأكثر من ٣٠٠ سنة بل وأقل، نجد أن العهد القديم تبعد نسخه أكثر من عشرة قرون عن الزمن الذي وُضِعَت فيه أصولها، وبينما نسخ العهد الجديد تعطي أصناف قراءات عديدة، نجد نسخ العهد القديم تعطي نصاً واحداً فريداً لا يحوي إلاَّ قراءة واحدة.

هذا التطابق بين المخطوطات الذي وحَّد قراءة النسخة العبرية هكذا، كان يُظن أنه بسبب غيرة الكتبة اليهود لحفظهم التقليد القديم منذ العصور الأُولى، ولكن بالفحص المركَّز اتضح أن هذا ليس صحيحاً، لأنه وإن كان النص منذ ظهور مدرسة الماسوريين في القرن السابع أو الثامن الميلادي لم يتغيَّر حتى الآن، لكن النص الأصلي الذي اعتمد عليه الماسوريون في ذلك الزمان سواء كان مأخوذاً من نسخة واحدة كما يظن البعض أو من جراء مقارنة عدة نسخ كانت في أيديهم حينئذ، فهو يحمل بلا نزاع أخطاء ليست قليلة زحفت عبر التاريخ الطويل السابق لهم. وهذا التاريخ الطويل يمكن تقسيمه إلى أربع أحقاب:

(1) Ginsburg, Cited by Kirkpatrick, *op. cit.*, p. LXV.

أولاً: حقبة العصور العتيقة:

وهي التي كانت فيها النصوص مكتوبة بالحروف العبرية القديمة (وهي تختلف عن الحروف العبرية الحالية المربَّعة).

ثانياً: الحقبة الثانية:

وتمتد من زمن عزرا الكاتب لزمن خراب أُورشليم (٧٠م) وفيها سادت الحروف المربَّعة (الحالية) بدلاً من الحروف القديمة، كما أن اللغة الأرامية صارت شائعة أكثر من اللغة العبرية.

ثالثاً: الحقبة الثالثة:

وهي الفترة من بعد سقوط أُورشليم حتى نهاية القرن الخامس، وفيها تثبَّت النص بجميع حروفه الساكنة (أي بدون تشكيل).

رابعاً: الحقبة الرابعة:

وهنا دخلت أدوات التشكيل وتثبَّت طريقة قراءة النص حتى يمتنع قراءة أي كلمة بغير المعنى الذي حدَّدوه لها. وفرضوا بعض النظم التي اخترعوها ليؤمِّنوا النقل الحرفي للنص حتى إلى أقل تفاصيله.

ولتقدير قيمة النسخة الماسورية نأتي بهذه الحقائق:

١ - توجد أجزاء كثيرة من النسخة الماسورية لا يمكن ترجمتها دون التعرُّض لقوانين القواعد، أو هي غير متوافقة مع ما جاء في أجزاء أخرى.

٢ - الأجزاء التي جاءت متكرِّرة مثل مزمور (١٨)، (٢صم ٢٢) تختلف بطريقة توحي بأن بعض الاختلافات نتجت عن أخطاء غير متعمدة والبعض الآخر من جراء مراجعات متعمدة.

٣ - الترجمات القديمة (مثل السبعينية وغيرها) تقدِّم قراءات متعدِّدة ويمتاز بعضها بجانب كبير من الرجاحة، وإذا أُخذ بها فإنها تحل الصعوبات الموجودة في النسخة الماسورية.

ومع ذلك فالنص الماسوري على العموم هو بلا شك أعلى من أي نصوص أخرى قديمة، ولكننا مُحِقُّون جداً في رجوعنا للترجمات القديمة وبالأخص السبعينية حينما يظهر أن النسخة الماسورية مخطئة، بل وحتى لو كانت غير مشكوك فيها، لأن الترجمات القديمة تعطي قراءة أخرى قد تكون أرجح.

وفي بعض الأحيان حينما يكون هناك سبب للشك في حدوث تغييرات سابقة لتوثيق النص الماسوري يُمكن أن يُسمح لنا بالتنقيح على أن يُذكر ذلك في الهوامش.

على أنه ينبغي أن يوضع في الاعتبار الفرق بين تغييرات نتجت من جراء حوادث قد تعرَّضت لها

النسخ القديمة وبين تعديلات مقصودة وخاصة التغييرات التي تعرَّضت لها المزامير.

فالنص الأصلي للمزامير حتماً قد عانى من تغييرات كثيرة كي يصلح أن يُستخدم في الليتورجيا داخل الهيكل. فالعتيق لزم تحديثه، وبعض المزامير لزم اختصارها والآخر لزم الإضافة لها، وفي بعض الأحيان ضُمّت أجزاء على أجزاء حتى ظهر المزمور المركّب كما هو حادث في (١أي ١٦) ومزمور (١٠٨) حيث أجزاء ضُمَّت للمزمور. وبمقارنة مزمور (١٨) مع (٢ صم ٢٢) يظهر أن التعبيرات ذات تركيب غريب في ٢صم ٢٢ حلّت محلها في المزمور التعبيرات المعتاد استخدامها. والتركيبات غير العادية عانت من التعديل للتبسيط، والتركيبات العتيقة والاصطلاحات الغامضة تمَّ شرحها. فالظاهرة التي في هذه الأمثلة يمكن تعقُّبها في مواضع أخرى ولكن إلى أي مدى؟ هذا أمر لم يتم بحثه.

وهناك نقطتان أخريان يلزم ذكرهما هنا:

١ - اللغة العبرية مثل كل اللغات السامية كُتبت أولاً دون أي تشكيل يدل على طريقة النطق ما عدا الحروف المتحرِّكة الطويلة (أ، و، ي، هـ)، وفي بكور المراحل الأولى لهذه اللغة حتى هذه الحروف المتحرِّكة كانت نادرة الاستعمال. أمَّا الكتابة الحالية التي بها حركات التشكيل المستعملة في النسخة الماسورية فهي تسمَّى ذات العلامات الصوتية أو الماسورية وهي لم تدخل الكتابة حتى القرن السابع أو الثامن بعد الميلاد، وحينئذ تثبَّتت طريقة النطق والقراءة للعهد القديم، والنص الماسوري في ذلك يعكس لنا تقليداً شفوياً أقدم منه بكثير. ولكن بدون علامات التشكيل هناك كلمات كثيرة يمكن قراءتها بطرق مختلفة، والأصل الماسوري لا تظهر علاماته في كل الأحيان أنها تعطي الطريقة الصحيحة لقراءة الكلمة وفهم المعنى المقصود منها.

٢ - في بعض الكلمات يكون التقليد الشفوي للقراءة (Qerê = قرأ) غير متفق مع الموجود في نص النسخة المكتوبة (kethîb = كتيب) وفي مثل هذه الحالات لم يغيِّر الماسوريون في النص إلاَّ في التشكيل فقط، وأضافوا ملاحظة هامشية تعطي الحروف الساكنة التي يجب أن تُقرأ مع التشكيل الذي وضعوه في النص(٢). وتُعتبر هذه القراءة (Qerê) أي القراءة

(٢) معروف أن اسم "يهوه" الشائع جداً في العهد القديم لا ينطقه القارئ اليهودي بل كلما قابله نطق بدلاً منه "أدوناي". والماسوريون لم يجرأوا أن يغيِّروا اسم يهوه في النص ولكنهم تركوه كما هو ووضعوا عليه تشكيل كلمة أدوناي لكيما إذا قابلها القارئ ينتبه ويقرأها بحسب التشكيل أدوناي ولا ينطق باسم يهوه.

الهامشية هي القراءة المعتمدة لليهودية التقليدية. ولكن السياق الداخلي للكلام ومقارنة الترجمات القديمة توصِّلنا أن نفضِّل أحياناً الـ (Qerê) وأحياناً أخرى الـ (kethîb). ومثالاً لذلك في المزمور (٢٤:٢) نجد النسخة الإنجليزية المعتمدة A.V. والأخرى المصحَّحة R.V. تتبعان عن صحة الـ (kethîb) وتتركان التقليد اليهودي، ولكن في المزمور (٣:١٠٠) نجد النسخة A.V. بدون سبب كافٍ اتبعت الـ (kethîb) بينما النسخة R.V. اتبعت عن صحة الـ (Qerê).

الترجمات القديمة للعهد القديم:

١ - الترجمة السبعينية:

وهي ترجمة من العبرية إلى اليونانية، وهي أقدم وأثمن جميع الترجمات وهي مسمَّاه بالسبعينية لأن سبعين أو اثنين وسبعين شيخاً يهودياً قاموا بترجمة الأسفار الخمسة للتوراة وذلك بناءً على طلب بطليموس فيلادلفوس (٢٨٥ - ٢٤٧ ق.م)، وقد تمَّت في مصر وفي الإسكندرية بالذات. ولكن الأصح أنها تُرجمت على مدى أكثر وبأيدي مختلفة أثناء القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد وذلك قبل أن يُدخل الماسوريون علامات التشكيل على النسخة الماسورية.

ويُظن أن الأسفار الخمسة تُرجمت أولاً في بداية عصر البطالسة، ولكن المعروف أن حفيد يشوع ابن سيراخ الذي ترجم كتابه إلى اليونانية استخدم سنة ١٣٠ ق.م نسخة الكتب المقدَّسة والناموس والأنبياء والتي كانت تحوي المزامير.

وجودة الترجمة تختلف كثيراً من موضع لآخر في الترجمة السبعينية. فهؤلاء الرواد في الترجمة قاموا بعملهم بدون أي معونة من كتب القواعد أو القواميس لمساعدتهم في الصياغة. ولذلك فمن الطبيعي أن تظهر في عملهم بعض النواقص. ولكن كثيراً ما تفيد الترجمات السبعينية في استخلاص معاني بعض الكلمات العبرية الغامضة، وتساعد في اقتراح بعض التصحيحات اللازمة للنص الماسوري.

أمَّا ترجمتها لسفر المزامير فهي على العموم جيدة وفي صورة ممتازة ولو أن هناك بعض الالتباس في المواضع الصعبة، وأحياناً تتوه بلا رجاء من نحو العناوين، ولكن لها قيمة خاصة عند قُرَّاء الإنجليزية لأنها من خلال الفولجاتا كما سنرى كان لها تأثير كبير على الترجمات الإنجليزية المألوفة والأكثر شيوعاً.

ولكن للأسف لم تبلغنا السبعينية في ثوبها الأصلي لأن النص قد عانى من عدة تعديلات وتغييرات سواء من خلال الإهمال من جهة النسّاخ أو من خلال إجراء تعديلات في الترجمة قُصد بها التوفيق بينه وبين النص الماسوري أو أُخذت من ترجمات يونانية أخرى.

على أن أهم المخطوطات التي فيها الترجمة السبعينية لكتاب المزامير ما يأتي:

مخطوطة الفاتيكان: وعلامتها B:

وهي نسخة فاخرة للكتاب المقدَّس اليوناني مكتوبة في القرن الرابع الميلادي ومحفوظة الآن في مكتبة الفاتيكان بروما. ولكن عشر ورقات تحوي مزامير من (١٠٥-١٣٧:٦) قد فقدت منها للأسف، وبقية هذه النسخة نشرها العالِم سويت في كتابه الذي نشر فيه السبعينية. والأجزاء المفقودة من المزامير أخذها من النسخة السبعينية א.

النسخة السينائية: وعلامتها א:

وهي فاخرة أيضاً ومكتوبة أيضاً في القرن الرابع والذي عثر عليها هو تشندورف في دير سانت كاترين في جبل سيناء ونقلها إلى مكتبة سان بيترسبورج (بروسيا) وهي حالياً بالمتحف البريطاني.

النسخة الإسكندرانية: وعلامتها A:

وهي مكتوبة في أواسط القرن الخامس، وقد أخذوها من الإسكندرية وهي الآن في المتحف البريطاني ولكن بها تسع ورقات غائبة من كتاب المزامير من (١٩:٤٩) إلى (مز ٧٩:١٠).

وتعتبر السبعينية بعيوبها ذات أهمية قصوى بالنسبة لدارس العهد القديم للأسباب الآتية:

١ - تحتفظ بصورة من النص العبري الأكثر قدماً من أقدم النسخ العبرية الحالية، وتقدِّم أحياناً نصاً مخالفاً للنص الماسوري.

٢ - تُعتبر من أفيد وأقدم المراجع للتأكد من معاني كلمات العهد القديم بالإضافة إلى قيمتها العُظمى لتزويد معرفتنا للتقليد اليهودي القديم.

٣ - كانت الواسطة التي تمَّ بها التحام اللغة اليونانية مع العبرية فكرياً، وهكذا مهَّدت الطريق لمنفعة كُتّاب العهد الجديد.

٤ - إن معظم الاقتباسات من العهد القديم التي جاءت في العهد الجديد مأخوذة من السبعينية.

٥ - تعتبر هي الترجمة الأساسية التي قام بها آباء الكنيسة الشرقية بدراسة العهد القديم، وتأثر

بها بطريق غير مباشر عن طريق الترجمات اللاتينية القديمة المأخوذة منها جميع رجال الكنيسة الغربية حتى إلى زمن جيروم الذي قدَّم ترجمة جديدة لاتينية من العبرية، غير أن هذه - بالنسبة للمزامير بالذات - لم تُلغِ استعمال الترجمات اللاتينية الأقدم المأخوذة من السبعينية.

٢ - الترجمة السريانية:

معروفة بالبيشيتا Peshitta (البسيطة والحرفية):

ويُظن أنها عُملت في إدسَّا (الرها) في حوالي القرن الثاني الميلادي، وقد تُرجمت من العبرية بمساعدة إخوة يهود متنصِّرين أو حتى يهود، ولكن النص الحالي للعهد القديم يتفق مع السبعينية في بعض أجزائه بطريقة يتضح منها أن المترجمين الأصليين كانوا يرجعون إلى السبعينية، أو أن المراجعين اللاحقين أدخلوا قراءات من النسخة السبعينية. وهذا ينطبق على كتاب المزامير.

٣ - الترجمات اليونانية المتأخِّرة:

(أ) **ترجمة أكويلا:** للعالِم Aquila of Pontus وهو دخيل يهودي من الوثنية وقد عملها في بداية القرن الثاني الميلادي وذلك بعد أن تمَّ الانفصال الكامل بين السيناجوج والكنيسة واحتاج اليهود إلى ترجمة دقيقة للنقاش مع المسيحيين، وهي ترجمة حرفية تتعبَّد للحرف ولكنها متقنة.

(ب) **ترجمة ثيودوتيون:** Theodotion

وقد أكملها في نهاية القرن الثاني أو ربما قبل هذا التاريخ وهي ليست أكثر من مراجعة للنسخة السبعينية.

(ج) **ترجمة سيماخوس:** Symmachus

وقد أكملها بعد ثيودوتيون بقليل وهي قائمة أصلاً على السبعينية وكان اتجاهها الجمع بين الدقة والوضوح وكانت أجودهم بلا نزاع.

هذه الترجمات المتعدِّدة قام بتجميعها معاً العالِم القدير أوريجانوس (سنة ١٨٥-٢٥٤م) في عمله الجبَّار المدعو بالهكسابلا (السداسية) والذي يحوي في ستة أعمدة متوازية:

١ - النسخة العبرية.
٢ - النسخة العبرية مكتوبة بحروف يونانية.
٣ - ترجمة أكويلا.
٤ - ترجمة سيماخوس.

٥ – السبعينية. ٦ – ترجمة ثيودوتيون.

وفي سفر المزامير هذه الهكسابلا أصبحت الأوكتابلا (الثمانية) بإضافة عمودين عبارة عن ترجمتين جديدتين من العبرية إلى اليونانية وهي "الخامسة = Quinta"، و"السادسة = Sexta". ولكن لسوء الحظ لم يتبقَّ من هذا العمل الفريد الجبَّار إلاَّ جزئيات. ولكن على العموم تتفق هذه النسخ جميعاً إلى حدٍّ كبير مع النص الماسوري.

٤ – الترجمات اللاتينية:

أول ترجمة لاتينية للعهد القديم تُدعى Vetus Latina أي اللاتينية العتيقة وتمَّت في شمال أفريقيا عن السبعينية. وهذه الترجمة والنسخ العديدة الموجودة منها والمتداولة راجعها مرَّتَيْن العالِم والقديس إيرونيموس المعروف باسم جيروم:

المرحلة الأُولى: قام بها سنة ٣٨٣م وسُمِّيت باسم البسالتر الروماني، غالباً لأنها عُملت في روما لاستخدام الكنيسة الرومانية حسب طلب البابا داماسوس.

المرحلة الثانية: سنة ٣٨٧م وسُمِّيت الجاليكانية لأن الكنيسة الجاليكانية (أي الفرنسية) كانت أول من استخدمها. ولكن بعد هذا بزمن قليل سنة ٣٨٩م بدأ جيروم عمله الخالد في ترجمة العهد القديم كله مباشرة من اللغة العبرية إلى اللغة اللاتينية استغرق منه أربعة عشر سنة وكأنه أوريجانوس الغرب!! وبعد معارضات مُرَّة ومداورات دخلت هذه الترجمة الممتازة لتكون النسخة الرسمية للكتاب المقدَّس في الكنيسة اللاتينية وصارت تسمَّى الفولجاتا. ولكن لأن الكنيسة كانت قد اعتادت منذ القديم أن تتلو المزامير بحسب النسخة اللاتينية الأقدم كان من الصعب أن تحل محلها ترجمة جيروم. وهكذا نجد أن النسخة الجاليكانية للمزامير دخلت في الفولجاتا بدل ترجمة جيروم الأحدث والمدعوة iuxta Hebraicam veritatem (أي حسب النص العبري الحقيقي) والتي لم تعد للاستخدام بعد ذلك، ولكنها ظلَّت ذات قيمة كبيرة في ترجمة النص. ويتضح منها أن النص العبري الذي ترجم عنه جيروم كان قريباً جدًّا من النص الماسوري. لذلك يتعيَّن على الطالب أن يعرف أن ترجمة المزامير في الفولجاتا هي صورة من الترجمة السبعينية وليست مستقلة.

بقي علينا أن نندب حظنا في الترجمة العربية الركيكة التي بين أيدينا التي ليس لها زميل نقارن عليه، ولا ندري على أي مستوى من الدقة والعلم تمَّت ترجمتها وكذلك القبطية والفروقات بين القبطية والعربية هائلة. وعلينا أن نظل نندب حظنا إلى أن تقوم هيئة علمية قبطية أرثوذكسية بترجمة متقنة حديثة عربية للمزامير.

الرجاء المسيَّاني في المزامير

إن "الشعر" المُلهَم ويدخله بند المزامير هو من صنع يد الأنبياء، والنبوَّة هي الممهِّد الرسمي والأصيل لمجيء المسيح! الأفكار النبوية تبلورت وتركَّزت ليخرج منها الإلهام بمستوى الغيرة والحرارة. واستخدام المزامير المستمر والواعي والتَقَوِي في العبادة جعل النبوات بحد ذاتها أمراً عادياً ومقبولاً، وأصبح انتظار الآتي حركة حيَّة في الضمير لا تهدأ، وكوَّنت الرجاء، والرجاء صار بدوره جزءاً من حياة الأُمة اليهودية. وحتى المزامير التي لم تكن صريحة في ذكر الآتي ومَنْ هو ذاك الآتي أخذت دورها وساهمت في صياغة حركة الفكر لدى الأتقياء، الذين أُعِدُّوا لاستقبال ذاك الآتي لَمَّا أتى أكثر مما كان عليه الوعي العام لدى الأُمة، لأن تلك المزامير كانت تشير إليه، وهذا نراه في الشخصيات التي قدَّمها ق. لوقا في إنجيله في الأصحاحين الأول والثاني (زكريا وأليصابات، العذراء مريم، سمعان الشيخ وحنّة النبية). وبذلك كشف عن الوعي الروحي الذي أخذ دوره بكفاءة عند ظهوره.

هذا الإعداد الفكري والوجداني الذي دخل في صميم تهذيب الإنسان اليهودي استمر في عدة اتجاهات بارزة:

١ - فبعض المزامير أشارت إلى المسيَّا كابن الله وملك وكاهن.
٢ - والبعض الآخر أعدَّ الطريق لفهم آلام الفادي المزمع أن يخوضها.
٣ - وغيرها أخذت مضمونها الكامل في مفهوم "ابن الإنسان"!
٤ - وغيرها أنبأت بمجيء يهوه بذاته ليدين ويفدي معاً!

فعلى هذه الاتجاهات الحية تمهَّدت الأفكار وتهيَّأت لمجيء المسيَّا على أساس عمله. ولكن يتحتَّم أن ندرك ونحس أن هذا الإعداد المتعدِّد الاتجاهات كان صامتاً، ولم ينتهِ إلى الفكر والنطق، بل ظل يعتمل في القلب والضمير والإحساس الداخلي بدون تعبير متشارك.

ولذلك صعب على الإنسان جدًّا أن يقرأ العهد القديم الآن في ضوء ما تمَّ أمام أعيننا ويتصوَّر مدى العتامة وضباب الرؤيا والرجاء غير الكامل بمجيء المسيَّا الذي كان يلزم أن يسود حتى يستعلن مجيء المسيح وينكشف الغرض الإلهي. وأخيراً يدرك الإنسان كم من العصور كانت لازمة ليعدَّ الله لملء هذا الاستعلان في حينه الحسن.

أولاً: المسيَّا ملك:

مزامير: ٢و١٨و٢٠و٢١و٤٥و٦١و٧٢و٨٩و١١٠و١٣٢. وإليك نماذج منها:

مز ٢: ٦: «أمَّا أنا (يهوه) فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي.
٨: اسألني فأعطيك الأُمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض ملكاً لك».
مز ١٨: ٤٣: «تجعلني رأساً للأُمم. شعب لم أعرفه يتعبَّد لي.
٥٠: برج خلاص لملكه، والصانع رحمة لمسيحه، لداود ونسله إلى الأبد».
مز ٢٠: ٩: «ليستجب لنا الملك في يوم دعائنا!».
مز ٢١: ١: «يا رب بقوتك يفرح الملك، وبخلاصك كيف لا يبتهج جداً!
٣: وضعت على رأسه تاجاً من إبريز ...
٥: عظيم مجده بخلاصك جلالاً وبهاءً تضع عليه.
٧: لأن الملك يتوكَّل على الرب وبنعمة العلي لا يتزعزع».
مز ٤٥: ١: «فاض قلبي بكلام صالح، متكلِّم أنا بإنشائي للملك، لساني قلم كاتب ماهر.
٥: نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك. شعوب تحتك يسقطون.
٦: كرسيك يا الله إلى دهر الدهور قضيب استقامة قضيب ملكك.
٩: جُعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير ...
١٣: كلها مجدٌ ابنة الملك في خدرها، منسوجة بذهب ملابسها.
١٤: بملابس مطرَّزة تُحضر إلى الملك في إثرها عذارى صاحباتها، مُقدَّماتٌ إليكَ.
١٥: يُحضَرنَ بفرح وابتهاج، يَدخُلنَ إلى قصر الملك».
مز ٦١: ٦: «إلى أيام الملك تُضيف أياماً. سنينه كدور فدور».
مز ٧٢: ١: «اللهم أعطِ أحكامك للملك وبرك لابن الملك».
مز ٨٩: ٢٠: «وجدت داود عبدي بدهن قدسي مسحته.
٢٦: هو يدعوني أبي أنت. إلهي وصخرة خلاصي.
٢٧: أنا أيضاً أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض.
٢٩: وأجعل إلى الأبد نسله وكرسيه مثل أيام السماوات.
٣٦: نسله إلى الدهر يكون وكرسيه كالشمس أمامي».
مز ١١٠: ١: «قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك.
٤: أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق».

مز ١٣٢: ١١: «أقسم الرب لداود بالحق لا يرجع عنه. من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك.
١٧: هناك أنبت قرناً لداود، رتَّبت سراجاً لمسيحي».

ومملكة إسرائيل كانت هي التعبير عن غرض الله لإقامة مملكة الله على الأرض، وكانت في تدبير الله هي المنوط بها تكميل هذا الغرض الإلهي، لذلك كان شعب إسرائيل هو ابن يهوه البكر له: «فتقول لفرعون هكذا يقول الرب: إسرائيل **ابني البكر**، فقلت لك أطلق ابني ليعبدني فأبيت أن تطلقه، ها أنا أقتل ابنك البكر.» (خر ٤: ٢٢و٢٣)

وأيضاً حينما خاطب الله الشعب على لسان موسى عندما علم بالروح أنهم سيتمرَّدون على الله: «ألرب تكافئون بهذا يا شعباً غبياً غير حكيم. أليس هو **أباك** ومقتنيك.» (تث ٣٢: ٦)

كذلك هوشع النبي يقول: «لما كان إسرائيل غلاماً أحببته ومن مصر دعوت **ابني**.» (هو ١١: ١)

لذلك اعتبر الله داود الملك ممثل الأُمة أنه ابن يهوه وبكره أيضاً:
+ «اذهب وقل لعبدي داود هكذا قال الرب: أأنت تبني لي بيتاً لسكناي، لأني لم أسكن في بيت منذ يوم أصعدت بني إسرائيل من مصر ... أنا أكون له **أباً** وهو يكون لي **ابناً**» (٢صم ٧: ٥و١٤)
+ «إني أخبر من جهة قضاء الرب. قال لي: أنت **ابني** أنا اليوم ولدتك.» (مز ٢: ٧)
+ «هو يدعوني **أبي** أنتَ، إلهي وصخرة خلاصي. أنا أيضاً أجعله بكراً (طبعاً لي) أعلى من ملوك الأرض.» (مز ٨٩: ٢٦و٢٧)
+ «أمَّا أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي.» (مز ٢: ٦)
وهذا يوضِّح أنه كان يحكم من تحت الله.

وأيضاً كانت "مملكة الرب" والملك كان يجلس على "كرسي مملكة الرب"، بل على "كرسي الرب":
+ «وقد اختارني الرب إله إسرائيل من كل بيت أبي لأكون ملكاً على إسرائيل إلى الأبد ... ومن كل بنيَّ ... اختار سليمان ابني ليجلس على **كرسي مملكة الرب** على إسرائيل.» (١أي ٢٨: ٤و٥)
+ «وجلس سليمان **على كرسي الرب ملكاً** مكان داود أبيه ...» (١أي ٢٩: ٢٣)
+ «ليكن مباركاً الرب إلهك الذي سُرَّ بك **وجعلك على كرسيه ملكاً للرب إلهك**.» (٢أي ٩: ٨)
كذلك اعتُبر داود ممثِّلاً لله لدى شعب إسرائيل بل وممثِّلاً لله لدى الشعوب وباقي الأُمم، لأن

الله وعده أن يمثِّله لدى كل شعوب الأرض.

وفي سفر صموئيل الثاني نرى أن العهد الإلهي لداود عهدٌ أبديٌّ: «فهذه هي كلمات داود الأخيرة: وحي داود بن يسَّى، ووحي الرجل القائم في العلا مسيح إله يعقوب ومرنِّم إسرائيل الحلو. روح الرب تكلَّم بي وكلمته على لساني ... أليس هكذا بيتي عند الله لأنه وضع لي عهداً أبدياً متقناً في كل شيء ومحفوظاً أفلا يُثْبِتُ كل خلاصي وكل مسرَّتي.» (٢صم ٢٣: ١-٥)

وهكذا على أساس اختيار الله لداود وبيته وبناءً على نبوَّته هذه تأسَّست حلقة من المزامير التي دعيت المزامير الملكية. وقد تحقَّق كل ما قاله داود في نبوته على مدى سنيه ومن بعده في تاريخ المملكة، وإن ظهر إخفاق فعلاً على مستوى تحقيق هذه النبوَّات فلكي يكمِّلها بتمامها الآتي من أحشائه ومن بيته بالحرف الواحد لتشهد بصدقها السماء والأرض وكل التاريخ. فقد أكمل المسيح مملكة داود بكل عزِّها وبهائها ومجدها ويزيد أضعافاً مضاعفة.

ولكن ما قدَّمته هذه المزامير الخاصة بالملوكية أوضح حقائق تمَّت وستتم:
ويمكن تقديمها هنا باختصار:

مزمور ٢:
يسود المزمور فكرة البنوَّة لله للملك الممسوح وعظمته، وبالرغم من أن الأُمم تريد بتأكيد أن تلغي علاقتها وتبعتها بالملك الذي تُوِّج حديثاً في صهيون، ولكن خاب مقصدها لأن الملك ليس هو إلاَّ ابن يهوه والممثِّل له، فبالثورة عليه تكون الثورة على يهوه، فإن هم أصرّوا كان هذا لهلاكهم.

مزمور ١٨:
يحتفل داود بيهوه كمعطي النصرة، وكونه عيَّنه رأساً للأُمم: «وتعطيني أقفية أعدائي، ومبغضيَّ أفنيهم» (مز ١٨: ٤٠)، «تنقذني من مخاصمات الشعب، تجعلني رأساً للأُمم، شعب لم أعرفه يتعبَّد لي.» (مز ١٨: ٤٣)

فأعطاه الله هذه الوظيفة لكي ينادي داود بيهوه ويمجده فيما بين الأمم جميعاً: «لذلك أحمدك يا رب في الأُمم، وأُرنِّم لاسمك.» (مز ١٨: ٤٩)

مزمور ٢٠:
علاقة الملك بيهوه "كمسيحه" وممثِّلاً له تصبح أساساً لتشفعاته وثقته فيما يتشفَّع: «الآن عرفت أن الرب مخلِّص مسيحه، يستجيبه من سماء قدسه، بجبروت خلاص يمينه.» (مز ٢٠: ٦)

مزمور ٢١:

الشكر الذي يقدِّمه داود من أجل النصرة إنما يستقر على أساس القيمة العالية الـتي أصبحت له بسبب علاقته هذه السريَّة والخطيرة بيهوه: «يا رب بقوتك يفرح الملك، وبخلاصك كيف لا يبتهج جداً! شهوة قلبه أعطيته وملتمس شفتيه لم تمنعه. سلاه! ... لأن الملك يتوكـل على الرب وبنعمة العلي لا يتزعزع.» (مز ٢١: ١و٢و٧)

مزمور ٤٥:

الحديث هنا بالشعر الإلهامي العالي عن علو شأن الملك، والحديث عـن جماله والمسحة الملوكية التي أتته عن صحة وأصالة في وقتها بسبب برِّه وبغضة الإثم.

ثمَّ يدخل إلى الفكر الأساسي وهو اتحاد الملك بملكة أجنبية من الأُمـم اتحاداً سليماً كنبوة عن دخول الأُمم في مملكة الله بسلام، وعن يمين الملك تجلس كنايـة عـن وحـدة الكرامة ولكـن وحـدة العبادة بآنٍ واحد، لأنها مدعوة للسجود له كإله وسيد، كما أنها وبـآن واحـد أيضاً حُسبت بنتاً للملك، وهكذا جمعت صفات الزوجة والعبدة والبنت بآنٍ واحدٍ. وهكـذا عوضـاً عـن الآبـاء يـأتي الأولاد كرؤساء في كل الأرض.

فهو مزمور ملكي يحكي عن مستقبل الأُمم واتحادها في التبعية والحمد إلى الدهر.

مزمور ٦١:

نفس ما قدَّمه في مزمور ٢١ ولكن أضاف: «إلى أيام الملك تُضيـف أياماً، سنينه كـدور فـدور يجلس قدَّام الله إلى الدهر.» (مز ٦١: ٦و٧)

مزمور ٧٢:

داود يتوسَّل من أجل ابنه (سليمان أو الآتي بعده) ويوضِّح النموذج الأعلى لعمله، ويصلي حتى يكمِّل هذا العمل كصاحب سلطان، بار يخشى الخطأ، لكي يملك على اتساع الدنيا كلهـا مستقبلاً خضوع الأُمم بسبب الحق الذي فيـه، ومؤكِّداً نفسـه كوريث كوعـد الله لرئيـس الآبـاء إبراهيـم «يتباركون به كل أُمم الأرض».

مزمور ٨٩:

مقارنة بين وعد العهد ونقض العهد.

وعد الله لداود الملك بمعونة الله وتدخُّله لخـلاص شعبه مـن الضيقـة بيقـين وذراع عاليـة. هـذا

الوعد جعل صاحب المزمور يغنِّي عن يقين النصرة القادمة وسط الضيقة العُظمى التي أتت فزلزلت إيمانهم وجعلتهم يصرخون: حتى متى؟ يطلبون الرحمة لنزع العار.

١ و ٢ : «بمراحم الرب أُغنِّي ... لأني قلت إن الرحمة إلى الدهر تُبنى.

٣: قطعتُ عهداً مع مختاري حلفتُ لداود عبدي.

٤: إلى الدهر أُثبِّتُ نسلك وأبني إلى دور فدور كرسيك.

١٨: لأن الرب مجنُّنا وقدوس إسرائيل ملكنا!

١٩: حينئذٍ كلَّمت برؤيا تقيَّك وقلتَ جعلتُ عوناً على قوي ...

٢٠و٢١: وجدتُ داود عبدي بدهن قدسي مسحته الذي تثبت يدي معه.

٢٢و٢٣: لا يرغمه عدو ... أسحق أعداءه أمام وجهه وأضرب مبغضيه.

٢٨: إلى الدهر أحفظ له رحمتي وعهدي يُثبَّت له!

٣٣و٣٤: أمَّا رحمتي فلا أنزعها عنه ... لا أنقض عهدي ولا أُغيِّر ما خرج من شفتيَّ.

٣٨: لكنك رفضت ورذلت غضبت على مسيحك (إسرائيل).

٣٩: نقضت عهد عبدك، نجَّست تاجه في التراب.

٤٠و٤١: هدمت كل جدرانه، جعلت حصونه خراباً ... صار عاراً عند جيرانه.

٤٢: رفعت يمين مضايقيه، فرَّحت جميع أعدائه.

٤٣و٤٤: رددتَ حدَّ سيفه ... أبطلتَ بهاءه وألقيت كرسيه إلى الأرض.

٤٥: قصَّرت أيام شبابه، غطَّيته بالخزي. سلاه.

٤٦: ... حتى متى!».

مزمور ١١٠:

المزمور وحي إلهي ينطقه داود عن ابنه سمعاً من صوت الله، يفيد مقدار الحظوة الإلهية التي ينالها هذا الابن بصفته ملكاً وكاهناً ومنتصراً، وقد اختاره يهوه ليكون معيناً يجلسه على كرسي الكرامـة بجواره، ولو أنه ليس من سبط هارون ولكنه مؤيَّد بكرامة كهنوتية عالية على رتبة غير موروثة ولا معروفة البداية والنهاية، هنا الملك الجديـد على صهيـون يـرث ميراث مجد وكرامة ملـك ساليم ويدخل ذكرى ساليم الأبدية.

١: «قال الرب لربي اجلس عـن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» (= الحظوى بالتساوي والوعد بالانتصار الأخير).

٣: «من رحم الفجر لك طلّ حداثتك» (= مولدك منذ فجر الزمن).

٤: «أقسم الرب ولن يندم: أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق» (= كهنوته ينبع من قَسَم إلهي يدوم إلى الأبد رمزاً للسلام).

مزمور ١٣٢:

عودة لذكر الماضي المجيد لداود وكل وعوده، فإسرائيل كفّت أن تكون كما كانت، وانتهت إلى ما يقرب الاضمحلال تحت الاحتلال. ولا يزال التمسُّك بالوعد يقيم الأمل إذ حتماً يتم مهما كان:

١: «اذكر يا رب داود. كل ذُلّهِ (وهو الآن في كل ذله).

٢و٤: كيف حَلَفَ للرب ... أجدُ مقاماً للرب مَسْكِناً لعزيز يعقوب.

٦: هوذا قد سمعنا به في أفراته (= يولد في أفراته بيت لحم).

١١: أقسم الرب لداود بالحقِّ ... من ثمرة بطنكَ أجعلُ على كرسيكَ (= من ثمرة بطن داود).

١٧: هناك (في أفراته) أُنبتُ قرناً (مَلِكاً) لداود رتَّبتُ سِراجاً لمسيحي (= منه يخرج مدبر ونور لمسيحه)».

هذه المزامير غير أنها تصف مراحل تاريخ الملوكية، فهي تعطي بالأكثر رجاءً قوياً مدعَّماً بقسم من الله وحلف أن تبقى عين الله على داود ونسله حتى لا ييأس إسرائيل قط مهما نازلته النوازل. فقسم الله لداود يضيء ليس التاريخ كله من ألفه إلى يائه بل ما بعد التاريخ أيضاً، فالآتي سيأتي ويكمِّل كل الوعد والعهد ويرفع تحقيق الزمن إلى مستوى تحقيق الأبد!

ثانياً: المسيَّا المتألِّم:

مزامير ٢٢ و٣٥ و٤١ و٥٥ و٦٩ و١٠٩.

لكي تُحسن العقول في الرؤيا التي تحيط ظفر الملك ونصرته على حقيقتها الإلهية وليست البشرية ولكي تلتقط من النصرة ما هو أعلى من معطيات الزمان، يلزم لها جدًّا أن تحيط بآلام هذا المخلّص الملك. هنا يلزمنا أن نقف لحظة مع نبوات إشعياء في أصحاحي ٥٢و٥٣ لكي نتفهَّم وقع أقوال المزامير المختصرة والمضغمة فيما تعنيه مزامير الآلام.

في الأصحاحين ٥٢و٥٣ من سفر إشعياء نجد نموذجاً مختصراً في صفَّين:

الأول: الأمجاد القادمة أكيداً.

الثاني: طريق الأحزان الدموي أكيداً.

المجد القادم والخلاص العلني أصحاح ٥٢	أحزان الملك المرَّة وموت الفداء أصحاح ٥٣
١: «استيقظي استيقظي إلبسي عزك يا صهيون إلبسي ثياب جمالكِ يا أُورشليم. ٢: اجلسي يا أُورشليم، انحلّي من ربط عنقكِ أيتها المسبيَّة ابنة صهيون ٧: ما أجمل على الجبال قدمي المبشِّر المخبر بالسلام المبشِّر بالخير المخبر بالخلاص القائل لصهيون قد ملك إلهكِ. ٨: صوت مراقبيكِ ... يترنَّمون معاً ... عند رجوع الرب إلى صهيون. ٩: أشيدي ترنَّمي معاً ... لأن الرب قد عزَّى شعبه فدى أورشليم. ١٠: قد شمَّر الرب عن ذراع قدسه أمام عيون كل الأُمم. فترى كل أطراف الأرض خلاص إلهنا. ١٢: لأن الرب سائر أمامكم وإله إسرائيل يجمع ساقتكم».	٢و٣: «لا صورة له ولا جمال ... محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن. ٤: لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمَّلها ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً. ٥: وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا. ٦: ... والرب وضع عليه إثم جميعنا. ٧: ظُلم أمَّا هو فتذلَّل ... كشاة تُساق إلى الذبح ... لم يفتح فاه. ٨: أنه قُطع من أرض الأحياء! ضُرب من أجل ذنب شعبي. ٩: وجُعل مع الأشرار قبره ... على أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه غش. ١٠: أمَّا الرب فسُرَّ بأن يسحقه بالحزن: إن جعل نفسه ذبيحة إثم! ١٢: سكب للموت نفسه وأُحصي مع أثمة. وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين!».

ملاحظة:

يُلاحَظ أن المجد والآلام قد جاءا في أصحاحين متلازمين.

وهكذا أعطى الله أيضاً إنْ في إشعياء أو الأنبياء صورة جيدة وواضحة لآلام القديسين والأبرار ليجعل المؤمنين على صحة ومعرفة وإيمان ونور أن آلام الأبرار وبالأعظم المسيَّا هي الطريق الصحيح

لبلوغ النصرة! فالآلام كانت من أجل الله، والنصرة والمجد من أجل الله. فالألم والخلاص طريق واحد، بداية ونهاية، والله يدبِّره وينظره من علٍ. هذا هو الذي تيقنّاه نحن المسيحيين: «الذي الآن **أفرح في آلامي** لأجلكم وأُكمِّل نقائص **شدائد المسيح** في جسمي لأجل جسده الذي هو الكنيسة.» (كو ١:٢٤)

وفوق أن هذه الآلام سواء جازها الأبرار أو سجَّلتها المزامير هي حقيقية تماماً ولكن قد صاغتها الإرادة الإلهية بروح الله لكي تطابق تماماً آلام المسيح، وكأنه تصوير حي مفروض على أشخاص عدة تجمع فيما بينها صورة آلام المسيح بكل دقائقها، هذه الدقائق في التمثيل كان القصد منها إثارة الانتباه لرؤية الواقع المرسوم في النبوات ليتحقّق الرائي من صدق ما يرى ويسمع.

ولكن للأسف غابت مزامير الآلام كلها عن الليتورجيا اليهودية والفكر اليهودي بأجمعه فلم يستفد منها شيئاً قدر ما استفاد وتمسَّك بالمزامير والنبوات الملكية.

ولكن كان المسيح نفسه هو الذي نبَّه تلاميذه إلى هذه النبوات كيف أنها ستُجرى عليه ويجوزها جميعاً ولكن بعدها النصرة العُظمى والخلاص الأبدي، كما نبَّه أذهانهم أن هذه الآلام سبق ورُسمت في الفكر الإلهي وغطَّت كل العهد القديم!!

نماذج من مزامير الآلام:

مزمور ٢٢:

فهو يصوِّر بأبدع تصوير ازدواج هذه الرؤيا: المجد والألم معاً وامتزاج الفرح الطاغي لمجيء ملكوت يهوه وكيف يسبقها سحابة قاتمة من الأحزان والآلام التي سيجوزها المسيح ولكن يا لمجد الثمر، مسجلاً كلمات الرب على الصليب مؤكّداً تكميلها بواسطته.

الجزء الأول من المزمور أحزان الصليب حتى الموت	الجزء الثاني من المزمور للرب المُلك
١: «إلهي إلهي لماذا تركتني؟ بعيداً عن خلاصي ...	٢٢: «أُخبر باسمك إخوتي، في وسط الجماعة أسبِّحك.
٦: أمَّا أنا فدودة لا إنسان عار عند البشر ومحتقر الشعب.	٢٣: يا خائفي الرب سبحوه ... واخشوه يا زرع إسرائيل.
٧: كل الذين يرونني يستهزئون بي ...	٢٤: لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين ولم

الجزء الأول من المزمور أحزان الصليب حتى الموت	الجزء الثاني من المزمور للرب المُلك
	يحجب وجهه عنه.
٨: اتكل على الرب فلينجِّه لينقذه لأنه سُرَّ به.	٢٥: من قبلك تسبيحي في الجماعة العظيمة. أوفي نذوري قدام خائفيه.
١١: لا تتباعد عني لأن الضيق قريب لأنه لا معين.	٢٦: يُسبِّح الرب طالبوه، تحيا قلوبكم إلى الأبد.
١٢: أحاطت بي ثيران كثيرة أقوياء باشان اكتنفتني.	٢٧: تذكر وترجع إلى الرب كل أقاصي الأرض وتسجد قدامك كل قبائل الأمم.
١٤: كالماء انْسكَبت انفصلت كل عظامي، صار قلبي كالشمع.	٢٨: لأن للرب الملك، وهو المتسلِّط على الأمم.
١٥: يبست مثل شقفة قوتي ولصق لساني بحنكي وإلى تراب الموت تضعني!	٣٠: يخبر عن الرب الجيل الآتي.
١٦-١٨: جماعة من الأشرار اكتنفتني، ثقبوا يديَّ ورجليَّ أُحصي كل عظامي، وهم ينظرون ويتفرَّسون فيَّ يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون».	٣١: يأتون ويخبرون ببره شعباً سيولد بأنه قد فعل».

مزمور ٦٩:

الذي تألَّم من أجل الرب بسبب غيرته التي أكلته لبيت الرب (مز ٦٩: ٧و٩) في آلامه كضحية وفريسة لعداء بلا سبب: «الذين هم أعدائي باطلاً ولا يتغامز بالعين الذين يبغضونني بلا سبب» (مز ٣٥:١٩)، وفي احتماله للتوبيخ من أجل أمانته لله، كان هو النموذج الأمثل للمسيح! وكل الاحتقار والازدراء والمعاملة الرذيلة السيئة التي تعرَّض لها سبقت وصوَّرت آلام المسيح، أمَّا اللعنة التي حلَّت على المضطهدين (مز ٦٩:٢٥) لاقت بالخائن الأكبر (أع ١:٢٠) والدينونة اجتاحت أعداءه (مز ٦٩: ٢٢-٢٤) ووجدت اكتمالها في رفض إسرائيل الخائنة (رو ١١: ٩و١٠).

ولم ينقصه تصوير الأصدقاء غير الأمناء الذين وصفهم مزمور (٤١:٩) فوافقت التلميذ الخائن:

مز ٦٩:٤: «أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب.

٧: احتملت العار، غطَّى الخجل وجهي ...

٩: لأن غيرة بيتك أكلتني وتعييرات معيريك وقعت عليَّ.

١٥: لا يغمرني سيل المياه، ولا يبتلعني العمق، ولا تطبق الهاوية عليَّ فاها.

٢١: يجعلون في طعامي علقماً، وفي عطشي يسقونني خلاً.

٢٢: لتصر مائدتهم قدامهم فخاً وللآمنين شركاً، لتظلم عيونهم عن البصر ...

٢٣: صبّ عليهم سخطك ...

٢٤: لتصر دارهم خراباً. وفي خيامهم لا يكن ساكن».

مز ٤١:٩: «أيضاً رجل سلامتي الذي وثقت به، آكل خبزي، رفع عليَّ عقبه».

ثالثاً: ابن الإنسان:

مزامير ٨ و١٦ و٤٠.

جاءت مزاميرها لتعبِّر عن الغاية الحقيقية للإنسان، وعاقبة السير في أمانة الرب والنموذج للطاعة الكاملة. هذه كلها أكملها المسيح بحذافيرها دون خلل في أي نقطة، وأجاب بحياته عن النموذج الأعلى الذي جاء ليمثِّل الإنسان منتصراً في كل ما أخفق فيه كل الناس!!

مزمور ٨:

يتطلع إلى طبيعة الإنسان وموقعه وغايته في مقاصد الله.

المسيح أجاب على هذا ببشريته الكاملة عن هذا النموذج المطلوب! لينظر أنه الكمال الكامل لمقاصد الله من أجل البشرية كلها، كما يذكر سفر العبرانيين: «ما هو الإنسان حتى تذكره أو ابن الإنسان حتى تفتقده: وضعته قليلاً عن الملائكة بمجدٍ وكرامةٍ كلَّلته وأقمته على أعمال يديك. أخضعت كل شيء تحت قدميه (لمَّا ارتفع صاعداً إلى السماء). لأنه إذ أخضع الكل له لم يترك شيئاً غير خاضع له. على أننا الآن لسنا نرى الكل بعد مخضعاً له (الموت مثلاً)، ولكن الذي وُضع قليلاً عن الملائكة (بالتجسُّد والموت) يسوع نراه مكلَّلاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد. لأنه لاقَ بذاك الذي من أجله الكل وبه الكل وهو آتٍ بأبناء

كثيرين إلى المجد أن يكمِّل رئيس خلاصهم بالآلام.» (عب ٢: ٦ـ١٠)(١)

مز ٨:٤: «فمَنْ هو الإنسان حتى تذكره، وابن آدم حتى تفتقده!!

٥: وتنقصه قليلاً عن الملائكة، وبمجد وبهاء تكلِّله.

٦: تُسلِّطه على أعمال يديك، جعلت كل شيء تحت قدميه.

٩: أيها الرب سيدنا، ما أمجد اسمك في كل الأرض!».

مزمور ١٦:

وصف الرجاء والخلاص والنصرة فوق الموت، مع الإحساس بالشركة مع الرب. هنا بشرية المسيح تجاوب عن النزول إلى القبر وغلبة الهاوية، وأخيراً حقَّقت ذاتها بالقيامة، كما عبَّر عنها سفر الأعمال:

+ «الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت إذ لم يكن ممكناً أن يُمسك منه. لأن داود (في المزمور ١٦) يقول فيه كنت أرى الرب أمامي في كل حين أنه عن يميني لكي لا أتزعزع. لذلك سُرَّ قلبي وتهلَّل لساني حتى جسدي أيضاً سيسكن على رجاء. لأنك لن تترك نفسي في الهاوية ولا تدع قدوسك يرى فساداً. عرَّفتني سبل الحياة وستملأني سروراً مع وجهك.» (أع ٢: ٢٤-٢٨)

مز ١٦:٨: «جعلت الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني فلا أتزعزع.

٩: لذلك فرح قلبي، وابتهجت روحي. جسدي أيضاً يسكن مطمئناً.

١٠: لأنك لن تترك نفسي في الهاوية، لن تدع تقيك يرى فساداً.

١١: تعرِّفني سبيل الحياة، أمامك شبع سرور، وفي يمينك نِعَمٌ إلى الأبد».

مزمور ٤٠:

كاتب المزمور يصف عجزه عن تتميم ذبيحة طاعته كاملة، وهكذا تنتظر كلماته مَنْ يُقدِّم هذه الطاعة في كمالها أي المسيح. كما يضعها سفر العبرانيين مبرهناً أن كل ما قُدِّم من عبادة وذبائح لم يُكمِّل الذين قدَّموها وإلاَّ لماذا لازالت تُقدَّم؟ لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا. لذلك عند دخوله إلى العالم يقول: «ذبيحة وقرباناً لم تُرد ولكن هيَّأتَ لي جسداً. بمحرقات وذبائح للخطية لم تُسرّ. ثمَّ قُلت هأنذا أجيء في درج الكتاب مكتوب عني **لأفعل مشيئتك يا الله.**» (عب ١٠: ١-٧)

مز ٤٠:٦: «بذبيحة وتقدمة لم تُسرّ، أُذنَيَّ فتحت، محرقة وذبيحة خطية لم تطلب.

(١) روعة في التعبير الدقيق المذهل لوصف ابن الإنسان الذي جاء ليمثِّل الإنسان الجديد أمام الله.

٧: حينئذ قلت: هنذا جئت بدرج الكتاب مكتوب عني.

٨: أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررت. وشريعتك في وسط أحشائي».

رابعاً: مجيء الله:

مزامير المجيء المبارك ليهوه بنفسه ليدين ويفدي: (مز ١٨: ٧ للآخر)، (مز ٥٠، ٦٨، ٩٦، ٩٧، ٩٨) وكلها تختص "**بيوم يهوه**" وهو تعبير نبوي عن مجيئه الذي يُختتم بقول ملاخي: «هأنذا أُرسل ملاكي فيهيىء الطريق أمامي ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تُسرون به. هوذا يأتي قال رب الجنود. ومن يحتمل يوم مجيئه ومن يثبت عند ظهوره لأنه مثل نار الممحص ...» (ملا ٣: ١و٢). هذه المزامير تتنبأ عن التجسُّد علانية، ولكنها جاءت لتهيِّئ ذهن الإنسان لتدخُّل الله المباشر (الذي تحقَّق بالفعل بالتجسُّد). فهنا صفحات يتكلَّم فيها يهوه استُخدمت في العهد الجديد بالنسبة للمسيح. فمثلاً كلمات المزمور ٦٨: ١٨ التي تصف الصعود الانتصاري ليهوه نحو عرشه بعد إخضاع العالم «صعدت إلى العلاء سبيت سبياً، قبلت عطايا بين الناس ...» هذه الكلمات بذاتها استخدمها العهد الجديد عن عودة المسيح المنتصرة إلى السماء وتوزيعه عطايا النعمة كما جاءت في رسالة أفسس: «ولكن لكل واحد منا أُعطيت النعمة حسب قياس هبة المسيح. لذلك يقول إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا ...» (أف ٤: ٧و٨)

مزمور ١٠٢:

هذا المزمور يُقارن بين عدم تغيُّر الخالق وتغيُّرات المخلوق، والكلمات المرفوعة ليهوه بفم المسبيين الذين ترجّوه أن يتدخَّل لحساب صهيون. استُخدمت نفس الكلمات بالنسبة "للابن" الذي بواسطته عمل الله العالمين كما وصفها سفر العبرانيين: «وأنت يا رب في البدء أسَّست الأرض والسموات هي عمل يديك. هي تبيد ولكن أنت تبقى وكلها كثوب تبلى. وكرداء تطويها فتتغيَّر ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى.» (عب ١: ١٠-١٢)

مز ١٠٢: ١٢: «أمَّا أنت يا رب فإلى الدهر جالس، وذكرك إلى دور فدور.

١٣: أنت تقوم وترحم صهيون، لأنه وقت الرأفة، لأنه جاء الميعاد.

١٤: لأن عبيدك قد سُرُّوا بحجارتها، وحنّوا إلى ترابها.

٢٥: من قِدَم أسَّست الأرض، والسموات هي عمل يديك.

٢٦: هي تبيد وأنت تبقى، وكلها كثوب تبلى، كرداء تُغيِّرهن فتتغيَّر.

٢٧: وأنت هو وسنوك لن تنتهي»!

وفي هذه المزامير جميعاً نلحظ ثنائية الغرض والاتجاه: الأول بحسب الواقع والحادث، والآخر بحسب المنظور الغائب والمترجّي. وما أظهرته البشرية من إخفاق في تتميم مقاصد العلي كان تأكيداً على أن الذي سيكمِّلها آتٍ آتٍ.

وكانت المزامير في جملتها إعداداً للطريق للمسيح الآتي، تحمل شهادة للمقاصد الإلهية خلال الأجيال المتعاقبة.

خامساً: الأُمم:

تحت عنوان الرجاء المسيَّاني في كتاب المزامير تندرج علاقة الأُمم بيهوه وبإسرائيل، وبالإضافة إلى التأكيدات المتكرِّرة عن اشتراك الأُمم في ملكوت يهوه المزمع أن يكون، هناك بعض الملامح الهامة ينبغي أن نلتفت إليها: إحدى الرؤوس الظاهرة والمتكرِّرة في هذه العلاقة هي كون الأُمم هم الأعداء بالنسبة لشعب يهوه، متحدين معاً لتحطيمه، ولكنهم هم الذين سينحطون إن هم استمروا في مقاصدهم الشريرة كما تحكي المزامير.

والمُلاحظة الهامة التي نود أن نلفت إليها فكر القارئ أن المزامير إلهام، والإلهام مسوق من الروح القدس، فالله هنا هو المتكلِّم.

مز ٢: ٢و٣: «قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه قائلين: لنقطع قيودهما ولنطرح عنّا ربطهما».

مز ٨٣: ١و٢: «اللهم لا تصمت، لا تسكت ولا تهدأ يا الله. فهوذا أعداؤك يعجّون، ومبغضوك قد رفعوا الرأس.

٣: على شعبك فكَّروا مؤامرة وتشاوروا على أحميائك.

٤: قالوا: هلم نُبدهم من بين الشعوب ولا يُذكر اسم اسرائيل بعد.

٥: لأنهم تآمروا بالقلب معاً، عليك تعاهدوا عهداً.

٦: خيام أدوم والاسماعيليين، موآب والهاجريون.

٧و٨: جبال وعمون وعماليق، فلسطين مع سكان صور. أشور أيضاً اتفق معهم، صاروا ذراعاً لبني لوط. سلاه».

مز ٩: ١٩: «قم يا رب لا يعتز الإنسان. لتحاكم الأُمم قدامك».

مز ٣٣: ١٠: «الرب أبطل مؤامرة الأُمم، لاشى أفكار الشعوب».

مز ٤٦:٦: «عجَّت الأُمم، تزعزعت الممالك. أعطى صوته ذابت الأرض».
مز ٥٩:٥: «وأنت يا رب ... انتبه لتطالب كل الأُمم، كل غادر أثيم لا ترحم.
٨: أمَّا أنت يا رب فتضحك بهم. تستهزئ بجميع الأُمم».

ولكن على التوازي مع هذه النظرة التي توضِّح عداوة الأُمم ليهوه وإسرائيل، توجد نظرة أخرى ولكن أكثر ترجيًّا تواجهنا باستمرار وهي أن كلاًّ من الأُمم وإسرائيل يتبع يهوه وهما موضوع عنايته، لذلك فهما أخيراً سيقدِّمان الطاعة، على أن إسرائيل تكون هي الأداة لتكميل هذا الختام، وهما سيكونان معاً مملكة واحدة عالمية. وما يمهِّد لذلك هو ما يلي:

(أ) الأرض وكل مَنْ فيها هي ليهوه كخالق لجميعها: كما تقول المزامير:
مز ٢٤:١: «للرب الأرض وملؤها، المسكونة وكل الساكنين فيها».
مز ٨:١: «أيها الرب سيدنا ما أمجد اسمك في كل الأرض، حيث جعلت جلالك فوق السماوات».

فالأرض وما فيها تحت نظره:
مز ٦٦:٧: «متسلِّط بقوته إلى الدهر عيناه تراقبان الأُمم ...».

والكل يخدم مقاصده:
مز ٣٣:١٤: «من مكان سكناه تطلَّع إلى جميع سكان الأرض،
١٥: المصوِّر قلوبهم جميعاً المنتبه إلى كل أعمالهم».

والله يُتلمذ ويُعلِّم الأُمم:
مز ٩٤:١٠: «المؤدِّب الأُمم ألا يُبكِّت؟ المعلِّم الإنسان معرفة».

وقادر أن يُعلِّم الأدب أيضاً:
مز ٤٩:١: «اسمعوا هذا يا جميع الشعوب. أصغوا يا جميع سكان الدنيا.
٢: عادل ودون أغنياء وفقراء سواء.
٣: فمي يتكلَّم بالحِكَم ولهج قلبي فهم».

وهو الحاكم الأعلى والقاضي فوق الجميع:
مز ٢٢:٢٨: «لأن للرب المُلك وهو المتسلِّط على الأمم».
مز ٤٦:١٠: «كفُّوا واعلموا أني أنا الله أتعالى بين الأمم أتعالى في الأرض».
مز ٤٧:٢: «لأن الرب عليٌّ مخوف، ملك كبير على كل الأرض».

مز ٤٧:٨: «ملك الله على الأُمم، الله جلس على كرسي قدسه».
مز ٤٧:٩: «شرفاء الشعوب اجتمعوا. شعب إله إبراهيم. لأن الله مجانّ الأرض وهو متعال جدًّا».
مز ٧٦:١٢: «يقطف روح الرؤساء. هو مهوب لملوك الأرض».
مز ٩٨:٨و٩: «لترنم معاً أمام الرب لأنه جاء ليدين الأرض. يدين المسكونة بالعدل والشعوب بالاستقامة».
مز ٩٩:٢: «الرب عظيم في صهيون وعالٍ هو على كل الشعوب».
مز ١١٣:٤: «الرب عالٍ فوق كل الأُمم، فوق السماوات مجده».

والأُمم وإلى أقصى الأرض عليها أن تسعى لتدخل تحت ملكه وطاعته:
مز ٢:٨: «اسألني فأعطيك الأُمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض ملكاً لك ...
١٠: فالآن يا أيها الملوك تعقَّلوا، تأدَّبوا يا قضاة الأرض،
١١: اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة.
١٢: قبِّلوا الابن (بالإنجليزية: قدميه) لئلاَّ يغضب فتبيدوا من الطريق. لأنه عن قليل يتقد غضبه. طوبى لجميع المتكلين عليه (بالإنجليزية: المحتمين به)».

والأُمم تخافه:
مز ٣٣:٨: «لتخشَ الرب كل الأرض، ومنه ليخف كل سكان المسكونة،
٩: لأنه قال فكان هو أمر فصار».

ولتمدحه كل الأمم:
مز ٦٦:١: «اهتفي لله يا كل الأرض.
٢: رنِّموا بمجد اسمه اجعلوا تسبيحه ممجَّداً.
٣: قولوا لله ما أهيب أعمالك، من عظم قوتك تتملَّق لك أعداؤك.
٤: كل الأرض تسجد لك وترنِّم لك. ترنِّم لاسمك. سلاه.
٨: باركوا إلهنا يا أيها الشعوب. سمِّعوا صوت تسبيحه».
مز ١٤٥:٢١: «بتسبيح الرب ينطق فمي وليبارك كل بشر اسمه القدوس إلى الدهر والأبد».

بل والأُمم مدعوون ليعبدوه أيضاً في هيكل أُورشليم!!
مز ٩٦:٧: «قدِّموا للرب يا قبائل الشعوب، قدِّموا للرب مجداً وقوة.

٨: قدِّموا للرب مجد اسمه، هاتوا تقدمة وادخلوا دياره.
٩: اسجدوا للرب في زينة مقدَّسة.
٩: ... ارتعدي قدَّامه يا كل الأرض.
١٠: قولوا بين الأُمم: الرب قد ملك، أيضاً تثبَّتت المسكونة فلن تتزعزع، يدين الشعوب بالاستقامة».

مز ١٠٠:١: «اهتفي للرب يا كل الأرض.
٢: اعبدوا الرب بفرح، ادخلوا إلى حضرته بترنُّم.
٣: اعلموا أن الرب هو الله».

(ب) سيأتي الوقت حينما تعترف الشعوب كلها بسيادته وسلطانه:

مز ٢٢:٢٧: «تذكر وترجع إلى الرب كل أقاصي الأرض وتسجد قدامك كل قبائل الأُمم».

مز ٦٦:٤: «كل الأرض تسجد لك وترنِّم لك. ترنِّم لاسمك. سلاه».

مز ٦٨:٢٩: «من هيكلك فوق أُورشليم. لك تقدِّم ملوك هدايا».

مز ٨٦:٩: «كل الأُمم الذين صنعتهم يأتون ويسجدون أمامك يا رب، ويمجِّدون اسمك».

مز ١٠٢:٢٢: «عند اجتماع الشعوب معاً والممالك لعبادة الرب».

وكل ملوك الأرض يعودون بالخضوع لله سيدهم:

مز ١٠٢:١٥: «فتخشى الأُمم اسم الرب، وكل ملوك الأرض مجدك».

مز ١٣٨:٤: «يحمدك يا رب كل ملوك الأرض إذا سمعوا كلمات فمك،
٥: ويرنمون في طرق الرب، لأن مجد الرب عظيم».

يأتون إلى الله سامع الصلاة، سيأتي كل جسد:

مز ٦٥:٢: «يا سامع الصلاة، إليك يأتي كل بشر»!

هو متكل الجميع حتى إلى كل أطراف الأرض:

مز ٦٥:٥: «بمخاوف في العدل تستجيبنا يا إله خلاصنا، يا متكل جميع أقاصي الأرض والبحر البعيدة».

وينتهي سفر المزامير كله بخورس واحد من كل الأمم يسبِّحونه بلسان كل حي:

مز ١٥٠:٥: «كل نسمة فلتسبِّح الرب. هللويا».

(ج) إسرائيل هي أداة يهوه التي بها يكمِّل الله اتساع مملكته:

لقد ظنت إسرائيل في البدء أنها أداة تأديب لإخضاع الأُمم وإدخالها مملكة الله بالحرب والغلبة:

مز ٢:٨و٩: «اسألني فأعطيك الأُمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض ملكاً لك.
تحطِّمهم بقضيب من حديد، مثل إناء خزَّاف تُكسِّرهم».

مز ١٨:٤٢: «فأسحقهم كالغبار قدَّام الريح، مثل طين الأسواق أطرحهم.
٤٣: تنقذني من مخاصمات الشعب، تجعلني رأساً للأُمم. شعب لم أعرفه يتعبَّد لي (إسرائيل هي التي تتكلَّم).
٤٤: من سماع الأذن يسمعون لي. بنو الغرباء يتذلَّلون لي.
٤٧: الإله المنتقم لي والذي يُخضع الشعوب تحتي»!

مز ٤٧:٣: «يُخضع الشعوب تحتنا والأُمم تحت أقدامنا».

ولكن الذي حدث لم يكن أكثر من أن انتصارات إسرائيل كانت بقصد أن تنتبه الأُمم وتعرف يهوه:

مز ١٨:٤٩: «لذلك أحمدك يا رب في الأُمم وأُرنِّم لاسمك».

مز ٥٧:٩: «سأحمدك يا رب بين الشعوب، وأُغنِّي لك بالمديح بين الأُمم» (مصحَّح على الإنجليزية).

وهكذا يقود الله إسرائيل لتتحد أخيراً باتفاق مع الأُمم:

مز ٤٧:٩: «شرفاء الشعوب اجتمعوا مثل شعب إله إبراهيم. لأن دروع الأرض هي لله. وهو يرتفع جداً» (مصحَّح على الإنجليزية).

ومزمور ٤٥ يتصوَّر رجاء السلام الاتحادي:

مز ٤٥:١٠: «اسمعي يا بنت وانظري، وأميلي أذنك وانسي شعبكِ وبيت أبيكِ،
١١: فيشتهي الملك حُسنكِ لأنه هو سيدكِ فاسجدي له.
١٢: وشعب صور أغنى الشعوب يترضَّى وجهكِ بهدية،
١٣: بكل أصناف الغنى» (مصحَّح على الإنجليزية).

مز ٧٢:٨: «ويملك من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصي الأرض.
٩: أمامه تجثو أهل البرية، وأعداؤه يلحسون التراب.

١٠: ملوك ترشيش والجزائر يُرسلون تقدمة. ملوك شبا وسبا يقدِّمون هدية.
١١: ويسجد له كل الملوك. كل الأُمم تتعبَّد له.
١٧: يكون اسمه إلى الدهر. قدَّام الشمس يمتد اسمه. ويتباركون به. كل أُمم الأرض يطوِّبونه».

العودة الجماعية من كل الأُمم والشعوب إلى الرب للسجود والتعبُّد ويخبرون ببرِّه:

مز ٢٢: ٢٧: «تذكر وترجع إلى الرب كل أقاصي الأرض. وتسجد قدَّامك كل قبائل الأمم.
٢٨: لأن للرب المُلك، وهو المتسلِّط على الأمم.
٢٩: له يجثو كل متكبِّري الأرض، وينحني أمامه كل المنحدرين إلى التراب (مصحَّحة على الإنجليزية).
٣٠: الذرية تتعبَّد له. يُخبر عن الرب الجيل الآتي.
٣١: يأتون ويخبرون ببرِّه ويتحدَّثون بخلاصه. شعب لم يولد بعد». (مصحَّحة على الإنجليزية).

وفي مزمور (٦٧و٨٧) تتحدَّث إسرائيل عن شعورها عن دعوتها لتكون بركة للعالم والغرض النهائي لازدهارها هو تجديد الأُمم، وتصبح صهيون العاصمة الروحية والأُمم التي كانت عدوة لها مدة تُسجِّل أسماءها كمواطنين فيها:

مز ٦٧: ١: «ليتحنَّن الله علينا وليباركنا. ليُنر وجهه علينا. سلاه.
٢: لكي يُعرف في الأرض طريقك، وفي كل الأُمم خلاصك.
٣: يحمدك الشعوب يا الله، يحمدك الشعوب كلهم.
٤: تفرح وتبتهج الأُمم، لأنك تدين الشعوب بالاستقامة وأُمم الأرض تهديهم. سلاه.
٥: يحمدك الشعوب يا الله، يحمدك الشعوب كلهم.
٦: الأرض أعطت غلَّتها. يباركنا الله إلهنا.
٧: يباركنا الله، وتخشاه كل أقاصي الأرض».

مز ٨٧: ١: «أساسه في الجبال المقدَّسة. الرب أحبَّ أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب.
٢: قد قيل بكِ أمجاد. يا مدينة الله. سلاه.
٣: أذكُر رهب وبابل عارفتيَّ. هوذا فلسطين وصور مع كوش. هذا ولد هناك.
٤: ولصهيون يُقال: هذا الإنسان، وهذا الإنسان وُلِدَ فيها وهو العلي يثبِّتها.
٥: الرب يعد في كتابة الشعوب أن هذا وُلد هناك. سلاه.

٦: ومغنون كعازفين: كل السكان فيكِ».

أمَّا نجاة إسرائيل من السبي فالغرض منها أن كل الذين أسروها يعبدون الرب وأن تجتمع كل الأُمم في صهيون لتخدم الرب:

مز ١٠٢: ١٥: «فتخشى الأُمم اسم الرب، وكل ملوك الأرض مجدك.
١٨: يُكتب هذا للدور الآخر، وشعب سوف يُخلق يُسبِّح الرب.
٢١: لكي يُحدَّث في صهيون باسم الرب وبتسبيحه في أورشليم.
٢٢: عند اجتماع الشعوب معاً، والممالك لعبادة الرب».

مز ٩٦: ١: «رنِّموا للرب ترنيمة جديدة. رنِّمي للرب يا كل الأرض.
٢: رنِّموا للرب باركوا اسمه بَشِّروا من يوم إلى يوم بخلاصه.
٣: حدِّثوا بين الأُمم بمجده. بين جميع الشعوب بعجائبه.
٤: لأن الرب عظيم وحميد جدًّا مهوب هو على كل الآلهة.
٧: قدِّموا للرب يا قبائل الشعوب. قدِّموا للرب مجداً وقوة.
٨: قدِّموا للرب مجد اسمه، هاتوا تقدمة وادخلوا دياره».

مز ٩٧: ١: «الرب قد ملك فلتبتهج الأرض ولتفرح الجزائر الكثيرة».

مز ٩٨: ٢: «أعلن الرب خلاصه لعيون الأُمم كشف برَّهُ.
٣: ذكر رحمته وأمانته لبيت إسرائيل. رأت كل أقاصي الأرض خلاص إلهنا.
٤: اهتفي للرب يا كل الأرض! اهتفوا ورنِّموا وغنوا.
٥: رنِّموا للرب بعود. بعود وصوت نشيد».

وهكذا وبالرغم من محدودية العهد القديم جدًّا، تكوَّنت بذرة الرجاء التي تمَّت جزئياً في الكنيسة المسيحية، وتنتظر كمال نموها.

الباب الثاني

أنواع المزامير

أنواع المزامير

بدراسة المزامير بحسب مضمونها وبحسب ما بلغنا من مناسبات استخدامها في الطقس ومن تاريخ التقليد وجدنا أن الأنواع الرئيسية للمزامير هي: مزامير تسبيح وترنيم، مزامير تضرع وشكوى وتوسُّل، مزامير شكر وتمجيد. وبطريقة إجمالية يمكن ضم المزامير لتكون إمَّا مزامير شكر أو مزامير توسُّل.

أمَّا إذا أردنا تفصيل أنواعها أكثر، فيمكن أن نميِّز فيها الأنواع التالية:

١ - مزامير التسبيح.

٢ - مزامير الشكر.

٣ - مزامير الحجاج.

٤ - مزامير المصاعد.

٥ - مزامير الاحتفالات بتنصيب يهوه ملكاً وذلك في عيد يهوه.

٦ - مزامير الملك.

٧ - مزامير التوسُّلات أو التضرُّعات والمراثي.

٨ - مزامير الحكمة وأشعار التعليم.

١ - مزامير التسبيح

أولاً: بحث وتحليل:

نلمح الأُصُول الأُولى لمزامير التسبيح في التسبحة الأُولى التي سجَّلها تاريخ الخروج لبني إسرائيل من مصر، وكانت تلقائية لمَّا عبر الشعب والتفت ورأى خلفه فرعون وجنوده ساقطين في الوحل والماء، فهنا رنَّم موسى ترنيمته التلقائية المعروفة: «أُرنِّم للرب فإنه قد تعظَّم. الفرس وراكبه طرحهما في البحر. الرب قوتي ونشيدي وقد صار خلاصي هذا إلهي فأُمجِّده. إله أبي فأُرفِّعه ...» (خر ١٥: ١-١٩)

وما أن انتهى موسى من ترنيمته والشعب يرد وراءه، حتى قامت مريم أُخت هارون ومسكت الدف بيدها وقادت أول خورس نساء يُسبِّح للرب بترنيمة تلقائية وجميع النساء وراءها بدفوف ورقص: «رنِّموا للرب فإنه قد تعظَّم. الفرس وراكبه طرحهما في البحر» (خر ١٥:٢١)

فمن هذه الترنيمة لموسى ومريم بدأت تنمو تسابيح الفرح لتمجيد الله الذي أظهر قوة عظيمة أمام شعبه حينما عبروا البحر وغلبوا الأعداء. وهكذا بدأ الشعب يقيم تذكار هذا الخروج بترنيم ورقص. وهذه هي بداية التسبيح لمجد الله.

ويلاحظ أن تدخل الله بقوة إعجازية لخلاص الشعب هو الذي نشَّط الذهن والروح في إسرائيل للاستجابة بتسبيح المجد له.

فعلى نمط تسبحة مريم قامت دبورة - وكانت قاضية لإسرائيل سنة ١٢٩٦ ق.م - التي صنع الرب معها هي وباراق بن أبينوعم نصراً فريداً ضد يابين ملك كنعان وسيسرا رئيس جيشه الذي نكَّد على إسرائيل ٢٠ سنة وكان له ٩٠٠ مركبة حديد (قض ٤و٥). فترنَّمت دبورة بأنشودتها البديعة الفريدة كقائدة لجيش إسرائيل:

+ «لأجل قيادة القواد في إسرائيل، لأجل انتداب (= اختيار في السبعينية) الشعب باركوا (سبِّحوا) الرب. اسمعوا أيها الملوك وأصغوا أيها العظماء. أنا أنا للرب أترنَّم. أُزمِّر للرب إله إسرائيل ...».

وانتهت التسبحة كالآتي:

+ «استيقظي استيقظي يا دبورة استيقظي استيقظي وتكلَّمي بنشيد ... الكواكب من حُبُكها

حاربت سيسرا ... دوسي يا نفسي بعزّ.» (قض ٥: ١-٢١)

فالواضح أن أعمال الله العظيمة مع الشعب وهبته قوة وحبك التسبيح.

كذلك فإن إشعياء النبي أعطانا في رؤياه صورة للتسبيح وألفاظ التسبيح في السماء: «السرافيم واقفون فوقه ... وهذا نادى ذاك (انتيفونا) وقال قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض. فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ وامتلأ البيت دخاناً.» (إش ٦: ٢-٤)

وهكذا كلما استعلن الله ذاته في أعماله العظيمة، أو بمجرَّد استعلان كالذي رآه إشعياء فهناك تحتم أن يكون تسبيح لمجد الله. هذا سمعناه جيداً من فم المسيح له المجد حينما أراد الكهنة والفريسيُّون أن يُسكتوا الأطفال عن الهتاف بالتسبيح للمسيح: أوصنا لابن داود، فكان رد المسيح عليهم أنه «إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ» (لو ١٩: ٤٠)

ولكن استعلان الله يصحبه هيبة عظيمة وخوف ورعبة كالتي أصابت إشعياء: «ويل لي إني هلكت.» (إش ٦: ٥)

كل هذه التسبيحات لمجد الله أخذت قوة حياة لا تزول بسبب العنصر الإلهي الذي أطلقها لما دخلت الليتورجيا داخل الهيكل للتسبيح، وانتقلت إلينا بنفس القوة الدافعة والروح المرافقة التي تحيي في الإنسان حضور الله واستعلانه كما كان يكون.

وهكذا عاشت وتعيش كنيسة الله في القديم والحاضر نفس أعمال الله المهيبة والإحساس بقوة ذراعه الرفيعة من جيل إلى جيل. فمحبة الله ورحمته هي هي باقية معنا إلى الأبد.

ولقد جمعت الأعياد الكبرى جميع هذه التسابيح التي تسجَّلت في تاريخ معاملات الله مع الشعب منذ البدء بجميع الآلات، برقص وفرح والشعب مدثَّر بملابس جديدة يعيِّد ليهوه! حيث كان الهيكل في داخله وخارجه يضج بجماعات الشعب يسبِّحون ويرقصون ويغنون على الآلات على مدى إقامة الذبائح كلها من الصباح حتى المساء! والكهنة واللاويون ليسوا أقل منهم بل لهم خوارسهم ولهم آلاتهم ورقصهم وتسبيحهم، خوارس خوارس بأسمائها: خورس آساف وخورس بني قورح، وكانوا جميعاً يقودون الجماعات الأخرى والكل حافظ التسابيح عن ظهر قلب. وكانت بعض المزامير يشترك فيها الشعب بأجمعه، إذ كانت لهم مردات خاصة مثل مزمور (١١٨) الذي فيه يردون: «لأن إلى الأبد رحمته».

وفي مزمور ١٣٥ ينادي رئيس الخورس كل جماعة باسمها وكل الآلات بدورها:

مز ١٣٥: ١٩و٢٠: «يا بيت إسرائيل باركوا الرب،
يا بيت هارون (الكهنة) باركوا الرب،
يا بيت لاوي باركوا الرب،
يا خائفي الرب باركوا الرب».

كل جماعة تعطي شركتها بنوع من التسبيح والهتاف.

وكانت آلات الموسيقى متطوِّرة ومتقنة لتعطي كل الطبقات: أوتار مشدودة حتى عشرة أوتار، وآلات نفخ: الفلوت والبوق والقرون وغيرها، وآلات ضبط النغم بأصنافها ثلاثة أصناف متعدِّدة الأصوات هذه كلها كانت تعطي ضخامة وضجة عظيمة إنما متقنة ويجمعها مزمور (١٥٠) هكذا:

مز ١٥٠: ٣ - ٥: «سبِّحوه بصوت الصور، سبِّحوه برباب وعود،
سبِّحوه بدف ورقص، سبِّحوه بأوتار ومزمار،
سبِّحوه بصنوج التصويت، سبِّحوه بصنوج الهتاف،
كل نسمة فلتسبِّح الرب، هللويا!».

وكان يدخل الشعب بمرد خاص به وبهتاف خاص به مثل هللويا، وتصفيق متقن بترديد متوازٍ من كافة الشعب كما هو مدوَّن في مزموري (٤٧و٩٨):

مز ٤٧: ١: «يا جميع الأمم صفِّقوا بالأيادي».

مز ٩٨: ٨: «الأنهار لتصفق بالأيادي، الجبال لترنِّم معاً».

وكانت التسابيح للمجد والترنُّم الجماعي بالآلات والرقص والهُتاف ترفع حماس الشعب إلى الغاية. فنسمع في رسامة سليمان ملكاً كيف نادى صادوق الكاهن الشعب ليهلِّل:

+ «فأخذ صادوق الكاهن قرن الدهن من الخيمة ومسح سليمان وضربوا بالبوق وقال جميع الشعب: ليحيى الملك سليمان. وصعد جميع الشعب وراءه. وكان الشعب يضربون بالناي ويفرحون فرحاً عظيماً حتى انشقَّت الأرض من أصواتهم.» (١مل ١: ٣٩و٤٠)

وما كلمة هللويا إلاَّ سبِّحوا ياه أو هللوا يهوه، فكانوا يختصرونها في الهتاف بكلمة ياه ياه.

أو كانوا يردِّدون كلمة آمين: «مبارك الرب إله إسرائيل من الأزل وإلى الأبد. فقال كل الشعب آمين وسبِّحوا الرب.» (١أي ١٦: ٣٦)

أو ترديد المقطوعة: «**لأنه صالح وأن إلى الأبد رحمته**» وقد جاءت في مزمور (١١٨: ١-٤) وفي مزمور (١٣٦). وهي تنطق بالعبرية ki leólam hasdo وقد قيلت هذه التسبحة الترديدية القصيرة في مناسبتين: الأولى عند نقل تابوت العهد أيام سليمان الملك إلى الهيكل كما جاءت في (٢أي ٥:١٣) حينما ملأت السحابة (أو الضباب أو الدخان) الهيكل، الذي كان يعني أن الهيكل قد امتلأ من مجد الرب (kabod) وسجد كل الشعب إلى الأرض مع الهتاف لأنه صالح وإلى الأبد رحمته، والثانية بنفس المنظر لمّا تمَّ تدشين الهيكل (٢أي ٧: ٣و٦).

ونقرأ أيضاً أيام الملك يهوشافاط أنه كرّس خورس للترنيم وخورس للعب بالموسيقى وهم لابسون ملابس خاصة ليسيروا أمام الجيش في بعثات للحرب، وهؤلاء كانوا ينشدون "لأنه صالح وأنَّ إلى الأبد رحمته": «ولمّا استشار الشعب أقام مغنين للرب ومسبّحين في زينة مقدَّسة عند خروجهم أمام المتجرّدين وقائلين احمدوا الرب لأنَّ إلى الأبد رحمته.» (٢أي ٢٠:٢١)

وكانت هذه التسبحة القصيرة بمثابة هتاف وطني مقدَّس مفروض. لذلك نسمع إرميا النبي يقوله هكذا: «صوت الطرب وصوت الفرح، صوت العريس وصوت العروس، صوت القائلين احمدوا رب الجنود لأن الرب صالح لأنَّ إلى الأبد رحمته» ذلك كان يتنبَّأ به وهو محبوس في دار السجن وأُورشليم خربة وكل المدن من حولها خربة، قال ذلك متنبئاً عن أيام مجيء السلام (في أيام المسيَّا): «ها أيام تأتي يقول الرب وأُقيم الكلمة الصالحة التي تكلَّمت بها إلى بيت إسرائيل وإلى بيت يهوذا.» (إر ٣٣: ١١-١٥)

وكان الشعب قد تعلّم منذ زمن بعيد كيف يرفع ذراعيه إلى السماء وكيف ينحني ساجداً ووجهه منبطح على الأرض أو راكعاً!

نموذج رفع اليدين:

مز ٢٨: ٢: «استمع صوت تضرُّعي إذ أستغيث بك، وأرفع يديَّ إلى محراب قدسك».

مز ٧٧: ٢: «في يوم ضيقي التمست الرب، يدي في الليل انبسطت ولم تخدر، أبت نفسي التعزية».

مز ١٣٤: ٢: «ارفعوا أيديكم نحو القدس وباركوا الرب».

مز ١٤١: ٢: «لتستقم صلاتي كالبخور قدّامك. ليكن رفع يديَّ كذبيحة مسائية».

نموذج الانحناء والسجود:

مز ٥: ٧: «أمّا أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك **أسجد** في هيكل قدسك بخوفك».

مز ٢٩: ٢: «قدِّموا للرب مجد اسمه. **اسجدوا** للرب في زينة مقدَّسة».

مز ٨٦: ٩: «كل الأُمم الذين صنعتهم يأتون **ويسجدون** أمامك يا رب ويمجّدون اسمك».

مز ٩٥: ٦: «هلم **نسجد ونركع ونجثو** أمام الرب خالقنا».

مز ٩٦: ٩: «**اسجدوا** للرب في زينة مقدَّسة. ارتعدي قدَّامه يا كل الأرض».

مز ١٣٨: ٢: «**أسجد** في هيكل قدسك. قد عظمت اسمك. وأشكر اسمك على محبتك الثابتة وأمانتك» (مُترجم من الإنجليزية)

ولتوضيح وقفة الصلاة للملك يعطينا سليمان الملك هذا النموذج:

+ «ووقف (سليمان) أمام مذبح الرب تجاه كل جماعة إسرائيل وبسط يديه ... ثمَّ جثا على ركبتيه تجاه كل جماعة إسرائيل وبسط يديه نحو السماء ... ولمّا انتهى سليمان من الصلاة نزلت النار من السماء وأكلت المحرقة والذبائح وملأ مجد الرب البيت ... وكان جميع بني إسرائيل ينظرون عند نزول النار ومجد الرب على البيت وخرُّوا على وجوههم إلى الأرض على البلاط المجزَّع وسجدوا وحمدوا الرب لأنه صالح وإلى الأبد رحمته.» (٢أي ٦: ١٢-٣:٧)

وبعد هذا الموقف الرهيب بحوالي مائتي سنة (سنة ٧٢٦ ق.م) دشَّن الملك حزقيا الهيكل بعد أن طهَّره، وحدث أيضاً هذا المحفل المقدَّس:

+ «فوقف اللاويون بآلات داود والكهنة بالأبواق وأمر حزقيا بإصعاد المحرقة على المذبح. وعند ابتداء المحرقة ابتدأ نشيد الرب والأبواق بواسطة آلات داود ملك إسرائيل. وكان كل الجماعة يسجدون والمغنون يغنون والمبوِّقون يبوِّقون. الجميع إلى أن انتهت المحرقة. وعند انتهاء المحرقة خرَّ الملك وكل الموجودين معه وسجدوا.» (٢ أي ٢٩: ٢٦-٢٩)

كذلك أيضاً بعد أن عاد الشعب من السبي أعاد زربابل بناء الهيكل الجديد الذي هُدم سنة (٥٨٧ ق.م) وحينئذ سُمعت من جديد أُنشودة الهتاف للحمد: «سبِّحوا الرب لأنه صالح ولأن إلى الأبد رحمته» هي هي رنَّت صداها من جديد بعد هذا الانقطاع المديد:

+ «ولمّا أسَّس البانون هيكل الرب أقاموا الكهنة بملابسهم بأبواق، واللاويين بني آساف بالصنوج لتسبيح الرب على ترتيب داود (في توزيع الموسيقى) ملك إسرائيل، وغنوا بالتسبيح والحمد للرب "لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته" على إسرائيل. وكل الشعب هتفوا هتافاً عظيماً بالتسبيح للرب لأجل تأسيس بيت الرب. وكثيرون من الكهنة واللاويين ورؤوس

الآباء الشيوخ الذين رأوا البيت الأول بكوا بصوت عظيم عند تأسيس هذا البيت أمام أعينهم. وكثيرون كانوا يرفعون أصواتهم بالهتاف بفرح ولم يكن الشعب يميِّز هتاف الفرح من صوت بكاء الشعب لأن الشعب كان يهتف هتافاً عظيماً حتى أن الصوت سُمع من بُعدٍ.» (عز ٣: ١٠-١٣)

وأخيراً هناك في أيام المكابيين، يهوذا المكابي (سنة ١٦٠ ق.م) بعد أن نجّس أنطيوخس إبيفانس الهيكل أعادوا تدشين الهيكل بالغناء وصنوج وناي، وكل الشعب سقط ساجداً على الأرض وعبدوا وباركوا الله إله السماوات الذي جعلهم يزدهرون من جديد وظلوا إلى ثمانية أيام يدشِّنون البيت (١مكا ٤: ٥٤-٥٦)

بهذه المقدِّمة نتقدَّم إلى مزامير التسبيح لمجد الله على خلفية هذه التسجيلات الثمينة جدًّا عبر الأجيال، التي توضِّح مستوى التسبيح وتمجيد الله بفرح لا يُضبط إذ امتزج أحياناً بالبكاء من فرط الانفعال والفرح، وكيف يدخل الشعب بكل ثقله في التسابيح والتماجيد بهتافه وصراخه، هذه كلها صاغت مزامير التسبيح لمجد الله.

والآن قبل الدخول في مكوِّنات مزامير التسبيح لمجد الله اللاهوتية نعطي بعض العلامات والمميزات التي تميِّز مزامير التسبيح للمجد كمجموعة خاصة، لأن من هذه الصفات المميِّزة نستطيع تمييز أنواع المجموعات. كذلك فإن هذا يلزمنا أثناء الصلاة والعبادة بها.

(أ) البدايات المميِّزة لمزامير التسبيح لمجد الله:

تبدأ مزامير التسبيح لمجد الله بدعوة الشعب ليرنِّموا بتسبحة للرب لمجده.

(ب) جسم المزمور:

وهو يحمل الأسباب التي من أجلها يقوم مزمور التسبيح للمجد.

(ج) خاتمة المزمور:

غالباً ينتهي المزمور بجملة تعبيرية جامعة.

(أ) البدايات المميِّزة لمزامير التسبيح لمجد الله:

وتُسمَّى الدعوة أو النداء بالمشاركة، وهي ظاهرة جدًّا في مزامير الأعياد التي تعتبر حافظة للتقليد. وهذه الدعوة التعبيرية تأتي بصورة تسبيح أو مباركة أو تقديم شهادة أو ترنيم بلعب على

القيثارة، أو مجرَّد فرح وسرور أو هتاف. وغالباً نجد إمَّا الملك أو الكاهن أو قائد الموسيقى هو الذي يقدِّم هذه البداية، فيدعو الشعب للفرح أو الغناء أو الهتاف أو النداء لحاملي الآلات بالعزف، أو يدعو الجماعة للدخول أو السجود للعبادة أو التصفيق باليدين، أو أن يتقدَّموا مطروحين على الأرض أمام يهوه الساكن في قدس أقداسه.

وفي أثناء هذه الدعوة يتم الفرح أو التهليل أو سؤال المعونة والرحمة مثل القول:

مز ١٠٥: ٤: «اطلبوا الرب وقدرته، التمسوا وجهه دائماً.

٥: اذكروا عجائبه التي صنع آياته وأحكام فيه».

هنا الدعوة والنداء إلى الحاضرين أثناء تلاوة المزمور.

ولكن تمتد في المزامير الأخرى لتشمل سبِّحوا وباركوا يا بني إسرائيل، يا خدَّام يهوه، أيها الرجال الأتقياء الواقفين في بيت يهوه، يا بيت إسرائيل، يا أُورشليم، يا صهيون بمعنى كل المؤمنين في جبل صهيون أو في الهيكل، أيها الكهنة، أيها اللاويون، يا كل الأُمة.

ولكن هناك أوقات يجترئ المزمور ليذكر مَنْ هم خارج إسرائيل أيضاً، فيدعو كل الأرض: يا جميع البشر، يا كل الممالك، يا كل الجزائر والأراضي، حتى إلى أقصى الأرض، يا كل ملوك الأرض في كل العالم.

بل ويمتد لينادي سكان السماء: يا كل ملائكة الله، يا كل الأرواح، لكي يشتركوا جميعاً في التسبيح لمجد الله. والمنادي يتصوَّر كل الخليقة أنها يلزم أن تشترك كخورس واحد عظيم لمدح الله وتمجيده في مجد جلاله غير المنطوق به.

وتوجد مزامير لا تحتوي إلاَّ هذه الدعوة لكل الخليقة للشركة في التسبيح مع الإنسان الذي هو وحده الذي يعرف ضعفه وأن لا قوة له. على هذا المثال أعطت المزامير (١٤٨، ١٥٠) عيِّنة رائعة. وكمثال آخر قوي وجميل تسبحة الثلاثة فتية في أتون النار التي قدَّمها سفر دانيال (الأسفار القانونية الثانية - تتمة سفر دانيال ٣: ٥٧-٨٨).

نموذج مزمور (١٤٨):

+ «هللويا. سبِّحوا الرب من السموات سبِّحوه في الأعالي.

سبِّحوه يا جميع ملائكته، سبِّحوه يا كل جنوده،

سبِّحيه يا أيتها الشمس والقمر، سبِّحيه يا جميع كواكب النور.

سبِّحيه يا سماء السموات، ويا أيتها المياه التي فوق السموات.
لِتُسبِّح اسم الرب لأنه أمر فخُلِقَت وثبّتها إلى الدهر والأبد، وضع لها حدًّا فلن تتعدّاه».

نموذج مزمور (١٥٠):

+ «هللويا. سبِّحوا الله في قُدسه، سبِّحوه في فلك قوته.
سبِّحوه على قواته. سبِّحوه حسب كثرة عظمته.
سبِّحوه بصوت الصور. سبِّحوه برباب وعود.
سبِّحوه بدف ورقص. سبِّحوه بأوتار ومزمار.
سبِّحوه بصنوج التصويت، سبِّحوه بصنوج الهتاف. كل نسمة فلتسبح الرب. هللويا».

نموذج تسبحة الثلاث فتية (الأسفار القانونية الثانية – تتمة سفر دانيال ٣: ٥٢–٨٨):

+ «مبارك أنت يا رب إله آبائنا ∴ وفوق المسبَّح وفوق المتعالي إلى الأبد.
ومبارك اسم مجدك الأقدس ∴ الذي هو فوق المسبَّح وفوق المتعالي إلى الأبد.
مبارك أنت في هيكل قداسة مجدك ∴ وفوق المسبَّح وفوق المتعالي إلى الأبد.
مبارك أنت الذي تنظر إلى الأعماق
وأنت جالس على الشاروبيم ∴ وفوق المسبَّح وفوق المتعالي إلى الأبد.
مبارك أنت على كرسي مجد ملكك ∴ وفوق المسبَّح وفوق المتعالي إلى الأبد.
مبارك أنت في جلد السماء ∴ وفوق المسبَّح وفوق المتعالي إلى الأبد.
باركوا يا جميع أعمال الرب للرب ∴ سبِّحوه وارفعوه إلى الأبد.
باركوا يا ملائكة الرب وسموات الرب للرب ∴ سبِّحوه وارفعوه إلى الأبد.

والجزء المشترك في المقدّمة هو الدعوة لتسبيح يهوه:
غنّوا أمام يهوه، افرحوا أمام يهوه، اهتفوا أمام يهوه، وهكذا ...
كما نجد أن الدعوة تتكرّر هكذا: ادعوا لإله يعقوب، العبوا بالموسيقى أمام إلهنا، اشكروا اسمه القدوس، باركوا اسمه، وهكذا ...

وأحياناً تذكر المقدمة السبب في التسبيح فيكون إمّا بسبب صفات يهوه: أعلنوا مجده، أعلنوا أعماله العجيبة اذكروا مسرّات مملكته، سبِّحوه في كل مجده وهكذا ... وإلى هنا يبدأ مزمور التسبيح يسير وهكذا ينبغي جدًّا الاهتمام بفهم تركيب مكوّنات مزامير التسبيح وخاصة بادئة

المزمور التي تحوي الدعوة للتسبيح كما قلنا. ولكن توجد أيضاً نوعيات أخرى للدعوة مثل: فلنرفع اسمه، فلنسجد، فلنهتف، فلنفرح، فلنجثو وهكذا ...

وأحياناً تكون الدعوة موجَّهة لنفس الشخص المسبِّح مثل: باركي يا نفسي يهوه، ليتني ألعب بالموسيقى أمامك يا رب، وأحياناً تأتي الدعوة مبنية للمجهول مثل: فليُبارَك يهوه، ليُسبَّح اسم يهوه.

ولكن الأكثر شيوعاً: سبِّحوا يهوه يا بيت إسرائيل.

وباختصار إذا وجدنا هذه الدعوة بكل أشكالها نتيقّن أننا بصدد مزمور للتسبيح لمجد الله بتمييز خاص وهدف خاص. وهكذا نكون قد بلغنا درجة هامة في التعرُّف على نوع المزمور.

على أن عبارات التسبيح ليست وقفاً على السبعة عشر مزموراً التي حُدِّدت كمزامير لتسبيح مجد الله(١)، ولكن أيضاً نجدها في مزامير المصاعد ومزامير تنصيب الملوكية فهي ذات طابع قريب من مزامير التسبيح لمجد الله، كذلك مزامير الشكر أيضاً.

كذلك توجد بعض مزامير التسبيح وليست لها مقدّمات للدعوة كما شرحنا، مثل: السموات تخبر بمجد الله، ارفعي يهوه يا نفسي، قلبي يبتهج، وهي مداخل لمزامير التسبيح أيضاً.

(ب) جسم المزمور:

وفيه يأتي السبب أو العلّة من التسبيح هكذا:
مز ٩٦: ٣: «حدِّثوا بين الأمم بمجده، بين جميع الشعوب بعجائبه.
٤: **لأن** الرب عظيم وحميد جدًّا، مهوب هو على كل الآلهة.
٥: لأن كل آلهة الشعوب أصنام. أمَّا الرب فقد صنع السموات».
مز ٣٣: ٣: «غنّوا له أغنية جديدة. أحسنوا العزف بهتاف.
٤: **لأن** كلمة الرب مستقيمة وكل صنعه بالأمانة.
٥: يحب البر والعدل. امتلأت الأرض من رحمة الرب.
٦: بكلمة الرب صُنعت السموات. وبنسمة فيه كل جنودها.

(١) يحدِّد العالِم درايفر سبعة عشر مزموراً للتسبيح وهي مزامير ٨، ١٩، ٢٩، ٣٣، ١٠٤، ١٠٥، ١١١، ١١٣، ١١٤، ١١٧، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٥ إلى ١٤٨، ١٥٠.
Pius Drijvers, OCSO, *The Psalms, Their Structure and Meaning*, 1964, pp. 130-134.

٧: يجمع كندٍّ أمواه اليم، يجعل اللجج في أهراء.
٨: لتخشَ الرب كل الأرض ومنه ليخف كل سكان المسكونة.
٩: **لأنه** قال فكان، هو أمر فصار».
مز ٤٧:١: «يا جميع الأُمم صفّقوا بالأيادي. اهتفوا لله بصوتِ الابتهاج.
٢: **لأن** الرب عليٌّ مخوف، ملك كبير على كل الأرض».
مز ٩٥:١: «هلمَّ نرنّم للرب، نهتف لصخرة خلاصنا.
٢: نتقدَّم أمامه بحمد وبترنيمات نهتف له.
٣: **لأن** الرب إله عظيم ملك كبير على كل الآلهة».
مز ٩٨:١: «رنّموا للرب ترنيمة جديدة **لأنه** صنع عجائب. خلَّصته يمينه وذراع قدسه.
٨: الأنهار لتصفّق بالأيادي، الجبال لترنّم معاً أمام الرب.
٩: **لأنه** جاء ليدين الأرض، يدين المسكونة بالعدل والشعوب بالاستقامة».
مز ١٣٥:٣: «سبِّحوا الرب **لأن** الرب صالح، رنّموا لاسمه لأن ذاك حلو.
٤: **لأن** الرب قد اختار يعقوب لذاته وإسرائيل لخاصته.
٥: **لأني** أنا قد عرفت أن الرب عظيم وربنا فوق جميع الآلهة».

والنموذج الأكبر هو مزمور ١٣٦ كله:

+ «احمدوا الرب لأنه صالح **لأن** إلى الأبد رحمته ∴ احمدوا إله الآلهة **لأن** إلى الأبد رحمته
احمدوا رب الأرباب **لأن** إلى الأبد رحمته ∴ الصانع العجائب العظام وحده **لأن** إلى الأبد رحمته
الصانع السموات بفهم **لأن** إلى الأبد رحمته ∴ الباسط الأرض على المياه **لأن** إلى الأبد رحمته
الصانع أنواراً عظيمة **لأن** إلى الأبد رحمته ∴ الشمس لحكم النهار **لأن** إلى الأبد رحمته
القمر والكواكب لحكم الليل **لأن** إلى الأبد رحمته ∴ إلخ....

والأسباب التي تأتي بعد "**لأن**" لا حصر لها:
نموذج مزمور (١٤٧:٧-٩):

+ «أجيبوا الرب بحمد رنّموا لإلهنا بعود.
الكاسي السموات سحاباً، المهيِّئ للأرض مطراً، المنبت الجبال عشباً.
المعطي للبهائم طعامها لفراخ الغربان التي تصرخ».

كذلك فإن مزامير التسبيح لمجد الله تحوي خطاباً مباشراً لله من صاحب المزمور. هنا يأتي الله كموضوع مباشر للتسبيح.

نموذج مزمور (٨٩:٨-١٢):

+ «يا رب إله الجنود مَنْ مثلك قويٌّ، رب وحقّك من حولك.
أنت متسلّط على كبرياء البحر عند ارتفاع لججه **أنت** تسكّنها.
أنت سحقت رهب مثل القتيل. بذراع قوتك بدَّدت أعداءك.
لك السموات لك أيضاً الأرض، المسكونة وملؤها **أنت** أسَّستهما.
الشمال والجنوب **أنت** خلقتهما. تابور وحرمون باسمك يهتفان.»

وأيضاً مزمور (٧٤:١٣-١٧):

+ «**أنت** شققت البحر بقوتك. كسَّرت رؤوس التنانين على المياه.
أنت رضضت رؤوس لوياثان. جعلته طعاماً للشعب لأهل البرية.
أنت فجَّرت عيناً وسيلاً. **أنت** يبَّست أنهاراً دائمة الجريان.
لك النهار ولك أيضاً الليل. **أنت** هيَّأت النور والشمس.
أنت نصبت كل تخوم الأرض. الصيف والشتاء أنت خلقتهما».

كذلك تأتي المخاطبة لله كنوع من التعجُّب: «أيها الرب ربنا ما أمجد اسمك!»، «مَنْ يُشبهك يا رب!».

(ج) خاتمة المزمور:

لا تأتي الخاتمة دائماً ذات صيغة واحدة، وقد ينتهي المزمور بانتهاء صيغ الفرح، أو قد تتكرَّر في الختام آية افتتاح المزمور كمزمور (٨):

نموذج مزمور (٨:١و٩):
أول آية: «أيها الرب سيدنا ما أمجد اسمك في كل الأرض حيث جعلت جلالك فوق السموات».
آخر آية: «أيها الرب سيدنا ما أمجد اسمك في كل الأرض».

أو قد تأتي الخاتمة على نفس نمط افتتاح المزمور مثل:

نموذج مزمور (١٠٣):
الآية الأُولى: «**باركي يا نفسي الرب** وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس».

الآية الأخيرة: «باركوا الرب يا جميع أعماله في كل مواضع سلطانه **باركي يا نفسي الرب**».

وكذلك نفس هذا المزمور (١٠٣: ١٩-٢٢) ينتهي بتكرار الدعوة للتسبيح مع توضيح أكبر عن لماذا نبارك الله: فكل أعماله تُختّم ذلك كخاتمة:

+ «الرب في السموات ثبَّت كرسيه، ومملكته على الكل تسود.
باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة، الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه.
باركوا الرب يا جميع جنوده خدَّامه العاملين مرضاته.
باركوا الرب يا جميع أعماله في كل مواضع سلطانه. باركي يا نفسي الرب».

هذه النهايات المبدعة تتكرَّر في مزامير (١٣٥: ١٩-٢١، ١٣٦: ٢٦).

مز ١٣٥: ١٩: «يا بيت إسرائيل باركوا الرب، يا بيت هارون باركوا الرب.
٢٠: يا بيت لاوي باركوا الرب، يا خائفي الرب باركوا الرب.
٢١: مبارك الرب من صهيون الساكن في أُورشليم. هللويا».

مز ١٣٦: ٢٦: «احمدوا إله السموات لأن إلى الأبد رحمته».

ثانياً: الأصول الأُولى لمزامير التسبيح لمجد الله[2]:

لكي نتتبَّع الأصول الأُولى لمزامير التسبيح علينا أن نفحص الطقوس التي للأعياد القديمة الأُولى والخاصة منها بالعيد، التي كانت تقيمها القبائل، لأن بعضها نجده قد أسَّسه يهوه نفسه، وعلى سبيل المثال:

مز ٤٠: ٧و٨: «حينئذ قلت هنذا جئت بدرج الكتاب مكتوب عني: أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررت».

مز ١١٤: ١-٥: «عند خروج إسرائيل من مصر ... البحر رآه فهرب، الأُردن رجع إلى خلف. الجبال قفزت مثل الكباش، والآكام مثل حملان الغنم. مالك أيها البحر قد هربت؟».

مز ١٠٥: ٨و٩: «ذكر إلى الدهر **عهده**، كلاماً أوصى به إلى ألف دور، الذي **عاهد** به إبراهيم، وقسمه لإسحق».

(2) Artur Weiser, *The Psalms*, 1962, p. 52 ff.

مز ١٢٢: ٤: «حيث صعدت الأسباط، أسباط الرب، **شهادة** لإسرائيل، ليحمدوا اسم الرب».
مز ١٣٥: ١٣: «يا رب، اسمك إلى الدهر. يا رب، **ذكرك** إلى دور فدور».
مز ٣٣: ١: «اهتفوا أيها الصديقون بالرب، بالمستقيمين يليق التسبيح».

وهكذا قام التسبيح لكي يقدِّم تذكاراً للعهد في تقليد طقس ثابت لا يتغيَّر من جيل إلى جيل. وهكذا بقي تسبيح الرب دائماً وكل أعمال خلاصه **باقية إلى الأبد**.

مز ٣٤: ١: «أُبارك الرب **في كل حين**، دائماً تسبيحه في فمي».
مز ٣٥: ٢٨: «لساني يلهج بعدلك، **اليوم كله** بحمدك».
مز ٤٤: ٨: «بالله نفتخر **اليوم كله**، واسمك نحمد **إلى الدهر**. سلاه».
مز ٦١: ٨: «هكذا أُرنّم لاسمك **إلى الأبد**، لوفاء نذوري **يوماً فيوماً**».
مز ٦٣: ٤: «هكذا أُباركك **في حياتي**، باسمك أرفع يديَّ».
مز ٧١: ٦: «عليك استندت من البطن، وأنت مُخرجي من أحشاء أُمي. بك تسبيحي **دائماً**».
مز ٧٥: ٩: «أمَّا أنا فأُخبر **إلى الدهر**. أُرنّم لإله يعقوب».
مز ٧٩: ١٣: «أمَّا نحن شعبك وغنم رعايتك. نحمدك **إلى الدهر. إلى دور فدور** نُحدِّث بتسبيحك».
مز ١٠٢: ١٢: «أمَّا أنت يا رب **فإلى الدهر** جالس، وذكرك **إلى دور فدور**».
مز ١١١: ١٠: «رأس الحكمة مخافة الرب. فطنة جيدة لكل عامليها تسبيحه قائم **إلى الأبد**».
مز ١١٥: ١٨: «أمَّا نحن فنبارك الرب، من الآن **وإلى الدهر** هللويا».
مز ١٤٥: ٢: «في كل يوم أُباركك. وأُسبِّح اسمك **إلى الدهر والأبد**».

إن التسبحة الدائمة وتقليد التسبيح «اليوم كله»، «إلى الدهر» تُظهر أنها عنصر أساسي في كل أعياد يهوه، وهي عقيدة طقسية وجزء من تحقيق الخلاص الإلهي الذي عليه يقوم العيد. لأن الجماعة ككل وكل فرد أيضاً يقدِّم في الطقس شهادة بالتسبيح لما قد تعلَّموه ومارسوه أثناء أعمال التقديس الطقسية. لذلك كان على كل واحد أن يقدِّم العرفان بالخلاص الذي يستمر التعييد له جديداً. ومركز التسبيح في العهد القديم هو لأن يهوه يُظهر ذاته باستعلان مجده.

وهكذا فإن مجد يهوه يُستعلن بالتسبيح - سواء لاسمه أو أعماله الخلاصية - وتُدرك مشيئته. فالعلاقة بين تسبحة العهد القديم وأعمال الله هي أنها تجعلها حاضرة، والذين يشتركون في الطقس يُحسبون شهود عيان وشهود سمع لأعمال الله التاريخية. والأمثلة:

مز ٤٤:١: «اللهم، بآذاننا قد سمعنا. آباؤنا أخبرونا بعملٍ عملته في أيامهم، في أيام القِدَم».
مز ٤٦:٨: «هلموا انظروا أعمال الله، كيف جعل خرباً في الأرض».

مز ٤٨:٨: «كما سمعنا هكذا رأينا في مدينة رب الجنود، في مدينة إلهنا. الله يثبِّتها إلى الأبد. سلاه».

مز ٦٦:٥: «هلموا انظروا أعمال الله. فعله المُرهِب نحو بني آدم!».

مز ٧٨:٣ إلخ: «التي سمعناها وعرفناها وآباؤنا أخبرونا. لا نُخفي عن بنيهم إلى الجيل الآخر، مخبرين بتسابيح الرب وقوته وعجائبه التي صنع».

مز ٨١:٧و٨: «في الضيق دعوتَ فنجَّيتكَ، استجبتك في ستر الرعد. جرَّبتك على ماء مريبة. سلاه. اسمع يا شعبي فأحذِّرك. يا إسرائيل إن سمعت لي!».

مز ٩٥:٦–٨: «هلم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا. لأنه هو إلهنا، ونحن شعب مرعاه وغنم يده. اليوم إن سمعتم صوته، فلا تقسوا قلوبكم كما في مريبة ...».

مز ١١٤ كله: «عند خروج إسرائيل من مصر ...».

هنا مفتاح معرفة تسبحة العهد القديم، فالطقس الذي تمارسه كل الجماعة معاً في ضوء الخلاص الإلهي يصوِّر الحدث الإلهي كعقيدة وتراث سرِّي ويتقبَّل الإنسان الخلاص من يد الله في هذا العمل، حيث يتكرَّر فعلاً التسبيح كشهادة بالترنيم وبالآمين وهللويا.

فالتسبيح هو رد فعل = صدى، بمثابة آمين بالنسبة للجماعة لظهور يهوه. ونسمعها في مقولة آمين هللويا. وأمثلة ذلك:

اأي ١٦:٣٦: «مبارك الرب إله إسرائيل من الأزل وإلى الأبد. فقال كل الشعب آمين وسبَّحوا الرب».

ومثل المزامير المدموغة بهللويا: ١٠٦، ١١١–١١٣، ١٤٦، ١٤٨، ١٥٠:

مز ١٠٦:٤٧: «خلِّصنا أيها الرب إلهنا، واجمعنا من بين الأمم، لنحمد اسم قدسك ونتفاخر بتسبيحك.
٤٨: مبارك الرب إله إسرائيل من الأزل وإلى الأبد. ويقول كل الشعب: آمين هللويا».

مز ١١١:١: «هللويا. أحمد الرب بكل قلبي، في مجلس المستقيمين وجماعتهم.
١٠: رأس الحكمة مخافة الرب. فطنة جيدة لكل عامليها. تسبيحه قائم إلى الأبد».
مز ١١٢:١: «هللويا. طوبى للرجل المتقي الرب. المسرور جداً بوصاياه».
مز ١١٣:١: «هللويا. سبِّحوا الرب يا عبيد الرب. سبِّحوا اسم الرب».

مز ١٤٦:١: «هللويا. سبِّحي يا نفسي الرب. أُسبِّح الرب في حياتي. وأُرنِّم لإلهي ما دمت موجوداً».
مز ١٤٨:١: «هللويا. سبِّحوا الرب من السموات. سبِّحوه في الأعالي».
مز ١٥٠:١: «هللويا. سبِّحوا الله في قدسه. سبِّحوه في فلك قوته ...
٥: كل نسمة فلتسبِّح الرب. هللويا».

وهكذا نرى في كلمة هللويا الصيغة الأصلية للتسبيح.

وفي العهد القديم يُعتبر ظهور يهوه في الطقس والتسبيح المباشر له هما بمثابة صَدَفتَين لقوقعة واحدة لا وجود لها بدونهما معاً، فهما يمثِّلان العمل الإلهي ورد فعل الإنسان الذي يُحسب شهادةً لله تعكس قوة الخلاص التي تقبلها المسبِّح من الله كقوله: «**مبارك يكون يهوه**».

مز ١٨:٤٦: «حيٌّ هو الرب، ومبارك صخرتي، ومرتفع إله خلاصي».
مز ٢٨:٦: «مبارك الرب، لأنه سمع صوت تضرُّعي».
مز ٣١:٢١: «مبارك الرب، لأنه قد جعل عجباً رحمته لي في مدينة محصَّنة».
مز ٤١:١٣: «مبارك الرب إله إسرائيل. من الأزل وإلى الأبد. آمين. فآمين».
مز ٦٦:٢٠: «مبارك الله، الذي لم يبعد صلاتي ولا رحمته عني».
مز ٦٨:١٩: «مبارك الرب، يوماً فيوماً يحملنا إله خلاصنا».
مز ٧٢:١٨: «مبارك الرب الله إله إسرائيل، الصانع العجائب وحده.
١٩: ومبارك اسم مجده إلى الدهر، ولتمتلئ الأرض كلها من مجده آمين ثمَّ آمين».
مز ٨٩:٥٢: «مبارك الرب إلى الدهر. آمين فآمين».
مز ١٠٦:٤٨: «مبارك الرب إله إسرائيل من الأزل وإلى الأبد. ويقول كل الشعب. آمين هللويا».
مز ١١٣:٢: «ليكن اسم الرب مباركاً من الآن وإلى الأبد».
مز ١٢٤:٦: «مبارك الرب الذي لم يُسلِّمنا فريسة لأسنانهم».
مز ١٣٥:٢١: «مبارك الرب من صهيون، الساكن في أُورشليم. هللويا».

وهكذا أيضاً عندما يُقال: "سبِّحوا الرب أكثر فأكثر".

مز ٧١:١٤: «أمَّا أنا فأرجو دائماً، وأزيد على كل تسبيحك».

كذلك أيضاً بالدخول في نوع من التأثير المتبادل بين الإنسان وعطية الله وعظمته وقوة خلاصه مثل:

مز ٦٨:٣٤: «**أعطوا عزًّا لله**. على إسرائيل جلاله وقوته في الغمام

٣٥: ... إله إسرائيل هو المعطي قوة وشدَّة للشعب. مبارك الله!».

نشيد موسى:

تث ٣٢: ١: «انصتي أيتها السموات فأتكلَّم، ولتسمع الأرض أقوال فمي:
٢: يهطل كالمطر تعليمي، ويقطر كالندى كلامي. كالطل على الكلأ وكالوابل على العشب.
٣: إني باسم الرب أُنادي. **أعطوا عظمة لإلهنا**».

ونعتقد أن ظهور يهوه في البرية لشعب إسرائيل عياناً كان هو المصدر الذي أغنى كل المزامير بكل دقائق الظهور الإلهي مثل:

مز ٥٠: ٢: «من صهيون، كمال الجمال. الله أشرق.
٣: يأتي إلهنا ولا يصمت، نار قدَّامه تأكل وحوله عاصف جدًّا».

مز ٦٨: ٢: «... كما يذوب الشمع قدَّام النار يبيد الأشرار قدَّام الله ...
٧: اللهمَّ عند خروجك أمام شعبك عند صعودك في القفر. سلاه.
٨: الأرض ارتعدت السموات أيضاً قطرت أمام وجه الله. سينا نفسه من وجه الله إله إسرائيل ...».

مز ١٨: ٧: «فارتجت الأرض وارتعشت، أُسس الجبال ارتعدت وارتجَّت لأنه غضب ...
٩: طأطأ السموات ونزل وضباب تحت رجليه.
١٠: ركب على كروب وطار وهفَّ على أجنحة الرياح،
١١: جعل الظلمة ستره حوله مظلَّته ضباب المياه وظلام الغمام.
١٢: من الشعاع قدَّامه عبرت سحبه. برد وجمر نار.
١٣: أرعد الرب من السموات والعلي أعطى صوته، برداً وجمر نار».

ويُلاحِظ القارئ أن هذه الأوصاف كلها قد تمَّت بالحرف الواحد وأكثر منها عند ظهور الرب على جبل سيناء كما يقدِّمها مزمور التسبيح وكأنها صلاة:

مز ٧٧: ١٦: «أبصرتك المياه يا الله، أبصرتك المياه ففزعت، ارتعدت أيضاً اللجج.
١٧: سكبت الغيوم مياهاً، أعطت السُّحب صوتاً ...
١٨: صوت رعدك في الزوبعة. البروق أضاءت المسكونة. ارتعدت ورجفت الأرض.
١٩: في البحر طريقك، وسبلك في المياه الكثيرة، وآثارك لم تُعرف».

وهكذا نرى أن الطقس احتوى المعرفة عن الله بحسب اختبارات سابقة أُخذت بصورة جامدة متكرِّرة، ولكن في مزموري (١٨و٧٧) لا تأتي هذه الأوصاف من خبرات سابقة، بل تنبع من خبرات شخصية:

مز ١٨: «أُحبك يا رب، يا قوتي. الرب صخرتي وحصني ومنقذي ... أدعو الرب الحميد، فأتخلَّص من أعدائي ... في ضيقي دعوت الرب وإلى إلهي صرخت، فسمع من هيكله صوتي. وصراخي قدَّامه دخل أذنيه. فارتجت الأرض وارتعشت، أُسس الجبال ارتعدت وارتجت لأنه غضب ... طأطأ السموات ونزل ... إلخ».

مز ٧٧: «صوتي إلى الله فأصرخ. صوتي إلى الله فأصغى إليَّ. في يوم ضيقي التمست الرب. يدي في الليل انبسطت ولم تخدر. أبت نفسي التعزية. أذكر الله فأئن. أُناجي نفسي فيُغشَى على روحي. سلاه. أمسكْتَ أجفان عينيَّ. انزعجتُ فلم أتكلَّم. تفكَّرت في أيام القِدَم، السنين الدهرية. أذكُرُ ترنُّمي في الليل. مع قلبي أُناجي وروحي تبحثُ: هل إلى الدهور يرفض الرب ولا يعود للرِّضا بعد؟ هل انتهت إلى الأبد رحمته؟ انقطعت كلمته إلى دور فدور؟ هل نسي الله رأفة؟ أو قفص برجزه مراحمه؟ سلاه.

فقلت هذا ما يُعِلُّني تَغيُّر يمين العليِّ. أذكر أعمال الرب إذ أتذكَّر عجائبك منذ القِدَم وألهج بجميع أفعالك وبصنائعك أناجي.

اللهم، في القدس طريقك. أيُّ إله عظيمٌ مثل الله ... أبصرتك المياه يا الله. أبصرتك المياه ففزعت ... إلخ».

وأيضاً يُؤخذ مزمور ٥٠ على هذا المنوال وكذلك أيضاً مزمور ٩٧. على أن الظهور الإلهي الثيؤفانيا واتصالها بالتسبيح يُمكن أن يُرى أيضاً في عبارة «الجالس على الكاروبيم» حيث كان يظهر يهوه فوق غطاء تابوت العهد بين الكاروبين:

مز ٩٩: ١: «الرب قد ملك. ترتعد الشعوب. **هو جالس على الكروبيم**. تتزلزل الأرض.
٢: الرب عظيم في صهيون، وعال هو على كل الشعوب.
٣: يحمدون اسمك العظيم والمهوب، قدوس هو.
٤: وعزُّ الملك أن يُحِبَّ الحق. أنت ثبَّتَّ الاستقامة. أنت أجريت حقًّا وعدلاً في يعقوب».

مز ٨٠: ١: «يا راعي إسرائيل، اصغ، يا قائد يوسف كالضأن، **يا جالساً على الكروبيم** أشرق ...».

مز ٢٢: ٣: «وأنت القدوس **الجالس بين تسبيحات إسرائيل.**
٤: عليك اتكل آباؤنا. اتكلوا فنجيتهم ...
١١: لا تتباعد عني لأن الضيق قريب، لأنه لا معين!».

والقول أن القدوس الذي يرعى إسرائيل هو جالس بين تسبيحات إسرائيل هو كونه فوق التابوت بين الكاروبين.

والمعروف أن الثيؤفانيا تحتل مكاناً مرموقاً ذا مكانة رئيسية في الطقس في عيد يهوه، وقد تركت آثارها في أصداء تسبيحية في المزامير صيغت على نموذج ما قيل في سفر العدد (١٠: ٣٥):

+ «وعند ارتحال التابوت كان موسى يقول: قم يا رب فلتتبدد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك. وعند حلوله كان يقول: ارجع يا رب إلى ربوات ألوف إسرائيل.» (عد ١٠: ٣٥و٣٦)

وهذا نسمعه يتردد في مزمور ٦٨:

مز ٦٨: ١: «يقوم الله. يتبدد أعداؤه، ويهرب مبغضوه من أمام وجهه ...
٤: غنوا لله. رنموا لاسمه. أعدوا طريقاً للراكب في القفار. باسمه ياه، واهتفوا أمامه».

وكذلك في نفس المزمور نجد أن ظهور الله بالثيئوفانيا يكون سبباً لتسبيحه:

مز ٦٨: ١٧: «مركبات الله، ربوات ألوف مكررة. الرب فيها. سينا في القدس.
٢٤: رأوا طرقك يا الله. طرق إلهي ملكي في القدس.
٣٣: للراكب على سماء السموات القديمة. هوذا يعطي صوته صوت قوة».

وهكذا في كثير من مزامير التسبيح نرى ظهور الله (الثيئوفانيا) كموضوع لتسبيحاتها:

مز ٤٧: ١: «يا جميع الأمم صفقوا بالأيادي. اهتفوا لله بصوت الابتهاج.
٢: لأن الرب عليٌّ مخوف، ملك كبير على كل الأرض.
٥: صعد الله بهتاف، الرب بصوت الصور.
٦: رنموا لله رنموا. رنموا لملكنا رنموا.
٨: ... الله جلس على كرسي قدسه».
مز ٤٨: ١: «عظيم هو الرب وحميد جداً. في مدينة إلهنا، جبل قدسه».

كذلك فإن حضور يهوه في هيكله، وقربه من العابدين، واستعلان قوته ومجده، ذلك بالإضافة إلى ظهوره، هذه كلها عموماً وبتكرار هي أسباب للتسبحة وتشكّل موضوعها:

مز ١١: ٤: «الرب في هيكل قدسه، الرب في السماء كرسيه».
مز ١٦: ١١: «تعرّفني سبل الحياة، أمامك شبع سرور، في يمينك نعم إلى الأبد».
مز ٦٥: ٤: «طوبى للذي تختاره وتقرّبه ليسكن في ديارك، لنشبعَنَّ من خير بيتك، قدس هيكلك».
مز ٨٩: ١٥: «طوبى للشعب العارفين الهتاف. يا رب، بنور وجهك يسلكون».
مز ٩٦: ٦: «مجد وجلال قدامه، العز والجمال في مقدسه».
مز ٩٨: ٦: «بالأبواق وصوت الصور، اهتفوا قدّام الملك الرب».
مز ١٠٠: ٢: «اعبدوا الرب بفرح. ادخلوا إلى حضرته بترنم».
مز ١٠٥: ٣: «افتخروا باسمه القدوس. لتفرح قلوب الذين يلتمسون الرب».

ويُلاحَظ أن "وجه الرب" يُذكر في مزامير التسبيح كما يُذكر في مزامير الخدمة الهيكلية:

مز ٤: ٦: «كثيرون يقولون: مَنْ يرينا خيراً؟ ارفع علينا نور وجهك يا رب».
مز ٢٧: ٨: «لك قال قلبي: قلتَ اطلبوا وجهي. وجهكَ يا رب أطلب
٩: لا تحجب وجهك عني».
مز ١٧: ١٥: «أمَّا أنا فبالبرّ أنظر وجهك. أشبع إذا استيقظت بشبهك».
مز ٢٤: ٦: «هذا هو الجيل الطّالبه، الملتمسون وجهك يا يعقوب. سلاه».
مز ٣١: ١٦: «أضيء بوجهك على عبدك. خلّصني برحمتك».
مز ١١٩: ١٣٥: «أضيء بوجهك على عبدك وعلّمني فرائضك».
مز ٤٤: ٣: «لأنه ليس بسيفهم امتلكوا الأرض، ولا ذراعهم خلّصهم، لكن يمينك وذراعك، ونور وجهك، لأنك رضيت عنهم».
مز ٤٥: ١٢: «وبنت صور أغنى الشعوب تترضّى وجهك بهدية».
مز ٨٠: ٣: «يا الله أرجعنا، وأنر بوجهك فنخلص».
مز ٨٩: ١٤: «العدل والحق قاعدة كرسيك، الرحمة والأمانة تتقدّمان أمام وجهك».
١٥: «طوبى للشعب العارفين الهتاف. يا رب، بنور وجهك يسلكون».
مز ١١٩: ٥٨: «ترضيتُ وجهك بكل قلبي. ارحمني حسب قولك».

على أنه يلزم أن يفهم القارئ أن كلمة "وجه" هي بالمعنى اللاهوتي: "بروسوبون" وتعني: "شخص"، واستخدامها هو من الرصانة والأصالة الطقسية ولا ينبغي الاستهانة بقيمتها الثمينة.

وبنفس مستوى "وجه يهوه" في مزامير التسبيح يأتي "الاسم"، اسم يهوه الممجَّد:

مز ٨: ١و٩: «أيها الرب سيّدنا، ما أمجد اسمك في كل الأرض حيث جعلت جلالك فوق السموات! أيها الرب سيّدنا، ما أمجد اسمك في كل الأرض».

مز ٢٢:٢٢: «أخبر باسمك إخوتي، في وسط الجماعة أُسبّحك».

مز ٢:٢٩: «قدّموا للرب مجد اسمه، اسجدوا للرب في زينة مقدّسة».

مز ٢١:٣٣: «لأنه به تفرح قلوبنا، لأننا على اسمه القدوس اتكلنا».

مز ١٠:٤٨: «نظير اسمك يا الله، تسبيحك إلى أقاصي الأرض، يمينك ملآنة برًّا».

مز ٢:٦٦: «رنّموا بمجد اسمه. اجعلوا تسبيحه ممجّداً».

مز ٤:٦٨: «غنّوا لله رنّموا لاسمه، أعدّوا طريقاً للراكب في القفار. باسمه ياه، واهتفوا أمامه».

مز ١:٧٦: «الله معروف في يهوذا. اسمه عظيم في إسرائيل».

مز ٣:٩٩: «يحمدون اسمك العظيم والمهوب، قدوس هو».

مز ٤:١٠٠: «ادخلوا أبوابه بحمد، دياره بالتسبيح. احمدوه، باركوا اسمه.

٥: لأن الرب صالح، إلى الأبد رحمته، وإلى دور فدور أمانته».

مز ٤٧:١٠٦: «خلّصنا أيها الرب إلهنا، واجمعنا من بين الأُمم، لنحمد اسم قدسك، ونتفاخر بتسبيحك!».

مز ٩:١١١: «أرسل فداءً لشعبه. أقام إلى الأبد عهده، قدوس ومهوب اسمه».

مز ١:١١٣: «هللويا. سبّحوا يا عبيد الرب. سبّحوا اسم الرب.

٢: ليكن اسم الرب مباركاً. من الآن وإلى الأبد.

٣: من مشرق الشمس إلى مغربها اسم الرب مسبّح».

مز ١:١٣٥: «هللويا. سبّحوا اسم الرب. سبّحوا يا عبيد الرب ...

٣: سبّحوا الرب لأن الرب صالح رنّموا لاسمه لأن ذاك حلوٌ ...

١٣: يا رب، اسمك إلى الدهر. يا رب، ذكرك إلى دور فدور».

مز ١:١٤٥: «أرفعك يا إلهي الملك، وأبارك اسمك إلى الدهر والأبد.

٢: في كل يوم أُباركك، وأُسبّح اسمك إلى الدهر والأبد

٢١: بتسبيح الرب ينطق فمي، وليُبارك كل بشر اسمه القدوس إلى الدهر والأبد».

مز ١٣:١٤٨: «ليسبّحوا اسم الرب، لأنه قد تعالى اسمه وحده. مجده فوق الأرض والسموات».

ومثل الوجه والاسم الخاص بيهوه، فقد تأتي النعمة أو الرحمة أو الأمانة أو البر، لأن الاسم والوجه هو تعبير لاهوتي عن الشخص، ويمكن أن تأتي الصفة الخاصة جدًّا بيهوه لتدل عليه:

مز ١٠:٢٥: «كل سبل الرب رحمة وحق لحافظي عهده وشهاداته.

١١: من أجل اسمك يا رب اغفر إثمي لأنه عظيم».

مز ٥:٣٦: «يا رب في السموات رحمتك. أمانتك إلى الغمام.

٦: عدلك مثل جبال الله، وأحكامك لجّة عظيمة».

مز ١٠:٤٠: «لم أكتم عدلك في وسط قلبي. تكلّمت بأمانتك وخلاصك. لم أُخفِ رحمتك وحقّك عن الجماعة العظيمة».

مز ٩:٤٨: «ذكَرْنا يا الله رحمتك في وسط هيكلك.

١٠: نظير اسمك يا الله تسبيحك إلى أقاصي الأرض».

مز ١٠:٥٧: «لأن رحمتك قد عظمت إلى السموات وإلى الغمام حقّك».

مز ٢:٩٢: «أن يُخبَر برحمتك في الغداة، وأمانتك كل ليلة».

مز ٣:٩٨: «ذكَرَ رحمته وأمانته لبيت إسرائيل».

مز ٥:١٠٠: «لأن الرب صالح، إلى الأبد رحمته، وإلى دور فدور أمانته».

مز ٨:١٠٣: «الرب رحيم ورؤوف، طويل الروح وكثير الرحمة».

١٧: «أما رحمة الرب فإلى الدهر والأبد على خائفيه، وعدله على بني البنين».

مز ٧:٣١: «أبتهج وأفرح برحمتك، لأنك نظرت إلى مذلتي، وعرفت في الشدائد نفسي».

مز ١٦:٥٩: «أمّا أنا فأُغني بقوتك، وأُرنّم بالغداة برحمتك، لأنك كنت ملجأً لي، ومناصاً في يوم ضيقي».

مز ١:٨٩: «بمراحم الرب أُغنّي إلى الدهر، لدور فدور أخبر عن حقك بفمي.

٢: لأني قلت إن الرحمة إلى الدهر تُبنَى».

٥: «السموات تحمد عجائبك يا رب، وحقّك أيضاً في جماعة القديسين».

مز ١٧:٧: «أحمد الرب حسب بره، وأُرنّم لاسم الرب العلي».

مز ٣١:٢٢: «يأتون ويخبرون ببره شعباً سيولد بأنه قد فعل».

مز ٢٨:٣٥: «ولساني يلهج بعدلك. اليوم كله بحمدك».

مز ١٥:٧١: «فمي يحدّث بعدلك، اليوم كله بخلاصك، لأني لا أعرف لها أعداداً».

مز ٦:٩٧: «أخبرت السموات بعدله، ورأى جميع الشعوب مجده».

مز ٧:١٤٥: «ذكرَ كثرةِ صلاحك يُبدون، وبعدلك يرنّمون».

وبهذه الإشارات فإن كل استعلان الطبيعة الإلهية ومشيئتها التي يتغنّى بها الشعب ويذكرها

يصبح عند الشعب كأمر واقع وحقيقة حاضرة واقعة أمامهم. وكأنهم يختزلون لغة الطقس اللاهوتية وبواسطة إيماءة واحدة يذكرون كل ما تمّ من الخلاص في الحدث الطقسي السرائري فيصبح الآن حقيقة حيّة.

وعلى نفس النمط نجد أن نفس الأثر يحصلون عليه عندما يذكرون واحدة من التعبيرات الأساسية التقليدية التي دخلت الطقس مما جاء في استعلانات يهوه في سيناء (مثل: خر ٣٤: ٦) ويضمّنونها التسبحة، مثل المزامير الآتية:

مز ٨٦: ١٥: «أمّا أنتَ يا رب فإله رحيم ورؤوف، طويل الروح وكثير الرحمة والحق.
١٦: التفت إليَّ وارحمني».

مز ١٠٣: ٨: «الرب رحيم ورؤوف، طويل الروح وكثير الرحمة،
٩: لا يحاكم إلى الأبد، ولا يحقد إلى الدهر».

مز ١١١: ٤: «صنع ذكراً لعجائبه، حنّان ورحيم هو الرب».

مز ١٤٥: ٨: «الرب حنّان ورحيم، طويل الروح وكثير الرحمة.
٩: الرب صالح للكلِ ومراحمه على كل أعماله».

والآن نذكر الأصل الذي اقتبس منه:

+ «فاجتاز الرب قدّامه ونادى الرب: الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء حافظ الإحسان إلى ألوف. غافر الإثم والمعصية والخطية. ولكنه لن يُبْرِئَ إبراءً» (خر ٣٤: ٦و٧)

ومعروف أن الاحتفال الخاص بعيد العهد كانوا يقدّمون فيه الشهادة لاسم الرب ويرنّمون لاسمه:

مز ١٢٢: ٤: «حيث صعدت الأسباط، أسباط الرب، شهادة لإسرائيل، ليحمدوا اسم الرب».

مز ١٨: ٤٩: «لذلك أحمدك يا رب في الأُمم وأُرنّم لاسمك».

مز ٤٤: ٨: «بالله نفتخر اليوم كله، واسمك نحمد إلى الدهر. سلاه».

مز ٥٢: ٩: «أحمدك إلى الدهر لأنك فعلت، وأنتظر اسمك فإنه صالح قدّام أتقيائك».

مز ٥٤: ٦: «أذبح لله منتدباً. أحمد اسمك يا رب لأنه صالح».

مز ٦٨: ٤: «غنّوا لله، رنّموا لاسمه. أعدوا طريقاً للراكب في القفار. باسمه ياه، واهتفوا أمامه».

مز ٧٤: ٢١: «لا يرجعن المنسحق خازياً. الفقير والبائس ليُسبّحا اسمك».

مز ٨٩: ١٦: «باسمك يبتهجون اليوم كله، وبعدلك يرتفعون».

مز ٩٢: ١: «حسن هو الحمد للرب والترنّم لاسمك أيها العليُّ».

مز ٩٧: ١٢: «افرحوا أيها الصدِّيقون بالرب، واحمدوا ذكر قدسه».

مز ٩٩: ٣: «يحمدون اسمك العظيم والمهوب. قدوس هو».

مز ١٠٣: ١: «باركي يا نفسي الرب، وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس».

مز ١٠٥: ١: «احمدوا الرب، ادعوا باسمه. عرِّفوا بين الأُمم بأعماله».

مز ١١٣: ٢: «ليكن اسم الرب مباركاً من الآن وإلى الأبد».

مز ١٤٩: ٣: «ليسبِّحوا اسمه برقص. بدفٍّ وعودٍ ليرنّموا له».

وقد تأتي مزامير التسبيح لاسم يهوه بمعنى معرفته:

مز ٩: ١٠: «ويتكل عليك العارفون اسمك، لأنك لم تترك طالبيك يا رب».

وقد صار الاعتماد والافتخار بالاعتماد على اسم يهوه بمثابة الثقة فيه شخصياً والثقة في تجديد مراحمه، وبالتالي تجديد عهده للشعب، فيزداد التعلُّق به:

مز ٨٠: ١٨: «فلا نرتد عنك. أَحينا فندعو باسمك».

وقد دخلت أعمال الله مع الآباء ومع موسى في صميم الطقس كنشيد تسبيح للتعبيد وللشهادة والتعليم والإعلان عن مسرّة الشعب وتعلّقه بيهوه وافتخارهم به بين الشعوب.

كذلك تسبيح يهوه كخالق دخل في ضمن تسبيحه على أعماله الخلاصية بصورة متواصلة بقصد طلب تجديد الخلقة كل سنة وكل السنين وإلى الأبد. فعملية التجديد للخلقة دخلت كمطلب تسبيحي دائم. ولكن تسبيح يهوه على الخلقة امتزج بتسبيحه على الخلاص الذي تمّ والذي يُرجى في مزامير التسابيح مطولاً، وإليك الأمثلة:

مز ٨: ١ و ٢: «أيها الرب سيدنا، ما أمجد اسمك في كل الأرض. حيث جعلت جلالك فوق السموات ... إذا أرى سمواتك عمل أصابعك، القمر والنجوم التي كوّنتها ...».

مز ١٩: ١ و ٤: «السموات تُحدِّث بمجد الله، والفلك يُخبر بعمل يديه ... جعل للشمس مسكناً فيها».

مز ٢٤: ١ و ٢: «للرب الأرض وملؤها. المسكونة وكل الساكنين فيها. لأنه على البحار أسسها

وعلى الأنهار ثبّتها».

مز ٣٣: ٦ و ٩: «بكلمة الرب صُنعت السموات، وبنسمة فيه كل جنودها ... لأنه قال فكان، هو أمر فصار».

مز ٦٥: ٦ و ٨: «المثبِّت الجبال بقوته، المنطَّق بالقدرة ... تجعل مطالع الصباح والمساء تبتهج».

مز ٩٥: ٤ و ٥: «الذي بيده مقاصير الأرض، وخزائن الجبال له. الذي له البحر وهو صنعه، ويداه سبكتا اليابسة».

مز ١٠٢:٢٥-٢٧: «من قدَم أسَّست الأرض، والسموات هي عمل يديك. هي تبيد وأنت تبقى، وكلها كثوب تبلى، كرداء تغيِّرهن فتتغيَّر. وأنت هو وسنوك لن تنتهي (عب ١:١٠-١٢)».

مز ١٠٤: ٢: «اللابس النور كثوب الباسط السموات كشُقَّة.
٣: المُسقِّف علاليه بالمياه الجاعل السحاب مركبته، الماشي على أجنحة الرياح،
٤: الصانع ملائكته رياحاً وخُدَّامه ناراً ملتهبة (انظر: عب ١:٧).
٥: المؤسِّس الأرض على قواعدها فلا تتزعزع إلى الدهر والأبد.
٦: كسوتها الغمر كثوب. فوق الجبال تقف المياه.
١٠: المفجِّر عيوناً في الأودية بين الجبال تجري ...
١٣: الساقي الجبال من علاليه.
١٩: صنع القمر للمواقيت والشمس تعرف مغربها.
٢٠: تجعل ظلمة فيصير ليل ...
٢٤: ما أعظم أعمالك يا رب كلها بحكمة صنعت ...
٣٣: أُغنِّي للرب في حياتي. أُرنِّم لإلهي ما دمت موجوداً».

مز ١٣٥: ٦: «كل ما شاء الرب صنع في السموات وفي الأرض، في البحار وفي كل اللجج.
٧: المُصعد السحاب من أقاصي الأرض، الصانع بروقاً للمطر. المخرج الريح من خزائنه».

مز ١٣٦: ٥: «الصانع السموات بفهم، لأن إلى الأبد رحمته.
٦: الباسط الأرض على المياه، لأن إلى الأبد رحمته.
٧: الصانع أنواراً عظيمة، لأن إلى الأبد رحمته.

٨: الشمس لحكم النهار، لأن إلى الأبد رحمته.
٩: القمر والكواكب لحكم الليل، لأن إلى الأبد رحمته».

مز ١٤٦:٦: «الصانع السموات والأرض، البحر وكل ما فيها».

لقد احتلت أوصاف الخليقة الأساس في مزامير التسبيح للأعياد وخاصة أعياد تجليس يهوه على عرشه. ولا تأتي فكرة الخليقة كفكرة مستقلة بذاتها إلاَّ في مزموري ١٩و١٠٤. أمَّا في باقي المزامير فمرتبطة بعقيدة العهد والخلاص.

وتقديم التسبيح ليهوه كقاضٍ وديان جاء أكثر مما جاء له كخالق أو كملك، ولو أن نفس المزمور أحياناً يأتي بهذه وبتلك:

مز ٩٦: ١٠: «قولوا بين الأُمم: الرب قد ملك. أيضاً تثبَّتت المسكونة فلا تتزعزع. يدين الشعوب بالاستقامة ...
١٣: أمام الرب لأنه جاء. جاء ليدين الأرض. يدين المسكونة بالعدل والشعوب بأمانته».

مز ٩٧: ٢: «العدل والحق قاعدة كرسيه» (للقضاء).
٨: «ابتهجت بنات يهوذا من أجل أحكامك يا رب» (كقاض).

مز ٩٨: ٢: «أعلن الرب خلاصه. لعيون الأُمم كشف بره (كقاض).
٩: لأنه جاء ليدين الأرض. يدين المسكونة بالعدل والشعوب بالاستقامة».

مز ٩٩:٤: «وعزّ الملك أن يُحبّ الحق. أنتَ ثبَّت الاستقامة. أنت أجريت حقًّا وعدلاً في يعقوب».

مز ٩: ٤: «لأنك أقمت حقِّي ودعواي. جلست على الكرسي قاضياً عادلاً.
٧: أمَّا الرب فإلى الدهر يجلس. ثبَّت للقضاء كرسيه».

مز ١٨:٢٥: «مع الرحيم تكون رحيماً – مع الرجل الكامل تكون كاملاً».

مز ٣١:٢٣: «أحبوا الرب يا جميع أتقيائه. الرب حافظ الأمانة. ومجاز بكثرة العامل بالكبرياء».

مز ٣٣:٥: «يحب البر والعدل. امتلأت الأرض من رحمة الرب».

مز ٣٦:٦: «عدلك مثل جبال الله، وأحكامك لجَّة عظيمة».

مز ٤٨:١١: «يفرح جبل صهيون – تبتهج بنات يهوذا من أجل أحكامك».

مز ٦٥:٣: «آثام قد قويت عليَّ. معاصينا أنت تُكفِّر عنها».

مز ٦٦:١٠: «لأنك جرَّبتنا يا الله. محَّصتنا كمحص الفضة».

مز ٦٧: ٤: «تفرح وتبتهج الأُمم لأنك تدين الشعوب بالاستقامة، وأُمم الأرض تهديهم. سلاه».

مز ٦٨: ٥: «أبو اليتامى وقاضي الأرامل، الله في مسكن قدسه».

مز ٧٦: ٨و٩: «من السماء أسمعت حكماً. الأرض فزعت وسكتت. عند قيام الله للقضاء، لتخليص كل ودعاء الأرض. سلاه».

مز ٧٨ كله: «اصغ يا شعبي إلى شريعتي ...».

مز ٨٩: ١٤: «العدل والحق قاعدة كرسيك. الرحمة والأمانة تتقدَّمان أمام وجهك».

مز ٩١: ١٥و١٦: «يدعوني فأستجيب له، معه أنا في الضيق، أنقذه وأُمجِّده. من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصي».

مز ٩٦: ١٠: «قولوا بين الأُمم: الرب قد ملك. أيضاً تثبّتت المسكونة فلا تتزعزع. يدين الشعوب بالاستقامة».

مز ٩٧: ٢و٦: «السحاب والضباب حوله. العدل والحق قاعدة كرسيه.
أخبرت السموات بعدله، ورأى جميع الشعوب مجده».

مز ٩٨: ٩: «لأنه جاء ليدين الأرض».

مز ١٠٣: ٦: «الرب مجري العدل والقضاء لجميع المظلومين».

مز ١٠٥: ٧: «هو الرب إلهنا في كل الأرض أحكامه».

مز ١٤٧: ١٩: «يُخبر يعقوب بكلمته، وإسرائيل بفرائضه وأحكامه».

مواصفات مزامير التسبيح لمجد الله:

هذا التقسيم من المزامير تضغط عليه بشدة روح الفرح. فإذا فحصنا الظروف التي قيلت فيها هذه المزامير نجد أن واقعها هو المسرَّة فعلاً: مثل احتفالات الأعياد التي للفرح في إسرائيل، واتجاهات الغيرة والحرارة. فهذه كلها أعطت المزامير رنَّة فرح وسرور تتركّز في العلاقة مع الله، حيث تُنطق التسابيح بروح شبابية دينية مع شدة الإعجاب والوقار والعجب، الأمور التي تصبغ الحياة الروحية الأصلية في إسرائيل. ولا يشوبها أي إحساس بالحزن أو بالعبودية أو الارتباط بأنماط عتيقة شكلية أو تعلق بناموس وفرائض حرفية، وهي تنضح بشدة سرور المسبِّح الذي اكتشف صفات الله البديعة بمجده وقوته وصلاحه وحبّه. لذلك في هذه المزامير التلقائية المنفعلة نحس بالحب والإعجاب والفرح والغيرة والحرارة في القربى من الله. وحينما نفحصها نجد صدق الأحاسيس المختبرة المنبعثة من القلب الصادق، وهي حرارة خالية من الاحتجاج أو الشكوى. فهي تعالج الحقائق في حد ذاتها

ولكنها تتعلَّق بالله ذاته وأعماله المشهود لها. فالله وأعماله في مزامير التمجيد واحد، محاطاً بجلاله ومحبته التي تستحوذ على قلب وفكر المُنشد.

فالله يقف بكل مجده وبهائه ومحبته مطالباً كل الذين يزمرون بالانتباه الشديد، لأن الإنسان وكل ما يتعلَّق بحياته إنما يقع في حضرة الله في موقع الخلفية. وهنا نجد الفرق واضحاً إذا ما قورنت هذه المزامير بالتسابيح البابلية ذات الاتجاه التوسُّلي الواضح، فإدخال التوسُّلات في التسابيح البابلية هو القاعدة، أمَّا في تسابيح إسرائيل فنجدها استثناء(٣). لأن في العبادة عند الشعب المختار يكون محور التسبيح إنما هو الفرح بالرب وصفاته التي استُعلنت للشعب في أعماله المقدسة. فتأتي التسابيح كانعكاس أو صدى، أو هي الآمين بلسان الشعب ردًّا على أعمال الله وعنايته.

ويتفق كل من "وايزر" و"جونكل" و"مونكل" و"كيتل" على أن المزامير في جملتها من نتاج فترة ما قبل السبي، ولكن هناك مزامير عددها قليل يمكن في الحقيقة البرهنة على أنها من نتاج فترة ما بعد السبي، وذلك بعكس ما يقول ولهوزن(٤). والذي يبرهن على ذلك أن المزامير تتبع في تركيبها وتأليفها الطقس والتقليد الذي أخذ كل قوته ومجراه فيما قبل السبي، أمَّا طقس العبادة ونظامها فيما بعد السبي فلا أثر له في المزامير. وحتى ولو كان بها رنَّة اللغة المتأخرة لما بعد السبي فمعروف أن المزامير في أصل تكوينها مؤلَّفة لتكون جزءاً من العبادة والطقس، وعلى أساس أنها تُقال على مدى الزمن متواتراً، لذلك يمكن أن تقع تحت تغيير اللغة لتناسب وقتها ولكن تأليفها الأصلي كان مبكّراً تاريخياً.

وحينما تشكِّل المزامير صدى لأعمال الله السابقة تُحسب أنها استعلان أو تحقيق طقسي لها، لذلك تُعتبر وسط الجماعة في إسرائيل أنها عامل تقديس، وهكذا فإن حب الله الخلاَّق يسري بكلماته في قلوب الشعب. واستعلان كلمات وأعمال الله بهذه الكيفية في المزامير لا تُحسب أنها حقيقة للتعليم أو أنها انعكاسات بشرية للتعريف بحقائق الله، لأن الأمور المستعلنة في المزامير هي حقائق وحوادث إلهية يسلِّمها المزمور كما هي بنفس الأسلوب والوسيلة التي نقيم بها نحن الحقائق والحوادث داخل الليتورجيا في العبادة (القداس) لتصبح وسائل تقديس.

فمزامير التسبيح لمجد الله تُقدِّم لنا حوادث وتفاعلات تاريخية موقَّعة على التسبيح الخاص بشعب الله المختار، فهو يُسبِّح من واقع خبرته بالله!

(3) Drijvers, *op. cit.*, p. 66.
(4) Weiser, *op. cit.*, p. 25.

وكما سبق فقد وجدنا أن التسبيح في أصوله الأُولى يقوم أساساً على اختبار الله في حقائق خاصة بالخلقة والفداء، ولكن الفداء - الذي يتحقّق بالخلاص - تكون له دائماً الأهمية الكبرى. وعلى هذين العاملين الأساسيين تتقدَّم المزامير لتعطي دائماً وباستمرار الخلقة والخلاص متحدين معاً وكل منهما يقوِّم الآخر.

والمزامير تقدِّم لنا هذين العاملين الأساسيين كلاً منهما في اختصاصه.

نموذج مزمور خاص بالفداء والخلاص والنجاة: مزمور (١٠٣):

«باركي يا نفسي الرب وكل ما في باطني يبارك اسمه القدوس ∴ باركي يا نفسي الرب ولا تنسى كل حسناته
الذي يغفر جميع ذنوبكِ، الذي يشفي كل أمراضكِ ∴ الذي يفدي من الحفرة حياتكِ. الذي يكلّلك بالمراحم والرأفة
الذي يشبع بالخير عمركِ فيتجدَّد مثل النسر شبابكِ
الرب مجري العدل والقضاء لجميع المظلومين ∴ عرَّف موسى طرقه وبني إسرائيل أفعاله
الرب رحيم ورؤوف، طويل الروح وكثير الرحمة ∴ لا يحاكم إلى الأبد ولا يحقد إلى الدهر
لم يصنع معنا حسب خطايانا ولم يجازنا حسب آثامنا ∴ لأنه مثل ارتفاع السموات فوق الأرض قويت رحمته على خائفيه
كبعد المشرق من المغرب أبعد عنّا معاصينا ∴ كما يترأف الأب على البنين يترأف الرب على خائفيه
لأنه يعرف جبلتنا، يذكر أننا تراب نحن ∴ الإنسان مثل العشب أيامه كزهر الحقل كذلك يُزهر
لأن ريحاً تعبر عليه فلا يكون ولا يعرفه موضعه بعد(٥) ∴ أمَّا رحمة الرب فإلى الدهر والأبد على خائفيه
وعدله على بني البنين لحافظي عهده وذاكري وصاياه ليعملوها
الرب في السموات ثبَّت كرسيه ومملكته على الكل تسود ∴ باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة الفاعلين أمره عند سماع
∴ صوت كلامه.
باركوا الرب يا جميع جنوده، خدَّامه العاملين مرضاته ∴ باركوا الرب يا جميع أعماله في كل مواضع سلطانه باركي يا
نفسي الرب».

ولكن هناك مزامير أخرى تركّزت في الخليقة مثل: ٨و١٩و٢٩و٣٣و١٠٤و١٤٨. وتتكلّم عنها ضمن مواضيع أخرى المزامير الآتية: ١٣٥و١٣٦و١٤٥و١٤٦.

أمّا مزامير الخلاص أو النجاة فهي مزامير: ١٠٣و١٠٥و١٣٥و١٣٦، وبصفة أقل مزامير ١١١ و١٤٥و١٤٦و١٤٧و١٤٨. كذلك هناك إشارات عن الخلاص في مزامير المصاعد ومزامير التتويج.

(٥) هذا البيت مأخوذ من سفر أيوب (٧: ١٠): «لا يرجع بعد إلى بيته ولا يعرفه مكانه بعد!».

ولكن حينما نبحث كيف بلغ الإسرائيليون في معرفة الخليقة والخلاص ندرك أن خبرتهم الدينية بدأت بالفعل كخبرة خلاص من الدرجة الأُولى، وأصبحت معرفتهم وإدراكهم عن الله مبنية على الحوادث التاريخية الثابتة التي حدثت لهم والتي تلامسوا فيها بالفعل عن قرب ويقين بخلاص الله، ومنها صاغوا معرفتهم العامة والكلية عن علاقة الخالق بالمخلوقات التي خلق.

ولكن من أهم ما يمكن أن نعرفه عن علاقة الله بشعبه أنها لم تحدث قط عن طريق إدراكات لاهوتيه خالصة، والتوراة بحد ذاتها لم تقرب اللاهوت قط عن طريق الفلسفة ولكن عن طريق الخبرة بأعمال الله الخاصة بشعبه الخاص. ومضت على ذلك عصور كثيرة حتى تبلورت معارف الشعب عن خلقة العالم ووجوده.

فكما حدث بالنسبة لنا أنه على نور الصليب والعمل الفدائي العجيب أُلقي الضوء على معنى الماضي كله بكل دقائقه والخليقة منذ آدم، هكذا تقدَّمت معرفة الخلاص على معرفة الخليقة بواسطة الشعب المختار أولاً ومنه امتدَّت لتشمل كل الأُمم والعالم بكل أفراده. فالله لابد أن يُستعلن أولاً للفرد لكي تستضيء معرفته بالتاريخ. هذا ما تمَّ لإسرائيل بكل دقة ومحدودية، فإسرائيل عرفت الله مخلّصاً أولاً وقائداً ومدبِّراً وفادياً معرفة حيَّة على الواقع الشخصي، ومن حقائق أعماله على مدى التاريخ واستعلاناته الفردية الفائقة لموسى ثمَّ الأنبياء. وهكذا كان تصميم الله من البدء منذ إبراهيم أن يستعلن نفسه أولاً لمختاريه شخصياً ثمَّ يستعلن صفاته وإمكانياته الإلهية عن طريق أعمال يراها مختاروه عياناً بياناً فيؤمنون ويدركون مَنْ هو الله؟ وما هي صفاته كلها؟

وهذا هو يهوه الذي دخل تسابيحهم معروفاً سابقاً بكل أعماله وصفاته، هذا تمَّ أولاً وبعد ذلك ارتفعت خبرتهم عن الله كخالق للعالم وكل الأُمم.

وعملية خلاصهم من عبودية مصر وعبورهم البحر الأحمر ومسيرتهم أربعين سنة في سيناء تحت قيادته بالليل والنهار، ودفاعه عنهم في مواقف صدامهم مع أعدائهم، رسَّبت في أعماقهم معرفة فريدة جدًّا بمعنى الفداء والخلاص المجّاني:

نموذج: مزمور (١٣٦: ٢٣-٢٦):

«الذي في مذلتنا ذكرنا، لأن إلى الأبد رحمته ∴ ونجانا من أعدائنا، لأن إلى الأبد رحمته الذي يعطي خبزاً لكل بشر، لأن إلى الأبد رحمته ∴ احمدوا إله السموات، لأن إلى الأبد رحمته».

نموذج: (مز ١٤٧: ٢٠):

+ «لم يصنع هكذا بإحدى الأُمم وأحكامه لم يعرفوها. هللويا!».

وتعطينا تسبحة موسى النبي (خر ١٥: ١-٢١) سبب تراكم هذه الخبرة العالية جداً في معرفة الله: حيث رحمة الله فوق كل معقول وفوق أعلى معجزات يمكن أن يتصوَّرها العقل. كما يظهر معنى اختيار الله لشعب إسرائيل بنوع خاص وفريد لم يحدث قط لأي شعب من شعوب الأرض كما يقول المزمور أعلاه (١٤٧: ٢٠) بشهادة سفر التثنية (٧: ٦-٩):

+ «لأنك أنت شعب مقدَّس للرب إلهك. إيَّاك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إيَّاكم وحفظه القَسَم الذي أقسم لآبائكم أخرجكم بيد شديدة وفداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر. فاعلم أن الرب إلهك هو الله الإله الأمين الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل».

وبالفعل صارت حوادث خروج شعب إسرائيل من مصر كعلامة مميِّزة أو طابعة إلهية على حياة شعب إسرائيل إلى آلاف السنين. وإرميا النبي يصف تدليل الله لهذا الشعب في صباه هكذا:

+ «وصارت إليَّ كلمة الرب قائلاً: اذهب وناد في أُذُنَيْ أورشليم قائلاً: هكذا قال الرب: قد ذكرت لكِ غيرة صباكِ، محبة خطبتكِ، ذهابكِ ورائي في البرية في أرض غير مزروعة. إسرائيل قدس للرب أوائل غلَّته، كل آكليه يأثمون، شر يأتي عليهم يقول الرب.» (إر ٢: ١-٣)

وهكذا ظلَّ خروج شعب إسرائيل من مصر كأعظم خبرة اختبروها مع الله تتردَّد في كل المزامير وفي كل الأنبياء:

+ «أنا الرب إلهك من أرض مصر. وإلهاً سواي لست تعرف ولا مخلِّص غيري. أنا عرفتك في البرية (سيناء) في أرض العطش.» (هو ١٣: ٤و٥)

+ «اسمعوا هذا القول الذي تكلَّم به الرب عليكم يا بني إسرائيل على كل القبيلة التي أصعدتها من أرض مصر قائلاً: إيَّاكم فقط عرفت من جميع قبائل الأرض.» (عا ٣: ١و٢)

+ «ولم يقولوا أين هو الرب الذي أصعدنا من أرض مصر الذي سار بنا في البرية في أرض قفر وحفر، في أرض يبوسة وظل الموت، في أرض لم يعبرها رَجُلٌ ولم يسكنها إنسانٌ. وأتيت بكم إلى أرض بساتين لتأكلوا ثمرها وخيرها ...» (إر ٢: ٦و٧)

+ «الرب إلهكم الذي أخرجكم من أرض مصر وفداكم من بيت العبودية.» (تث ١٣: ٥)

أمَّا سفر المزامير فقد خصَّص لمعجزة خروج شعب إسرائيل من مصر بيد الله العالية حوالي ٢٠ مزموراً:

١ - خمسة منها في مزامير التوسُّل:

+ (مز ٤٤: ١ - ٣): «اللهم بآذاننا قد سمعنا. آباؤنا أخبرونا بعمل عملته في أيامهم، في أيام القدم أنت بيدك استأصلت الأُمم وغرستهم. حطَّمت شعوباً ومددتهم. لأنه ليس بسيفهم امتلكوا الأرض، ولا ذراعهم خلَّصتهم، لكن يمينك وذراعك ونور وجهك لأنك رضيت عنهم».

+ (مز ٧٤: ١٢و١٣): «االله ملكي منذ القدم، فاعل الخلاص في وسط الأرض. أنت شققت البحر بقوتك».

+ (مز ٧٧: ١٦و١٩): «أبصرتك المياه يا الله أبصرتك المياه ففزعت ... في البحر طريقك وسبلك في المياه الكثيرة».

+ (مز ٨٠: ٨ و ٩): «كرمة من مصر نقلت. طردت أُمماً وغرستهم. هيَّأت قدامها فأصَّلت أصولها فملأت الأرض».

+ (مز ١٠٦: ٧-١٣): «آباؤنا في مصر لم يفهموا عجائبك. لم يذكروا كثرة مراحمك، فتمرَّدوا عند البحر عند بحر سوف. فخلَّصهم من أجل اسمه، ليُعرِّف بجبروته. وانتهر بحر سوف فيبس وسيَّرهم في اللجج كالبرية. وخلَّصهم من يد المبغض وفداهم من يد العدو. وغطَّت المياه مضايقيهم واحد منهم لم يبق. فآمنوا بكلامه، غنُّوا بتسبيحه».

٢ - أربعة مزامير تسبيح للمجد:

+ (مز ١٠٥: ٣٩-٤٥): «بسط سحاباً سجفاً، وناراً لتضيء الليل. سألوا فأتاهم بالسلوى، وخبز السماء أشبعهم. شقَّ الصخرة فانفجرت المياه. جرت في اليابسة نهراً. لأنه ذكر كلمة قدسه مع إبراهيم عبده، فأخرج شعبه بابتهاج، ومختاريه بترنم. وأعطاهم أراضي الأُمم، وتعب الشعوب ورثوه، لكي يحفظوا فرائضه ويطيعوا شرائعه هللويا».

+ (مز ١١٤: ١-٣و٨): «عند خروج إسرائيل من مصر، وبيت يعقوب من شعب أعجم، كان

يهوذا مقدسه، وإسرائيل محل سلطانه. البحر رآه فهرب الأُردن رجع إلى خلف ... المحوِّل الصخرة إلى غدران مياه، الصوَّان إلى ينابيع مياه».

+ (مز ١٣٥: ٨ و ٩): «الذي ضرب أبكار مصر من الناس إلى البهائم. أرسل آيات وعجائب في وسطك يا مصر على فرعون وعلى كل عبيده».

+ (مز ١٣٦: ١٠-١٦):

«الذي ضرب مصر مع أبكارها، لأن إلى الأبد رحمته ∴ وأخرج إسرائيل من وسطهم، لأن إلى الأبد رحمته بيد شديدة وذراع ممدودة، لأن إلى الأبد رحمته ∴ الذي شقَّ بحر سوف إلى شقق، لأن إلى الأبد رحمته وعبَّر إسرائيل في وسطه، لأن إلى الأبد رحمته ∴ ودفع فرعون وقوته في بحر سوف، لأن إلى الأبد رحمته الذي سار بشعبه في البرية، لأن إلى الأبد رحمته».

٣ – ثلاثة مزامير من مزامير الحجاج:

+ (مز ٧٨: ١٢-١٦و٢٣-٢٨):

«صنع أُعجوبة في أرض مصر بلاد صوعن ∴ شق البحر فعبرهم ونصب المياه كندٍّ
وهداهم بالسحاب نهاراً والليل كله بنور نار ∴ شق صخوراً في البرية وسقاهم كأنه من لجج عظيمة
أخرج مجاري من صخرة وأجرى مياهها كالأنهار
فأمر السحاب من فوق وفتح مصاريع السموات ∴ وأمطر عليهم منًّا للأكل وبُرَّ السماء أعطاهم
أكل الإنسان خبز الملائكة. أرسل عليهم زاداً للشبع ∴ أهاج شرقية في السماء وساق بقوته جنوبيَّةً
وأمطر عليهم لحماً مثل التراب وكرمل البحر طيوراً ذوات أجنحة ∴ وأسقطها في وسط محلتهم حَوَلَيْ مساكنهم».

+ (مز ٨١ : ١٠): «أنا الرب إلهك الذي أصعدك من أرض مصر. أَفْغِرْ فاك فأملأه».

+ (مز ٩٥: ٧-١٠): «لأنه هو إلهنا ونحن شعب مرعاه وغنم يده. اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم كما في مريبة مثل يوم مسَّة في البرية. حيث جرَّبني آباؤكم، اختبروني، أبصروا أيضاً فعلي. أربعين سنة مقتُّ ذلك الجيل ...».

٤ – في مزامير الاحتفالات بالتتويج:

مز ٦٨: ٧: «اللهم عند خروجك أمام شعبك عند صعودك في القفر. سلاه.

٨: الأرض ارتعدت، السموات أيضاً قطرت أمام وجه الله. سينا نفسه من وجه الله إله

إسرائيل».

٥ – في مزامير الشكر:

مز ٦٦: ٥: «هلم انظروا أعمال الله، فعله المرهب نحو بني آدم.

٦: حوَّل البحر إلى يبس، وفي النهر عبروا بالرجل. هناك فرحنا به».

الشعب يطلب الخروج الآخر العتيد أن يكون:

كان خروج شعب إسرائيل من مصر مصدر تهليل وفرح طغى على حياة العبادة وملأ المزامير. ولكن نكسة الشعب كانت من عدم تقديره لما صنعه الله معهم حتى وهم في القفر، الأمر الذي أنشدوا فيه مزاميرهم الحزينة من واقع النبوات وسفر التثنية، والتي وصفت عدم أمانة إسرائيل تجاه أعمال الله العظيمة في الخروج من مصر وعبور الأُردن وتملُّك الأمم. فلمَّا فطنوا إلى أعمال عدم أمانتهم وعدم أمانة آبائهم إزاء أعمال الخروج العظيمة، عادوا يطلبون خروجاً آخر إذ صاروا في أشد الحاجة إليه لما وصل إليه حالهم بسبب عدم طاعتهم وتمرُّدهم. لأن الخروج والفداء من أرض مصر لم يستمر بهاؤه ولا قوته في نفوسهم. وهكذا حنَّت نفوسهم جدًّا إلى تدخل آخر من الله مع شعبه لخروج آخر يدوم إلى الأبد، يُخرجهم من عبوديتهم التي صنعوها بأيديهم، وذلك نبوَّة عن عمل الخروج الذي أكمله المسيح.

صوت الأنبياء:

هوشع النبي: أماني: هنا يتصوَّر هوشع أن يهوه سيُصعد إسرائيل مرَّة أخرى إلى البرية ليصنع معها إحساناً ويخطبها لنفسه هذه المرَّة للزواج:

+ «لكن هأنذا أتملَّقُها وأذهب بها إلى البرية وأُلاطِفها وأُعطيها كروماً من هناك ووادي عخور باباً للرجاء، وهي تُغني هناك كأيام صباها وكيوم صعودها من أرض مصر. ويكون في ذلك اليوم يقول الرب أنكِ تَدْعِينِي رجلي ولا تدعينني بعد بعلي. وأنزع أسماء البعليم من فمها فلا تُذكر أيضاً بأسمائها. وأقطع لهم عهداً في ذلك اليوم مع حيوان البرية وطيور السماء ودبَّابات الأرض، وأكسرُ القوس والسيف والحرب من الأرض وأجعلهم يضطجعون آمنين. وأخطبُكِ لنفسي إلى الأبد وأخطبكِ لنفسي بالعدل والحق والإحسان والمراحم.» (هو ٢: ١٤-١٩)

صوت إشعياء: أماني:

+ «لا تذكروا الأوليات والقديمات لا تتأمَّلوا بها. هأنذا صانع أمراً جديداً الآن ينبت ... هذا الشعب جبلته لنفسي يحدِّث بتسبيحي.» (إش ٤٣: ١٨و١٩و٢١)

ولكن المزامير اتجهت إلى هذا الأمل والرجاء:

مز ٨٠: ١٤: «يا إله الجنود ارجعنَّ، اطّلع من السماء وانظر وتعهَّد هذه الكرمة(٦)
١٥: والغرس الذي غرسته يمينك والابن الذي اخترته لنفسك.
١٦: هي محروقة بنار مقطوعة، من انتهار وجهك يبيدون.
١٧: لتكن يدك على رجل يمينك (المسيح) وعلى ابن آدم (ابن الإنسان) الذي اخترته لنفسك،
١٨: فلا نرتدّ عنك، أحينا فندعو باسمك.
١٩: يا رب إله الجنود، أرجعنا، أنر بوجهك فنخلص».

وهكذا تتجه المزامير إلى خلاص جديد في المستقبل، يصنعه هذه المرَّة يهوه (المسيح يسوع ابن الإنسان) والله يستجيب (في شخص المسيح)، الذي صنع بالفعل خروجاً جديداً ولكن هذه المرَّة من أورشليم نفسها العتيدة أن تُحرق فعلاً بالنار. والعجيب أن المسيح في يوم تجلّيه يذكر هذا الخروج متداولاً مع موسى وإيليا (لو ٩: ٣١)، موسى صاحب الخروج الأول وإيليا لتحقيق كل النبوات. ومن عجائب الله في تاريخ الخلاص أن نفس التجربة التي دخل فيها شعب إسرائيل أربعين سنة وأخفقوا فيها أن يرضوا الله، دخلها المسيح مجدداً في الأربعين يوماً التي قضاها صائماً تحدياً للعالم والشيطان، ثمَّ هزم الشيطان وخرج من التجربة منتصراً لحساب الشعب الجديد.

وكما كان عبور البحر الأحمر هو بمثابة الدخول إلى كيانهم الجديد كشعب مختار بقيادة موسى، كذلك صارت المعمودية وعبورها ـ الذي هو عبور الموت: «مدفونين معه (مع المسيح) في المعمودية» (كو ٢: ١٢) ـ باسم المسيح وله، للدخول في العهد الجديد (١كو ١٠: ٤). وكما أكل شعب إسرائيل المن بعد عبور البحر الأحمر، يأكل المسيحيون الجسد الذي هو الخبز الحي النازل من السماء الذي يأكل منه المسيحيون ولا يموتون: «أنا هو خبز الحياة، آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا. هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت. أنا هو الخبز الحي الذي

(٦) هذا الجزء تسبّح به الكنيسة الآن في القداس الإلهي.

نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم» (يو ٦: ٤٨-٥١). وكما شربوا هم من الصخرة بعد أن ضربها موسى لهم، هكذا شربنا من دم المسيح الذي هو الصخرة التي ضُربت على الصليب: «مَنْ آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حيّ» (يو ٧: ٣٨)، «لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح» (١كو ١٠: ٤). وكما رُفعت الحية النحاسية حتى كل مَنْ ينظر إليها لا يموت، هكذا رُفع المسيح على الصليب ـ الذي قتل الحية على الصليب ـ وكل مَنْ يؤمن به يحيا ولا يموت بسبب الخطية التي هي عضَّة الحية (يو ٣: ١٤).

وهكذا كان العهد القديم وتصوير الخلاص فيه من مصر مسبقة لما تمَّ من الخلاص في المسيح في العهد الجديد. لذلك أصبح التأمُّل في المزامير التي تصف كلها ما تمَّ في العهد القديم بالنسبة لخلاص الشعب، عبارة عن عبادة وشكر وتسبيح كخبرة خلاصية نجوزها تحت تدبير الله في المسيح لمجد اسمه كما يقول بولس الرسول:

+ «لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب.» (أف ١: ٦)
+ «شاكرين الآب الذي أهَّلنا لشركة ميراث القديسين (شعب إسرائيل المختار) في النور، الذي أنقذنا من سلطان الظلمة، ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته، الذي لنا فيه الفداءُ (الخلاص من مصر)، بدَمِهِ غفرانُ الخطايا.» (كو ١: ١٢-١٤)

فالآن نحن مخلَّصون ولكن لم نبلغ النهاية بعد، التي ستكون بمجيئه في مجده لتكميل كل شيء، حين يصير الله الكل في الكل، حيث نسمع تسبحة موسى مع هتاف الحمل:

+ «وهم يرتِّلون ترنيمة موسى عبد الله وترنيمة الخروف قائلين: عظيمة وعجيبة هي أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شيء. عادلة وحق هي طرقك يا ملك القديسين، مَنْ لا يخافك يا رب ويمجِّد اسمك لأنك وحدك قدوس ... لأن أحكامك قد أُظهرت» (رؤ ١٥: ٣و٤)

ثُمَّ من الخلاص الذي هو أقرب إلى واقع الشعب وفهمه،
يمتد إدراك الله ومعرفته كخالق ورب الطبيعة والكون وكل العالم:

لهذا دخل العنصران معاً في كل مزامير التسبيح لمجد الله:

١ ـ **الخلاص** والفداء من عبودية مصر.
٢ ـ **الخليقة**: فإن الله هو ألوهيم القائم على الخليقة والكون والطبيعة بكل صورها والأمم

بكل أعمالها.

فإسرائيل تقابلت مع الله أولاً في الخلاص والفداء لتصير أُمة مقدَّسة وشعب اقتناء، ومن معاملات الله وعجائب أعماله في الخلاص دخلت في معرفة الله كخالق ورب الكون والخليقة والذي بيده التاريخ ومصائر الأُمم.

+ (مز ١٤٧: ٧-١١):

«أجيبوا الرب بحمد رنِّموا لإلهنا بعود ∴ الكاسي السموات سحاباً المهيِّئ للأرض مطراً المنبت الجبال عشباً.

المعطي للبهائم طعامها، لفراخ الغربان التي تصرخ ∴ لا يُسر بقوة الخيل، لا يرضى بساقي الرجل.

يرضى الرب بأتقيائه، بالراجين رحمته».

وقد ساعد الأنبياء على إدخال عنصر تفوُّق الله على الخليقة والطبيعة والكون كله ليؤمِّنوا أمانته المطلقة كما يقدِّم ذلك إرميا النبي:

+ «هكذا قال الرب الجاعل الشمس للإضاءة نهاراً، وفرائض القمر والنجوم للإضاءة ليلاً، الزاجر البحر حين تعج أمواجه، رب الجنود اسمه. إن كانت هذه الفرائض تزول من أمامي يقول الرب فإن نسل إسرائيل أيضاً يكف من أن يكون أُمة أمامي كل الأيام. هكذا قال الرب إن كانت السموات تُقاس من فوق وتفحص أساسات الأرض من أسفل فإني أنا أيضاً أرفض كل نسل إسرائيل من أجل كل ما عملوا يقول الرب.» (إر ٣١: ٣٥-٣٧)

ويراهن صاحب المزمور (٨٩) على محبة الله أنها أقوى من ثبوت السموات:

مز ٨٩: ١: «بمراحم الرب أُغنى إلى الدهر لدور فدور أُخبر عن حقك بفمي.
٢: لأني قلت إن الرحمة إلى الدهر تُبنى، السموات تُثبت فيها حقك.
٣: قطعتُ عهداً مع مختاري، حلفت لداود عبدي،
٤: إلى الدهر أُثبِّت نسلك وأبني إلى دور فدور كرسيك. سلاه».

وفي المزامير يأتي الله كخالق في المقدِّمة وخاصة حينما يحكي عن مقدرته الفائقة:

مز ٣٣: ٦: «بكلمة الرب صُنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها
٩: لأنه قال فكان هو أمر فصار!».

ما قيمة ذلك بالنسبة لإسرائيل؟

إن من أهم وأخطر ما اكتشفه بنو إسرائيل عن الله هو أن يهوه الذي هو إله إسرائيل والقريب جدًّا إليهم هو هو الذي خلق كل شيء بكلمته، فهو الذي صنع كل شيء في مجموعه الكلي، ومجموع كل شيء أساسه في يهوه! ويهوه يخلق كل شيء بمنتهى حريته الخاصة وفي لحظة بكلمته ذات السلطان النافذ. فبعمل الخليقة صار شيء جديد أخذ بدايته: وهو أن النظام الكوني بدأ يتحرَّك. إذن لا يوجد تهديد للإنسان من الخليقة لأن يهوه هو مركز الإيمان بالخليقة وبأن واحد هو هو مركز الإيمان بقوته المخلِّصة! وإن أعمال يهوه المقدَّسة في الخليقة لا تعلن عظمته فقط ولكن أيضاً تكشف عن عجبه وسلطانه. فهناك وحدة انسجام في حياة شعب إسرائيل الذي يؤمن بيهوه. فهو واثق بأن يهوه عظيم وممجَّد وفي نفس الوقت هو الحاكم والمدبِّر لكل الأرض لأنه هو خالقها، كما يعرف الشعب أن الإنسان ليس شيئاً إذا قورن بيهوه بل هو كلِّي الاعتماد عليه وهو قادر فقط على الاقتراب من عظمة الله وسلطانه عندما يكون في مخافة الرب!

على أن مخافة الله هي محصِّلة تفاعل استعلان الله القدوس أو قداسة الله مع توقيره والخضوع لإرادته، وهو ما نسميه بالتقوى والتديُّن والتكريس له. فالرجل الخائف الله هو الذي يؤمن بالله والمستقيم في حياته وقوله وعمله.

فإسرائيل لا تخاف من أي شيء! لأن يهوه هو خالقها.

لذلك في ثوران الطبيعة المخيف والمرعب يظهر الله أنه هو رب الطبيعة حيث المخافة تليق به هو!

مز ٢٩: ١٠: «الرب بالطوفان جلس. ويجلس الرب ملكاً إلى الأبد!
١١: الرب يعطي عزًّا لشعبه، الرب يبارك شعبه بالسلام».

فرعبة الطبيعة والمخلوقات ترتد على الشعب عزًّا به وسبب بركة وسلام!

ولكن منتهى التعرُّف على الخليقة والخالق اكتمل في المسيحية واستُعلنت أساساته!! فالخليقة كلها استعلنت أنها قامت بكلمة الله، يسوع المسيح. وهكذا تأكَّد لنا أن الخليقة أخذت أصولها الأُولى وحركتها الأُولى مع كمالها في المسيح يسوع!! كلمة الله! كما رآها القديس يوحنا:

+ «كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان. فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس.» (يو ١: ٣و٤)

والمسيح نفسه هو الذي صنع الخليقة الجديدة التي تحقّق فيها الخلاص للبشرية كلها والعالم. وهكذا فإن الخليقة الجديدة تنبثق من الخليقة العتيقة كإعادة خلقة، أو بحسب الإنجيل ميلاد ثانٍ من فوق. فالمسيح هو مركز الخليقة بقديمها وحديثها:

+ «إذاً إن كان أحد في المسيح فهو **خليقة جديدة**. الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً.» (٢كو ٥:١٧)

فانتهت الخليقة العتيقة بناموسها وختانها.

+ «لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الخليقة الجديدة.» (غل ٦:١٥)

فأصبح الإنسان الذي يريد أن يؤمن بالله والمسيح، عليه أن: «تلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق.» (أف ٤:٢٤)

وهكذا أصبح للخليقة الأولى الحق في إعادة الخلقة التي تصبو إليها في تحقيق بنوتها لله. وهكذا تُعتق الخليقة الأُولى من عبودية الخطية والجسد «من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله» (رو ٨:٢١). وكأن الخليقة الأُولى خُلقت لتكمِّل مشوارها وتدخل في الخليقة الجديدة بالروح لتبلغ الغاية العليا من خلقتها.

لقد كان العهد القديم يُسبِّح للخالق من أجل الخليقة الأُولى وبآن واحد يرنو إلى الأفضل ويتغنّى بالخليقة الجديدة وهي في مستقبل الأيام البعيدة بحسب إشعياء:

+ «لأني هأنذا خالق سموات جديدة وأرضاً جديدة. فلا تُذكر الأُولى ولا تخطر على بال. بل افرحوا وابتهجوا إلى الأبد في ما أنا خالق، لأني هأنذا خالق أُورشليم بهجة وشعبها فرحاً. فأبتهج بأُورشليم وأفرح بشعبي ولا يُسمع فيها صوت بكاء ولا صوت صراخ.» (إش ٦٥: ١٧-١٩)

هكذا قال المسيح: «ها أنا أصنع كل شيء جديداً.» (رؤ ٢١:٥)

والآن حينما نسبِّح بمزامير الخليقة التي هي من وحي الروح في العهد العتيق، فنحن نتقابل مع روح العهد القديم، لا نعود إلى تاريخ ماضٍ بل نتعانق مع روح إسرائيل المحبوب الذي ذاق معاً عمل الخليقة الأُولى وعمل الخلاص والفداء في مصر، واستوعبوا روح الخلقة الأُولى وروح الخلاص والفداء الأول. والآن نحن نحيا في انكشاف ملء الخليقة الجديدة بالروح، وملء الخلاص والفداء بالدم. ويهوه هو يهوه وهو المسيح في الأول وفي الآخر. هو إله إسرائيل الأُولى وإله إسرائيل الجديدة ملء ورأس الكنيسة الأُولى في البرية، وملء ورأس الكنيسة الأخيرة على الصليب. وهكذا أصبح

اختبار إيماننا في الخليقة الجديدة متسعاً يحوي كل صور الكنيسة الأُولى في طفولتها.

وهكذا أصبحت مزامير روح العهد القديم نسبِّحها بروح العهدين بعد أن استعلنت بكل أسرارها في **الخلق والفداء** الذي أُكمل بواسطة الكلمة ابن الله يسوع المسيح ربنا.

مزامير التسبيح المستعملة في الأعياد:

لقد أمكن لبعض المزامير أن تجمع بين التسبيحات الفردية وبعض الأعياد. فمثلاً نجد أن "الخروج" من مصر متصل بالفصح، لذلك نلاحظ أن كل تسبحة مختصة بالخروج نجدها تتبع عيد الفصح، وكان منذ القديم يُسبَّح فيه بالمزامير ١١٣-١١٨. وقد كان الفصح هو العيد الرئيسي قبل دخول الشعب إلى أرض كنعان.

ولكن بعد دخول شعب إسرائيل إلى الأرض الموعودة ابتدأ "الفصح" يأخذ اهتماماً أقل، بل ونجد تحوّلاً واضحاً في أن "الخروج" وإعطاء الشريعة ابتدآ يتصلان بعيد الحصاد وبعيد السنة الجديدة بمزامير ١١٣-١١٨ أيضاً. أمَّا التسابيح الخاصة بتقديم الشكر فكانت تُستعمل في عيد الحصاد الذي بعد استقرار الشعب ولزمان كثير أصبح العيد الرئيسي.

أمَّا عيد المظال الذي يُعيَّد له من يوم الخامس عشر إلى اليوم الواحد والعشرين من الشهر السابع [غير أنه في الأزمان القديمة كان يُعيَّد له في الشهر الثامن: «وعمل يربعام عيداً في الشهر الثامن في اليوم الخامس عشر من الشهر كالعيد الذي في يهوذا» (١مل ١٢:٣٢)] وذلك في بداية مواسم الأمطار، فقد صار لمدة طويلة يسمَّى "عيد يهوه".

وكان يتميَّز عيد المظال هذا بظهور يهوه ليعرِّف الشعب بنفسه، أي يستعلن ذاته بكونه يحضر شخصياً في وسط الشعب المختار منظوراً للعين المفتوحة بالإيمان، بل وحتى يكون منظوراً بالعين المجرَّدة من خلال رمزه الخاص المنظور وهو "تابوت العهد". حيث هناك يجتمع الشعب "أمام وجه يهوه". وكان يجيء إليهم ويباركهم:

+ «مذبحاً من تراب تصنع لي وتذبح عليه محرقاتك وذبائح سلامتك، غنمك وبقرك في كل الأماكن التي فيها أصنع لاسمي ذكراً: **آتي إليك وأُباركك**.» (خر ٢٠:٢٤)

وهذا كان يحدث في كل الأعياد ولكن بنوع خاص جدًّا في "عيد يهوه" الذي هو "عيد المظال".

أمَّا عيد الحصاد فكان فوق الكل عيد الظهور الإلهي (يهوه) كاصطلاح الإبيفانيا Epiphany

تماماً عندنا والذي استلهمته الكنيسة. وكان عند إسرائيل تذكاراً لظهور يهوه في سينا (خر ١٨:٢٠). على أن عيد الحصاد وعيد المظال كانا فوق كل شيء بمثابة "عيد البيت" بمعنى عيد التجمع لجميع الشعب في بيت يهوه:

+ «ستة أيام تعمل وأمَّا اليوم السابع فتستريح فيه. تستريح في الفلاحة وفي الحصاد. وتصنع لي عيد الأسابيع. أبكار حصاد الحنطة وعيد "الجمع" في نصف السنة. ثلاث مرَّات في كل سنة على كل ذكر فيكم أن يظهر أمام الرب إله إسرائيل.» (خر ٣٤: ٢١-٢٣ حسب السبعينية)

ولذلك سُمِّي عيد التجمُّع Ingathering συναγωγῆς. وهنا كانت تُقدَّم تشكُّرات من أجل محاصيل السنة، وكان الشعب يعبِّر عنها بواسطة الذبائح واحتفالات الطقوس.

كذلك وُضِعَت لهم في هذا العيد أصول البركة للسنة الجديدة حيث كانت قوة الصلوات تضمن نزول الأمطار والخصب والحياة الجديدة، لأن مجيء يهوه وظهوره في العيد كان بمثابة وعد بسنة طيبة "سنة نعمة".

+ «ومتى أتيت إلى الأرض التي يعطيك الرب إلهك نصيباً وامتلكتها وسكنت فيها، فتأخذ من أول كل ثمر الأرض الذي تحصله من أرضك التي يعطيك الرب إلهك، وتضعه في سلة وتذهب إلى المكان الذي يختاره الرب إلهك ليحل اسمه فيه (الخيمة أو الهيكل). وتأتي إلى الكاهن الذي يكون في تلك الأيام وتقول له: أعترف اليوم للرب إلهك أني قد دخلت الأرض التي حلف الرب لآبائنا أن يعطينا إيَّاها. فيأخذ الكاهن السلة من يدك ويضعها أمام مذبح الرب إلهك ثمَّ تصرِّح وتقول أمام الرب إلهك: أراميًّا تائها كان أبي (إبراهيم) فانحدر (إسرائيل) إلى مصر وتغرَّب هناك في نفر قليل فصار هناك أُمة كبيرة وعظيمة وكثيرة.» (تث ٢٦: ١-٥)

وهكذا قامت المزامير التي تعطي هذا التصوُّر نفسه تماماً. فعيد المظال عند انتهاء جمع الثمار قامت له مزامير لتشكر من أجل الحصاد وثمار كل سنة مثل مزموري ٦٥و٦٧ وإليك نماذجها:

مز ٦٥: ١: «لك ينبغي التسبيح يا الله ولك يوفى النذر ∴.
٢: يا سامع الصلاة إليك يأتي كل بشر!
٩: تعهَّدت الأرض وجعلتها تفيض تُغنيها جداً ∴.
سواقي الله ملآنة ماء، تهيِّئ طعامهم لأنك هكذا تعدّها.

١٠: أرو أتلامها مهِّد أحاديدها "أكثر أثمارها (سبعينية)" تُبارك غلَّتها ∴.
١١: كلَّلت السنة بجودك وآثارك تقطر دسماً.
١٢: تقطر مراعي البرية (دسماً) وتتنطق الآكام بالبهجة ∴.
١٣: اكتست المروج غنماً والأودية تمتلئ بُرًّا (قمحاً)، تهتف وأيضاً تغنّي!».

مز ٦٧: ٦: «الأرض أعطت غلَّتها. يباركنا الله إلهنا.
٧: يباركنا الله، وتخشاه كل أقاصي الأرض».

نماذج من مزامير السنة الجديدة مزموري ٨١ و٩٥:

مز ٨١: ١: «رنِّموا لله قوتنا. اهتفوا لإله يعقوب.
٢: ارفعوا نغمة وهاتوا دُفًّا. عوداً حلواً مع رباب.
٣: انفخوا في رأس الشهر بالبوق، عند الهلال ليوم عيدنا (رأس السنة وعيد المظال).
٤: لأن هذا فريضة لإسرائيل حكم لإله يعقوب.
٥: جعله شهادة في يوسف عند خروجه على أرض مصر ...
١٠: أنا الرب إلهك الذي أصعدك من أرض مصر. أفغر فاك فأملأه».

مز ٩٥: ١: «هلمَّ نرنِّم للرب، نهتف لصخرة خلاصنا.
٢: نتقدَّم أمامه بحمد، وبترنيمات نهتف له.
٣: لأن الرب إله عظيم، ملك كبير على كل الآلهة.
٤: الذي بيده مقاصير الأرض، وخزائن الجبال له.
٥: الذي له البحر وهو صنعه ويداه سبكتا اليابسة.
٦: هلمَّ نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا،
٧: لأنه هو إلهنا ونحن شعب مرعاه وغنم يده».

مزمور لمستقبل النهاية (مز ٤٦):

وقد يكون أقوى المزامير قاطبة، هو المزمور النبوي الذي يصوِّر منظر الضيقة العُظمى الآتية على العالم كله، حيث تسقط الجبال وتعج البحار وتتزعزع المسكونة وكافة الممالك، حيث تذوب العناصر وتتساقط النجوم وتصير الأرض كلها خراباً، وتقوم الحروب الطاحنة بكافة الأسلحة والآلات. وأخيراً ينتهي كل شيء ويُستعلن الله متعالياً فوق الأُمم وفوق الأرض.

+ «الله لنا ملجأ وقوة. عوناً في الضيقات وُجِدَ شديداً ∴.
لذلك لا نخشى ولو تزحزحت الأرض، ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار!
تعج وتجيش مياهها، تتزعزع الجبال بطموها. سلاه ∴.
نهر سواقيه تفرح مدينة الله، مقدس مساكن العلي.
الله في وسطها فلن تتزعزع، يعينها الله عند إقبال الصبح ∴.
عجّت الأمم تزعزعت الممالك. أعطى صوته. ذابت الأرض!
رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب. سلاه ∴.
هلموا انظروا أعمال الله، كيف جعل خرباً في الأرض.
مُسكّن الحروب إلى أقصى الأرض. يكسر القوس ويقطع الرمح. المركبات يحرقها بالنار ∴.
كفّوا واعلموا أني أنا الله أتعالى بين الأمم، أتعالى في الأرض.
رب الجنود معنا ملجأنا إله يعقوب. سلاه!!».

القيمة العالية لمزامير التسبيح لمجد الله:

إذا نظرنا إلى المنهج الذي تضمه المزامير الخاصة بالتسبيح لمجد الله نندهش من القيمة العالية التي أدخلتها هذه المزامير في الميراث والتراث اليهودي والبشري على وجه العموم.

والمنهج ضخم يضم اتجاهات لا نهاية لها، نأخذ منها على سبيل المثال كرؤوس مواضيع ما يأتي:

أولاً: التسجيل التاريخي:

من طرفيه: الطرف الإلهي لأعمال الله التي قدّمها لشعب إسرائيل والتي صارت بالضرورة موضوع ميراث ثمين للبشرية كلها، وأخذتها الكنيسة بمفهومها الخاص، سواء في إخراج شعب إسرائيل من مصر أو عبور البحر الأحمر أو العناية بشعب تعداد شبابه المنخرط للحرب ستمائة ألف، سواء من جهة الأكل أو الشرب أو اللبس أو الحفظ من كافة العوامل لمدة أربعين سنة حتى أوصلهم الأرض التي حلف لآبائهم أن يورّثهم إيّاها.

هذه القدرة الإلهية الجبارة صارت مثلاً ودرساً لكافة شعوب العالم عن استعداد الله للعناية بالإنسان عامة وكل شعب يُخلص في العبادة لله. هذا كله صوّرته مزامير التسابيح لمجد الله بكل دقة وعلى جميع المراحل وكافة الأعمال التي تدخّل فيها الله ومجّد اسمه علناً في وسط شعوب الأرض كلها.

فهذه المزامير التي ذكرت في تسبيحاتها الانطباعات التي تأثّر بها الشعب وحفظ ميراثها للافتخار

بها جيلاً بعد جيل، فقد عملت على بناء أخلاقيات الشعب ورفع معنوياته باعتباره شعب الله الخاص. هذا البناء النفسي يُحسب أنه أقوى منهج تعليمي يمكن أن يُسقى للأطفال والشباب والشيوخ سنة بعد سنة، كل عيد وكل مناسبة بتسبيحات عديدة ترسّخت في أعماق وجدان الشعب. هذا المنهج ورثته الكنيسة بكل حرص وكل دقة بعد أن كشفت سر أعمال الله مع شعب إسرائيل أنه يقوم على أساس كونه نموذجاً مصغّراً لما دبّره الله لخلاص البشرية عامة، بكافة شعوبها، التي استطاعت أن ترث الإيمان من إسرائيل، مستعلناً في شخص مخلّص البشرية الذي عبر بها بحر الموت.

وهكذا أصبحت مزامير التسبيح بأمجاد الله في أعماله العجيبة ثبتاً تاريخياً يحمل أروع سجلات أعمال الله على مدى كافة القرون الماضية، تستقرئه البشرية لتأخذ منه ما يكفيها مؤونة للعبور.

ثانياً: العبادة:

إن سماع التسبيحات بمجد الله أو الاشتراك في تسبيحها، فوق تأثيراته النفسية والمعنوية والتربوية للشعب - لأي شعب إن هو وعى ما تسجّله هذه التسبيحات من الأعمال الإلهية بأسرارها المعجزية - فإنه يُحسب بحد ذاته أنه عبادة، لا عبادة مظهرية ولكن عبادة تخطف القلب والعقل بخشوع وتقوى أمام جبروت أعمال الله من أجل الإنسان، لما تحمله من تنازل مذهل وحب عميق وعطف وإشفاق وحنان لا يمكن أن يأتيه بشر. فهنا مزامير التسبيح بمجد الله قادرة أن تربّي في الإنسان حاسة الخشوع والتقوى والعرفان بالجميل.

ثالثاً: وحدة الشعب:

كان لهذه التسبيحات من جراء آثارها السابقة، أي بناء روح الشعب وإعطائه روح العبادة، قدرة أن تجمع روح الشعب معاً كفرد واحد، وقد صارت هذه حقيقة ركّز عليها الله ووثّقها بنفسه وقرّبها إليه. اسمع الله وهو يقول بالإلهام على فم النبي: «من مصر دعوت ابني» (هو ١١:١). لقد تبنّى الله شعب إسرائيل كشخص واحد أحبّه وضمّه إلى قلبه.

وأخيراً اكتشفنا أن الله إنما أخذ هذا الشعب لنفسه كابن كنموذج مصغّر لما أضمره في قلبه العجيب من جهة الإنسان ككل! وهذا هو السر الأعظم: فسرُّ الله قد حقّقه في إسرائيل بتجسُّد ابنه الوحيد المحبوب، وبهذا الفعل الواحد السرّي المذهل استطاع الله أن يضم الإنسان، كل إنسان لو يشاء، إلى ابنه باتحاد لا ينفصم كاتحاد ابنه ذاته بجسد الإنسان! وهكذا استطاع الله أن يضم كل

البشرية إلى نفسه في ابنه يسوع المسيح، تماماً كما ضمَّ شعب إسرائيل إلى قلبه كابن محبوب.

رابعاً: خلق قوة دفع لسير الشعب في نفس الطريق:

لقد عمل الله عمله وانتهى منه، وسجَّله الشعب الملهم في تسبيحاته وألحانه وأغانيه، فبدوام هذا التسبيح الذي سبق أن قلنا إنه كان بمثابة مدرسة في إسرائيل تلقّنه كل ما عمل الله وكل ما قصده من إقامة هذا الشعب، أصبح مجرَّد دوام التسبيح ليل نهار في كل عيد وهلال وسبت وكل ذبيحة وكل مناسبة شعبية، عبارة عن قوة دافعة سريَّة تدفع الشعب في نفس الطريق ونفس الاتجاه الذي قصده الله. فصارت التسابيح بمجد الله هي بذاتها تكراراً لعمل الله نفسه كقوة سريَّة تقود وترشد وتوعّي.

والآن بنظرة واحدة لشعب إسرائيل، لا نقول في أيام عز شبابه ومجده ورفعة شأنه، بل الآن في خذلانه وذله وهجران الله له وتبدّده وسط كل شعوب الأرض غريباً مضطهداً لا يجمعه وطن ولا تجمعه مدينة! نعم وهو في حالته هذه، انظر إلى تماسك هذا الشعب الآن وانظر إلى صلابة الروح القومية التي فيه، فلن تجد لها مثيلاً في العالم كله! لماذا؟! لأنه ظلَّ لآلاف السنين يسبِّح بمجد الله ويذكر أعماله، فانطبعت هذه الذكريات في نفسه وحفرت في أعماق أعماق كيانه إدراكاً واحداً وفهماً واحداً لله ولنفسه!

والآن وقد ورثنا كل تسبيحات أمجاد الله في إسرائيل، بل واستلمنا سر التسبيح بالمجد من رب المجد، وأخذنا روح الله للتسبيح والمجد، وصارت قوة أعمال عجائب الله لنا أكثر ألف ألف مرَّة من عجائب البحر الأحمر والبرية وحرب عماليق والأردن وأريحا ... فإنه يعوزنا أن نعرف كيف نُتقن التسبيح من كل القلب!

+ «في كل ما عمله داود أعطى تسبيحاً للقدوس العلي بأقوال شكر، بكل قلبه. كان يُسبِّح ويحب خالقه، وأقام المرتّلين أمام المذبح ليسبِّحوا بألحانهم أحلى الترانيم بنشائدهم كل يوم، جعل بهاءً في الأعياد، وزيَّن الأوقات إلى الانقضاء عند تسبيحهم اسمه القدوس وفي الصباح يلحِّنون التقديس.» (سيراخ ٤٧: ٨-١٠)

٢ – مزامير الشكر

قريبة للغاية من مزامير التسبيح للمجد، والذي يفرِّق بين الاثنين هو أن التسبيح لمجد الله هو من أجل أعماله العامة وصفاته، ولكن تسبيح الشكر هو من أجل عمل خاص بالإنسان يذكره كأساس لشكره.

ولكن المشكلة أنه بالرغم من كون المزمور للشكر إلاَّ أنه لا يحوي كلمة "الشكر". فالكلمة غائبة في اللسان العبري ويستعيض عنها اليهود بكلمة يحمد (hādhā) ويبارك (bêrêk) ولكن من الصعب الأخذ بأن الشكر هو الحمد.

ولكن الشكر كتسبحة شكر أو تقديم شكر (todha) أصبح تسبحة ناتجة عن سبب مثل تقبُّل منفعة عمَّت على الشعب. لذلك فإن مزمور الشكر هو غالباً عن الجماعة كمزمور قومي أو شعبي يختص بالمنفعة العامة. لذلك ينتحي المزمور ناحية السياسة أو الأدب العبري بسبب مثلاً نصرة على الأعداء. لذلك يمكن أن نعتبر مزامير الشكر أنها مزامير النصرة للجماعة أو الأفراد.

وهكذا يمتزج الشكر بالنقمة والفرح، بالغناء والرقص بكل آلات التسبيح بكبرياء الشعب على نصرة الله، حيث توصف المعارك وتوصف النصرة.

وأكثر ما يميِّز مزامير تسابيح الشكر عن تسابيح المجد هو دخول عنصر الغناء والرقص، واللعب أمام الله بالآلات وتقديم الذبائح والمحرقات:

+ «من قدَّام المغنون، ومن وراء ضاربو الأوتار، في الوسط فتيات ضاربات الدفوف.» (مز ٦٨: ٢٥)

وهكذا دخلت كل الآلات في تقديم تسبيح الشكر لله، كما دخلت خوارس الراقصات مع المرنمات شيء لم تبلغه أوركسترا أرقى الدول الأوروبية إلاَّ بعد ذلك بألفي سنة ويزيد. وهذه الخوارس الناطقة بالتسبيح للشكر، والمرنِّمة والمغنِّية بالحمد وضاربات الدفوف ولاعبات الأوتار بدأ ظهورها من بعد عبور الشعب البحر الأحمر. فواضح هنا كل الوضوح أن هذه الفرق قد تدرَّبت على كل هذه الصنوف من التسبيح والشكر والغناء والرقص والموسيقى في مصر أم العالم في هذه الفنون منذ آلاف السنين.

وغالباً ما يتقمَّص المسبِّح بالشكر لله روح الجماعة وينطق باسمها كما في مزمور (٦٨: ٢٨):

«قد أمر إلهك بعزّك (يا إسرائيل) أيّد يا الله هذا الذي فعلته لنا».

كذلك تتخذ مزامير الشكر من أعمال الله السابقة مصدراً لمزيد من التغنّي بأعمال معونة الله في الشدة:

مز ٦٦: ٥: «هلموا انظروا أعمال الله. فعله المرهب نحو بني آدم.
٦: حوّل البحر إلى يبس وفي البحر عبروا بالرجل. هناك فرحنا به».

تنقسم مزامير الشكر إلى شكر جماعي وشكر فردي:

أولاً: مزامير تسبيح الشكر الجماعي:

مزامير: ٤٦ و٤٨ و٦٥ و٦٦ أ و٦٧ و٧٦ و١٢٤ و١٢٦ و١٢٩ و١٤٩.

ثانياً: مزامير تسبيح الشكر الفردي:

مزامير: ٩ و١٨ و٢٢ ب و٢٣ و٣٠ و٣٢ و٣٤ و٤٠ أ و٤١ و٦٣ و٦٦ ب و٩٢ و١٠٣ و١٠٧ و١١٦ و١١٨ و١٣٨.

التسبيح بالشكر الجماعي أو العام:

(أ) إن أول تسبحة شكر من أجل الأمة عند أول تكوينها وأول عمل لخلاصها نسمعها من موسى والشعب جميعاً معه:

+ «حينئذ رنّم موسى وبنو إسرائيل هذه التسبحة للرب وقالوا: أُرنّم للرب فإنه قد تعظّم ...» (خر ١٥: ١-١٩)

كذلك تسبحة مريم:

+ «فأخذت مريم النبية أُخت هارون الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص وأجابتهم مريم: رنّموا للرب فإنه قد تعظّم. الفرس وراكبه طرحهما في البحر.» (خر ١٥: ٢٠ و٢١)

(ب) كذلك تسبحة دبّورة التي استغرقت أصحاحاً بكامله:

+ «فترنّمت دبورة وباراق بن أبينوعم في ذلك اليوم قائلَيْن: لأجل قيادة القوّاد في إسرائيل لأجل انتداب الشعب باركوا الرب. اسمعوا أيها الملوك واصغوا أيها العظماء. أنا أنا للرب أترنّم. أزمّر للرب إله إسرائيل. يا رب بخروجك من سعير بصعودك من صحراء أدوم الأرض ارتعدت. السموات أيضاً قطرت. كذلك السحب قطرت ماء. تزلزلت

الجبال من وجه الرب وسيناء هذا من وجه الرب إله إسرائيل.

في أيام شمجر بن عناة في أيامِ ياعيل استراحت الطُّرق وعابرو السُّبل ساروا في مسالك معوجَّة. خُذِلَ الحُكّام في إسرائيل، خُذِلوا حتى قمت أنا دبورة، قمتُ أُمّاً في إسرائيل. اختار آلهةً حديثةً، حينئذٍ حرب الأبواب، هل كان يُرى مجنٌّ أو رمحٌ في أربعين ألفاً من إسرائيل. قلبي نحو قُضاة إسرائيل المُنتدِبين في الشعب، باركوا الرب. أيها الراكبون الأُتُنَ الصُّحر الجالسون على طنافس والسالكون في الطريق سبِّحوا. من صوت المُحَاصِّينَ بين الأحواضِ هناك يُثنونَ على حقِّ الرب حق حُكّامهِ في إسرائيل، حينئذ نزل شعب الرب إلى الأبواب.

استيقظي استيقظي يا دبورة استيقظي استيقظي وتكلّمي بنشيدٍ، قُم يا باراق واسبِ سبيكَ يا ابن أبينوعم. حينئذ تسلّط الشارد على عظماء الشعب. الرب سلّطني على الجبابرة. جاء من أفرايم الذين مقرهم بين عماليق وبعدك بنيامين مع قومِكَ، من ماكير نزل قُضاةٌ، ومن زبولون ماسكون بقضيبِ القائدِ. والرؤساء في يسّاكَرَ مع دبورة وكما يساكر هكذا باراق. اندفع إلى الوادي وراءه. على مساقي رأوبين أقضيةُ قلبٍ عظيمةٌ. لماذا أقمت بين الحظائر لسمع الصفيرِ للقطعان. لدى مساقي رأوبين مباحث قلب عظيمةٌ. جلعاد في عَبرِ الأُردن سكنَ. ودانُ لماذا استوطن لدى السُّفن، وأشير أقام على ساحل البحر وفي فُرَضِهِ سَكنَ. زَبولون شعبٌ أهان نفسهُ إلى الموت مع نفتالي على روابي الحقل.

جاء ملوكٌ، حاربوا، حينئذ حارب ملوك كنعان في تعنك على مياه مجدو. بضع فضةٍ لم يأخذوا. من السموات حاربوا. الكواكب من حُبُكِهَا حاربت سيسرا. نهر قيشون جرفهم، نهر وقائع نهر قيشون، دوسي يا نفسي بعز.

حينئذٍ ضربت أعقاب الخيل من السَّوْقِ سَوْقِ أقويائه. العنوا ميروز قال ملاك الرب. العنوا ساكنيها لعناً. لأنهم لم يأتوا لمعونة الرب معونة الرب بين الجبابرة. تُبارك على النساء ياعيل امرأة حابر القيني. على النساء في الخيام تُبارَكُ. طلبَ ماءً فأعطته لبناً. في قصعةِ العظماء قدَّمت زبدةً. مدَّت يدها إلى الوتدِ ويمينها إلى مضراب العملةِ وضربت سيسرا وسحقت رأسهُ شدَّخَتْ وخرَّقَتْ صُدْغَهُ. بين رجليها انطرح سقط

اضطجعَ. بين رجليها انطرح سقط. حيث انطرح فهناك سقط مقتولاً. من الكوة أشرفت وولولت أُم سيسرا من الشبَّاك. لماذا أبطأت مركباته عن المجيء. لماذا تأخرت خطوات مراكبه. فأجابتها أحكم سيداتها بل هي ردَّت جواباً لنفسها. ألم يجدوا ويقسموا الغنيمة. فتاة أو فتاتين لكلِّ رجُلٍ. غنيمةَ ثيابٍ مصبوغةٍ لسيسرا، غنيمة ثيابٍ مصبوغةٍ مطرَّزةٍ، ثيابٍ مصبوغة مطرَّزة الوجهين غنيمة لعنقي. هكذا يبيد جميع أعدائك يا رب. وأحباؤه كخروج الشمس في جبروتها.» (قض ٥: ١-٣١)

وكان معروفاً أن الرب يحارب مع إسرائيل علناً وبشهادة ملائكة: «العنوا ميروز قال ملاك الرب العنوا ساكنيها لعناً **لأنهم لم يأتوا لمعونة الرب، معونة الرب بين الجبابرة.**» (قض ٥:٢٣) حتى أنه كان هناك كتاب مفقود اسمه حروب يهوه: «لذلك يُقال في كتاب حروب الرب ... حينئذ ترنم إسرائيل بهذا النشيد: اصعدي أيتها البئر أجيبوا لها. بئر حفرها رؤساء حفرها شرفاء الشعب بصولجان بعصيهم ...» (عد ٢١: ١٤-١٨). لذلك حُسب دائماً أن انتصار إسرائيل في الحرب هو انتصار ليهوه.

(ج) كذلك أيضاً نسمع تسبيح شكر من أجل نصرة يفتاح على بني عمون:

+ «**ثم أتى يفتاح إلى المصفاة إلى بيته. وإذا بابنته خارجة للقائه بدفوف ورقص ...**» (قض ١١:٣٤)

(د) أمَّا تسبيح الشكر النبوي من أجل الأُمة لاستقبال عهدها الجديد فنسمعه من فم إشعياء النبي:

+ «ولكن لا يكون ظلام للتي عليها ضيق، كما أهان الزمان الأول أرض زبولون وأرض نفتالي يُكرِم (الزمان) الأخير طريق البحر عبر الأُردن جليل الأُمم! الشعب السالك في الظلمة أبصر نوراً عظيماً. الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور. أكثرت الأُمة، عظَّمت لها الفرح. يفرحون أمامك كالفرح في الحصاد كالذين يبتهجون عندما يقتسمون غنيمة ... لأنه يولد لنا ولد ... إلخ» (إش ٩: ١-٧)

(هـ) ولا يمكن أن يُغفل محفل نحميا الكبير الذي أقامه بعد عودة الشعب من السبي وإتمام سكناهم وبناء بيت الرب وترتيب خدماته هكذا:

+ «فوقف الفرقتان من "الحمَّادين" في بيت الله، وأنا ونصف الولاة معي، والكهنة ... وغنَّى المغنون ... وذبحوا في ذلك اليوم ذبائح عظيمة وفرحوا لأن الله أفرحهم

فرحاً عظيماً وفرح الأولاد والنساء أيضاً ... وسُمع فرح أُورشليم عن بُعدٍ.» (نح ١٢: ٤٠-٤٣)

وهذه الولائم، ولائم الشكر يصفها مزمور ٦٦ هكذا:

مز ٦٦: ١٣: «أدخل إلى بيتك بمحرقاتٍ، أوفيكَ نذوري

١٤: التي نطقت بها شفتاي وتكلَّم بها فمي في ضيقي.

١٥: أصعد لك محرقات سمينة مع بخور كباش أقدِّم بقراً مع تيوس. سلاه».

مز ٦٨: ٢٩: «من هيكلك فوق أُورشليم لك تقدِّم ملوك هدايا».

وكان عنصر الترنيم هاماً جداً في تقديم مزامير الشكر كما يصفها إشعياء في نبواته (عن أيام المسيَّا):

+ «وتقول في ذلك اليوم أحمدك يا رب لأنه إذ غضبت عليَّ ارتدَّ غضبك فتعزِّيني. هوذا الله خلاصي فأطمئن ولا أرتعب لأن ياه يهوه قوَّتي وترنيمتي وقد صار لي خلاصاً.» (إش ١٢: ١و٢)

كذلك يقول المزمور عن أيام المسيَّا والشعوب:

مز ٦٧: ٥: «يحمدك (يشكرك) الشعوب يا الله، يحمدك الشعوب كلهم».

وتهتم المزامير بأعمال الله الرحيمة فيقدِّم صاحب المزمور الشكر عن الذين يرعاهم الله:

مز ٦٨: ٤: «غنوا لله. رنِّموا لاسمه ...

٥: أبو اليتامى وقاضي الأرامل. الله في مسكن قدسه.

١٠: ... هيَّأت بجودك للمساكين يا الله».

مزمور ٦٦:

يُعتبر هذا المزمور من أجمل وأشمل مزامير الشكر حيث:

١ - يقدِّمه صاحب المزمور بمقدِّمة عالمية تحكي عن أعمال الله الرهيبة وعظم قوته وفيها يهتف المرنِّم بالأرض كلها لكي تسجد وترنِّم لله ولاسمه:

+ «اهتفي لله يا كل الأرض، رنِّموا بمجد اسمه، اجعلوا تسبيحه ممجَّداً.
قولوا لله: ما أهيب أعمالك، من عظم قوتك تتملَّق لك أعداؤك.
كل الأرض تسجد لك وترنِّم لك. ترنِّم لاسمك».

٢ - يقرنه بخبرة إسرائيل المذهلة كيف عبر البحر الأحمر سائراً على القاع اليابس وعبر نهر الأُردن بالرِجل فكان أعظم مصدر لأعظم فرح ممكن أن يراه بشر!:

+ « هلموا انظروا أعمال الله. فعله المرهب نحو بني آدم!
حوَّل البحر إلى يبس، وفي النهر عبروا بالرجل. هناك فرحنا به.
متسلِّط بقوته إلى الدهر. عيناه تراقبان الأُمم. المتمردون لا يرفعن أنفسهم. سلاه.
باركوا إلهنا يا أيها الشعوب. وسمِّعوا صوت تسبيحه».

٣ - يذكر المرنِّم كيف حفظ الله أنفس شعب إسرائيل للحياة بعد أن عبروا تجارب الموت ومُحِّص الشعب كتمحيص الفضة في البوتقة وجعل أعداءهم يركبون على ظهورهم ويضغطون النير عليهم، بل وعبر بهم نار الآلام وضيق البعد عن وجهه بتصوير بديع وعجيب:

+ «الجاعل أنفسنا في الحياة، ولم يُسلِّم أرجلنا إلى الزلل
لأنك جرَّبتنا يا الله. محَّصتنا كمحص الفضة.
أدخلتنا إلى الشبكة. جعلت ضغطاً على متوننا.
ركَّبت أُناساً على رؤوسنا. دخلنا في النار والماء، ثمَّ أخرجتنا إلى الخصب».

٤ - ثمَّ يذكر كيف بعد هذا يدخل بيته بالمحرقات والذبائح لإيفاء النذور التي نذرها في ضيقه. والمرنِّم يتكلَّم بفم إسرائيل ككل:

+ «أدخل بيتك بمحرقات، أوفيك نذوري التي نطقت بها شفتاي وتكلَّم بها فمي في ضيقي.
أصعد لك محرقات سمينة مع بخور كباش. أُقدِّم بقراً مع تيوس».

٥ - ثمَّ يكشف عن سر نجدة الله لإسرائيل ذلك بالصراخ في الضيق، ثمَّ يوعِّي كل السامعين أن الإنسان إن أخفى خطيته عن الله فالله لا يسمع له ومن هنا يختم:

+ «هلم اسمعوا فأُخبركم يا كل الخائفين الله بما صنع لنفسي.
صرخت إليه بفمي، وتبجيل على لساني.
إن راعيت إثماً في قلبي لا يستمع لي الرب».

٦ - يختم المزمور بالتسبيح بالشكر لله لأنه سمع الصلاة، فلم يُبعد صلاته عن رحمته:

+ «لكن قد سمع الله. أصغى إلى صوت صلاتي.
مبارك الله، الذي لم يُبعد صلاتي ولا رحمته عني».

وهو مزمور احتفالي يُسبَّح به في الهيكل في المناسبات باعتبار أنه مزمور قومي ولكنه مُقدَّم بفم المتكلِّم عن الجماعة.

المزمور ١٢٦:

وهو مزمور لعيد الحصاد بعد العودة من السبي، وهو مزمور شكر.

يصف صاحب المزمور عودة الشعب من السبي غير مصدِّقين أنفسهم حينما ينظرون أنفسهم مرَّة أخرى في هيكل الرب. يضحكون لأنهم غير مصدِّقين، ولكن يترنَّمون بالشكر والتسبيح لأنهم أحسوا بأن الرب قد عمل عملاً عظيماً معهم. فيتوسَّلون مرَّة أخرى أن يرد الرب بقية سبي أُورشليم. ثمَّ يتذكَّرون عيد حصادهم فيبتهجون إذ يذكرون كيف بالدموع كانت صعوبة الزراعة.

وهو من مزامير الشكر التي للخدمة الليتورجية في الهيكل لعيد الحصاد:

+ «عندما ردَّ الرب سبي صهيون صرنا مثل الحالمين ∴ حينئذ امتلأت أفواهنا ضحكاً وألسنتنا ترنُّماً
حينئذ قالوا بين الأُمم إن الرب قد عظَّم العمل مع هؤلاء ∴ عظَّم الرب العمل معنا وصرنا فرحين
أردد يا رب سبينا مثل السواقي في الجنوب ∴ الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج
الذاهب ذهاباً بالبكاء حاملاً مبذر الزرع ∴ مجيئاً يجيء بالترنُّم حاملاً حزمه!»

والذي يميِّز هذا المزمور الذي للشكر عن بقية مزامير الشكر أن الدموع فيه تختلط بالترنُّم.

المزموران ٦٥ و٦٧:

هما مزموران لإيفاء نذور الزارعين:

ففي **مزمور ٦٥:** إن سمع الله الصلاة نوفيه نذورنا. ففي الزرع أنين ودموع وصلاة وفي الحصاد فرح وصلاة شكر وذبائح نذر لموسم أتى بحصاده. فأعياد الحصاد أعياد شكر وتسبيح وتقديم النذور.

علماً بأن الزرع يحتاج إلى مطر والمطر يحتاج إلى صلاة. وإذا نزل المطر اخضرَّت الأرض للرعي فأصبح هناك ذبيحة تنمو، قامت من أصولها على الصلاة:

+ «لك ينبغي التسبيح يا الله في صهيون. ولك يوفَى النذر.
يا سامع الصلاة إليك يأتي كل بشر.
آثام قد قويت عليَّ. معاصينا أنت تكفِّر عنها.

طوبى للذي تختاره وتقرّبه ليسكن في ديارك.
لنشبعن من خير بيتك. قدس هيكلك.
بمخاوف في العدل تستجيبنا يا إله خلاصنا،
يا مُتّكل جميع أقاصي الأرض والبحر البعيدة.
المثبّت الجبال بقوته، المتنطّق بالقدرة،
المهدّئ عجيج البحار، عجيج أمواجها، وضجيج الأمم.
وتخاف سكان الأقاصي من آياتك.
تجعل مطالع الصباح والمساء تبتهج.
تعهّدت الأرض وجعلتها تفيض. تغنيها جداً.
سواقي الله ملآنة ماءً. تهيّئ طعامهم لأنك هكذا تعدها.
أرو أتلامها. مهّد أخاديدها، بالغيوث تُحلّلها. تبارك غلتها.
كلّلت السنة بجودك، وآثارك تقطر دسماً.
تقطر مراعي البرية، وتتنطّق الآكام بالبهجة.
اكتست المروج غنماً والأودية تتعطّف برًّا. تهتف وأيضاً تغنّي».

ومثله مزمور ٦٧:

فهو يقدّم تسبيحه أولاً من أجل إسرائيل لتكون نور معرفة لكل الشعوب ولتكون سبب خلاص لكل الأمم فتفرح وتبتهج الشعوب وكل الأمم. ثمّ يدخل في صميم الموضوع فيشكر على ما أعطته الأرض من غلات كدليل بركة الله. وهكذا يجعل صاحب المزمور فلسفة الشكر من أجل حصاد السنة سبباً لتقديم تسبحة تشمل الأرض كلها. على أن الإنارة بوجه الله على الشعب تسبق إعطاء الأمطار والغلات:

+ «ليتحنّن الله علينا وليباركنا. ليُنر بوجهه علينا. سلاه.
لكي يُعرف في الأرض طريقك وفي كل الأمم خلاصك.
يحمدك الشعوب يا الله يحمدك الشعوب كلهم.
تفرح وتبتهج الأمم لأنك تدين الشعوب بالاستقامة وأمم الأرض تهديهم. سلاه.
يحمدك الشعوب يا الله. يحمدك الشعوب كلهم.
الأرض أعطت غلّتها. يباركنا الله إلهنا.

يباركنا الله، وتخشاه كل أقاصي الأرض».

وهكذا في المزمورين ٦٥و٦٧ نجد التسبيح بالشكر لا يأتي من فراغ بل دوافعه قوية وبديعة. فهو أولاً وقبل كل شيء يذكر أن مجيء الشعب كله للصلاة هو أصلاً ليس للشكر والاعتراف بالفضل ولا لأعمال عظيمة عُملت هي كائنة وقائمة إلى الأبد، ولكن لأن "الله هو سامع الصلاة" هذا هو سر مجيء لا إسرائيل فحسب بل كل الشعوب لأن الله سامع الصلاة فإليه يأتي كل بشر. ثمّ فلسفته أن الشكر يبدأ بالأسباب الكبرى، فالخليقة تحكي عن أعمال الله العظيمة، ولكن بسبب حدث الساعة وهو عيد الحصاد جئنا نشكر على عنايتك يا الله بالشمس والمطر والأرض وطول أناتك وبركاتك حتى خرج الزرع وأعطى من الثمر قدر ما باركته. هنا يأتي الشكر من أجل الحصاد تحصيل حاصل وواقع ينطق بعمل الله.

المزموران ٤٦و٤٨:

من مزامير العناية الإلهية والنصرة السابقة على الأعداء. فالله ساكن في وسط مدينة الله فلن تتزعزع وله القدرة أن يسكّن الحروب: يكسر القوس ويقطع الرمح ويحرق المركبة.

وطالما الله في مدينة الملك العظيم فهو الملجأ، وما التسبيح إلاّ رد فعل لعمل اسمه والرحمة وسط هيكله.

مزمور ٤٦:

+ «الله لنا ملجأ وقوة. عوناً في الضيقات وُجد شديداً.
لذلك لا نخشى ولو تزحزحت الأرض ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار.
تعج وتجيش مياهها، تتزعزع الجبال بطموها. سلاه.
نهر سواقيه تفرّح مدينة الله، مقدس مساكن العليّ.
الله في وسطها فلن تتزعزع. يعينها الله عند إقبال الصبح.
عجّت الأمم. تزعزعت الممالك. أعطى صوته، ذابت الأرض.
رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب. سلاه.
هلموا انظروا أعمال الله، كيف جعل خرباً في الأرض.
مُسكّن الحروب إلى أقصى الأرض. يكسر القوس، يقطع الرمح، المركبات يحرقها بالنار.
كفّوا واعلموا أني أنا الله، أتعالى بين الأمم، أتعالى في الأرض.

رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب. سلاه».

مزمور ٤٨:

+ «عظيم هو الرب وحميد جداً في مدينة إلهنا، جبل قدسه.
جميل الارتفاع، فرح كل الأرض. جبل صهيون. فرح أقاصي الشمال. مدينة الملك العظيم.
الله في قصورها يُعرف ملجأ.
لأنه هوذا الملوك اجتمعوا مضوا جميعاً. لمّا رأوا بُهتوا، ارتاعوا، فرُّوا.
أخذتهم الرعدة هناك، والمخاض كوالدة.
بريح شرقية تكسر سفن ترشيش.
كما سمعنا هكذا رأينا في مدينة رب الجنود، في مدينة إلهنا الله يثبّتها إلى الأبد. سلاه.
ذكرنا يا الله رحمتك في وسط هيكلك.
نظير اسمك يا الله تسبيحك إلى أقاصي الأرض. يمينك ملآنة براً.
يفرح جبل صهيون، تبتهج بنات يهوذا من أجل أحكامك.
طوفوا بصهيون، ودوروا حولها عدّوا أبراجها.
ضعوا قلوبكم على متارسها، تأمّلوا قصورها لكي تحدِّثوا بها جيلاً آخر.
لأن الله هذا هو إلهنا إلى الدهر والأبد. هو يهدينا حتى إلى الموت».

مزمور ١٢٤:

تصوّر الله واقفاً مع الشعب للمعونة، ولولاه لغرق الشعب وطمت عليه المياه. فكما نجّى في البحر الأحمر هكذا ينجّي من جيل إلى جيل. فهذه التجربة صارت دائمة في ذهن الشعب أنه أُنقذ من عمق المياه وذلك حينما يفلتون من حصار أو حرب.

لذلك فالشكر والتسبيح قائمٌ دائماً ومتهيِّئ في قلوب الشعب:

+ «لولا الرب الذي كان لنا. ليقل إسرائيل.
لولا الرب الذي كان لنا عندما قام الناس علينا.
إذاً لابتلعونا أحياءً عند احتماء غضبهم علينا.
إذاً لجرفتنا المياه، لعبر السيل على أنفسنا.
إذاً لعبرت على أنفسنا المياه الطامية.
مبارك الرب الذي لم يسلّمنا فريسة لأسنانهم.

انفلتت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيَّادين.
الفخ انكسر ونحن انفلتنا.
عوننا باسم الرب الصانع السموات والأرض».

مزمور ١٤٩:

غناء وترنيم وتسبيح معاً، هذه هي صنعة الأتقياء، أمّا الفرح الدائم فهو صنعة إسرائيل من نحو خالقه، وأبناء صهيون يبتهجون بملكهم. هذه صارت مقوِّمات الشعب التي أوجبت التسبيح كما يقول المزمور بدف وعود يترنّمون بسبب رضا الرب. فالودعاء يرفعون شعار الخلاص، والأتقياء يحملون الابتهاج مرنّمين حتى على مضاجعهم!! وهؤلاء ينقلبون كلهم أثناء المعركة إلى أسود يسودون على ملوك ويقيِّدون شرفاءهم بالحديد.

هذا المزمور له انسجام بديع في أسباب الترنُّم والشكر والتسبيح:

+ «هللويا. غنوا للرب ترنيمة جديدة، تسبحته في جماعة الأتقياء.
ليفرح إسرائيل بخالقه، ليبتهج بنو صهيون بملكهم.
ليسبّحوا اسمه برقص. بدف وعود ليرنّموا له.
لأن الرب راضٍ عن شعبه، يُجمِّل الودعاء بالخلاص.
ليبتهج الأتقياء بمجد، ليرنّموا على مضاجعهم.
تنويهات الله في أفواههم، وسيف ذو حدين في يدهم.
ليصنعوا نقمة في الأُمم وتأديبات في الشعوب.
لأسر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حديد.
ليجروا بهم الحكم المكتوب. كرامة هذا لجميع أتقيائه. هللويا».

وهكذا في ختام تسبحة الشكر الجماعي يتضح لنا أن هناك عاملين كانا هما الأساس وراء تسبيح الشكر: الأسباب الثابتة **كالانتصارات السابقة**، وأعمال الله الخاصة مع الشعب في كل تاريخ حياتهم وخاصة مواقف الضيق والخطر التي فيها أنقذهم من موت وهلاك محقق مثل عبورهم البحر الأحمر بسرعة ووراءهم فرعون بعجلاته الحربية. فهذه الصورة وغيرها كانت وراء كل تسبيحاتهم، فبمجرَّد أن يتصوَّروها يصبح شكرهم وهتافهم من الأعماق كخبرة حيَّة ماسكة فيهم وكسرٍّ حياتهم وبقائهم. أمَّا العامل الآخر فهو **الظروف الطارئة** اليومية والموسمية، فطلب الرزق والنمو للشعب يحتاج إلى مطر من السماء وحماية من الأعداء، فهذه كانت سبباً في الأول لطلبها

بالترنُّم وفي النهاية للشكر عليها بالترنُّم. وهكذا انقلبت حياة الشعب إلى تسبيح وشكر يدوم طالما كانت عيونهم مرفوعة إلى السماء من حيث يأتي العون.

التسبيح بالشكر الفردي:

[إن تسبحة الشكر المقدَّمة من إسرائيل كشعب هي مثل تسبحة الشكر من أي فرد فهي أصلاً جواب عن معونة قدَّمها الله.] (جونكل)(١)

إن كانت هذه هي حالة الجماعة في أسباب الشكر وتسبيحها الذي لا ينقطع، بسبب من الأسباب الثابتة أو الطارئة، فكذلك يكون بالأَولى الأفراد الذين ينفعلون بأكثر وأسرع مما تنفعل به الجماعة.

فالأسباب السالفة نفسها تظهر كأسباب خاصة فردية تدفع صاحبها إلى تقديم أقصى غاية الشكر والتسبيح والترنُّم.

فالذي ينجو من ضيقة يفتح فمه بالشكر والتغنّي، والذي ينجو من مرض لا يكف عن الفرح والتهليل والشكر، أو الذين طلبوا ونذروا وأُجيب الطلب صار الشكر ومعه الذبيحة لإيفاء الوعد وتكريم اسم الكريم. والأمثلة كثيرة:

١ - «وكان في مدار السنة أن حنّة حبلت وولدت ابناً ودعت اسمه صموئيل قائلة: لأني من الرب سألته! وصعد الرجل ألقانة وجميع بيته ليذبح للرب الذبيحة السنوية، ونذره! ... ثمَّ حين فطمته أصعدته معها بثلاثة ثيران وإيفة دقيق وزق خمر وأتت به إلى الرب في شيلوه والصبي صغير ...

فصلّت حنّة وقالت: فرح قلبي بالرب ارتفع قرني بالرب. اتسع فمي على أعدائي. لأني قد ابتهجت بخلاصك. ليس قدوس مثل الرب. لأنه ليس غيرك وليس صخرة مثل إلهنا ...

قسي الجبابرة انحطمت والضعفاء تمنطقوا بالبأس.

الشباعى آجروا أنفسهم (يعملون بالأجرة) بالخبز، والجياع كفّوا (جلسوا باكتفاء).
حتى أن العاقر ولدت سبعة، وكثيرة البنين ذَبُلَت!
الرب يميت ويحيي، يهبط إلى الهاوية ويُصعد، الرب يفقر ويُغني، يضع ويرفع.

(1) Einleitung, p. 318.

يقيم المسكين من التراب ويرفع الفقير من المزبلة للجلوس مع الشرفاء ويملّكهم كرسي المجد ...» (١صم ١: ٢٠و٢١و٢٤، ٢: ١و٢و٤-٨)

٢ - «ويأتون من مدن يهوذا ومن حوالي أُورشليم ومن أرض بنيامين ومن السهل ومن الجبال ومن الجنوب يأتون بمحرقات وذبائح وتقدمات ولبان. ويدخلون **بذبائح شكر** إلى بيت الرب.» (إر ١٧:٢٦)

٣ - «اللهم عليَّ نذورك. أوفي **ذبائح شكر لك.** لأنك نجّيت نفسي من الموت. نعم، ورجلي من الزلق لكي أسير قدام الله في نور الأحياء.» (مز ٥٦: ١٢و١٣)

٤ - وليس أجمل من أقوال "أليهو" في ردِّه على أيوب وهو يصف عودة رضا الله على الخاطئ بعد أن يقوم ويشكر على عمل الله معه:

+ «يصير لحمه أغض من لحم الصبي ويعود إلى أيام شبابه، يصلّي إلى الله فيرضى عنه، ويعاين وجهه بهتاف فيرد على الإنسان برّه. يغنّي بين الناس فيقول: قد أخطأت وعوَّجت المستقيم ولم أُجازَ عليه. فَدَى نفسي من العبور إلى الحفرة (القبر) فترى حياتي النور.» (أي ٣٣: ٢٥-٢٨)

٥ - المزمور ١٨ مزمور ملكي تسبيح وشكر لداود فريد من نوعه. ويتضح من الآية ٥٠ أن المتكلّم ملك «برج خلاص لملكه والصانع رحمة لمسيحه، لداود ونسله إلى الأبد». ويتضح فيه نجاة داود من موقعتين حربيتين: «لأني بِكَ اقتحمت جيشاً، وبإلهي تسوَّرت أسواراً.» (مز ١٨:٢٩)

+ «الإله الذي يمنطقني بالقوة ويصيِّر طريقي كاملاً.
الذي يجعل رجليَّ كالإيل وعلى مرتفعاتي يقيمني.
الذي يعلّم يديَّ القتال، فتحنى بذراعي قوس من نحاس.
وتجعل لي ترس خلاصك، ويمينك تعضُدُني ولطفك يعظّمني.
توسّع خطواتي تحتي فلم تتقلقل عقباي.
أتبع أعدائي فأدركهم ولا أرجع حتى أفنيهم.
أسحقهم فلا يستطيعون القيام يسقطون تحت رجليَّ.
تمنطقني بقوة للقتال، تصرع تحتي القائمين عليَّ.

وتعطيني أقفية أعدائي ومبغضيَّ أفنيهم.» (مز ١٨: ٣٢-٤٠)

وفي المزمور يكرِّر ذكر أعدائه في الآيات ١٧و٣٧و٤٠و٤٣و٤٥و٤٨.

ولكن إذ يجعل نصرته فوق أعدائه أنها أهَّلته: «الإله المنتقم لي والذي يُخضع الشعوب تحتي» (٤٧) يكشف شخص المتكلِّم في داود أنه هو مسيًّا الرب، لأننا لا نسمع عن الجيوش التي تتبعه أو أعوانه من بني الإنسان. ولقد صار هذا المزمور في الليتورجيا الهيكلية مزمور شكر للتسبيح.

٦ - أمَّا المزمور (٩٢) وهو مزمور تسبيح بشكر الله. ففيه يظهر التسبيح بالترنُّم أي باللحن كما يذكر آلات التسبيح والترنُّم:

مز ٩٢: ١: «حسن هو الحمد للرب والترنُّم لاسمك أيها العليّ،
٢: أن يُخبر برحمتك في الغداة وأمانتك كل ليلة،
٣: على ذات عشرة أوتار وعلى الرباب، على عزف العود».

وهي آلات وترية وكان يصاحبها خورس ترنيم مع رقص.

ويمتاز هذا المزمور بأن فيه آية محبوبة في العهد الجديد «الصديق كالنخلة يزهو، كالأرز في لبنان ينمو. مغروسين في بيت الرب، في ديار إلهنا يزهرون.» (مز ٩٢: ١٢و١٣)

والشكر دائماً أبداً يكون قد سبقه أثناء الضيق والحزن والخوف والهلع صراخ ونذر وعهد عودة إلى الله:

مز ٨٣: ١: «اللهم لا تصمت. لا تسكت ولا تهدأ يا الله.
٢و٣: فهوذا أعداؤك يعجّون ومبغضوك قد رفعوا الرأس على شعبك».

مز ٧٩: ١١: «ليدخل قدامك أنين الأسير، كعظمة ذراعك استبق بني الموت ...
١٣: أمَّا نحن شعبك وغنم رعايتك، نحمدك إلى الدهر إلى دور فدور نُحدِّث بتسبيحك».

مز ٨٥: ٥: «هل إلى الدهر تسخط علينا؟ هل تطيل غضبك إلى دور فدور.
٦: ألاَ تعود أنت فتحيينا. فيفرح بك شعبك».

وذبيحة الشكر هي أصلاً مرادة وواجبة بالناموس:

+ «وهذه شريعة ذبيحة السلامة الذي يقرِّبها للرب. إن قرَّبها لأجل **الشكر** ...» (لا ٧: ١١و١٢)

وكان لصانع ذبيحة الشكر إن كانت نذراً أن يدعو كثيرين إلى الوليمة لتسبيح الرب بالشكر:

+ «كان لأبشالوم جزَّازون في بعل حاصور التي عند أفرايم. فدعا أبشالوم جميع بني الملك ...» (٢صم ١٣: ٢٣)

وكانت العادة أن يدعو صاحب وليمة الشكر الكاهن والفقراء في الحي لأنها وصية:

+ «وتفرحون أمام الرب إلهكم أنتم وبنوكم وبناتكم وعبيدكم وإماؤكم واللاوي الذي في أبوابكم لأنه ليس له قسمٌ ولا نصيب معكم.» (تث ١٢: ١٢)

وفي آية أخرى يضيف الناموس: «... والغريب واليتيم والأرملة الذين في وسطك» (تث ١٦: ١١و١٤):

+ «من قبلك تسبيحي في الجماعة العظيمة. أوفي بنذوري قدَّام خائفيه يأكل الودعاء ويشبعون يسبِّح الرب طالبوه. تحيا قلوبكم إلى الأبد.» (مز ٢٢: ٢٥و٢٦)

وهذا المزمور وهذه الآية هي المختارة لدى كنيسة الأروام الأرثوذكس بلبنان يقولونها رسمياً على المائدة قبل الأكل.

والآن إذا بدأنا في مزامير الشكر الفردي نجد التجانس بينها لا يدعنا نفرِّق كثيراً بينها، ولقد أبدع العالِم بيوس داريفرز(٢) في تصوير مزامير الشكر معاً في أسلوب جميل، إذ وضعها في هيئة حوار ليتورجي فيه تظهر كل المجموعات معاً إنما في رواية واحدة. فقد قدَّم مزموراً في البداية على أنه صورة لكل بداية في كل مزمور، ثمَّ انتقل إلى العرض والسبب والنهاية بأسلوب يجمعها معاً. والنموذج الآتي نموذج لما يحدث كل سنة من عيد إلى عيد كمرآة واحدة لكل الأعياد:

فالفرد من الشعب الذي يكون قد وقع في ضيقة عظمى وقد خرج منها سالماً بعد أن يكون قد نذر لله نذراً، فهو يسرع إلى الهيكل بفرح كثير وهو يغنِّي للرب من كل قلبه وقد جمع أهله ومعارفه وتحنَّن على الفقراء في الحي ويتاماه وأرامله ودعاهم إلى وليمة الشكر التي سيقدِّمها: هكذا يتقدَّم إلى الهيكل مسبِّحاً:

مز ٦٦: ١٣: «أدخل إلى بيتك بمحرقات أوفيك نذوري ∴
١٤: التي نطقت بها شفتاي وتكلَّم بها فمي في ضيقي.
١٥: أُصعد لك محرقات سمينة مع بخور كباش. أُقدِّم بقراً مع تيوس ∴ سلاه».

(2) Pius Drijvers, *The Psalms, their Structure and Meaning*, Herder, 1965, pp. 81 ff.

وهنا إذ يشارك الكاهن في هذه الذبيحة مع جماعة الحاضرين يستقبلون هذا الرجل السعيد ليهنئوه ويتمنوا له السعادة قائلين له:

مز ٣٢: ١: «طوبى للذي غفر إثمه وسُترت خطيته ∴.
٢: طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطية ولا في روحه غش».

وحقيقة أن الله أنقذه من ضيقه العظيم فمعناها بالضرورة أن الخطايا التي كانت تثقّل عليه قد غُفرت. وحسب عادة القوم فإنهم يكشفون خطيتهم بلا خجل لعلَّ الله ينظر إلى صراحتهم واتضاعهم ويغفرها لهم. وهكذا إذ شعر بهذا الحمل قد رُفع من عليه يقف في الهيكل رافعاً يديه ليشكر الله من كل قلبه علناً.

مز ٦٣: ٣: «لأن رحمتك أفضل من الحياة. شفتاي تسبِّحانك
٤: هكذا أباركك (أشكرك) في حياتي باسمك أرفع يديَّ!
٥: كما من شحم ودسم تشبع نفسي وبشفتيّ الابتهاج يُسبِّحك فمي».

ثمَّ يدعو الجمع من حوله أن يسمعوا إلى قصته:

مز ٦٦: ١٦: «هلم اسمعوا فأُخبركم يا كل الخائفين الله بما صنع لنفسي ∴.
٢٠: صرخت إليه بفمي وتبجيل على لساني.
٢١: إن راعيتُ إثماً في قلبي لا يستمع لي الرب ∴.
٢٢: لكن قد سمع الله أصغى إلى صوت صلاتي.
٢٣: مبارك الله الذي لم يبعد صلاتي ولا رحمته عني».

وهو يكشف ضميره أمام الله وأمام الناس ويُسبّح ويشكر علناً حتى يشتركوا معه في تسبحة شكره:

مز ٢٢: ٢٢: «أُخبر باسمك إخوتي في وسط الجماعة أُسبِّحك
٢٣: يا خائفي الرب سبِّحوه! مجّدوه يا معشر ذريَّة يعقوب واخشوه يا زرع إسرائيل جميعاً
٢٤: لأنه لم يحتقر ولم يُرذل مسكنة المسكين ولم يحجب وجهه عنه، بل عند صراخه إليه استمع».

لذلك ترجَّى كثيراً سامعيه حتى يرفعوا الشكر لله عنه:

مز ٣٠: ١: «أُعظِّمك يا رب لأنك نشلتني ولم تشمت بي أعدائي

٢: يا رب إلهي استغثت بك فشفيتني
٣: يا رب أصعدت من الهاوية نفسي. أحييتني من بين الهابطين في الجب
٤: رنِّموا للرب يا أتقياءه واحمدوا ذكر قدسه.
٥: لأن للحظة غضبه، حياة في رضاه. عند المساء يبيت البكاء وفي الصباح ترنُّم»

ثمَّ أعطى لسامعيه نصيحة لكي يعلموا أن الله أمين وصادق وأن عليهم أن يثقوا به:

مز ١١٦: ٥: «الرب حنّان وصدِّيق وإلهنا رحيم
٦: الرب حافظ البسطاء، تذلَّلتُ فخلَّصني.
١٢: ماذا أرد للرب من أجل كل حسناته لي
١٣: كأس الخلاص أتناول، وباسم الرب أدعو
١٤: أوفي نذوري للرب مقابل كل شعبه».

وهكذا بعد أن قدَّم شكره وحمده لله أمام كل شعبه مع ذكر قصة نجاته، فإنه يقدِّم الذبيحة الآن:

مز ٥٦: ١٢: «اللهم عليَّ نذورك، أوفي ذبائح شكر لك.
١٣: لأنك نجّيت نفسي من الموت، نعم، ورجليَّ من الزلق لكي أسير قدَّام الله في نور الأحياء».

مز ٥٤: ٦: «أذبح لك منتدباً، أحمد اسمك يا رب لأنه صالح».

وبعد أن قدَّم الذبيحة زفّوه حول المذبح بينما الكل يُسبِّح لصلاح الله بترنيمة:

مز ٢٦: ٦: «أغسل يدي في النقاوة فأطوف بمذبحك يا رب.
٧: لأُسمع بصوت الحمد وأُحدِّث بجميع عجائبك.
٨: يا رب أحببت محل بيتك وموضع مسكن مجدك»

بعد تقديم الذبيحة وإنهاء التسبيح الفردي والجماعي، يُدعى الحضور ومعظمهم من الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل إلى الوليمة لأن دعوتهم جزء لا يتجزَّأ من الشكر لله. لأن شكر هؤلاء المساكين أهم ما يخرج به صاحب الذبيحة. وتعتبر هذه الوليمة كما في عرفنا المسيحي مائدة محبة أو أغابي. ولا شك هي الأصل الذي نشأت عنه هذه الوليمة في مصر وغيرها من البلاد في بداية العصر المسيحي. وقد اهتمت المزامير لتجعل وجود هؤلاء المساكين وأكلهم حتى الشبع جزءاً ليتورجياً:

مز ٢٢: ٢٦: «يأكل الودعاء ويشبعون. يُسبِّح الرب طالبوه. تحيا قلوبكم إلى الأبد».

وربما يكون مزمور (٢٣) هو بقايا رد فعل لهذه الولائم حيث مسح الرأس بالدهن المعطَّر:

مز ٢٣: ٥: «ترتِّب قدَّامي مائدة تجاه مضايقيَّ. مسحت بالدهن رأسي. كأسي ريًّا».

ومن المزامير العجيبة التي جمعت أصناف الضيقات العظيمة لمجموعات من الأشخاص كل مجموعة بشكل وها خلاصها المزمور (١٠٧) فقد جمع:

الذين تاهوا في القفار وضلُّوا الطريق إلى المدينة .... من آية (٤) إلى آية (٩).
الذين دخلوا السجون وذاقوا مرارة السجون: .... من آية (١٠) إلى آية (١٦).
الذين دخلوا الأمراض القاسية وذاقوا شدة المرض .... من آية (١٧) إلى آية (٢٢).
الذين ركبوا البحار وقامت عليهم العواصف والأمواج وواجهوا رعبة الموت من آية (٢٣) إلى آية (٣٢).

وفي كل نجاة يهتف بهم صاحب المزمور: «فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم».

مز ١٠٧: ١: «احمدوا الرب (شكر) لأنه صالح، لأن إلى الأبد رحمته.
٢: ليقل مفديّو الرب (الذين نجوا من التجارب) الذين فداهم من يد العدو.
٣: ومن البلدان جمعهم، من المشرق ومن المغرب، من الشمال ومن البحر:
٤: تاهوا في البرية (اختبار شخصي) في قفر بلا طريق لم يجدوا مدينة سكن
٥: جياع عطاش أيضاً، أعيت أنفسهم فيهم.
٦: فصرخوا إلى الرب في ضيقهم فأنقذهم من شدائدهم
٧: وهداهم طريقاً مستقيماً ليذهبوا إلى مدينة سكن.
٨: فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم
٩: لأنه أشبع نفساً مشتهية وملأ نفساً جائعة خيراً
١٠: الجلوس في الظلمة وظلال الموت موثقين بالذل والحديد
١١: لأنهم عصوا كلام الله، وأهانوا مشورة العليّ
١٢: فأذلَّ قلوبهم بتعبٍ عثروا ولا معين
١٣: ثمَّ صرخوا إلى الرب في ضيقهم فخلَّصهم من شدائدهم
١٤: أخرجهم من الظلمة وظلال الموت وقطع قيودهم
١٥: فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم

١٦: لأنه كسر مصاريع نحاس وقطَّع عوارض حديد
١٧: والجهَّال من طريق معصيتهم ومن آثامهم يذلون
١٨: كرهت أنفسهم كل طعام، واقتربوا إلى أبواب الموت
١٩: فصرخوا إلى الرب في ضيقهم فخلَّصهم من شدائدهم
٢٠: أرسل كلمته فشفاهم ونجَّاهم من تهلكاتهم
٢١: فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم
٢٢: وليذبحوا له ذبائح الحمد وليعدوا أعماله بترنّم
٢٣: النازلون إلى البحر في السفن (التلاميذ بدون المسيح) العاملون عملاً في المياه الكثيرة.
٢٤: هم رأوا أعمال الرب وعجائبه في العمق
٢٥: أمر فأهاج ريحاً عاصفة فرفعت أمواجه
٢٦: يصعدون إلى السموات، يهبطون إلى الأعماق. ذابت أنفسهم بالشقاء
٢٧: يتمايلون ويترنحون مثل السكران، وكل حكمتهم ابتلعت
٢٨: فيصرخون إلى الرب في ضيقهم ومن شدائدهم يخلّصهم
٢٩: يهدِّئ العاصفة فتسكن وتسكت أمواجها
٣٠: فيفرحون لأنهم هدأوا، فيهديهم إلى المرفأ الذي يريدونه

[وقد تمَّت بحروفها مع تلاميذ المسيح «وللوقت صارت السفينة إلى الأرض التي كانوا ذاهبين إليها» (يو ٦: ٢١)].

٣١: فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم.
٣٢: وليرفعوه في مجمع الشعب، وليسبِّحوه في مجلس المشايخ

وبعد ذلك يذكر المزمور حقائق وقوانين عامة في تدبير الرب في ضوائق الإنسان عامة، ولكن ينتهي المزمور بترنيمة عجيبة تحسب حكمة ذات وزن عالٍ.

٤٢: يرى ذلك المستقيمون فيفرحون وكل إثم يسد فاه.
٤٣: مَنْ كان حكيماً يحفظ هذا ويتعقَّل مراحم الرب!».

ويُبدع العالِم درايفرز إذ يرسم لنا صورة تمثيلية للمزمور (١١٨) وهو مزمور شكر مركب معد لليتورجية خدمة الشكر في الهيكل. فهو يبدأ المزمور بمقدمة بأبيات قليلة أربعة أبيات يهتف بها بإسرائيل والكهنة (بيت هارون) وأتقياء الرب (الحسيديم) لكي يرفعوا أصواتهم بالشكر لله أنَّ إلى

مز ٢٦:٢٢: «يأكل الودعاء ويشبعون. يُسبِّح الرب طالبوه. تحيا قلوبكم إلى الأبد».

وربما يكون مزمور (٢٣) هو بقايا رد فعل لهذه الولائم حيث مسح الرأس بالدهن المعطَّر:

مز ٢٣: ٥: «ترتِّب قدَّامي مائدة تجاه مضايقيَّ. مسحت بالدهن رأسي. كأسي ريًّا».

ومن المزامير العجيبة التي جمعت أصناف الضيقات العظيمة لمجموعات من الأشخاص كل مجموعة بشكل ولها خلاصها المزمور (١٠٧) فقد جمع:

الذين تاهوا في القفار وضلُّوا الطريق إلى المدينة .... من آية (٤) إلى آية (٩).
الذين دخلوا السجون وذاقوا مرارة السجون: .... من آية (١٠) إلى آية (١٦).
الذين دخلوا الأمراض القاسية وذاقوا شدة المرض .... من آية (١٧) إلى آية (٢٢).
الذين ركبوا البحار وقامت عليهم العواصف والأمواج وواجهوا رعبة الموت من آية (٢٣) إلى آية (٣٢).

وفي كل نجاة يهتف بهم صاحب المزمور: «فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم».

مز ١٠٧: ١: «احمدوا الرب (شكر) لأنه صالح، لأن إلى الأبد رحمته.
٢: ليقل مفديّو الرب (الذين نجوا من التجارب) الذين فداهم من يد العدو.
٣: ومن البلدان جمعهم، من المشرق ومن المغرب، من الشمال ومن البحر:
٤: تاهوا في البرية (اختبار شخصي) في قفر بلا طريق لم يجدوا مدينة سكن
٥: جياع عطاش أيضاً، أعيت أنفسهم فيهم.
٦: فصرخوا إلى الرب في ضيقهم فأنقذهم من شدائدهم
٧: وهداهم طريقاً مستقيماً ليذهبوا إلى مدينة سكن.
٨: فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم
٩: لأنه أشبع نفساً مشتهية وملأ نفساً جائعة خبزاً
١٠: الجلوس في الظلمة وظلال الموت موثقين بالذل والحديد
١١: لأنهم عصوا كلام الله، وأهانوا مشورة العليّ
١٢: فأذلَّ قلوبهم بتعبٍ عثروا ولا معين
١٣: ثمَّ صرخوا إلى الرب في ضيقهم فخلَّصهم من شدائدهم
١٤: أخرجهم من الظلمة وظلال الموت وقطع قيودهم
١٥: فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم

١٦: لأنه كسر مصاريع نحاس وقطّع عوارض حديد
١٧: والجهَّال من طريق معصيتهم ومن آثامهم يذلون
١٨: كرهت أنفسهم كل طعام، واقتربوا إلى أبواب الموت
١٩: فصرخوا إلى الرب في ضيقهم فخلَّصهم من شدائدهم
٢٠: أرسل كلمته فشفاهم ونجَّاهم من تهلكاتهم
٢١: فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم
٢٢: وليذبحوا له ذبائح الحمد وليعدوا أعماله بترنّم
٢٣: النازلون إلى البحر في السفن (التلاميذ بدون المسيح) العاملون عملاً في المياه الكثيرة.
٢٤: هم رأوا أعمال الرب وعجائبه في العمق
٢٥: أمر فأهاج ريحاً عاصفة فرفعت أمواجه
٢٦: يصعدون إلى السموات، يهبطون إلى الأعماق. ذابت أنفسهم بالشقاء
٢٧: يتمايلون ويترنحون مثل السكران، وكل حكمتهم ابتلعت
٢٨: فيصرخون إلى الرب في ضيقهم ومن شدائدهم يخلّصهم
٢٩: يهدِّئ العاصفة فتسكن وتسكت أمواجها
٣٠: فيفرحون لأنهم هدأوا، فيهديهم إلى المرفأ الذي يريدونه
[وقد تمّت بحروفها مع تلاميذ المسيح «وللوقت صارت السفينة إلى الأرض التي كانوا ذاهبين إليها» (يو ٦:٢١)].
٣١: فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبنى آدم.
٣٢: وليرفعوه في مجمع الشعب، وليسبِّحوه في مجلس المشايخ

وبعد ذلك يذكر المزمور حقائق وقوانين عامة في تدبير الرب في ضوائق الإنسان عامة، ولكن ينتهي المزمور بترنيمة عجيبة تحسب حكمة ذات وزن عالٍ.

٤٢: يرى ذلك المستقيمون فيفرحون وكل إثم يسد فاه.
٤٣: مَنْ كان حكيماً يحفظ هذا ويتعقَّل مراحم الرب!».

ويُبدع العالِم درايفرز إذ يرسم لنا صورة تمثيلية للمزمور (١١٨) وهو مزمور شكر مركب معد لليتورجية خدمة الشكر في الهيكل. فهو يبدأ المزمور بمقدمة بأبيات قليلة أربعة أبيات يهتف بها بإسرائيل والكهنة (بيت هارون) وأتقياء الرب (الحسيديم) لكي يرفعوا أصواتهم بالشكر لله أنَّ إلى

الأبد رحمته.

ثمَّ يبدأ الملك أو رئيس الشعب يقدم نفسه كإنسان دخل ضيق التجربة والرب أفرج عنه:
مز ١١٨: ٥: «من الضيق دعوت الرب فأجابني من الرحب».

ثمَّ يلخِّص مجمل أعمال الأعداء وكيف أحاطوا به كنار في شوك ولكنه وثق أن باسم الرب يبيدهم فقال:

١٣: «دُفعت لأسقط أمَّا الرب فعضدني» (ترجمة السبعينية)

ثمَّ يكشف اعتماده على الرب أنه قوته وترنيمته، فهو يثق بيمين الرب المرتفعة والصانعة بأس ويقول:

١٧: «لا أموت بل أحيا وأحدِّث بأعمال الرب!»

١٨: «تأديباً أدَّبني الرب، وإلى الموت لم يسلمني!»

ثمَّ هذا الرئيس دخل إلى الهيكل وكل الجماعة التي تسمع له تبعته في موكبه. ثمَّ سأل الكهنة:
١٩: «افتحوا لي أبواب البر، أدخل فيها وأحمد الرب!»

فيرد الكهنة وهم واقفون على باب الهيكل قائلين له وكأنهم يرحبون بمقدمه:
٢٠: «هذا الباب للرب، الصديقون يدخلون فيه»

ثمَّ يجاوبهم الرئيس ومن ورائه الموكب الاحتفالي ويقول لهم مجيباً على ترحيبهم وكأنه يخاطب الله نفسه:

٢١: «أحمدك لأنك استجبت لي وصرت لي خلاصاً!»

وبينما يدخل الرئيس ومن ورائه موكبه الحافل يهلِّل الداخلون بالفرح وكأن خلاصهم أيضاً قد كمل بعد صدود:

٢٢: «الحجر الذي رفضه البنَّاؤون قد صار رأس الزاوية!
٢٣: من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا!
٢٤: هذا هو اليوم الذي صنعه الرب نبتهج ونفرح فيه!
٢٥: آه يا رب خلِّص. آه يا رب أنقذ».

فيرد الكهنة من الداخل وهم يستقبلون الموكب الحافل يحيون الداخلين إلى الهيكل:

٢٦: «مبارك الآتي باسم الرب باركناكم من بيت الرب»!

فيرد الشعب كله بفرح وتهليل اعترافاً بنصرة الرب وتقديساً لاسمه:
٢٧: «الرب هو الله وقد أنار لنا!»

فيجيب الكهنة على هذا الاعتراف باسم الرب أنه قد استوجبت الذبيحة كل شروطها:
٢٧: أوثقوا الذبيحة بربط إلى قرون المذبح»!

حينئذ يرد الرئيس اعترافاً برحمة الله مقدِّماً الشكر والحمد له:
٢٨: «إلهي أنت فأحمدك، إلهي فأرفعك»!

وينتهي المزمور بدعاء الكهنة في ختام التسبيح بالشكر يهيبوا بالكل أن يقدِّموا الشكر لله:
٢٩: «احمدوا الرب لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته»!

وهكذا يعطينا هذا التفصيل الليتورجي صورة حيَّة لكيف يُصاغ المزمور ليكون ليتورجية تسبيح وتقديم ذبيحة شكر. وليس هذا التعبير الليتورجي مخترعاً ولكنه من واقع ليتورجية خدمة المزامير للشكر المرافق للذبيحة وعمل الكهنة الرسمي فيه. حيث يكشف المزمور قليلاً قليلاً عن محتواه الروحي الخالص وعن معنى وحقيقة تسبيح الشكر الليتورجي.

وصوت الرب من داخل الكتاب والليتورجيا واضح أنه لا يُسر بالمحرقة أو الذبيحة ولكن بالأذن المفتوحة روحياً لعمل مسرة الرب، الأمر الذي تمَّ وكمل بمجيء صاحب الذبيحة والذبيحة نفسها:
مز ٤٠: ٦: «بذبيحة وتقدمة لم تُسرّ. أذني فتحت. محرقة وذبيحة خطية لم تطلب.
٧: حينئذ قلت: هأنذا جئت بدرج الكتاب مكتوب عني.
٨: أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررت وشريعتك في وسط أحشائي».

ويُضاف إليها أيضاً قول المزمور:
مز ٦٩: ٣٠: «أُسبِّح اسم الله بتسبيح، وأُعظِّمه بحمد (شكر)!
٣١: فيستطاب عند الله أكثر من ثور بقر ذي قرون وأظلاف!
٣٢: يرى ذلك الودعاء فيفرحون وتحيا قلوبكم يا طالبي الله».

ومن مميزات تسبحة الشكر للعرفان بالجميل والتي يكون معها الذبيحة المقدَّمة رسمياً حسب الناموس أن يشعر مقدِّمها أنه فعلاً يقدمها رسمياً لله فيشعر **بوجود الله وحضرته:**

مز ٤١: ١٢: «أمَّا أنا فبكمالي دعَمتني وأقمتني قدَّامك إلى الأبد.
١٣: مبارك الرب إله إسرائيل من الأزل وإلى الأبد. آمين فآمين».

أو يعبِّر عن التقائه بالله في أبواب صهيون:

مز ٩: ١٤: «لكي أُحدِّث بكل تسابيحك في أبواب ابنة صهيون مبتهجاً بخلاصِكَ».

بل ويشعور من هو يجاور الله حينما يصير بقرب المذبح:

مز ٤٣: ٤: «فآتي إلى مذبح الله - إلى الله - بهجة فرحي وأحمدك بالعود يا الله إلهي».

بل ويصير في بيت الله كمن هو قد دُعي إلى المثول بين يديه لكي يبصره في قدسه:

مز ٦٣: ١: «يا الله إلهي أنت إليكَ أُبكِّر. عطشت إليك نفسي. يشتاق إليك جسدي في أرض ناشفة ويابسة بلا ماء.
٢: لكي أبصر قوتك ومجدك كما قد رأيتك في قدسك».

على أن التسبيح لله والشكر له لم يلتزم بعد ذلك بالهيكل بل نسمع عنه أنه جرى في بطن الحوت!

+ «أمَّا أنا فبصوت الحمد أذبح لك وأوفي بما نذرته للرب الخلاص. وأمر الرب الحوت فقذف يونان إلى البر.» (يونان ٢: ٩و١٠)

وفي تسبحة يونان في بطن الحوت تتضح سمة تسبحة الشكر الأساسية وهي «**أوفي بما نذرته**» **في خدمة هيكلية**.

والآن يتضح لنا شكل وتركيبة تسبحة الشكر الليتورجية بكل تفاصيلها، وهي في معظم الأحوال لها ثلاثة مكوِّنات ظاهرة: **البداية** بإعلان رسمي من مقدِّم الشكر، ثمَّ **موضوع التسبحة** للشكر الذي دَعَي المقدم للشكر أن يقدِّم تسبحته وذبيحته وهو الجزء الهام، **وأخيراً** دعوة للحاضرين أن يشتركوا في تسبيح الشكر خاصة وهم سيشتركون في الوليمة.

أمَّا المقدِّمة فهي تقدّم الشخص بتعريف نفسه: "أنا أقدم"، "أنا أخبر"، "أنا أُسبِّح"، "أنا ألعب على القيثار (ذات الأوتار)، أو "تسبِّح نفسي"، "تفرح روحي"، بل وربما تزيد المقدِّمة فتصير هي بذاتها تسبحة حقيقية مثل:

مز ٦٦: ١: «اهتفي لله يا كل الأرض.
٢: رنِّموا بمجد اسمه. اجعلوا تسبيحه ممجَّداً

٣: قولوا لله ما أهيب أعمالك. من عظم قوتك تتملَّق لك أعداؤك.
٤: كل الأرض تسجد لك وترنِّم لك. ترنِّم لاسمك. سلاه.
٥: هلم انظروا أعمال الله. فعله المرهب نحو بني آدم».

ولكن قمة التسبيح في المزمور نجدها في الرواية نفسها، والشكل المميِّز باختصار لهذه الرواية في التسبيح العبري يقع بتعبير الغائب: مثل:

"لقد سمع لي"، "لقد خلَّصني"، "لقد التفت بأذنه إلى توسُّلاتي".

أو قد نجد الشخص يخاطب يهوه نفسه مباشرة مثل:

«لأنك شفيتني»، "كسرت قيودي"، "لأنك غفرت لي".

هكذا يسير مزمور (٩) بعد المقدِّمة:

مز ٩: ٤: «لأنك أقمت حقِّي ودعواي، جلست على الكرسي قاضياً عادلاً.
٥: انتهرت الأُمم، أهلكت الشرير. محوت اسمهم إلى الدهر والأبد.
٦: العدو تمَّ خرابه إلى الأبد وهدمت مدناً باد ذكره نفسه».

أو حتى نجد أن المزمور يبدأ مباشرة دون تقدمة ليدخل في موضوع المزمور مباشرة:

مز ٤٠: ١: «انتظاراً انتظرت الرب فمال إليَّ وسمع صراخي.
٢: وأصعدني من جب الهلاك، من طين الحمأة، وأقام على صخرة رجليَّ، ثبَّت خطواتي».

مزامير متداخلة:

فمزمور التسبيح بالشكر قد يبدأ بالتوسُّل ولا يأتي الشكر إلاَّ في النهاية. فالقارئ للمزمور لا يلتفت أنه يقرأ مزمور تسبيح للشكر إلاَّ في النهاية أو بين السطور، لأن صاحب المزمور يغلب عليه حزنه وآلامه وضيقاته وخبراته السابقة، فيظل يرويها بلغة المتوسِّل الحزين.

أو بالعكس، قد يبدأ المزمور بالشكر ولكن يعود صاحب المزمور إلى خبراته المؤلمة ويعود إلى التوسُّل للخروج من ورطته. فهو يدخل في أحاسيسه السابقة التي تطغى على الشكر والفرح والتسبيح التي كان يتوسَّل بها في السابق على أن ينجِّيه منها، مع أنه نجَّى وهو الآن في موقف من يشكر ويسبِّح فضل الله.

وعلامة هذه المزامير التي يرجع فيها صاحب المزمور إلى حالاته السابقة من التوسُّل والأمل تكرار

صيغة الماضي: "لقد توسَّلت"، "أنا تكلَّمت"، ومعها صلوات التوسُّل في الماضي، ومثل ذلك مز (٤١) فهو يتوسَّل في (٤و٥و٩) ثمَّ يعود يشكر في (١١و١٢).

مز ٤١: ٤: «أنا قلت يا رب ارحمني. اشفِ نفسي لأني قد أخطأت إليك.
٥: أعدائي يتقاولون عليَّ بشرٍّ، متى يموت ويبيد اسمه.
٩: أيضاً رجل سلامتي الذي وثقت به آكل خبزي رفع عليَّ عقبه.
١١: بهذا علمت أنك سررت بي، أنه لم يهتف عليَّ عدوي.
١٢: أمَّا أنا فبكمالي دعَمتني وأقمتني قدامك إلى الأبد».

وأيضاً مزمور ١١٦ فيه الشكوى والأنين والتوسُّل وفيه الشكر والتسبيح:
مز ١١٦: ٣: «اكتنفتني حِبال الموت أصابتني شدائد الهاوية. كابدت ضيقاً وحزناً.
٧: ارجعي يا نفسي إلى راحتكِ لأن الرب قد أحسن إليكِ.
١٣و١٤: كأس الخلاص أتناول وباسم الرب أدعو. أوفي نذوري للرب مقابل كل شعبه.»

وأيضاً مزمور (٣٠) فيه الخوف والفزع والصراخ والتضرع، وفيه الفرح والرقص والترنُّم:
مز ٣٠: ٧: «حجبت وجهك فصرت مرتاعاً.
٨: إليك يا رب أصرخ وإلى السيد أتضرَّع.
١١: حوَّلت نوحي إلى رقص لي، حللت مسحي منطقتني فرحاً.
١٢: لكي تترنَّم لك روحي ولا تسكت. يا رب إلهي إلى الأبد أحمدك».

كذلك مزمور (٣١) فيه «أنقذني سريعاً»، «أخرجني من الشبكة التي خبَّأوها لي»، وفيه «أبتهج وأفرح»:
مز ٣١: ٢: «أمل إليَّ أذنك سريعاً، أنقذني. كن لي صخرة حصن، بيت ملجأ لتخليصي.
٤: أخرجني من الشبكة التي خبَّأوها لي لأنك أنت حصني.
٧: أبتهج وأفرح برحمتك لأنك نظرت إلى مذلَّتي وعرفت في الشدائد نفسي».

توعية للقارئ:

هذه المزامير صادقة أشد الصدق وواقعية للغاية، لأنها تكشف سيكلوجية المتألِّم الذي وقع في الضيقة وظلَّ في نقعها ومرارتها فانطبعت عليه آلامها، وظلَّت توسُّلاته تتردَّد في نفسه حتى بعد أن نجَّاه الله بأعجوبة ودخل في ظل رحمته وقدَّم ذبيحته وشكره، ولكن ظلَّ الألم سائداً عليه طاغياً

على نفسه، فلم يعد قادراً أن يهنأ بالخلاص الذي ناله صافياً إذ ظلَّت أحزانه السابقة تلوّن فرحته وكأنها علة ظلَّ يردِّدها.

هنا قارئ المزامير لا يستهزئ بتسبحة الشكر التي من هذا القبيل، فهي شديدة الصدق وبالتالي شديدة التأثير على نفس قارئها لو كان يعي حالة صاحب التجارب المرَّة. فهو إن كان عارفاً بأوجاع النفس فهو يكاد يبكي عندما يجد صاحب المزمور يمزج فرحه بأنينه وشكره بألمه!

وصاحب المزمور لا يخفي عليه ضعفه حينما يسبِّح ويشكر، فبعد أن يشكر ويسبِّح يعود فيئن ويتألَّم ويتوجَّع ويسترجع ماضيه، فهو إذ يدرك ذلك يعود بسرعة ليؤكِّد ثقته بالله بالرغم من قلقه. فنسمعه يقول: «لماذا تنزعجين يا نفسي توكَّلي عليه»، أو يلجأ إلى الله نفسه ليشدِّد ضعفه: «يا رب ارحم نفسي»، «يا رب اشفق عليَّ»، وكأنه يتوسَّل لدى القارئ أيضاً أن لا يَعْثر به بل يتجاوز ضعفه ويرحم نفسه.

لذلك يُحسب القارئ ذكياً ألمعياً إن هو استطاع أن يتجاوز هذه الهَنات ويظل منتبهاً أنه مزمور تسبيح وشكر لله. لأن الخطورة هي كون صاحب المزمور يذكر آلامه وأنينه بصورة عميقة ومؤثِّرة فتكون قادرة أن تمحي من ذهن القارئ ومشاعره أن هذا مزمور شكر لتسبيح الله.

لذلك لزم أن نوعِّي القارئ إلى الآيات الاعتراضية التي تأتي في مزامير التسبيح لشكر الله، والتي تحمل صورة الضيقات السالفة وآلامها ومرارتها، وتوسلات صاحب المزمور كأنها واقعة الآن مع أنها خبرة سالفة عَبَر عليها ودخل في صميم فرحه، وبقيت شاهدة على صدق ما أَلَمَّ بصاحب المزمور من خبرة مرّة تركت آثارها التي لا تمحى من النفس!

ومن أجمل المزامير التي تحمَّل صاحبها آثار خبرته القديمة التي سار فيها في وسط ظلال الموت ونُجِّي، وقام عليه أعداؤه ومضايقوه ونصره الرب عليهم، وأقام ذبيحة شكر أمام أعينهم، فأصبح صاحب خبرة سابقة ناجحة يوصِّلها إلينا دون رجعة على الماضي، وذلك بمهارة نادرة، هو المزمور المحبوب مزمور (٢٣):

مز ٢٣: ١: «الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء.
٢: في مراع خضر يربضني، إلى مياه الراحة يوردني.
٣: يرد نفسي يهديني إلى سبل البر من أجل اسمه.
٤: أيضاً إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شرًّا. لأنك أنت معي. عصاك وعكازك

هما يعزيانني.

٥: ترتب قدّامي مائدة تجاه مضايقيّ. مسحت بالدهن رأسي. كأسي ريَّا

٦: إنما خير ورحمة يتبعانني كل أيام حياتي، وأسكن في بيت الرب إلى مدى الأيام».

دراسة حول موضوع "رواية الشكر" في كل مزمور وأهدافها:

في المزمور (٣٠) نجد أهم ما يريد أن يقوله صاحب المزمور جعله في نهاية المزمور:

مز ٣٠:١٢: «لكي تترنم لك روحي ولا تسكت، يا رب إلهي إلى الأبد أحمدك.»

لأن الله إنما يعمل الأعمال العظيمة لكي نعلن ذلك ونذكره ونسبّحه ونشكره.

مز ٨٨: ١٠: «أفلعلّك للأموات تصنع عجائب؟ أم الأخيلة تقوم تمجّدك؟

١١: هل يُحدَّث في القبر برحمتك أو بحقك في الهلاك؟

١٢: هل تُعرف في الظلمة عجائبك وبرك في أرض النسيان؟»

مز ٦ : ٥: «لأنه ليس في الموت ذكرك، في الهاوية مَنْ يحمدك».

إش ٣٨: ١٨: «لأن الهاوية لا تحمدك، الموت لا يسبّحك. لا يرجو الهابطون إلى الجب أمانتك.

١٩: الحي الحي هو يحمدك كما أنا اليوم. الأب يُعرّف البنين حقك».

نخرج من هذا بأن القصد الأول لمزامير التسبيح للشكر هو أن هذا واجب الأحياء وهي فرصة عظيمة للذين هم الآن أحياء أن يسبّحوا، فالموت يُنهي على هذه الفرصة الإلهية العُظمى. لذلك نسمع في تسابيح الشكر هذه النغمة وكأن الشخص يقول لله هذه فرصتي الوحيدة، هذا واجبي، هذه هي المسرّة الوحيدة أن أشبع منها وأفرح فاسمع، اسمع نعم اسمع يا الله تسبيح شكر الحي.

أمّا أسباب ودوافع تسبيح الشكر فهي قائمة دائمة ثابتة فيما عمل الله من أجل الإنسان ويُضاف إليها ما قدّمه الله للإنسان في ضيقه وحزنه ومرضه.

ثمّ إن الله تعاهد مع شعبه سواء في القديم أو في الجديد، هذا العهد ذاته هو أساس وسبب دائم للتسبيح والشكر.

ولعلّ من الحقائق المتأصّلة في الشعب الإسرائيلي، بل في كل فرد من شعبه، صغير أو كبير، أنه يعرف تماماً كل ما عمله الله مع الشعب قديماً منذ أن كان في مصر وأخرجه الرب بقوة عظيمة، فأصبح تاريخ إسرائيل هو "وعي" إسرائيل المتأصّل في ذاته، بمعنى أن مجال تفكير الإنسان الإسرائيلي

خلفيته الأساسية التي ينبع منها كل تصوُّر أو إحساس من جهة الله وأعماله لكل إنسان هو ما عمله الله للشعب قديماً بكل أنواع المعونات المذهلة، فامتلأ وعي الشعب بدوافع حيَّة قوية حاضرة كل حين قادرة أن تطلق كل لسان بالشكر والتسبيح.

والأهم من كل الانفعالات التي يعيشها الشعب هو إحساسه بأن أعمال الله العظيمة لم تكن إلاّ من دوافع حب الله للآباء، الحب الذي صار بعينه ميراثاً لكل أبناء إبراهيم وإسحق ويعقوب. فالله يحب كل فرد في الشعب مهما كان، ومن دالة هذا الحب يقف أي إسرائيلي في الهيكل يخدم ويشكر ويُسبّح كأساس للعلاقة التي تربطه بالله رأساً. ومن إحساس الفرد بهذا الحب يُعبّر بكل وسيلة عن مجد الله وعمق أفكاره ووسائل معوناته، فالحب هو العامل المحرِّك لكل أعمال الله.

وكمثال لذلك مزمور (٩٢):

مز ٩٢: ١: «حسن هو الحمد للرب والترنُّم لاسمك أيها العلي.

٢: أن يُخبر برحمتك في الغداة، وأمانتك كل ليلة.

٤: لأنك فرّحتني يا رب بصنائعك. بأعمال يديك أبتهج.

٥: ما أعظم أعمالك يا رب! وأعمق جدًّا أفكارك».

وهناك تركيز في مزامير التسبيح والشكر على يد القدير وذراعه المرتفعة فهي عاملة وفعّالة.

النموذج: مزمور (١٠٩):

مز ١٠٩:٢٧: «وليعلموا أن هذه هي يدك. أنت يا رب فعلت هذا».

وعلى العموم فمزامير الشكر العامة في التسبيح تحمل أهم رسالة وُضعت على إسرائيل وهي "الشهادة ليهوه"، والتي تأتي في العبرية قريبة من معنى تسبيح الشكر hodah ولكنها تُرجمت في اللاتينية الحديثة بكلمة Celebrare وفي الفولجاتا تُرجمت Confiteri وتحمل معنى الشهادة witness[3]. ويُلاحَظ أن المزامير ٩و٩٢و١٠٥و١٠٧و١١١و١١٨و١٣٦و١٣٨ تبدأ بكلمة hodah التي تُرجمت إلى "احمدوا" باللغة العربية.

مز ٩ : ١ : «أحمد الرب بكل قلبي»، مز ٩٢ :١: «حسن هو الحمد للرب»،

مز ١٠٥: ١: «احمدوا الرب ادعو باسمه»، مز ١٠٧: ١: «احمدوا الرب لأنه صالح»،

(3) Pius Drijvers, *op. cit.*, p. 220, n. 11.

مز ١١١:١: «هللويا أحمد الرب بكل قلبي»، مز ١١٨:١: «احمدوا الرب لأنه صالح»،
مز ١٣٦:١: «احمدوا الرب لأنه صالح»، مز ١٣٨:١: «أحمدك من كل قلبي».

ومعظم هذه المزامير داخلة ضمن مجموعة مزامير الشكر.

فصاحب المزمور يود فوق كل شيء أن يعترف ليهوه بعزّه وفضله لشعبه إزاء كل الأمم والأعداء. وهكذا في مزامير الشكر يُستعلن يهوه وتُستعلن علاقته الحميمة جدًّا بإسرائيل.

ولكي نأخذ صورة متكاملة لمزامير التسبيح للشكر يلزم أن نرجع للأعياد التي يتركّز فيها التسبيح لشكر الله، التي فيها تُذكر بركات الله الخاصة لإسرائيل فيما مضى وما استجد منها، حيث يُعبّر الشخص عن هذه العلاقة العامة مضيفاً إليها خبرته الشخصية، حيث تُبتلع الخبرات الشخصية أيضاً في سياق العلاقة العامة ولا تمثّل إلاَّ جزءًا صغيراً من عمل الله.

ولكن أظهر ما في هذه التسبيحات هو دراية الأفراد القوية جدًّا بعمل الله العام مع الشعب عامة والأمة كلها. لأن المزامير وُضِعَتْ لتؤكّد خبرة الخلاص التي أوجدت الشعب من الفناء، فصارت مزامير الحمد والشكر لله هي عماد ليتورجية الطقس اليهودي بالدرجة الأُولى.

فالمزمور يدعو الشعب، يدعو الأولاد، يدعو كل إسرائيلي ليسمع خبرة الخلاص:

مز ٣٤:١١: «هلم أيها البنون استمعوا لي. فأعلّمكم مخافة الرب».

مز ٤٢: ٤ : «أُعلّمك وأرشدك الطريق التي تسلكها. أنصحك عيني عليك».

١١: «افرحوا بالرب وابتهجوا يا أيها الصديقون، واهتفوا يا جميع المستقيمي القلوب».

مز ٣١: ٢٣: «أحبوا الرب يا جميع أتقيائه. الرب حافظ الأمانة، ومجازي بكثرة العامل بالكبرياء.

٢٤: لتتشدّد ولتتشجّع قلوبكم، يا جميع المنتظرين الرب».

وغاية ليتورجيا الشكر والتسبيح هو استعلان أعمال الله التي عملها لشعب إسرائيل ثم الأشخاص كل بمفرده من شعب الله ثمَّ إلى أقطار المسكونة كلها. وهذه تظهر بوضوح في مزامير: ٣٢:٦و٧، ٣٤:١١، ٤٠:٤، ٥١:١٤، ٥٨:١١، ١٠٧:٤٢و٤٣، ١٤٥:١١و١٢.

مز ٣٢: ٦: «لهذا يصلّي لك كل تقي في وقت يجدك فيه. عند غمارة المياه الكثيرة إيّاه لا تصيب.

٧: أنت ستر لي من الضيق تحفظني، بترنم النجاة تكتنفني. سلاه».

مز ٣٤: ١١: «هلم أيها البنون استمعوا لي فأعلّمكم مخافة الرب».

مز ٤٠: ٤: «طوبى للرجل الذي جعل الرب متكله ولم يلتفت إلى الغطاريس والمنحرفين إلى الكذب».

مز ٥١: ١٤: «نجّني من الدماء يا الله، إله خلاصي فيُسبّح لساني برّك».

مز ٥٨: ١١: «ويقول الإنسان: إن للصديق ثمراً. إنه يوجد إله قاض في الأرض».

مز ١٠٧:٤٢: «يرى ذلك المستقيمون فيفرحون وكل إثم يسد فاه.

٤٣: مَنْ كان حكيماً يحفظ هذا، ويتعقّل مراحم الرب».

مز ١٤٥:١١: «بمجد ملكك ينطقون وبجبروتك يتكلّمون.

١٢: ليعرفوا بني آدم قدرتك ومجد جلال ملكك».

والمسيح نفسه يُحسب أعظم شاهد لعمل الله أبيه ويُسمَّى في سفر الرؤيا: «الشاهد الأمين» (رؤ ٣:١٤). ويقول بولس الرسول عن المسيح: «أُوصيك أمام الله الذي يُحيي الكل والمسيح يسوع الذي شهد لدى بيلاطس البنطي بالاعتراف الحسن» (١تي ٦:١٣). فالكنيسة تعتقد وتؤكد أن المسيح هو الشاهد أن الله أقامه من الأموات وتشكر الله من أجل موته وقيامته.

وقد اعتبر المسيحيون الأوائل أن مزمور (١١٨) هو مزمور القيامة، كما اعتبروا أن مزموري ٢٢و٣١ وصف لآلام المسيح ومجده.

ووضعت الكنيسة في فم المسيح القول المزموري: «أخبر باسمك إخوتي، في وسط الجماعة أُسبّحك» (مز ٢٢:٢٢) وذلك في سفر العبرانيين (٢:١٢) بالحرف الواحد.

وإليك ما قاله مزمور (٢٢) عن آلام المسيح وقيامته:

الآلام:

مز ٢٢:٧: «كل الذين يرونني يستهزئون بي يفغرون الشفاه وينغضون الرأس قائلين:

٨: اتكل على الرب فلينجه، لينقذه لأنه سُرَّ به.

١٢: أحاطت بي ثيران كثيرة، أقوياء باشان اكتنفتني.

١٣: فغروا عليَّ أفواههم كأسد مفترس مزمجر.

١٤: كالماء انسكبت، انفصلت كل عظامي صار قلبي كالشمع قد ذاب في وسط أمعائي.

١٥: يبست مثل شقفة قوتي، ولصق لساني بحنكي وإلى تراب الموت تضعني.

١٦: لأنه قد أحاطت بي كلاب (الأُمم) جماعة من الأشرار اكتنفتني. ثقبوا يديَّ ورجليَّ.

١٧: أحصى كل عظامي وهم ينظرون ويتفرَّسون فيَّ.

١٨: يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون».

القيامة:

مز ٢٢:٢٢: «أخبر باسمك إخوتي في وسط الجماعة أُسبّحك.»

٢٣: يا خائفي الرب سبّحوه، مجّدوه يا معشر ذرية يعقوب واخشوه يا زرع إسرائيل جميعاً.

٢٤: لأنه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين ولم يحجب وجهه عنه، بل عند صراخه إليه استمع.

٢٥: من قبلك تسبيحي في الجماعة العظيمة. أوفي بنذوري قدّام خائفيه».

ويعتبر المسيح هو مثل الشكر الأعلى، وقد وضعت الكنيسة في فمه كل آيات الشكر التي جاءت بعد الضيقات العظيمة. وصار هو موضوع الشكر الوحيد: «أولاً أشكر إلهي بيسوع المسيح» (رو ١:٨)، «وكل ما عملتم بقول أو فعل فاعملوا الكل باسم الرب يسوع شاكرين الله والآب به» (كو ٣:١٧). أمّا شكر الله بيسوع المسيح فلأن بالمسيح انكشف كل تاريخ إسرائيل بمزاميره أنه قائم على الخلاص الذي أكمله المسيح في حينه. لذلك فحينما نشكر الله فنحن نشكره في يسوع وبيسوع المسيح الذي به قد استعلن الله الآب واستعلنت جميع أعمال رحمته للإنسان.

لذلك فكل مزامير تسابيح الشكر لله التي جاءت في العهد القديم في كل المزامير وغيرها إنما استعلنت وتركّزت في سر الإفخارستيا الذي هو سر الشكر! الذي كملت فيه وبه كل أعمال الله الخلاصية منذ كل الدهور(٤).

وكان الآباء القدامى يوستينوس وأوريجانوس وإيرينيئوس ومن بعدهم يعتبرون الإفخارستيا هي سر الشكر الأعظم وأن مرادفها في العهد القديم هو مزمور ٢٣ باعتبارها مائدة الرب(٥). ويصف العالم دانييلو مزمور ٢٣ بصفته الحامل لمفهوم أسرار الدخول إلى المسيحية (المعمودية والميرون والإفخارستيا)(٦) مع المزمور ١١٦ الذي يتكلّم عن «كأس الخلاص» الذي يصفه مزمور ٢٣ أنه كأس ارتواء.

وإن كان الشكر العبري في المزامير يبلغ إلى منتهى الوجود للخليقة كما في مزمور ٢٢:

---

(4) L. Bouyer, "Psaumes et Catéhèse" in *La Maison Dieu* 33, p. 18, cited by Drijvers, *op. cit.*, p. 100, n. 17.

(5) Drijvers, *op. cit.*, p. 100.

(6) Drijvers, *op. cit.*, p. 221, n. 18.

مز ٢٢: ٢٦: «يأكل الودعاء ويشبعون، يسبّح الرب طالبوه. تحيا قلوبكم إلى الأبد.

٢٧: تذكر وترجع إلى الرب كل أقاصي الأرض وتسجد قدّامك كل قبائل الأُمم.

٢٨: لأن للرب المُلك وهو المتسلّط على الأُمم.

فالشكر في العهد الجديد في سر الشكر أي الإفخارستيا معروف أنه يدوم إلى أن يأتي الرب: «فإنكم كلما أكلتم من هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء» (١كو ١١:٢٦)، ولكن بعد أن يأتي الرب فأكله جديداً في ملكوت السموات، حيث شكر وتسبيح مجد يدوم: «قائلين نشكرك أيها الرب الإله القادر على كل شيء الكائن والذي كان والذي يأتي لأنك أخذت قدرتك العظيمة وملكت.» (رؤ ١١:١٧)

٣ - مزامير الحجاج(١)

Pilgrim Psalms

الحجاج هنا تعني الذاهبين إلى الهيكل. وسنعتني هنا بالمزامير التي يؤلّفها الذاهبون إلى أُورشليم أو الهيكل وليست الموضوعة خصيصاً للغرباء الآتين من الشتات المعروفة بمزامير المصاعد Psalms of Assent وهي مزامير من ١٢٠-١٣٤.

ولكن مزامير الحجاج تخص الحجاج الذين أوصى موسى أن يذهبوا إلى بيت الرب للتراثي أمامه ثلاث مرَّات في كل سنة للثلاثة أعياد الهامة: (تث ١٦:١٦، خر ٢٣:١٧، خر ٣٤:٢٣).

+ «ثلاث مرَّات في السنة يحضر جميع ذكورك أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره: في عيد الفطير وعيد الأسابيع وعيد المظال. ولا يحضروا أمام الرب فارغين. كل واحد حسبما تعطي يده كبركة الرب إلهك التي أعطاك.» (تث ١٦: ١٦و١٧)

علماً بأن عيد الفطير أي الفصح يستمر سبعة أيام، وهو أيضاً الذي يأتي والحصاد على الأبواب، لذلك يحضرون فيه حزمة من الشعير كانت تقدّم إلى الرب.

ثمَّ بعد عيد الفطير بسبعة أسابيع يحل عيد الحصاد الكبير ويُسمَّى عيد السبوعات، وهو نفسه المسمَّى عيد الخمسين. أمَّا عيد المظال فهو يحل عندما ينتهي الحصاد ويُجمع العنب وتعمل الخمر وذلك في الشهر السابع المدعو تشري Tishri.

ويُلاحظ القارئ أن هذه الأعياد لها علاقة وثيقة بالزراعة ولها اعتبار قوي عند إسرائيل، فعيد الفطير - ويسمى عند الغرب Easter - كان لذكرى الخروج العظيم الذي أكمله الله للشعب الأسير في مصر. أمَّا عيد المظال فكان تذكاراً للغربة والتيه الذي عاشه الشعب في برية سيناء، لذلك يعملون الخيام من أغصان الشجر بأوراقها فيها لكي يتذكر الشعب العراء الذي عاشوا فيه أربعين سنة. ولكن للأهمية فإن عيد المظال يحتفل الشعب فيه بكل مراحم الله التي عملها لشعب إسرائيل.

(١) استعنت في شرح مقدّمة مزامير الحجاج Pilgrim Psalms بكتاب: P. Drijvers ولكن عيب دريفرز أنه لم يجعل لمزامير المصاعد كياناً منفرداً بل جعلها ضمن مجموعة مزامير الحجاج عامة.

أمَّا عيد الخمسين فيخصّص لتذكار نزول الشريعة على جبل سيناء هناك قديماً جدًّا.

فالحجاج الذين يحضرون هذه الأعياد بأدعيتهم وتوسلاتهم يترسَّخ في ذهنهم انتماؤهم لله أولاً، ثمَّ انتماؤهم لهذا الشعب الذي عانى المسيرة في البرية ودخل أرض كنعان باعتباره شعب الله المختار. فبهذه الاحتفالات التذكارية الحياتية وتكرارها المستمر كل سنة يترسَّخ في ذهن الأفراد والشعب قوة الرباطات التي جمعتهم وحافظت عليهم بقوة عالية ومعجزات ذراع الرب، وتأجج روابط المحبة.

ويأتي مزمور ٥٥ البديع يصف هذه الألفة والمعزّة والمحبة والصداقة هكذا:

مز ٥٥: ١٢: «لأنه ليس عدو يعيرني فأحتمل، ليس مبغضي تعظم عليَّ فأختبئ منه،
١٣: بل أنت إنسان عديلي، إلفي وصديقي
١٤: الذي معه كانت تحلو لنا العشرة! إلى بيت الله كنا نذهب في الجمهور!».

وكذلك مزمور ١٣٣ كله:

مز ١٣٣: ١: «هوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الإخوة معاً!
٢: مثل الدهن الطيِّب على الرأس، النازل على اللحية، لحية هارون، النازل إلى طرف ثيابه.
٣: مثل ندى حرمون النازل على جبل صهيون. لأنه هناك أمر الرب بالبركة، حياة إلى الأبد».

وكذلك مزمور ١٣٤ كله:

مز ١٣٤: ١: «هوذا باركوا الرب يا جميع عبيد الرب، الواقفين في بيت الرب بالليالي.
٢: ارفعوا أيديكم نحو القدس وباركوا الرب.
٣: يباركك الرب من صهيون، الصانع السموات والأرض!»

مز ٤٢: ٤: «هذه أذكرها فأسكب نفسي عليَّ. لأني كنت أمرُّ مع الجُمَّاع (الشلة) أتدرَّج معهم إلى بيت الرب بصوت ترنم وحمد، جمهور معيِّد.
٥: لماذا أنتِ منحنية يا نفسي؟ ولماذا تئنين فيَّ؟ ارتجي الله، لأني بعد أحمده لأجل خلاص وجهه».

إذ يتهيَّأ للإنسان السائر في وسط الجماعة معيِّداً مسبحاً سامعاً بكل أعمال الله، يتهيَّأ له أن كل الوجود على الأرض إنما يأخذ كيانه وزمانه وثباته من نعمة الله.

وكان الإسرائيليون يعيشون مع قضاتهم وجهاً لوجه يسمعون ويشتكون ويجاوبون من فم الرب

على يد الأنبياء:

+ «وقضى صموئيل لإسرائيل كل أيام حياته، وكان يذهب من سنة إلى سنة ويدور في بيت إيل والجلجال والمصفاة ويقضي لإسرائيل في جميع هذه المواضع.» (١صم ٧: ١٥و١٦)

وهكذا كان الحجاج الآتون إلى أُورشليم ينجزون حاجاتهم القضائية ويكتسبون معرفة قوانينهم، وكانت تُقام تسابيح الشكر وتمتد من أجل هؤلاء حينما يجتمعون حول هيكل الرب.

وفي هذه المناسبات يقوم الكهنة بتقديم المعرفة المتعددة حسب الناموس ومن تاريخهم الشعبي. يجاوبون على كل الأسئلة التي يتقدَّم بها الحجاج ويشرحون لهم أمورهم وحاجاتهم ومشاكلهم، خاصة من جهة التحفُّظ حسب قوانين الشريعة، كما جاء في التثنية:

+ «إذا عسر عليك أمر في القضاء بين دم ودم أو بين دعوى ودعوى أو بين ضربة وضربة من أمور الخصومات في أبوابك، فقم واصعد إلى المكان الذي يختاره الرب إلهك. واذهب إلى الكهنة اللاويين وإلى القاضي الذي يكون في تلك الأيام. واسأل فيخبروك بأمر القضاء. فتعمل حسب الأمر الذي يخبرونك به.» (تث ١٧: ٨-١٠)

لذلك كانت مسرَّة عظيمة على الأفراد أن يذهبوا إلى بيت الرب ليسمعوا ويتعلَّموا. وصدق القول في المزمور (١٢٢):

«فرحت بالقائلين لي: إلى بيت الرب نذهب.
تقف أرجلنا في أبوابك يا أُورشليم.
أُورشليم المبنية كمدينة متصلة كلها.
حيث صعدت الأسباط، أسباط الرب شهادة لإسرائيل ليحمدوا اسم الرب.
لأنه هناك استوت الكراسي للقضاء، كراسي بيت داود.
اسألوا سلامة أُورشليم: ليسترِح محبوكِ.
ليكن سلام في أبراجك. راحة في قصورك.
من أجل إخوتي وأصحابي لأقولن: سلام بكِ.
من أجل بيت الرب إلهنا ألتمس لك خيراً».

ولا يمكن أن ننسى ذهاب المسيح إلى أُورشليم قبل الفصح (يو ١١: ٥٥ و٥٦).

ويقول إرميا النبي: «قوموا فنصعد إلى صهيون إلى الرب إلهنا، لأنه هكذا قال الرب» (إر ٣١: ٦

و٧). وزكريا النبي يذكر حتمية صعود الأُسر إلى أُورشليم للصلاة والتوسُّل بعد عيد الحصاد حتى يُنزل الله المطر وإلاَّ فهو لن يُنزل!

+ «ويكون أن كل مَنْ لا يصعد من قبائل الأرض إلى أُورشليم ليسجد للملك رب الجنود لا يكون عليهم مطر.» (زك ١٤: ١٧)

ويحكي المزمور عن الأرض التي ارتادتها أرجل الصاعدين من الحجاج فيقول:

مز ٨٤: ٦: «عابرين في وادي البكاء (Beca) يصيِّرونه ينبوعاً. أيضاً ببركات يُغطُّون مُورة».

ويضيف المزمور كيفية ترحيب الكهنة واللاويين للحجاج الآتين والكل بالسرور والفرح والشوق لبيت الرب:

مز ٨٤: ١: «ما أحلى مساكنك يا رب الجنود.
٢: تشتاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرب. قلبي ولحمي يهتفان بالإله الحي.
٣: العصفور أيضاً وجد بيتاً والسنونة عشاً لنفسها حيث تضع أفراخها.
٤: مذابحك يا رب الجنود ملكي وإلهي.
٥: طوبى للساكنين في بيتك أبداً يسبِّحونك. سلاه».

فيرد عليهم الكهنة:

مز ٨٤: ٥: «طوبى لأُناس عزّهم بك. طرق بيتك في قلوبهم».

ويعود اللاويون ينصحون الحجاج الآتين بواجب العبادة وزيارة بيت الله:

مز ٢٤: ٣: «مَنْ يصعد إلى جبل الرب؟ ومَنْ يقوم في موضع قدسه؟
٤: الطاهر اليدين، والنقي القلب، الذي لم يحمل نفسه إلى الباطل ولا حلف كذباً.
٥: يحمل بركة من عند الرب، وبراً من إله خلاصه.
٦: هذا هو الجيل الطالبه، الملتمسون وجهك يا يعقوب. سلاه».

كذلك مزمور ١٥ يتحدَّث عن واجبات الإنسان اللائقة للعبادة في حوار لطيف بين النفس والله، وهي مناجاة للنفس أمام الله:

مزمور ١٥ كله:

مز ١٥: ١: «يا رب مَنْ ينزل في مسكنك، مَنْ يسكن في جبل قدسك

٢: السالك بالكمال والعامل الحق والمتكلّم بالصدق في قلبه.

٣: الذي لا يشي بلسانه ولا يصنع شرًّا بصاحبه ولا يحمل تعييراً على قريبه

٤: والرذيل محتقر في عينيه. يكرم خائفي الرب. يحلف لقريبه ولا يخلي به (سبعينية).

٥: فضته لا يعطيها بالربا ولا يأخذ رشوة على البريء. الذي يصنع هذا لا يتزعزع إلى الدهر».

أمّا في مزمور ٩١ فنرى مزموراً يخص الملك يحج إلى بيت الله وفيه نسمع حواراً بديعاً بين الكهنة وهذه الشخصية الكبيرة جدًّا، ويقسم المزمور إلى:

(١ و ٢): اعتراف الحجاج.

(٣ - ٨): وعد الله على لسان الكهنة للحفظ والعناية.

(٩ أ): اعتراف آخر للحاج.

(٩ب-١٣): وعد الله على لسان الكهنة بالحفظ والعناية، وفيها يدخل الملك إلى بيت الله.

(١٤-١٦): صوت الرب (الوعد الإلهي).

نص المزمور ٩١:

مز ٩١: ١: «الساكن في ستر العلي، في ظل القدير يبيت ∴.

٢: أقول للرب: ملجأي وحصني إلهي فأتكل عليه

٣: لأنه ينجّيك من فخ الصياد ومن الوبإ الخطر ∴.

٤: بخوافيه يظلّلك. وتحت أجنحته تحتمي. ترس ومجن حقّه.

٥و٦: لا تخشى من خوف الليل ولا من سهم يطير في النهار ∴. ولا من وبإ يسلك في الدجى ولا من هلاك يُفسد في الظهيرة.

٧: يسقط عن جانبك ألف، وربوات عن يمينك. إليك لا يَقْرُب.

٨: إنما بعينيك تنظر، وترى مجازاة الأشرار.

يكمّل الحجاج:

٩ (أ): لأنكَ أنتَ يا رب ملجأي (حسب السبعينية).

يرد الكهنة:

٩ (ب): جعلتَ العليّ مسكنكَ.

١٠: لا يلاقيك شرٌّ، ولا تدنو ضربة من خيمتك

١١: لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك. (وهنا تتكشف الشخصية

الكبيرة جدًّا أنه بالنبوّة هو المسيح).

١٢: على الأيدي يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك.

١٣: تطأ الأفعى وملك الحيات (كوبرا) وتدوس الأسد والتنين (السبعينية)

صوت الرب:

١٤: لأنه تعلّق بي أنجيه. أُرفّعه لأنه عرف اسمي.

١٥: يدعوني فأستجيب له. معه أنا في الضيق. أُنقذه أُمجّده.

١٦: من طول الأيام أُشبعه وأريه خلاصي».

أمّا المزمور ٩٥ فهو مزمور ينشده مجموعة من الحجاج يتقدّمون نحو الهيكل يطلبون الدخول:

مز ٩٥: ١: «هلم نرنّم للرب، نهتف لصخرة خلاصنا.

٢: نتقدّم أمامه بحمد، وبترنيمات نهتف له.

٣: لأن الرب إله عظيم، ملك كبير على كل الآلهة.

٤: الذي بيده مقاصير الأرض وخزائن الجبال له.

٥: الذي له البحر وهو صنعه ويداه سبكتا اليابسة»

وهنا يتدخّل **صوت** الكاهن ناطقاً بكلمات الله:

٦: هلم نسجد ونركع، ونجثو أمام الرب خالقنا

٧: لأنه هو إلهنا، ونحن شعبه مرعاه وغنم يده. اليوم إن سمعتم **صوته**

٨: فلا تقسوا قلوبكم، كما في مريبة مثل يوم مسّة في البرية.

٩: حيث جرّبني آباؤكم. اختبروني. أبصروا أيضاً فعلي.

١٠: أربعين سنة مقت ذلك الجيل. وقلت هم شعب ضال قلبهم وهم لم يعرفوا سبلي.

١١: فأقسمت في غضبي لا يدخلون راحتي».

وهنا يكون الحجاج قد أكملوا في كل ما سبق من المزامير الاستعداد اللائق لدخول بيت الله وقد تأججت مشاعرهم وصار لهم الإيمان الصادق والخضوع لله. والآن يمكنهم أن يدخلوا حيث التسبيح!

مزمور ١٠٠ مزمور حمد:

تسبيح ودعوة للدخول:

١و٢: «اهتفي للرب يا كل الأرض .:. اعبدوا الرب بفرح. ادخلوا إلى حضرته بترنم».

توعية من الكاهن:

٣: اعلموا أن الرب هو الله هو صنعنا، وله نحن شعبه وغنم مرعاه.

قبولهم في الهيكل:

٤: ادخلوا أبوابه بحمد، دياره بالتسبيح. احمدوه، باركوا اسمه.

هتاف جماعة الحجاج وهم داخلون الهيكل:

٥: لأن الرب صالح، إلى الأبد رحمته وإلى دور فدور أمانته».

مزمور ١٢١:

لحاج ذاهب إلى بيت الله ليفرج الله عن ضيقته.

الحاج يرفع عينيه إلى فوق:

١: «أرفع عيني إلى الجبال من حيث يأتي عوني .:.

٢: معونتي من عند الرب، صانع السموات والأرض،

دعاء الكاهن:

٣: لا يدع رجلك تزل لا ينعس حافظك .:.

٤: إنه لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل.

٥: الرب حافظك. الرب ظل لك عن يدك اليمنى.

٦: لا تضربك الشمس في النهار ولا القمر في الليل.

٧: الرب يحفظك من كل شر. يحفظ نفسك.

٨: الرب يحفظ خروجك ودخولك من الآن وإلى الدهر».

ومزمور ٧٨ يكشف لنا عن نظام التعليم الهيكلي للشعب حيث يجتمع الحجاج حول الكهنة واللاويين الذين يعلّمونهم الشريعة ويدرِّبونهم على العبادة وواجباتها، وهذه كلها حسب وصايا الرب: انظر (إش ٢:٣، لا ١٠:١١، ملا ٢:٧، حج ٢:١١). وقد جاءت مزامير كثيرة تفيد هذا التعليم مثل: ٥٠ و٧٨ و٨١ و١١٥ و١٣٤.

لذلك كانت هناك نداءات في الهيكل لكي يحضر الشعب إلى الهيكل ليتعلّم في مواسم التعليم.

وإليك مقتطفات من المزامير التي تشتغل بهذا الاتجاه:

مز ٧٨: ١: «اصغ يا شعبي إلى شريعتي. أميلوا آذانكم إلى كلام فمي

٢: أفتح بمثل فمي أذيع ألغازاً منذ القدم.

٣: التي سمعناها وعرفناها وآباؤنا أخبرونا».

مز ٥٠: ٧: «اسمع يا شعبي فأتكلّم، يا إسرائيل فأشهد عليك. الله إلهك أنا».

مز ١٩: ٧: «ناموس الرب كامل يرد النفس. شهادات الرب صادقة تصيِّر الجاهل حكيماً.

٨: وصايا الرب مستقيمة تفرح القلب. أمر الرب طاهر ينير العينين».

وفي أيام الحجاج عندما يأتي المساء كان على الحجاج أن يغادروا الهيكل، وكان ذلك في ميعاد ذبيحة المساء:

مزمور ١٣٤:

دعوة الكاهن للحجاج:

١: «باركوا الرب يا جمع عبيد الرب. الواقفين في بيت الرب بالليالي.

فيرد كهنة المذبح:

٢: ارفعوا أيديكم نحو القدس وباركوا الرب.

٣: يباركك الرب من صهيون الصانع السموات والأرض».

ثمَّ يعود الحجاج من أُورشليم إلى قراهم القريبة والبعيدة جماعات ووحداناً، يخرجون ويذهبون بالفرح ولسانهم يلهج بحب صهيون والبيت والله.

مزمور ٨٧: وهو مزمور ماسياني بالدرجة الأُولى ونقتطف منه:

مز ٨٧: ١: «أساساته في الجبال المقدَّسة.

٢: الرب أحبَّ أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب.

٣: قد قيل بكِ أمجاد يا مدينة الله. سلاه.

٥: ولصهيون يُقال: **هذا الإنسان وهذا الإنسان** وُلد فيها وهو العلي يثبتها الذي أسَّسها إلى الأبد» (القبطي).

ويذهب الحجاج عائدين وقلوبهم تلهج بأُورشليم وحب الله:

مز ٢٧ : ٤ : «واحدة سألت من الرب وإيَّاها ألتمس. أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي لكي
أنظر إلى جمال الرب وأتفرَّس في هيكلِهِ.
٨: لك قال قلبي: قلت اطلبوا وجهي. وجهك يا رب أطلب.
٩ (أ): لا تحجب وجهك عني!»

٤ – مزامير المصاعد[1]

لكي نحصل على الإحساس بعظمة المزامير وأهميتها، يلزم أن نعرف معناها، بل يلزم أن يتحرَّك القلب مع القراءة أو التسبيح مع إحساس العبادة ومخافة الله والشكر والدموع.

أمَّا التوصُّل إلى معرفة معاني المزمور وظروفه فيلزم لذلك البحث والاجتهاد. وبدء تاريخ دراسة معاني المزامير وبحثها وخاصة مزامير المصاعد كان في بداية القرن العشرين، ولقد قام علماء عظماء بالبحث في الليتورجيا اليهودية وحصلوا على نتائج مذهلة في بداية القرن العشرين وأهمهم:
Peters, St. John Thackery, Elbogen, Gunkel, Mowinckel, Snaith.

أمَّا نتائج أبحاث هؤلاء العلماء في المزامير فقد قام بعرضها العالِم A. R. Johnson

ومزامير المصاعد هي المزامير من ١٢٠ إلى ١٣٤ أي خمسة عشر مزموراً، وهي تكوّن مجموعة مميزة من المزامير شعراً وتدعى على حق بسالتر داخل بسالتر بمعنى كتاب تسبيح داخل كتاب تسبيح!

وفي الأيام القديمة كان يُضاف إليهم أحياناً المزمور ٨٤ - كما يرى العالِم ديرنبرج Derenbourg.

وقد أتاحت لنا مزامير المصاعد دراسة مبهجة وملهمة كفرصة نادرة في حياتنا. وسيان إن كان في وضعها الليتورجي في العهد القديم كما يعلنه علماء التلمود، أو في وضعها المسيحي داخل ليتورجية الصلاة - فسوف نرى مقدار النفع الذي كان يتحصَّل عليه الرجل العبراني من التسبيح بهذه المزامير.

وليس صحيحاً أنها كانت تستخدم في الثلاثة أعياد الرئيسية، ولكن بالفحص والدراسة تأكّدنا أنها كانت خاصة بعيد الباكورات Bikkurim الذي كان عيداً للبهجة والفرح.

وليكن في ذهن القارئ أننا قمنا أساساً بتقديم هذه الدراسة والشرح بغاية واحدة هامة وهي أن يكون التسبيح بهذه المزامير خاصة في الأجبية عن فهم وشعور قلبي ودراية بظروف المزمور وقيمته في التسبيح.

ومزامير المصاعد الخمسة عشر مدوَّن ضمن عنوانها: "ترنيمة المصاعد" ويُعتقد أنه في وقت ما كانت مزامير المصاعد لها كتاب خاص بها له هذا العنوان. ولكن أهم ما يجب أن نعرفه هو أن هذه

(١) تمَّ الاستعانة في دراسة مزامير المصاعد بكتاب كوثبرت كيت:
Cuthbert C. Keet, *A Study of the Psalms of Ascents*, London, The Mitre Press, 1969.

المزامير بالذات لها وضع في الخدمة الليتورجية اليهودية.

ومن بين ما ذُكر بخصوص خدمة التسبيح بهذه المزامير الاعتقاد الواسع الانتشار أن هذه المزامير كانت مخصَّصة ليسبِّح بها اللاويون وهم وقوف على درجات الهيكل الخمسة عشر التي توصِّل بين باب نيكانور إلى رواق سليمان. ويؤكِّد هذا كتاب الـ Middoth العبري في المشناه(٢) والذي يتكرَّر فيه ذكر هذه المزامير أنها كانت تُستخدم في تسبيح اللاويين وقوفاً على درجات الهيكل في أول أيام عيد المظال Sukkoth ومرَّة أخرى يقولون إن هذه السلالم توصِّل بين رواق النساء ورواق إسرائيل.

وهناك شاهد آخر في كتاب Sukkah:

[وعدد لا يُحصى من اللاويين يلعبون على الهارب والليَر والكمبال والترمبت التي هي آلات الموسيقى المعروفة عند العبرانيين (ولم أشأ أن أترجمها لئلا يتصوَّر القارئ الآلات الحديثة المستخدمة عندنا الآن) وبقية آلات الموسيقى وهم على الخمسة عشر درجة الموصلة بين رواق النساء ورواق الإسرائيليين المقابلة للخمسة عشر مزموراً التي للمصاعد.](٣)

وهناك إشارة أخرى ولكن في قصة يبدو أنها غير واقعية أن داود الملك لمَّا رأى المياه تصعد في أُورشليم وخشي أن تدمِّر (الدنيا) كتب اسم الله على شقفة وطوَّحها في الماء فانخفض الماء، فابتدأ داود يرتِّل الخمسة عشر مزموراً التي للمصاعد وإذا الماء ارتفع مرَّة أخرى = المصاعد.

ولكن في تلمود أُورشليم تنعكس القصة أن داود عند حفر أساس أُورشليم وجد شقفة فخار قيل له أن هذه موضوعة لتضبط مستوى الماء حسب أمر الله في سيناء بأن المياه لها حدود، ولكن داود أخذ الشقفة وطرحها بعيداً فصعدت المياه إلى ارتفاع كبير فقدَّم أخيتوفل نصيحة لداود أن يُسبِّح الخمسة عشر مزموراً التي لداود، فلمَّا سبَّحها هبطت المياه، فسُمِّيت المزامير: "مزامير الصعود" أي المزامير التي قيلت بخصوص صعود المياه(٤).

وهناك قول آخر في القرن العاشر أن كلمة المصاعد هي خاصة بنغمة التسبيح أن ترتفع من مزمور لمزمور. وعلى هذا المستوى من الاجتهادات عدَّد العالِم كوثبرت ما لا يقل عن عشرين اجتهاداً لأكبر العلماء والآباء منهم أثناسيوس وأغسطينوس وثيودوريت وكلها تخمينات لا يسندها

(2) Cuthbert Keet, *op. cit.*, p. 2, Mishnah, *Middoth* ii. 5.
(3) *Ibid.*, p. 3.
(4) *Ibid.*, p.4.

أي برهان من داخل المزامير ولا من التاريخ.

وهكذا ارتأينا أن نقدِّم مختصراً لتصوُّرات كوثبرت أخيراً التي نستطيع أن نزكيها لبساطتها، وهي أن مزامير المصاعد لها وجود تاريخي مستوحى من سفر نحميا. وكلمة مصاعد تفيد درجات مرتفعة نحو المدينة أُورشليم حيث يؤيد ذلك (نح ٣:١٥، ١٢:٣٧):

+ «وباب العين رمَّمه شلون ابن كلحوزه ... وسور بركة سلوام عند جنينة الملك إلى **الدرج النازل** من مدينة داود.» (نح ٣:١٥)

+ «وعند باب العين الذي مقابلهم صعدوا على درج مدينة داود عند مصعد السور فوق بيت داود إلى باب الماء شرقاً.» (نح ١٢:٣٧)

هذا يوضِّح مناسبة مزامير المصاعد لهذه الدرجات الصاعدة إلى مدينة داود اللائق بجماعة الحجاج العائدين من السبي إلى مدينة داود بالفرح والتهليل وذكرى الدموع. هذه مجرَّد فكرة.

وعلى هذا الأساس قام العالِم Thrupp بدراسة إمكانية أن تكون هذه المزامير الخمسة عشر نشأت منذ نحميا عندما كان يبني سور أُورشليم ويمهِّد الطريق إليها، وهي تخص مدارج أو الدرجات الخمسة عشر، وأن هذا الكتاب الخاص بمزامير المصاعد كان يختص بالذين صنعوا هذه الدرجات وقاموا بالتسبيح بها لأنهم كانوا من العائدين من السبي(٥).

وقد قام العالِم هنجستنبرج(٦) ببحث طريف للغاية إذ وجد أن المزمور ١٢٧ يتوسَّط الخمسة عشر مزموراً التي للمصاعد سبعة مزامير قبله وسبعة مزامير بعده، ووجد أن كل مجموعة من هذه السبعات يتكرَّر فيها اسم الله ٢٤ مرَّة.

وربما يكون هذا الجزء من المزامير هو المعيَّن لبني إسرائيل للتسبيح به عند حضورهم للأعياد الثلاثة حسب الشريعة للذكور البالغين (خر ٢٣:١٤-١٧، تث ١٦:١٦).

على أن كلمة يصعد إلى أُورشليم موجودة بكثرة في التوراة:

+ «إذا عسر عليك أمر في القضاء ... فقم **واصعد** إلى المكان الذي يختاره الرب (أُورشليم بعد ذلك).» (تث ١٧:٨)

(5) Thrupp, *An Introduction to the Study and Use of the Psalms*, vol. II, p. 264.
(6) Hengstenberg, *Psalms*, vol. III, pp. 410,411, cited by Cuthbert Keet, *op. cit.*, p. 15.

+ «فسمع بنو بنيامين أن بني إسرائيل قد **صعدوا** إلى المصفاة ...» (قض ٣:٢٠)

+ «وكان هذا الرجل (ألقانة أبو صموئيل النبي) **يصعد** من مدينته من سنة إلى سنة ليسجد ويذبح لرب الجنود في شيلوه.» (١صم ٣:١)

ولنا في إشعياء صدى للذهاب في الأعياد بآلات التسبيح للتعييد في أُورشليم:

+ «تكون لكم أغنية كليلة تقديس عيد وفرح قلب كالسائر بالناي ليأتي إلى جبل الرب إلى صخر إسرائيل.» (إش ٢٩:٣٠)

كذلك لنا في مزمور آخر صدى لهذا التسبيح على درج أُورشليم بوضوح وكأنه يصف مزامير المصاعد:

+ «هذه أذكرها فأسكب نفسي عليَّ: لأني كنت أمر مع الجمَّاع **أتدرَّج معهم إلى بيت الله بصوت ترنم وحمد، جمهور معيِّد.**» (مز ٤:٤٢)

بل ولنا في المزمور الثالث من مزامير المصاعد نفسها (مز ١٢٢) صورة واضحة ساطعة للتسبيح بمزامير المصاعد على درج أبواب أُورشليم:

+ «فرحت بالقائلين لي إلى بيت الرب نذهب.
تقف أرجلنا في أبوابك يا أُورشليم
أُورشليم المبنية كمدينة متصلة كلها.
حيث صعدت الأسباط، أسباط الرب، شهادة لإسرائيل ليحمدوا اسم الرب.» (مز ١:١٢٢-٤)

ومن أوضح الأمور التي تنسجم مع إمكانية حفظ هذه المزامير لدى الشعب هي صغرها واحتواؤها على الفرح للفرحين والدموع للباكين، توضيحاً لمستوى الحياة العامة لدى الشعب الحاج إلى البيت.

ولكن النمط الذي سنسير عليه في شرح هذه المزامير كونها مزامير الحجاج الآتين إلى أُورشليم لتقديم الباكورات Bikkurim بحسب الناموس: (خر ٢٩:٢٢، ١٩:٢٣، ٢٦:٣٤)

+ «لا تؤخِّر ملء بيدرك (أي بكوراته) وقطر معصرتك وأبكار بنيك تعطيني» (خر ٢٩:٢٢)
+ «أول أبكار أرضك تحضره إلى بيت الرب إلهك ...» (خر ١٩:٢٣)
+ «أول أبكار أرضك تحضره إلى بيت الرب إلهك ...» (خر ٢٦:٣٤)

يأتي شرح مزامير المصاعد في الجزء الخاص بشرح المزامير.

٥ – مزامير الاحتفالات بتنصيب يهوه ملكاً
وذلك في "عيد يهوه"

تمهيد:

إن العالِم مونكل[1] هو صاحب نظرية أن المزامير التي تحتفل بملوكية يهوه هي أجزاء من ليتورجية احتفالات ما قبل السبي، التي يصير فيها تتويج يهوه سنوياً، وكلماتها توضِّح وتهيِّئ عينة من الرجاء الأخروي، وهذا يعني أن هذه المزامير يكون زمان تأليفها ما قبل السبي جميعاً.

وهي بحسب واقع المزامير تسابيح الله كملك، أو تسابيح لتأسيس المملكة.

فشعب إسرائيل قد تميَّز كونه لم يمارس فقط القرب من يهوه في اقتحامه التاريخ بصورة عملية واضحة للأمة، بل وأنهم قد تحقَّقوا من وجوده بينهم متوَّجاً! فتابوت العهد الذي كان علامة التحام الشعب بالله في تعهُّد دائم كان دائماً في وسطهم، حتى ولو كان مختفياً في قدس أقداسه، أو بجلاء ملموس في مواقع المعارك الحربية.

أهمية تابوت العهد كموضع لحلول الله:

فالحضور الإلهي كان يُعتبر أنه فوق التابوت، فوق وبين الكروبَين كما نصّ عليه التسجيل: «فأرسل الشعب إلى شيلوه وحملوا من هناك تابوت عهد رب الجنود ... وكان عند دخول تابوت عهد الرب إلى المحلة أن جميع إسرائيل هتفوا هتافاً عظيماً حتى ارتجت الأرض. فسمع الفلسطينيون صوت الهتاف فخاف الفلسطينيون لأنهم قالوا قد جاء الله إلى المحلة.» (١صم ٤:٤-٧)

وأول وصف حدَّد وجود الله في وسط الشعب كان كالآتي:

+ «وتجعل الغطاء على التابوت من فوق، وفي التابوت تضع الشهادة التي أعطيك، وأنا أجتمع بك هناك وأتكلَّم معك من على الغطاء من بين الكروبين اللذين على تابوت الشهادة بكل ما أوصيك به إلى بني إسرائيل.» (خر ٢٥: ٢١و٢٢)

(١) في قاموس تراجم العلماء يمتاز العالِم مونكل بتاريخ جيد جداً
Cross, *The Oxford Dictionary of the Christian Church*, 2nd ed; Oxford, 1974, p. 946.
وقد رجعنا إلى أبحاثه في كتابه: S. Mowinckel, *The Psalms in Israel's Worship*, Oxford, 1967.

ونقرأ في سفر العدد هكذا:

+ «فلمَّا دخل موسى إلى خيمة الاجتماع ليتكلَّم معه (مع الله) كان يسمع الصوت يكلِّمه من على الغطاء الذي على تابوت الشهادة بين الكروبَيْن فكلَّمه» (عد ٧:٨٩)

فكانت هذه هي الحضرة الإلهية التي أعطت التابوت صفته الخاصة السرائرية.

أمَّا وجود لوحي الشهادة اللذين أخذهما موسى من الله داخل التابوت فكانا باستمرار علامة إثبات أن يهوه حقًّا هنا. لذلك كان اسم التابوت يكني به عن اسم الله:

+ «وجمع داود أيضاً المنتخبين في إسرائيل (الشباب) ثلاثين ألفاً. وقام داود وذهب هو وجميع الشعب الذي معه من بعلة يهوذا ليُصعدوا من هناك تابوت الله **الذي يُدعى عليه بالاسم اسم رب الجنود الجالس على الكروبيم.**» (٢صم ٦: ١و٢)

وحينما كانوا يرفعون التابوت كانوا يقولون: «قم أيها الرب»، وحينما يضعون التابوت «استرح هنا أيها الرب». وعلى هذا الأساس يقول مزمور ٦٨: «يقوم الله يتبدَّد أعداؤه ويهرب مبغضوه من أمام وجهه.» (مز ٦٨:١)

وهكذا بإعطاء الله لشعب إسرائيل وجوده بينهم في التابوت تجسَّد في ذهنهم كيف يقولون فيكون «يقوم الله»، و«يحل الله». هذه الجرأة اللاهوتية التي استلمها شعب إسرائيل استلاماً واقعياً وفعلياً انتهت إلى تحقيقها تحقيقاً واقعياً منظوراً وملموساً ومعاشاً:

+ «الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه، ولمسته أيدينا، مِنْ جهة كلمة الحياةِ. فإن الحياةَ أُظهِرَتْ، وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهِرتْ لنا. الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به، لكي يكون لكم أيضاً شركةٌ معنا. وأمَّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح. ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً.» (١يو ١: ١-٤)

وهكذا كما تحقَّق لإسرائيل قرب الله إن بتابوت عهد الله بقيامه ومسيرته وجلوسه معهم أو بعمود النور (النار) وعمود السحاب، هكذا تحقَّق قرب الله بصورة شخصية متكلِّمة حيَّة ومنظورة.

ولقد أعطت هيبة التابوت الإحساس لدى الشعب بهيبة الله عن تحقيق، وعدم القدرة من الاقتراب إليه، فنسمع الشعب يقول:

+ «وقال أهل بيتشمس مَنْ يقدر أن يقف أمام الرب الإله القدوس هذا.» (١صم ٦:٢٠)

واعتبر بنو إسرائيل أن **التابوت هو موطئ قدمي الرب:**

+ «علّوا الرب إلهنا واسجدوا عند موطئ قدميه. قدوس هو.» (مز ٩٩:٥)

+ «هوذا قد سمعنا به في أفراتة. وجدناه في حقول الوعر. لندخل إلى مساكنه. لنسجد عند موطئ قدميه.» (مز ١٣٢: ٦و٧)

وليلاحظ القارئ أن **التابوت** في خيمة الشهادة أو في الهيكل، فأصبح الرب ساكناً في الهيكل، ومن يدخل الهيكل يدخل إلى مساكن رب الجنود، ومَنْ يسجد في الهيكل يسجد عند (التابوت) موطئ قدمي الرب.

كذلك لأنه يتكلَّم من بين الكروبيم ذوي الأجنحة استطاع المزمور أن يقول:

+ «ارحمني يا الله ارحمني لأنه بك احتمت نفسي، **وبظل جناحيك أحتمي** إلى أن تعبر المصائب.» (مز ٥٧:١)

+ «لأسكنن في مسكنك إلى الدهور، **أحتمي بستر جناحيك**. سلاه.» (مز ٦١:٤)

وليلاحظ القارئ أن المزمور منتبه لمفهوم ما يقول فهو لم يقل جناحي الرب بل الأول ظل جناحيك وفي الثاني ستر جناحيك كناية على أن الأجنحة ليست للرب بل للكروبيم والرب من بينها.

وفي القصة التالية الجميلة والمؤثِّرة ندرك ونتحقَّق معنى المزامير:

+ «وكان الصبي صموئيل (النبي) يخدم الرب أمام عالي ... وقبل أن ينطفئ سراج الله (السراج الذي يضيء خيمة الاجتماع) وصموئيل مضطجع في هيكل الرب الذي فيه تابوت الله، أن الرب دعا صموئيل فقال هأنذا (وأخطأ السمع)، وركض إلى عالي وقال هأنذا لأنك دعوتني. فقال لم أدعُ، ارجع اضطجع (لثلاث مرات وأخيراً فهم صموئيل من عالي أن الرب هو الذي يدعوه)، ... فجاء الرب ووقف ودعا كالمرات الأُول صموئيل صموئيل. فقال صموئيل تكلَّم يا رب لأن عبدك سامع» (١صم ٣: ١-١٤).

وأخبره الرب أنه قد نوى أن يتخلَّى عن عالي وبيته بل وعن إسرائيل. فالعمل الخطير الذي عمله الرب أنه سمح لأعداء إسرائيل أن يهزموا إسرائيل ويستولوا على التابوت الذي كان في وسطهم: فاسمع قول المزمور.

مز ٧٨:٥٨: «أغاظوه بمرتفعاتهم (حيث عبدوا آلهة الفلسطينيين) وأغاروه بتماثيلهم (التي أحضروها معهم من مصر).

٥٩: سمع الله فغضب ورذل إسرائيل جداً.
٦٠: ورفض مسكن شيلو (حيث كان عالي وصموئيل وتابوت الله) الخيمة التي نصبها بين الناس.
٦١: وسلّم للسبي عزّه (الفلسطينيون استولوا على تابوت عهد الله) وجلاله ليد العدو»

ونقرأها على القصة:

«وكان عند دخول تابوت عهد الرب إلى المحلة أن جميع إسرائيل هتفوا هتافاً عظيماً ... فخاف الفلسطينيون لأنهم قالوا قد جاء الله إلى المحلة (محلة الإسرائيليين) وقالوا ويل لنا ... مَنْ ينقذنا من يد هؤلاء الآلهة القادرين ... فحارب الفلسطينيون وانكسر إسرائيل وهربوا ... وكانت الضربة عظيمة جداً وسقط من إسرائيل ثلاثون ألف رجل وأُخذ تابوت الله، ومات ابنا عالي حفني وفينحاس» (١صم ٤: ٥-١١). هذا هو الذي عبَّر عنه المزمور البديع: «رفض مسكن شيلو (خيمة الاجتماع) وسلَّم للسبي عزّه (عندما استولى الفلسطينيون على تابوت عهد الله) وجلاله ليد العدو».

هذا هو التعبير الواقعي جداً عن كيف يوجد الله وسط شعبه حقاً وفعلاً إن ساروا في مخافة الله وعبدوه بالحق، وكيف يفرط في مسكنه ووجوده بينهم ويسلّمه ليد العدو إن هم خانوه.

ومن هذا يتبيَّن للقارئ أن المزامير تقوم على وقائع تاريخية حيَّة ثابتة في قلوب الشعب وذاكرتهم، وتُصوّر الحقائق الإلهية تصويراً ناطقاً مؤثراً ومؤدياً للغاية.

ولكن ليلاحظ القارئ مدى الاتجاه التعليمي الذي أراده الله للشعب حينما سمح للفلسطينيين بالاستيلاء على تابوت العهد الذي كان الشعب يوقّره كالله ويعبد الله فيه. فهذا العمل رفع من تصور الشعب أن خشب التابوت أو غطاءه ذو قيمة إذ جعله نهباً للأعداء، ليبقى المفهوم الإلهي أنه ليس التابوت ولا خيمة الاجتماع ولا الهيكل لهم أي قيمة روحية إلاَّ بوجود الله فيهم. والذي يتوقّف أساساً على مخافة الشعب لله وصدق عبادته وسلوكه. وهكذا نجح الله في رفع الإحساس الطوطمي الذي انغرس في طبيعة شعب إسرائيل منذ أن كان في مصر وما بعدها.

ولكن لم يدم الشعب تحت الإحساس بالله في وجود تابوت العهد، فتاريخ تابوت العهد كان كالآتي:

فمن بيت شمس كما عرفنا نزل إلى قرية يعاريم (١صم ٦).
ثمَّ نقله داود الملك من قرية يعاريم إلى جبل صهيون في مدينة داود غرب أُورشليم (٢صم ٦).

ثمَّ نسمع بعد ذلك أنه موجود في معركة إسرائيل مع العمونيين (٢صم ١١: ١١).
وأخيراً وضع سليمان الملك تابوت العهد في الهيكل الجديد بأُورشليم (١مل ٨).
وهذا آخر ما سمعناه عن تابوت العهد، فقد اختفى نهائياً من الأنظار والأسماع عندما تخرَّبت إسرائيل سنة ٥٨٧ ق.م.

ولكن أخبرنا المكابيون (٢مك ٢: ٤-٦) أن إرميا النبي أمره الرب بأن يأخذ تابوت العهد ومذبح البخور ويخفيهما في الجبل الذي صعد عليه موسى ليرى أرض الموعد ومات بعدها، فذهب إلى هناك ووجد مغارة محفورة في الصخرة فخبَّأهما فيها وسدَّ المغارة، ولكن ذهب من بعده قومٌ ليروا التابوت فلم يجدوه. وكان هذا آخر خبر سُمع به عن تابوت عهد الله.
بعد ذلك صار قدس الأقداس في الهيكل الجديد فارغاً لا يوجد داخله شيء بالمرَّة.
وهكذا انتهى الله في تعليمه للشعب أن لا يُطلب الله في أي شيء مادي.

ثمَّ جاء المسيح في حديثه للسامرية وأكمل الدرس: «يا امرأة صدِّقيني أنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل (جرزيم) ولا في أُورشليم تسجدون للآب» (يو ٤: ٢١)، ولكن إسرائيل لم يفهم الدرس، ولا الكنيسة قد فهمت الدرس، وإلى الآن تُصرف ملايين الدولارات في إنشاء الكاتدرائيات.

إنه في السماء سوف نرى الرمز معلناً لتابوت عهد الله: «وانفتح هيكل الله في السماء وظهر تابوت عهده في هيكله وحدثت بروق وأصوات ورعود وزلزلة وبَرَد عظيم.» (رؤ ١١: ١٩)

والمعروف في المزامير أن اسم الله المرافق لذكر التابوت هو «يهوه رب الجنود»، لهذا دُعيت المزامير التي تصاحب تابوت العهد في تحركاته بمزامير المواكب الإلهية أو مواكب تابوت عهد يهوه رب الجنود.

أمَّا المناسبة التي تسببت في كتابة مزامير مواكب تابوت عهد يهوه رب الجنود فكانت مناسبة تاريخية ذكرت في التاريخ المقدس والذي يشير إليها مزمور ١٣٢ وهو الخاص بنقل تابوت عهد الله من "قرية يعاريم" إلى جبل صهيون (٢صم ٦):

مزمور ١٣٢:

«اذكر يا رب داود، كل ذله ∴ كيف حلف للرب، نذر لعزيز يعقوب.
لا أدخل خيمة بيتي، لا أصعد على سرير فراشي ∴ لا أُعطي وسناً لعينيَّ ولا نوماً لأجفاني.
أو أجد مقاماً للرب، مسكناً لعزيز يعقوب ∴ هوذا قد سمعنا به في أفراتة. وجدناه في حقول الوعر.

لندخل إلى مساكنه لنسجد عند موطئ قدميه (التابوت).
قم يا رب إلى راحتك، أنت وتابوت عزّك .·. كهنتك يلبسون البر وأتقياؤك يهتفون.
من أجل داود عبدك لا ترد وجه مسيحك .·. أقسم الرب لداود بالحق لا يرجع عنه.
من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك .·. إن حفظ بنوك عهدي وشهاداتي التي أعلمهم إيَّاها.
فبنوهم أيضاً إلى الأبد يجلسون على كرسيك .·. لأن الرب قد اختار صهيون اشتهاها مسكناً له.
هذه هي راحتي إلى الأبد .·. ههنا أسكن لأني اشتهيتها.
طعامها أُبارك بركة، مساكينها أشبع خبزاً .·. كهنتها أُلبس خلاصاً وأتقياؤها يهتفون هتافاً.
هناك أُنبت قرناً لداود رتبت سراجاً لمسيحي .·. أعداءَه ألبس خزياً وعليه يُزهر إكليله.»

فكان تذكار هذه الحادثة التاريخية مقترناً بتمجيد ملوكية يهوه والتعييد باحتفال ذكرى الملك داود بآن واحد لتكون حدثاً لعيد تذكاري إلى الأبد.

وفي مزامير أخرى يظهر كيف أن يهوه كان على جبل صهيون في مدينة داود فوق رؤوس الجماعة المزدحمة، بينما كان تابوت العهد محمولاً على الأكتاف في احتفال مهيب (**مزمور ٦٨**):

مز ٦٨:١: «يقوم الله. يتبدَّد أعداؤه. ويهرب مبغضوه من أمام وجهه.
٢: كما يذرَى الدخان تذريهم، كما يذوب الشمع قدَّام النار يبيد الأشرار قدام الله.
٣: والصديقون يفرحون. يبتهجون أمام الله ويطفرون فرحاً.
٤: غنوا لله رنّموا لاسمه. أعدوا طريقاً للراكب في القفار، باسمه ياه، واهتفوا أمامه.
٧: اللهم عند خروجك أمام شعبك عند صعودك في القفر. سلاه.
٨ أ: الأرض ارتعدت، السموات أيضاً قطرت أمام وجه الله.
١٧: مركبات الله ربوات ألوف مكرَّرة. الرب جاء من سيناء إلى المكان المقدس. (مترجمة من الإنجليزية).
١٨: صعدت يا الله أعلى الجبل المقدس. قائداً الأسرى من خلفك. وقبلت العطايا بين الناس.
٢٤: مواكبك المهيبة تُرى يا الله. مواكب الله ملكي حتى الهيكل.
٢٥: من قدام المغنون ومن وراء ضاربو الأوتار. في الوسط فتيات ضاربات الدفوف.
٢٦: ليتبارك الله في الجماعة العظيمة. الرب يا إسرائيل نبع الله.
٢٧: هذا بنيامين الأخير بينهم هو في المقدّمة. ورئيس يهوذا في احتشادهم.

رؤساء زبولون ورؤساء نفتالي» (عن الإنجليزية).

وكان رأي العالِم دريفرز في هذا المزمور أنه من أصعب المزامير ترجمة ولكنه من أجمل المزامير معنىً وتعبيراً. وهو يتكلّم عن الموكب الذي احتفل فيه الشعب بالخلاص على يد الله، ويُحتفل بوجوده بين الشعب في صهيون بفرح، ويلقي النظرة إلى تجمع هائل عالمي من أسباط إسرائيل.

ولكن هذا المزمور لا تكتمل رؤيته الاحتفالية إلاَّ بالمزمور ٤٧ الذي يصف صعود التابوت لأورشليم:
مزمور ٤٧: ١و٥و٦: «يا جميع الأُمم صفّقوا بالأيادي، اهتفوا لله بصوت الابتهاج.
صعد الله بهتاف. الرب بصوت الصور.
رنّموا لله رنّموا. رنّموا لملكنا، رنّموا».

وأخيراً يبلغ الموكب إلى أبواب الهيكل حيث يقف الكاهن يتكلَّم والشعب صامت في الخارج:
(مز ٢٤: ٧ - ١٠) : «ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن، وارتفعن أيتها الأبواب الدهريات فيدخل ملك المجد
يرن الصوت من الداخل ليسأل: مَنْ هو هذا ملك المجد؟
فيجيب الشعب من الخارج: الرب القدير الجبار. الرب الجبار في الحروب.
ولكن الباب لا ينفتح فيتكرَّر الصوت: ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن وارفعنها أيتها الأبواب الدهريات ليدخل ملك المجد.
والسؤال من الداخل: مَنْ هو هذا ملك المجد؟
فيأتي الصوت من الخارج بلقب
الرب الكامل معلناً مجيء التابوت: رب الجنود هو ملك المجد (أي تابوت الرب).»(٢)

ولكن هذه الاحتفالات تظهر بصورة أكثر وضوحاً في مزمور (١٤٩) حيث لا يوجد سؤال عن مَنْ هو هذا رب المجد، ولا عن التابوت، "رب الجنود"، هذا هو رب المجد، ولكنها تسبحة بصحبة الموسيقى كجوقة لتُعلن حالة انتصار وباحتمال صفوف رقص من الذين يصعدون الجبل المقدَّس بصحبة ثلّة عسكر مدجَّجة بالسلاح.

فانتصار الرب على الأُمم يُحتفل به في هذه التسبحة، أمَّا مجد إسرائيل في هذه التسبحة فهو

(٢) هذه الاحتفالية تقوم بها الكنيسة القبطية ليلة عيد القيامة قبل بدء القداس كتمثيلية مأخوذة من الطقس اليهودي.

تقدم إسرائيل لمساعدة خطة الله لإقامة هذه المملكة بواسطة **غضب النخبة** - الأتقياء - الذي يماثل غضب الله:

مزمور ١٤٩:

+ «هللويا. غنوا للرب ترنيمة جديدة، تسبيحته في جماعة الأتقياء.
ليفرح إسرائيل بخالقه، ليبتهج بنو صهيون بملكهم.
ليسبِّحوا اسمه برقص، بدف وعود ليرنّموا له.
لأن الرب راض عن شعبه، يُجمِّل الودعاء بالخلاص.
ليبتهج الأتقياء بمجد، ليرنّموا على مضاجعهم.
لترتفع تسبحة الله في حناجرهم. (عن الترجمة الإنجليزية)
وسيف ذو حدَّين في يدهم.
ليصنعوا نقمة في الأُمم وتأديبات في الشعوب.
لأسر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حديد.
ليجروا بهم الحكم المكتوب. كرامة هذا لجميع أتقيائه. هللويا».

مزامير الاحتفالات بتنصيب يهوه ملكاً:

في معظم الاحتفالات بمواكب تابوت عهد الرب والمزامير الخاصة بها نجد أنها تنوّه إلى ملوكية الله وناموسه ومملكته. فبينما يهوه يُحتفل به في رمز تابوت العهد الحامل لحضرته، فإن الخلفية الأوسع هي مملكته وناموسه التي هي الآن في نمو وتهدف نحو الكمال بآن واحد.

فتوجد مزامير متخصِّصة تماماً في "مملكة يهوه" وهذه تسمَّى: **مزامير التتويج**، وهذا العنوان سوف نظهره بعد ذلك بأكثر وضوح ونستوفيه شرحاً.

وهذه المجموعة من المزامير تتبع من ناحية أدبها التسبيحي لمزامير التسبيح لمجد الله، وبها أجزاء تكاد تكون ترنيمة خالصة في طبيعتها، ربما أكثر من مزامير الاحتفالات التي تضج بالترنُّم والهُتاف.

وهذه المجموعة من المزامير تشمل مزامير ٩٦-٩٩ مع مزموري ٤٧ و٩٣.

وأهم ملامح هذه المجموعة هي:

١ - أنها تبدأ بصيغة الدعوة أو المخاطبة أو الأمر:

نماذج:

مز ٤٧: ١: «يا جميع الأُمم صفّقوا بالأيادي. اهتفوا لله بصوت الابتهاج ...
٢: لأن الرب عليٌّ مخوفٌ، ملكٌ كبيرٌ على كل الأرض»
مز ٩٧: ١: «الرب قد ملك! فلتبتهج الأرض ولتفرح الجزائر الكثيرة».
مز ٩٨: ١: «رنّموا للرب ترنيمة جديدة، لأنه صنع عجائب خلّصته يمينه وذراع قدسه
٤: اهتفي للرب يا كل الأرض، اهتفوا ورنموا وغنوا.
٥: رنّموا للرب بعود، بعود وصوت نشيد (لحن)
٦: بالأبواق وصوت الصور، اهتفوا عالياً قدَّام الملك الرب.» (الترجمة الانجليزية)

والدعوة أو الأمر هي دائماً لمجد الله وللفرح لاعتبار مملكة يهوه.

٢ - وبعد هذه البداية يدخل المزمور في **أوصاف الملك يهوه**، فيهوه يجلس متوّجاً بكل جلال الملوكية الذي يلهم الإعجاب، وهو مرتفع متسربل بالعظمة وممنطق بالمجد:

مز ٩٣: ١: «الرب قد ملك لبس الجلال. لبس الرب القدرة ائتزر بها. أيضاً تثبَّتت المسكونة لا تتزعزع.
٢: كرسيك مثبَّتة منذ القديم، منذ الأزل أنت.
٥: شهاداتك ثابتة جداً. ببيتك تليق القداسة يا رب إلى طول الأيام».

فالظلمة والسحاب تحيطه كرداء، كرسيه مؤسَّس على العدل والحق، هو يجلس على الشاروبيم عالياً ومرتفعاً، وهو ملك يحكم بجاه وعظمة وبسلطان لا حد له.

نماذج:

مز ٤٧: ٣: «يُخضع الشعوب تحتنا. والأُمم تحت أقدامنا.
٤: يختار لنا نصيبنا، فخر يعقوب الذي أحبَّه».

مز ٤٧: ٧: «**لأن الله ملك الأرض كلها**. رنّموا قصيدة.
٨: **ملك الله على الأُمم**. الله جلس على كرسي قدسه.
٩: شرفاء الشعوب اجتمعوا شعب إله إبراهيم.
١٠: لأن دروع الأرض هي للرب إنه عادل ومرتفع.» (الترجمة الإنجليزية)

ويتفق (مزمور ٧:٤٧) مع إشعياء (٥٢) هكذا:

+ «ما أجمل على الجبال قدمي المبشر المخبر بالسلام المبشِّر بالخير، المخبر بالخلاص. القائل لصهيون **"قد ملك إلهك"**. صوت مراقبيك يرفعون صوتهم يترنَّمون معاً لأنهم يبصرون عيناً لعين عند رجوع الرب إلى صهيون ... قد شمَّر الرب عن ذراع قدسه أمام عيون كل الأُمم فترى كل أطراف الأرض خلاص إلهنا.» (إش ٥٢: ٧و٨و١٠)

ويُلاحَظ هنا أن «قد ملك إلهك» تعني: "أن الرب قد ملك" في المزمور.

كذلك في المزامير: ١:٩٣، ١٠:٩٦، ١:٩٧، ١٠:٩٩ فتفيد أنه ملك. وهذا يتفق مع ما جاء في البداية في نشيد الخروج على فم موسى: «الرب يملك إلى الدهر والأبد» (خر ١٨:١٥).

٣ - ثمَّ يصف المزمور أعمال الله كملك:

لقد استعلن الله كملك سواء في طريقة خلاص الشعب أو في الخليقة. وبهذين اهتمت الليتورجيا العبرية مراراً وتكراراً. ومن هنا أخذت المزامير الخاصة باحتفالات يهوه وجلوسه على كرسيه عنصرها الهام الثالث: وهو أعمال الله التي تكشف وتُعلن عن ملوكية الله مثل الله مخلِّص إسرائيل.

النموذج:

مز ٢:٩٨: «أعلن الرب خلاصه، لعيون الأُمم كشف بره.

٣: ذكر رحمته وأمانته لبيت إسرائيل، رأت كل أقاصي الأرض خلاص إلهنا».

كذلك فالله هو الخالق لذلك هو يحكم ويثبِّت الأرض فلن تتزعزع.

مز ٣:٩٣: «الفيضانات يا رب الفيضانات رفعت صوتها (مترجمة من الإنجليزية).

٤: الفيضانات رفعت هيجانها. أقوى من رعود مياه كثيرة. أقوى من تيارات البحار. الرب في الأعالي قوي» (مترجمة من الإنجليزية).

والرب أعلن نفسه في عناصر الطبيعة في نمو وحفظ شعبه كملكهم وحاكمهم: صنع ذلك بأنه جاء وأقام بينهم، الأمر الذي احتفلوا به تكراراً كما كتبنا بدخول تابوته جبل صهيون في مدينة داود فاستعلنت مملكة يهوه وقُبلت كحقيقة في شريعة وصلوات إسرائيل، حينئذ نسمع النداء المتكرِّر أن "الله ملك" أو "قد صار ملكاً". هذا النداء بملوكية يهوه يتكرَّر خمس مرات في هذه المزامير.

٤ - تملُّك يهوه على الأرض كلها:

وتملُّك يهوه على إسرائيل قد احتُفل به كحقيقة حاضرة، بينما كان الشعب في نفس الوقت ينظر إلى الحقبة التي يمكن أن يشمل فيها التملُّك الأرض كلها. وهذا يكون هو العنصر الرابع في مزامير التتويج وهي النظرة العامة لكل العالم. وهنا يمكن أن نرى بوضوح تأثير الجزء الثاني من سفر إشعياء على هذه المزامير، فإن يهوه ملك كل الأرض، وكل أجيال الأرض يلزم أن تُسبِّح وتمجد يهوه، وجميع الأُمم ترتعد أمامه.

نماذج:

مز ٦:٩٧: «أخبرت السماوات بعدله، ورأى جميع الشعوب مجده.

٧: يخزى كل عابدي تمثال منحوت. المفتخرين بالأصنام. اسجدوا له يا جميع الآلهة.

٨: سمعت صهيون ففرحت وابتهجت بنات يهوذا من أجل أحكامك يا رب.

٩: لأنك أنت يا رب عليٌّ على كل الأرض. علوت جدًّا على كل الآلهة».

مز ٨:٩٦: «أعطوا للرب المجد اللائق به قدِّموا تقدمة وتعالوا إلى دياره. (مترجم عن الإنجليزية)

٩: اسجدوا للرب في زينة مقدَّسة. ارتعدي أمامه يا كل الأرض.

١٠: قولوا بين الأُمم: الرب قد ملك».

بل وتُصوِّر المزامير أن يهوه يأتي في الدينونة ليؤسِّس حكم الله على الأرض:

مز ١١:٩٦: «لتفرح السموات ولتبتهج الأرض، ليعج البحر وملؤه.

١٣: أمام الرب لأنه جاء. جاء ليدين الأرض، يدين المسكونة بالعدل والشعوب بأمانته».

موضوع يهوه ملك، وتنصيب يهوه ملكاً على شعب إسرائيل،
والله ملك على كل الأرض،
في اللاهوت والليتورجيات الإسرائيلية عن المزامير:

أول التحام بين الله يهوه وشعبه (الإنسان):

- أول مَنْ نطق بهذه الحقيقة اللاهوتية هو موسى في نشيد عبور البحر: **«الرب يملك»**:

+ «حتى يعبر شعبك يا رب، حتى يعبر الشعب الذي اقتنيته، تجيء بهم وتغرسهم في جبل ميراثك المكان الذي صنعته يا رب لسكنك المقدس الذي هيَّأته يداك يا رب، **الرب يملك** إلى الدهر والأبد.» (خر ١٥: ١٦-١٨)

- الله يحمي شعبه من الغدر وهو قائم في وسطه = **الرب ملك يحمي شعبه**: تجيء بعد ذلك نبوّة نبي وثني مُلهم بكلمات وضعها الله نفسه في فمه ليبارك إسرائيل: «**هتاف ملك فيه**»:

+ «إني قد أُمرت أن أبارك. فإنه قد بارك فلا أردّه، لم يبصر إثماً في يعقوب ولا رأى تعباً في إسرائيل. الرب إلهه معه، **وهتاف ملك فيه**.» (عد ٢٣: ٢٠و٢١)

- الرب يحارب عن شعبه:

+ «فقال الرب لموسى اكتب هذا تذكاراً في الكتاب وضعه في مسامع يشوع فإني سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء ... للرب حرب مع عماليق من دور إلى دور» (خر ١٧: ١٤ و١٦ب). **إذن فالرب ملك يحارب عن شعبه.**

- الرب يحكم شعب إسرائيل بنفسه، يتسلّط عليهم كملك:

+ «فقال لهم جدعون لا أتسلّط أنا عليكم ولا يتسلّط ابني عليكم، **الرب يتسلّط عليكم.**» (قض ٨:٢٣)

- النصرة باسم الرب:

+ «ومتى ضربت بالبوق أنا وكل الذين معي، فاضربوا أنتم أيضاً بالأبواق حول كل المحلة وقولوا **للرب** ولجدعون» (قض ٧:١٨)

- الله **يملك** على شعبه:

+ «فقال الرب لصموئيل اسمع لصوت الشعب في كل ما يقولون لك لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياي رفضوا حتى لا أملك عليهم.» (١صم ٨:٧)

+ «قلتم لي لا بل يملك علينا ملك **والرب إلهكم ملككم**.» (١صم ١٢:١٢)

هكذا نرى أن موضوع الله كملك ويملك على شعب إسرائيل أمر محقّق وثابت منذ بدء قيام شعب إسرائيل الذي تسمّى لذلك: بـ"شعب الله". وكان هذا أول تعبير مستيكي أو استعلاني عن بدء التحام الله مع الإنسان، الأمر الذي غمر شعب إسرائيل بمئات من المشاعر: الفرح، القوة، العزة، النصرة، الشجاعة، الافتخار، التأييد، الاطمئنان، السلام، الراحة، الثقة، الجسارة، الاندفاع، الاستبشار، الأمل، الرجاء.

فعلى هذه الحقائق الثابتة والمشاعر التي لا حد لها بملوكية الله عليهم وإحساسهم بأنه في وسطهم الله ملك، قامت جميع التصانيف الكتابية والمزامير والاحتفالات والأعياد الخاصة بالله أنه ملك،

ودخلت هذه في صميم ليتورجية العبادة والتسبيح في إسرائيل.

وهذا أمر عجيب في أعيننا أن يصنع شعب إسرائيل حفل تنصيب الله ملكاً عليهم ليجلس أخيراً على كرسيه غير المنظور في قدس أقداس الهيكل، باعتبار أن احتفال الشعب بمسيرة التابوت من قرية يعاريم محمولاً والسير به في البرية حتى يصلوا أورشليم ويصعدوا الجبل وتنفتح أبواب الهيكل ليدخل التابوت ويستقر في قدس الأقداس، إن هذا الاحتفال بالهتافات المدوية، واللعب بآلات الموسيقى والرقص، كان في حقيقته وفي صميم إحساسهم ووجدانهم أنه يهوه نفسه وليس التابوت، وهذا ما أراده الله لهم فعلاً في البداية، ولكنه بعد ذلك استطاع الله بتكتيكاته أن ينهي على التابوت بخراب أورشليم والهيكل، لكي يرفع عنهم الإحساس المادي بوجوده.

فاستقرّ الله في وجدانهم كملك يحيا بينهم، يدافع عنهم ويحميهم ويحارب عنهم بوضوح وعلانية، فابتدأ الاعتراف بملوكيته لهم يصير جزءاً من كيانهم وكل عبادتهم ووجدانهم.

واستطاع الإحساس اليهودي أن يعطي الملك الجديد المنصَّب عليهم نفس الإحساس بيهوه ملكهم، فكان تنصيب الملوك في كل مرّة كأنه تنصيب يهوه عليهم ملكاً من جيل إلى جيل في إطار عقيدة أنه «مسيح الرب».

وفي حادثة تنصيب يوآش ابن أخزيا ملكاً وهو طفل ابن سبع سنين ما يكشف قيمة الملك عند بني إسرائيل إذا مُسح بقرن الدهن باسم يهوه العظيم:

+ «وأخرج (يهوياداع الكاهن) ابن الملك ووضع عليه التاج وأعطاه الشهادة **فملّكوه ومسحوه وصفّقوا** وقالوا ليحيي الملك.» (٢مل ١١:١٢)

وبهذا التنصيب الملكي لكثير جدًّا من الملوك، ارتفع الشعب إلى الإحساس بيهوه أنه نُصِّب ملكاً عليهم. وكرّروا هذه الاحتفالات على نمط الاحتفال بالملوك لتكريم يهوه ولتثبيت عهدهم معه. وكانت الاحتفالات تُصنع داخل الهيكل بنفس أسلوب تنصيب الملوك: فيحدث داخل الهيكل حفلة تنصيب يهوه ويعدّوا الملابس الملوكية بأصوات الأبواق وبتهليل الفرح وتقديم الولاء من كل أعضاء الدولة والجيش والوزراء والمدنيين وكل ذي مكانة(٣).

(3) Drijvers, *op. cit.*, p. 175.

وبناء على ذلك استنتج العالِم النرويجي الشهير س. ماونكل(٤) أنه كان هناك عيد سنويٌّ مكرَّرٌ لتنصيب يهوه ملكاً وكان ذلك **في أول أيام شهر تشري**، وكان هذا هو يوم رأس السنة الجديدة وكان يقع قبل عيد المظال: [انظر أول تنصيب لخيمة الاجتماع وترتيب كل أدواتها حسب تدبير الله وتوجيهه لموسى، وكان ذلك في اليوم الأول من الشهر الأول للسنة العبرية].

وهكذا كان يهوه يُنصَّب ملكاً من سنة إلى سنة، وهكذا صار هناك خلفية حيَّة من الطقوس وراء مزامير التتويج أو التنصيب وحفلات ومواكب التنصيب.

غير أن هناك قضية هامة جداً من جهة حفلات تنصيب يهوه ملكاً على إسرائيل، لأننا نجدها تمتد وتشمل مُلكاً على كل الشعوب وكل الأُمم وكل الأرض، فأخذت الكيان "الأخروي" وتلوَّنت المزامير بهذه الصورة الأخروية وأخذت شكل "إمبراطورية المستقبل" من داخل حفلات التنصيب نفسها(٥).

وجدير بالملاحظة جداً أن هذا الإحساس الأخروي بتملُّك يهوه على كل أُمم الأرض في شكل إمبراطورية عالمية، تكون إسرائيل طبعاً في قلبها بل وأساسها، ظلَّ متوارثاً في إحساس الشعب حتى اليوم، حتى وبعد السبي الشامل وتشتيتهم في كل أنحاء الأرض، لا يزالون متشبِّثين بالتراث الإلهي الذي ورثوه.

وهذا الإيمان الراسخ الذي لا يزال يشد أزرهم حتى اليوم نجد أصوله الأُولى في وصف عملية رفع تابوت عهد الرب من مدينة داود التي هي صهيون في الشهر السابع وإدخاله الهيكل بأُورشليم وذلك في سفر الملوك الأول (٨و٩).

+ «حينئذ جمع سليمان شيوخ إسرائيل وكل رؤساء الأسباط رؤساء الآباء من بني إسرائيل إلى الملك سليمان في أُورشليم لإصعاد تابوت عهد الرب من مدينة داود (على جبل صهيون) هي صهيون ... في شهر أيثانيم وهو الشهر السابع ... وحمل الكهنة التابوت وأصعدوا تابوت الرب وخيمة الاجتماع مع جميع آنية القدس التي في الخيمة ... وأدخل الكهنة تابوت عهد الرب إلى مكانه في محراب البيت في قدس الأقداس إلى تحت جناحي الكروبين ... لم يكن في التابوت إلاَّ لوحا الشهادة (الحجر) اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب **حين**

(4) *Ibid.*
(5) *Ibid.*

عاهد الرب بني إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر. وكان لمَّا خرج الكهنة من القدس: **أن السحاب ملأ بيت الرب ولم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب لأن مجد الرب ملأ بيت الرب.**» (١مل ٨: ١-١١)

وصلَّى سليمان صلاة طويلة جداً. «وحينئذ تكلَّم سليمان، قال الرب إنه يسكن في الضباب!»

وكان أن الرب تراءى لسليمان ثانية كما تراءى له في جبعون. وقال له الرب: «قد سمعت صلاتك وتضرعك الذي تضرَّعت به أمامي. قدَّست هذا البيت الذي بنيته (أنت) لأجل وضع اسمي فيه إلى الأبد وتكون عيناي وقلبي هناك كل الأيام».

وقد سُمِّي هذا اليوم "العيد الملكي لصهيون"(٦) وهو ما سبق أن قاله الرب لموسى تماماً في سفر الخروج:

+ «ففعل موسى بحسب كل ما أمره الرب هكذا فعل. وكان في الشهر الأول من السنة الثانية في أول الشهر (رأس السنة) أن المسكن أُقيم ... وأقام الدار حول المسكن والمذبح ووضع سجف باب الدار وأكمل موسى العمل. **ثمَّ غطَّت السحابة خيمة الاجتماع وملأ بهاء الرب المسكن. فلم يقدر موسى أن يدخل خيمة الاجتماع لأن السحابة حلَّت عليها وبهاء الرب ملأ المسكن.** وعند ارتفاع السحابة عن المسكن كان بنو إسرائيل يرتحلون في جميع رحلاتهم. وإن لم ترتفع السحابة لا يرتحلون إلى يوم ارتفاعها. لأن سحابة الرب كانت على المسكن نهاراً وكانت فيها نار ليلاً أمام عيون كل بيت إسرائيل في جميع رحلاتهم.» (خر ٤٠: ١٦-١٧، ٣٣-٣٧)

وكأن الله كان يقود موسى والشعب بنفسه طوال هذه الرحلة أربعين سنة مرافقاً لهم ومدبِّراً لقيام الشعب والارتحال وجلوس الشعب للراحة. وظلال السحابة ترفع عنهم ثقل الشمس وحر النهار، والنار في السحابة تعطي النور والدفء. أمر مذهل للعقل.

ولم يحرم الله نبيًّا عظيماً كإشعياء من أن تكتحل عيناه بهذه الرؤية عينها عن نظر الرب نفسه وهو جالس على كرسي مجده وسط تقديسات الساروفيم وملء الدخان (الضباب):

+ «في سنة وفاة عزيَّا الملك رأيت السيد **جالساً على كرسي عالٍ ومرتفع** وأذياله تملأ الهيكل.

(6) Drijvers, *op. cit.*, p. 175.

السرافيم واقفون فوقه (من فوق أفضل) لكل واحد ستة أجنحة باثنين يغطّي وجهه وباثنين يغطّي رجليه وباثنين يطير. وهذا نادى ذاك (أنتيفونا) وقال قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض. فاهتزَّت أساسات العتب من صوت الصارخ **وامتلأ البيت دخاناً.**» (إش ٦: ١-٤)

وكأنما قول سليمان الملك صحيح حين قال: «قال الرب إنه يسكن في الضباب». والنص عجيب ومن فم الرب: «وقال الرب لموسى: كلِّم هارون أخاك أن لا يدخل كل وقت إلى القدس داخل الحجاب أمام الغطاء الذي على التابوت لئلاَّ يموت **لأني في السحاب أتراءى على الغطاء.**» (لا ١٦: ٢)

وظلَّ اليوم المسمَّى "العيد الملكي لصهيون" يُعمل به، حتى في السبي أقاموه بكل شكله الأول. هكذا يقول كراوس العالِم الألماني[٧].

ونحن لو راجعنا مزمور (٤٧) فإننا نلمس بشدة تشبّث العقيدة الملكية ليهوه أنها تمتد إلى الإمبراطورية العالمية بوثوق وتهليل واعتزاز لأن إسرائيل عليها تسود:

+ «يا جميع الأُمم صفّقوا بالأيادي. اهتفوا لله بصوت الابتهاج
لأن الرب عليّ مخوف. ملك كبير على كل الأرض.
يُخضع الشعوب تحتنا، والأُمم تحت أقدامنا.
يختار لنا نصيبنا. فخر يعقوب الذي أحبَّه (أرض الميراث). سلاه.
صعد الله بهتاف. الرب بصوت الصور.
رنّموا لله، رنّموا. رنّموا، لملكنا، رنّموا.
لأن الله ملك الأرض كلها، رنّموا قصيدة.
ملك الله على الأُمم. الله جلس على كرسي قدسه.
شرفاء الشعوب اجتمعوا. شعب إله إبراهيم لأن لله مجان الأرض. هو متعالٍ جداً».

وهذا المزمور مع مزامير ٩٣، ٩٦-٩٩ يحملون مفهوم الإسخاتولوجيا في موضوع إمبراطورية يهوه على كل أُمم الأرض وإسرائيل فوق رؤوسها.

(7) Kraus, H. J., *Psalmen*, Psalm 24, pp. 197-205, cited by Drijvers, p. 175, 225.

وهذا المزمور مع بقية المزامير المماثلة تتمسَّك بإسخاتولوجية المعنى أكثر من تمسُّكها بتاريخ تملُّك يهوه على إسرائيل. وحينما يقول المزمور:

+ «لأن الله ملك الأرض كلها. رنّموا قصيدة. ملك الله على الأُمم. الله جلس على كرسي قدسه. شرفاء الشعوب اجتمعوا»:

هنا ينتهي المزمور بالنظرة الإسخاتولوجية دون أن يعيها إلى ملء الكنيسة[٨] التي تحمل في كيانها جزءاً حتميًّا من التراث الإسرائيلي المتنصِّر.

وفي هذه الحالة كما يقول العالِم ويزر تكون النظرة التاريخية والنظرة الإسخاتولوجية في الليتورجيا للمزمور قد توحَّدت داخل الليتورجيا وصارت حقيقة زمانية واقعة يقام لها العيد ويقدّم لها التسبيح والتهليل والرقص.

فالمزمور (٤٧) يحقّق زمانياً حالة امتداد ملك الله على كل العالم بشعوبه وممالكه كعقيدة وإيمان حاضر داخل الليتورجيا وبحضور الله الذي يُسبَّح له! ذلك حسب العالِم ويزر. بحيث لو رفعنا هذا الاتجاه الأُخروي في ملك الله على كل العالم بأممه وشعوبه الذين يجعلهم الله جميعاً تحت أقدام بني إسرائيل لبطل الإيمان بجملته بيهوه وبأرض الميعاد والشعب المختار وبالليتورجيا وبالتسبيح عامة.

وهكذا نرى أيضاً مع العالِم درايفرز أن ليتورجية إسرائيل تقوم على الحاضر الزمني المؤسَّس على الماضي المسجَّل في التوراة، وهو يمتد ليشمل المستقبل دون أي انفصال أو نشاز، باعتبار أن عهد الله بحسب أصوله وفروعه هو الذي أسس ودعَّم هذه الليتورجيا باتجاهاتها الزمنية الثلاثة، الماضي والحاضر والمستقبل الذي هو الإسخاتولوجيا بكل مشتملاتها. فجيل إسرائيل في كل زمان يرى نفسه قطعة لا تتجزأ من الماضي بكل تراثه ولاهوته وزخمه الإلهي الحاضر دائماً، ويرى نفسه في صميم الامتداد الأُخروي الآتي مهما عاكسه الزمن. فيهوه الذي هو "الآن" ملكهم، ولو أنهم في السبي والمنفى، هو نفسه ملك الأرض كلها بكل شعوبها وبآن واحد، وجيلهم ليس فقط جزءاً من هذه الإسخاتولوجية بل في قمتها[٩].

والآن في هذا المفهوم المتزاحم بالمعاني والامتدادات في الماضي والحاضر والمستقبل تحكي لنا

(8) Artur Weiser, *The Psalms, A Commentary*, p. 375.
(9) Drijvers, p. 176.

المزامير قصة تصيغها بالروح والوحي عن تمليك الله يهوه والاحتفالات بكيانها الماضي والحاضر والآتي. فالله الحاضر كقول العالِم درايفرز ومملكته الممتدة عبر الزمن في ماضيه وحاضره ومستقبله هو هدف الروح والوحي في مزامير تنصيب يهوه ملكاً.

أمّا الرؤية العالية لهذه المزامير بتاريخها الممتد وما تشمله من استعلانات فهي في مضمونها النهائي تصوّر علاقة الله بالإنسان حيث يقترب الله جداً من الإنسان، والقاعدة التي تتحكّم في هذه الليتورجيات جميعاً هي أن البشرية منجذبة ومدعوة أن تجتمع في ألفة لكي تليق بالشركة مع الله. وهنا يبرز دور الكنيسة ومعناها وعملها.

أمّا المضمون الإلهي فيما يخص الله من هذه المزامير، فهو أن الله ملك، هذه حقيقة ثابتة أزلية وأبدية، ولكنه يستعلن نفسه بالتدريج الزمني والروحي إلى الإنسان، وهذا الاستعلان هو هو الذي ينشئ في الإنسان الإيمان والرؤيا والاستعداد الروحي.

وبشيء من التدقيق نرى هذا التدرُّج البطيء الثابت في استعلان الله لشعب إسرائيل، فيهوه كان هو الملك المخلِّص والمنجد والمنقذ لشعب دون هوية في مصر مستعبد فاقد كيانه ومستقبله، فتدخَّل الله وبدأ يكوِّن هذا الشعب لنفسه ويثبت واقعه إزاء أقوى دولة في ذلك الزمان، ويجعلها تدخل كأمة ليهوه مهما كان الزمان والحاضر المعاكس. فنصرتها تحدَّدت يوم تحدّت مصر وغلبت. على أن ملوكية الله ليست محدَّدة بأصول زمانية أو إنسانية، فهي تقدم على الأمانة والعدل والحق. هذا ما يقوله الأنبياء وتردِّده المزامير. وبهذه القوة الملكية سوف يملك الله على الأرض والممالك أخيراً وبالتأكيد.

فإن تعثرت المسيرة الإلهية في العالم فهذا معناه بالضرورة أنها لا تقوم على عوامل زمانية، وأن عالم الله هو عالم جديد! والمطلوب دائماً أبداً أن يُسبَّح له **تسبحة جديدة**. وهذا العالم الجديد يعيش فيه الإنسان الجديد في كامل شركته مع يهوه الملك الذي سُرَّ بأن يملك على الإنسان الجديد الخائف والتقي والعابد لله. هذا ما نراه نحن المسيحيين بكل وضوح كون الله تدخَّل في صميم حلقة الإنسان بميلاد المسيح ابن الله وموته وقيامته حاملاً الإنسان الجديد ليحيا معه في جدة الحياة الأبدية. وأصبح مفهوم مملكة الله هو مفهوم مستيكي داخلي هو الملكوت الذي نحياه منذ الآن، ونحيا نفس رؤية الليتورجيا الإسرائيلية الأخروية. فنحن نحيا ونعيش على رجاء استعلان ملكوت الله الكلّي، حيث يملك الله بيسوع المسيح على كل الأرض بأممها وشعوبها التي ستنال حتماً شركة

في هذا الملكوت الإلهي غير المحدود. ليست هي رؤية الليتورجيا القديمة نفسها ولكن استعلان سرّها الذي كان مخفياً فيها، فهي كانت مجرَّد نبوَّة وقد تحقَّقت بالكامل.

ويقول ل. بوييه(١٠) إن هذا الملكوت بدأ بإسرائيل والله يكمِّله وينميه الآن بالكنيسة. ولكننا نقول إن ملكوت الله أُعلن يوم أخرج الله شعب إسرائيل من مصر بيده العالية الرفيعة وقوته الشخصية وسلطانه، فكان أول تدخُّل والتحام بالإنسان، كانت هذه هي البذرة والنواة لملكوت الله مع الإنسان، وسار دون توقُّف في استعلانات متتالية متعاقبة ومرتقبة حتى رؤية الله نفسه ينزل بنفسه ويظهر بالجسد ويُستعلن كإنسان ليكمِّل عملية خلقة الإنسان الترابي خلقة ثانية من فوق بميلاد ثان بالصليب والموت والقيامة، حاملاً كل البشرية فيه. فهي عملية عبور عظمى من سبي العالم والتراب والخطية والموت والهاوية، إلى استعلان جديد في ملكوت الله الذي بلغ كامل استعلانه من السماء بواسطة الرب الروح من السماء: **لبولس ولكل مَنْ يؤمن.**

ويظهر صدى هذا الملكوت في المزامير كالآتي:

مز ١٠ : ١٦: «الرب ملك إلى الدهر والأبد. بادت الأُمم من أرضه».

مز ٢٩ : ١٠: «الرب بالطوفان جلس، ويجلس الرب ملكاً إلى الأبد».

مز ٧٤ : ١٢: «والله ملكي منذ القدم، فاعل الخلاص في وسط الأرض».

مز ١٠٣ : ١٩: «الرب في السموات ثبَّت كرسيه، ومملكته على الكل تسود».

ولكي يمهِّد الله عملياً إلى الانتقال من كونه ملكاً على إسرائيل ومقامه في الهيكل في قدس الأقداس سمح بتدمير الهيكل وضياع التابوت ودخول الشعب في حالة سبي بعيداً عن أورشليم وصهيون، وقد اتخذها الأنبياء وعلى الأخص إرميا وحزقيال وإشعياء الثاني لتنبيه الشعب أن يهوه ليس هو حقيقة ملتزمة بالزمن الحاضر والمكان والأسماء، وابتدأوا يوجِّهون فكر الشعب أن يهوه هو ملك لكل الشعوب بلا حصر، ووجوده لا يحصره زمان ولا مكان ولا شعب ولا تاريخ. فقد اقتحم إرميا النبي فكر الشعب من جهة العهد مع إبراهيم وجعله عهداً قد انقضى وأنَّ هناك عهداً جديداً الله مزمع أن يقطعه، لا يكون محدوداً بإسرائيل وحدها ولكن لكل الأُمم وجود فيه وشركة. عهداً يضع فيه الله نواميسه لا على حجارة وأوراق بل يكتبه على صفحات قلوب الناس. وهنا ينتقل وضع اتحاد يهوه بشعب إسرائيل ككل إلى اتحاد الله بكل قلب وأن كل شعب يكون الله إلهه

(10) L. Bouyer, *La Bible et l' Evangile,* Paris 1951, p. 232.

ويكون الشعب شعبه. فلم يعد الاختيار قاصراً على إسرائيل. بمعنى سحب اللقب ذي الامتياز أن إسرائيل هو الشعب المختار والوحيد، والكل سوف يعرفونه من صغيرهم إلى كبيرهم بلا كاهن ولا لاوي ولا معلّم، إذ لا يقول أحد لأخيه «اعرف الرب» بمعنى دخول الإلهام إلى المستوى الفردي في الشعب وسحب اختصاص الأنبياء والمعلّمين: «لا تدعوا سيِّدي لأن معلّمكم واحد المسيح وأنتم جميعاً أخوة» (مت ٢٣:٨)، بل ولا أب لأن أباكم واحد الذي في السموات (مت ٢٣:٩)! (انظر: إر ٣١: ٣١-٣٤).

ويضيف حزقيال: «وأقطع معهم عهد سلام فيكون معهم عهداً مؤبّداً وأُقرُّهم وأُكثّرهم وأجعل قدسي في وسطهم إلى الأبد **ويكون مسكني فوقهم** وأكون لهم إلهاً ويكونون لي شعباً.» (حز ٣٧: ٢٦و٢٧)

ويضيف إشعياء النبي: «فتسير الأُمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك.» (إش ٦٠:٣)

وإليك صدى هذا الامتداد الرؤيوي ليطال الأمم في المزامير:

مز ٢٢:٢٧: «تذكر وترجع إلى الرب كل أقاصي الأرض. وتسجد قدّامك كل قبائل الأُمم
٢٨: لأن للرب المُلك، وهو المتسلّط على الأُمم».

مز ٦٨:٢٩: «من هيكلك فوق أُورشليم لك تقدّم ملوك هدايا».

مز ٤٨:٢: «جميل الارتفاع، فرح كل الأرض. جبل صهيون، فرح أقاصي الشمال. مدينة الملك العظيم.
٣: الله في قصورها يُعرف ملجأ».

وهكذا ابتدأ الأنبياء ومعهم المزامير يتكلّمون جهاراً عن ملكوت الله الجديد، إلى أن سُمع فجأة المسيح نفسه ينادي: «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات.» (مت ٤:١٧)

والختام يصوِّره المزمور:

مز ٩٨:٣ ب: «رأت كل أقاصي الأرض خلاص إلهنا».

التطلُّع للخلاص القادم في مزامير تنصيب يهوه ملكاً:

فالمزمور والشعب ينشد فيما يخص الخلاص القادم حينما يُفني يهوه قوة الشرير ويخلّص شعبه ويؤسّس مملكة الله الآتية حينما يصير كلياً ونهائياً ملكاً في نظر كل العالم.

وهذا أمر صادق. ومثل هذه الأفكار موجودة في الرجاء الأخروي حينما قال أصحاب المزامير

مزاميرهم وأخذها الأنبياء من المزامير وأفاضوا فيها كما يقولها إشعياء الثاني يصف الخلاص القادم ويصف يوم التنصيب للملك يهوه فوق العالم كله، وحينما كان الأنبياء ينطقون بأناشيدهم الخلاصية التي من هذا النوع وكأنها تعابير نبوية يصفون بفرح وبتأكيد وكأنها قادمة.

في ذلك اليوم سوف ننشد ونقول:

+ «وتقول في ذلك اليوم أحمدك يا رب لأنه إذ غضبت عليَّ ارتدّ غضبك فتعزيني، هوذا الله خلاصي فأطمئن ولا أرتعب، لأن ياه يهوه قوتي وترنيمتي وقد صار لي خلاصاً. فتستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص، وتقولون في ذلك اليوم احمدوا الرب ادعوا باسمه عرّفوا بين الشعوب بأفعاله، ذكّروا بأن اسمه قد تعالى. رنّموا للرب لأنه قد صنع مفتخراً. ليكن هذا معروفاً في كل الأرض - صوِّتي واهتفي يا ساكنة صهيون لأن قدوس إسرائيل عظيم في وسطكِ.» (إش ١٢:١-٦)
+ «ويقال في ذلك اليوم هوذا هذا إلهنا انتظرناه فخلّصنا، هذا هو الرب انتظرناه، نبتهج ونفرح بخلاصه.» (إش ٢٥:٩)
+ «في ذلك اليوم غنوا للكرمة المشتهاةِ، أنا الرب حارسها، أسقيها كل لحظة لئلاً يوقع بها، أحرسها ليلاً ونهاراً.» (إش ٢٧:٢)
+ «لأنه يكون يومٌ يُنادِى فيه النواطير في جبال أفرايم. قوموا فنصعد إلى صهيون إلى الرب إلهنا، لأنه هكذا قال الرب رنّموا ليعقوب فرحاً، واهتفوا برأس الشعوب، سمِّعوا سبِّحوا وقولوا خلِّص يا رب شعبك بقية إسرائيل.» (إر ٣١: ٦و٧)

والاتصال الذي بين هذه الانفعالات التسبيحية، يُثبت أن الأنبياء كانوا يرون بالنبوّة هذا الخلاص.

وفي المزمور المنفرد ولو أنه لا يوجد مثل هذا الرباط ولكن توجد نفس الأفكار الأخروية. وكل ما يوجد في مزمور التجليس للملك يشير أيضاً للواقع الحاضر آنئذ، ليس في التصوُّر وحسب الذي يعبِّر عنه وصول يهوه وصعوده على العرش كواقع في الحاضر أو ربما للمستقبل، بل هي تشير إلى أمر مختبر خارجاً عنها ولكن يعاصرها: أن الرب بعد أعمال خاصة يصعد ويجلس على العرش وينادى به أنه أخذ اسم الملك. والمزمور يشير إلى ذلك بمجرَّد إشارة بطريقة تسبيحية يدركها السامع ويفرح بذلك أنه قد حدث، فلو كان مجرَّد صورة للمستقبل لما استطاع إدراكه السامعون. والمزمور بهذا الوصف يجعل السامعين كأنهم يمارسون وجودهم أثناء الحدث.

فتجليس يهوه على العرش يأتي كحدث ولو أنه في الحاضر إلاَّ أنه بطريقة ما موصول بالخليقة والخروج من مصر، كما أنه في مزمور التجليس على العرش يشعر السامعون أنهم شركاء في الحدث يسبِّحون له ويمدحونه شاعرين بالفرح لخلاصهم الذي يعتمد عليه:

مز ٩٨: ٩: «أمام الرب لأنه جاء ليدين الأرض. يدين المسكونة بالعدل. والشعوب بالاستقامة».

مز ٤٨: ٨: «كما سمعنا هكذا رأينا. في مدينة رب الجنود. في مدينة إلهنا. الله يثبِّتها إلى الأبد. سلاه.»

وفي هذه المزامير يوجد رجاء بالنسبة للمستقبل بأقصى ما يحسب الإنسان، ولكن أهم ما يميِّز هذه المزامير هو التهليل لأمر قد حدث أمامهم.

أمَّا القيمة التي يحملها المزمور فهي تظل قائمة في الطقس الذي يتم فيه الاحتفال بالتجليس كعيد، بطريقة حيَّة، والمجيء الشخصي للرب ليخلِّص شعبه "كظهور" حيث يبدو في الاحتفال أنه في الحاضر والمستقبل والماضي بآن واحد. وهذه خبرة الاحتفال بهذه الأعياد للتجليس، بمزاميرها التي تعبِّر عن ذلك.

أمَّا روح الطقس في أعياد التجليس بتكرارها الذي لا يكون مجرَّد تذكار ولكن كحقيقة واقعة كما هو حادث الآن في عيد القيامة بالنسبة للكنيسة: «قام المسيح حقاً» وهو نفسه الذي مات يوم الجمعة. ففي العصور الأُولى كان هذا الحدث المتجدِّد يحمل جديته أكثر مما لنا الآن. هذا الطقس الخلاَّق والخلاص بحوادثه يحدث مراراً وتكراراً في رتابة، فالحياة في عراك مستمر بين الخير والشر وبين اللعنة والبركة وبين الحياة والموت، فيها تتجدَّد قوى الخير وتتقوَّى وإلاَّ فالهلاك للعالم. هذا التجدد يمثله الطقس. وفي العيد يُدعى الله ويأتي خلال الطقس فيعطي البركة والقوة للبشرية فيُقام حاجز ضد الشر. وهكذا تسير الحياة.

فالرباط الذي يُعمل مع الله في عيد الحصاد يجعل المطر يأتي فتذهب لعنة الجفاف ويُغلب الموت وتحيا الطبيعة لخير الإنسان، كما يقدِّمه مزمور (٦٥):

مز ٦٥: ١: «لك ينبغي التسبيح يا الله في صهيون، ولك يوفى النذر ...
٩: تعهدت الأرض وجعلتها تفيض. تُغنيها جدًّا. سواقي الله ملآنةٌ ماء ...
١٠: أرو أتلامها، مهِّد أخاديدها. بالغيوث تحلِّلها. تُبارك غلتها.
١١: كلَّلت السنة بجودك وآثارك تقطر دسماً.
١٢: تقطر مراعي البرية وتتنطق الآكام بالبهجة.

١٣: اكتست المروج غنماً والأودية تتعطف بُرًّا، تهتف وأيضاً تغنِّي».

وفي عيد جلوس الملك على عرشه يأتي يهوه كملك لأنه أقام المملكة وهم يحيُّون ويعترفون بمجيئه كفاتح وغازٍ وخالق، ملك على كل الأرض، يجدِّد شعبه وحظوظه، كملك إسرائيل الذي يكرِّر الأعمال التي عملها كمخلِّص من مصر والبحر الأحمر والذي بمجيئه قد ثبَّت المسكونة وسحق كل تعدٍّ حتى يرعوي الأعداء.

ومزامير التتويج تشير أن يهوه هو الملك دائماً في نظر إسرائيل وإلى الأبد، ملك على إسرائيل وكل الأرض، وأيضاً كأب على قبيلة إسرائيل، كالملوك على الأراضي الأخرى.

وقد وضحت البداية عندما أقام سليمان الهيكل وثبَّت الطقس، حينما صار الهيكل هيكلاً ملكياً لسليمان، حينما ارتفق عنوان هيكل الملك سليمان مع إله صهيون. وقد ظهرت في اسم "ملكي صادق" ومعناه الإله صادق هو ملكي، وتدريجياً صار يهوه ملك البلاد وشعب إسرائيل ثمَّ ملك كل الأرض وخاصة عند الأنبياء، فهو حاكم العالم الذي يستخدم الممالك الأخرى وشعوبها كأدوات له.

ولكن طالما بقيت إسرائيل شعباً وخاصة في أزمنة الملوك بقي يهوه ملكها.

+ «فقال بالاق لبلعام: ماذا فعلت بي! لتشتم أعدائي أخذتك وهوذا أنت قد باركتهم.» (عد ٢٣: ١١)
+ «وكان في يشورون ملكاً حين اجتمع رؤساء الشعب أسباط إسرائيل معاً.» (تث ٣٣: ٥)
+ «أيتها الأرض تزلزلي من قدَّام الرب من قدَّام إله يعقوب.» (مز ١١٤: ٧)
+ «قومي ودوسي يا بنت صهيون لأني أجعل قرنك حديداً وأظلافك أجعلها نحاساً فتسحقين شعوباً كثيرين وأُحَرِّم غنيمتهم للرب وثروتهم **لسيد كل الأرض.**» (مي ٤: ١٣)
+ «فقال هاتان هما ابنا الزيت الواقفان عند **سيد الأرض كلها.**» (زك ٤: ١٤)

هذا يوضِّح أن سيد الأرض كلها قد صار ملكاً لإسرائيل عند خروجها من مصر:

+ «عند خروج إسرائيل من مصر، وبيت يعقوب من شعب أعجم. كان يهوذا مقدسه وإسرائيل محل سلطانه.» (مز ١١٤: ١و٢)

كذلك ظهور يهوه بسلطانه على إسرائيل على جبل موسى وهو يعطي شريعته:

+ «وكان في يشورون ملكاً حين اجتمع رؤساء الشعب أسباط إسرائيل معاً.» (تث ٣٣: ٥)

وهكذا جاء تملُّك يهوه على إسرائيل ملازماً للخلاص الذي أكمله لهم.

على أن يهوه يجدِّد مجيئه وخلاصه واستعلان نفسه عاملاً الخلاص في وسط الأرض كلها. لذلك فكرة إسرائيل عن مُلك الله يهوه هي على أساس أنه فعَّال متحرِّك وليس جامداً وثابتاً، وهذا يجعل عقيدة إسرائيل بتملُّك يهوه بعيدة عن الخرافة، فيهوه يعمل ويتحرَّك ويملك والزمن تحت رجليه وهو فوق الشاروبيم يتراءى، والتعييد لتنصيبه ملكاً في عيد رأس السنة مخصَّص لتراثيه جالساً منتصراً.

مز ٤٧: ٥: «صعد الله بهتاف. الرب بصوت الصور ∴ رنّموا لله رنّموا، رنّموا لملكنا رنّموا.
٦: لأن الله ملك الأرض كلها. رنّموا قصيدة ∴ ملك الله على الأُمم، الله جلس على كرسي قدسه»
مز ٦٨: ٢٥: «من قدّام المغنون، من وراء ضاربو الأوتار ∴ في الوسط فتيات ضاربات الدفوف».
مز ١٣٢: ٨: «قم يا رب إلى راحتك أنت وتابوت عزّك».

مز ٢٤: ٧و٨: «ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن. وارتفعن أيتها الأبواب الدهريات. فيدخل ملك المجد. مَنْ هو هذا ملك المجد؟ الرب القدير الجبَّار. الرب الجبار في القتال».

وهذه تصف تقدُّم الملك في الحفل: هذا هو يوم الرب!! وهو يوم التعييد ليهوه!!
+ «يوم ملكنا يمرض الرؤساء من سورة الخمر (الشرب الكثير).» (هو ٧: ٥)
+ «ويكون في ذلك اليوم يقول الرب أنك تدعينني رجلي ولا تدعينني بعد بعلي.» (هو ٢: ١٦)
+ «ماذا تصنعون في يوم الموسم وفي **يوم عيد الرب**» (هو ٩: ٥)
والإشارة هنا إلى يوم الاحتفال بيهوه ملكاً.

الأُخرويات وتجديد الخليقة في مزامير تتويج يهوه:

الأُخرويات يُقصد بها حوادث الدهر الآتي أو مستقبل الزمان، والحديث فيها قديم قِدَم المزامير والأنبياء. وبالأخص في المزامير، التي تُسمَّى بمزامير "الملك"، وهي تسابيح تُقال في موسم خاص تمجيداً ليهوه، وتُسمَّى مزامير تجليس يهوه على عرشه. وكان هذا اليوم يُسمَّى عيد يهوه (لا ٢٣: ٣٩و٤١)، وبه تفتتح السنة الجديدة أي رأس السنة العبرية ويأتي في عيد الحصاد، وكان يُعيَّد له لثمانية أيام (لا ٢٣: ٣٤) في منتصف الشهر القمري حيث كان مطلع المزمور:
+ «لك ينبغي التسبيح يا الله في صهيون، ولك يُوفَى النَّذر... كلَّلتَ السنة بجُودِك وآثارُك تقطر دسماً.» (مز ٦٥: ١و١١)

ومزامير تتويج الملك هذه، أغلبها كان قبل السبي، ولكن بعضها كُتب بعد سنة ٥٣٦ ق.م، وهي سنة الرجوع من السبي. وظلَّت تُعيِّد بها إسرائيل حتى في خرائب أورشليم كما يحكي إرميا

النبي (مرا ٥: ١٩)، لأنها كانت تحمل كل أمجاد التراث.

أما بداية التعييد بهذا العيد، فيذكرها سفر القضاة، وذلك فيما قبل قيام المملكة الفردية:
+ «هوذا "عيد الرب" في شيلوه من سنة إلى سنة شمالي بيت إيل شرقي الطريق الصاعدة من بيت إيل إلى شكيم.» (قض ٢١: ١٩و٢٠)

كما يذكره أيضاً سفر صموئيل النبي:
+ «وكان هذا الرجل (ألقانة) يصعد من مدينته من سنة إلى سنة ليسجد ويذبح لرب الجنود في شيلوه.» (١صم ١: ٣)

وأكثر ما يهمُّنا من مزامير التتويج ليهوه تخصُّصها في ثلاثة مواضيع على درجة كبيرة من الأهمية: **الأول:** تجديد الخليقة، **والثاني:** الخلاص، **والثالث:** مجيء يهوه.

أولاً: تجديد الخليقة:

كان تجليس يهوه على عرشه فرصة لتمجيد أعماله في الخليقة، لأنه في مفهوم إسرائيل أن يهوه أقام الخليقة من أجل إسرائيل، فهي تعتبر فرصة تجليسه السنوية تذكاراً جيداً حتى تستمر أعمال الله في تجديد هذه الخليقة من سنة إلى سنة: السماء بشمسها وقمرها ونجومها، والأرض بجبالها وبحارها وأنهارها، والأمطار لإرواء الأودية، والجبال لنمو الزراعات والفواكه التي يقتات منها الشعب. فتذكار تجديد الخليقة كان محسوباً أنه واجب تذكره أمام يهوه.
+ «لك النهار ولك أيضاً الليل. أنت هيَّأتَ النور والشمس. أنت نَصَبتَ كل تخوم الأرض، الصيف والشتاء أنت خلقتهما.» (مز ٧٤: ١٦و١٧)
+ «تعهَّدتَ الأرض وجعلتها تفيض، تُغنيها جداً. سواقي الله ملآنة ماءً. تُهيِّئ طعامهم لأنك هكذا تُعِدُّها. أرْوِ أتلامها، مهِّد أخاديدها. بالغيوث تُحلِّلها، تُبارك غلَّتها. كلَّلتَ السنة بجودك وآثارك تقطر دسماً. تقطر مراعي البرية وتتنطَّق الآكام بالبهجة. اكتست المروج غنماً والأودية تتعطَّف بُرًّا، تهتف وأيضاً تُغنِّي.» (مز ٦٥: ٩-١٣)
+ «أنت متسلِّطٌ على كبرياء البحر، عند ارتفاع لُججه أنت تُسكِّنها. أنت سحقت رَهَبَ مثل القتيل... لك السموات، لك أيضاً الأرض. المسكونة ومِلْؤها أنت أسَّستهما. الشمال والجنوب أنت خلقتهما. تابور وحرمون باسمك يهتفان.» (مز ٨٩: ٩-١٢)
+ «الأرض أعطت غلَّتها، يُباركنا الله إلهنا.» (مز ٦٧: ٦)

+ «الذي بيده مقاصير الأرض وخزائن الجبال له. الذي له البحر وهو صنعه ويداه سبكتا اليابسة.» (مز ٩٥: ٤و٥)

وُيلاحَظ أن التعييد لتجليس يهوه ملتحم بالسنة الجديدة، والسنة الزراعية بموسميها: القحط والجفاف والعطش الذي يهدِّد الأرض، ثم موسم الأمطار وإحياء الطبيعة من بعد موات، ثم الزراعة والحصاد وقطف الزيتون والكروم. فالسنة يُمثِّل نصفها الأول الموت، ونصفها الثاني الحياة والنماء. فهذا ترك أثره في حياة الشعب وظلت الطقوس تخدمه بمحافل رهيبة حتى يتحنن يهوه ويجدِّد وجه الطبيعة والأرض. وهنا ننبه ذهن القارئ:

فالتجديد الذي شمل كل مظاهر الطبيعة كخلقة جديدة تتجدَّد كل سنة برحمة يهوه في عيد جلوسه هو الذي انتهى إلى تجديد خلقة الإنسان نفسه؛ الأمر الذي تمَّ بموت المسيح خالق الخليقة، ثم بحياة المسيح حامل الخليقة الجديدة. وكان التعييد لتجديد الخليقة الطبيعية في ذِكرى جلوس يهوه السنوي هو الذي صار التعييد ليسوع المسيح لقيامته سنوياً الذي نعيِّده ونحن خليقة جديدة بالتسبيح لمجده.

هكذا خدمت الإسخاتولوجية بإشاراتها المتعددة لتجديد الخلقة الطبيعية كل سنة، مفهوم تجديد الخلقة البشرية في النهاية. فالأولى كانت تُقام في ذِكرى جلوس يهوه السنوي في عيد يهوه؛ أما الثانية وهي الخليقة الجديدة للإنسان فقد دشَّنها لنا المسيح بقيامته وجلوسه عن يمين الآب.

ثانياً: الخلاص:

كانت أيضاً فرصة تجليس يهوه على عرشه تذكاراً للخلاص الذي صنعه يهوه لشعبه، وهو خلاص متعدِّد الأشكال، سواء من العبودية في مصر أو من الملوك الأعداء أو من الظلمة وقواتها المعادية أو من الطبيعة الهائجة.

فصارت المزامير تُسبِّح للخلاص بلا هوادة، ولكن بصورة تحمل الخلاص فوق الزمن كعمل يهوه الفائق. فكان هذا بدوره يكوِّن إسخاتولوجية الخلاص الكبير كعمل آتٍ يكمِّل مفهوم الخلاص بكل صوره.

+ «يا رب **خلِّص**. ليستجب لنا الملك في يوم دعائنا.» (مز ٢٠: ٩)
+ «يا رب بقوَّتك يفرح الملِك، **وبخلاصك** كيف لا يبتهج جداً.» (مز ٢١: ١)
+ «لأنك أنت **خلَّصتنا** من مُضايقينا وأخزيت مبغضينا. بالله نفتخر اليوم كله، واسمك نحمد إلى الدهر.» (مز ٤٤: ٧و٨)

+ «قُمْ عوناً لنا، **وافْدِنا** من أجل رحمتك.» (مز ٤٤: ٢٦)
+ «ارحمني يا رب. انظر مذلَّتي من مُبغضيَّ يا رافعي من أبواب الموت. لكي أُحدِّث بكل تسابيحك في أبواب ابنة صهيون مُبتهجاً **بخلاصك**.» (مز ٩: ١٣و١٤)
+ «نترنَّم **بخلاصك**، وباسم إلهنا نرفع رايتنا.» (مز ٢٠: ٥)
+ «لكي يُعرف في الأرض طريقك، وفي كل الأُمم **خلاصك**.» (مز ٦٧: ٢)
+ «قدَّام أفرايم وبنيامين ومنسَّى، أيقظ جبروتك وهَلُمَّ **لخلاصنا**. يا الله **أرْجِعْنا وأَنِرْ بوجهك فنخلُص**.» (مز ٨٠: ٢و٣)
+ «يا إله الجنود ارجِعَنَّ، اطَّلِعْ من السماء وانظر وتعهَّد هذه الكرمة، والغرس الذي غرسته يمينك، والابن الذي اخترته لنفسك... لتكن يدك على رَجُل يمينك وعلى ابن آدم الذي اخترته لنفسك، فلا نرتدَّ عنك. أحْيِنا فندعو باسمك. يا رب إله الجنود أرجِعنا. **أَنِرْ بوجهك فنخلُص!**» (مز ٨٠: ١٤-١٩)
+ «ألا تعود أنت فتُحيينا، فيفرح بك شعبك. أَرِنا يا رب رحمتك، **وأعطِنا خلاصك**.» (مز ٨٥: ٦و٧)
+ «أعلن الرب **خلاصه**، لعيون الأُمم كشف برَّه... رأت كل أقاصي الأرض **خلاص إلهنا**.» (مز ٩٨: ٢و٣)

وذِكْر الخلاص بكل أنواعه كثير جداً في مزامير عيد يهوه، وهو يعلو فوق الزمن لأنه خلاص مصدره يهوه. لذلك ظلَّت المزامير تردِّده ويعيش الشعب رجاءه سنةً بسنةٍ وعيداً لعيد حتى انفجر نوره:

+ «الشعب الجالس في ظلمة أبصر نوراً عظيماً، والجالسون في كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور. من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات.» (مت ٤: ١٦و١٧)

وهكذا خدمت إسخاتولوجية الخلاص في مزامير تجليس يهوه الخلاص بإلحاح ورجاء وتذلُّل، عارضة حال الإنسان وبؤسه أمام يهوه حتى تحنَّن وأرسل المخلِّص! فلم يأتِ الخلاص من فراغ، بل خدمته إسرائيل بالدموع كل أيام حياتها، ولكن من خلال ضباب كثيف.

وها الخليقة الجديدة بنت الخلاص الذي خدمته إسرائيل على طول حياتها، تحيا في نوره بلا ذهب ولا فضة: «لأنك إن اعترفتَ بفمك بالرب يسوع، وآمنتَ بقلبك أن الله أقامه من الأموات، خَلَصتَ» (رو ١٠: ٩). وهكذا صار الخلاص ملء الأرض.

وهكذا كان الخلاص مطلباً أساسياً مطلوباً في "عيد يهوه" السنوي. فمع أنه كان قد حقَّقه لهم بصورة علنية باهرة في خروجهم من مصر وعبورهم البحر الأحمر وتيه سيناء الذي كمل لهم بتسكينهم في أرض كنعان، إلاَّ أنهم ظلُّوا يُعيِّدون لِمَا فات ويطلبون ما هو آتٍ من الخلاص.

وهكذا انكشف لنا صدق تعييدهم وصدق رجائهم الذي تمَّمه الله لهم ولنا ولكل الشعوب بالخلاص الذي أكمله يسوع المسيح بالموت والقيامة، الذي به نقل خلقتنا الأولى من التراب إلى ملكوت السموات؛ فصارت لنا السماء موطناً عِوَض الأرض، وورثنا المواعيد العظمى والثمينة والشركة في الطبيعة الإلهية، والوقوف أمام الله قديسين وبلا لوم في المحبة كمطلب الآب.

والعجب أننا وعلى نمط تعييد شعب إسرائيل للخلاص، وبعد أن حصلنا على الخلاص الذي أورثنا الطبيعة الإلهية والسماء موطناً، لا زلنا ننتظر تكميل الخلاص الذي تمَّ، مما يثبت أن عقيدة شعب إسرائيل وإيمانه الذي استمده من الله هو على صحة ونحن نكمِّل ما بدأوه.

ثالثاً: مجيء يهوه:

كان تعييد شعب إسرائيل لتجليس يهوه على عرشه كل رأس سنة يقوم أيضاً على أساس أن يهوه أتى ويأتي وسيأتي. فالتعييد ليهوه وإن كان يتمم لهم كل ما يطلبونه **من تجديد الخلقة** كما يرونها ويعيشونها، سواء في الطبيعة بمعناها الشامل من سماء وأرض وبحار وأنهار وجبال وما تحتويه جميعاً، أو بمعناها الملموس من أمطار وخيرات وزراعات وثمار وبهائم الحقل، وكل ما يرجونه من **خلاص** سواء من أعداء ظاهرين أو خفيين أو قسوة طبيعية وزمان؛ إلاَّ أنهم كانوا يطلبون وينتظرون ويترجّون "مجيء يهوه"، إنْ في صورته الزمانية كل عيد رأس سنة، أو في صورته غير الزمانية كإله يحكم ويدين ويغفر ويحب. وإليك المزامير:

+ «**يأتي** إلهنا ولا يصمت. نارٌ قدَّامه تأكل وحوله عاصفٌ جداً.» (مز ٥٠:٣)
+ «أمام الرب لأنه **جاء**، **جاء** ليدين الأرض، يدين المسكونة بالعدل والشعوب بأمانته.» (مز ٩٦:١٣)
+ «أمام الرب لأنه **جاء** ليدين الأرض، يدين المسكونة بالعدل والشعوب بالاستقامة.» (مز ٩٨:٩)

ويصف المزمور كيفية القضاء والدينونة التي ستتم:

+ «من السماء أسمعتَ حكماً. الأرض فزعت وسكتت، عند قيام الله للقضاء لتخليص كل ودعاء الأرض. سلاه.» (مز ٧٦:٨و٩)

كما أن الجماعة المجتمعة بحضرة يهوه في عيده تجدها فرصة سنوية لتقدِّم اعترافها الجماعي ولكن بصيغة المفرد:

+ «من الأعماق صرختُ إليك يا رب. يا رب اسمع صوتي، لتكن أُذناك مصغيتين إلى صوت تضرعاتي. إن كنتَ تراقب الآثام يا رب يا سيد فمَنْ يقف. لأن عندك المغفرة لكي يُخاف منك... لأن عند الرب الرحمة، وعنده فِدًى كثيرٌ. وهو يفدي إسرائيل من كل آثامه.» (مز ١٣٠:١-٣و٧و٨)
+ «إليك رفعتُ عينيَّ يا ساكناً في السموات. هوذا كما أن عيون العبيد نحو أيدي سادتهم، كما أن عيني الجارية نحو يد سيدتها، هكذا عيوننا نحو الرب إلهنا حتى يتراءف علينا. ارحمنا يا رب ارحمنا، لأننا كثيراً ما امتلأنا هواناً...» (مز ١٢٣:١-٣)

ونحن نتعجَّب على هذا الطقس البديع الذي يقف فيه الشعب كله يعيِّد لمجيء يهوه ليطرح أمامه كل آماله ورجائه واعترافه. ثم يطلب مجيئه أيضاً بتكرار لا يملّ على مدى الأجيال.

حتى جاء الرب فعلاً في وحي المزمور مجيئاً هو في حقيقته صورة حيَّة لمجيئه الأخير لنا بتصوير محكم لكي يَجُبَّ بجسده كل ذبائح إسرائيل؛ ويفعل مشيئة الله - التي أخفق إسرائيل فعلها - حسب ترتيب الله فيما قبل الدهور والأزمان، هناك كما نواها الله في الأزلية. وفي المزمور يتكلَّم الابن الوحيد لأبيه هكذا بصورة نبوية:

+ «بذبيحة وتقدمة لم تُسَرَّ. أُذُنَيَّ فتحت[11]. محرقة وذبيحة خطية لم تطلب. حينئذ قلتُ هأنذا جئتُ. بدَرْج الكتاب مكتوبٌ عني، أن أفعل مشيئتك يا إلهي سُرِرْتُ. وشريعتك في وسط أحشائي.» (مز ٤٠:٦-٨)

وكان هذا المزمور الوصلة الحيَّة التي ربطت القديم بالجديد حينما حقَّق فعلاً ابن الله الوحيد مجيئه إلى العالم في اكتمال الزمن متجسِّداً بهيئة عبد، وكان جسده حقًّا عِوَضَ كل الذبائح جميعاً، إذ قدَّمه على الصليب ذبيحة عن خلاص كل العالم، وذاق الابن فعلاً الموت من أجل كل واحد!

والعجيب حقًّا أننا - ومثل الطقس القديم - لا نزال نترجَّى مجيئه!! ننتظر مجيئه بفارغ الصبر، ليُلبسنا نحن المخلَّصين ثوب البهاء والمجد، ويضع علينا إكليل البر فنصلح أن نكون عروساً:

(١١) فتح الأُذُن هو في المفهوم الإسرائيلي تسجيلٌ يُعمَل للرجل علامةً على صيرورته عبداً (خر ٢١:٦).

+ «فإنَّ سيرتنا نحن هي في السموات، **التي منها أيضاً ننتظر مُخلِّصاً** هو الرب يسوع المسيح، الذي سيُغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده، بحسب عمل استطاعته أن يُخضِعَ لنفسه كل شيء.» (في ٣: ٢٠و٢١)

+ «نُشهِدُكم لكي تسلكوا كما يَحِقُّ لله **الذي دعاكم إلى ملكوته ومجده... وتنتظروا ابنه من السماء**... الذي يُنقذنا من الغضب الآتي.» (١تس ٢: ١٢؛ ١: ١٠)

+ «وإله كل نعمة الذي **دعانا إلى مجده الأبدي** في المسيح يسوع، بعد ما تألَّمتم يسيراً، هو يُكمِّلكم، ويُثبِّتكم، ويُقويكم، ويُمكِّنكم.» (١بط ٥: ١٠)

+ «والقادر أن يحفظكم غير عاثرين، **ويُوقِفكم أمام مجده** بلا عيب في الابتهاج.» (يهوذا ٢٤)

+ «متى أُظْهِرَ المسيح حياتنا، فحينئذ تُظْهَرون أنتم أيضاً معه في المجد.» (كو ٣: ٤)

+ «لأنه لاقَ بذاك الذي من أجله الكل وبه الكل، **وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد**، أن يُكمِّل رئيس خلاصهم بالآلام.» (عب ٢: ١٠)

+ «هكذا المسيح أيضاً بعدما قُدِّم مرَّة لكي يحمل خطايا كثيرين **سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه**.» (عب ٩: ٢٨)

+ «والآن أيها الأولاد، اثبتوا فيه، حتى إذا أُظهِرَ يكون لنا ثقةٌ، ولا نخجلُ منه في مجيئه ... نعلم أنَّه إذا أُظهر نكون مثله، لأننا سنراه كما هو.» (١يو ٢: ٢٨، ٣: ٢)

+ «ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون إكليل المجد الذي لا يَبْلَى.» (١بط ٥: ٤)

+ «كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى، بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة، اللذين بهما قد وَهَبَ لنا المواعيد العُظمى والثمينة، لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية.» (٢بط ١: ٣و٤)

+ «فإني أنا الآن أُسكب سكيباً، ووقت انحلالي قد حضر. قد جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان، وأخيراً قد وُضِعَ لي إكليل البر، الذي يهبه لي في ذلك اليوم، الرب الديَّان العادل، وليس لي فقط، بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً.» (٢تي ٤: ٦-٨)

هذا هو الخلاص الذي نطلبه ونترجاه من المسيح بعد أن أكمل خلاصنا بالآلام كما يقول بولس الرسول: «إن كنَّا نتألَّم معه (في خلاصنا الحاضر الذي لن يكمل لنا إلاَّ بالآلام معه)، لكي نتمجَّد أيضاً معه (في خلاصنا المنتظر الموضوع أمامنا).» (رو ٨: ١٧)

فنحن الآن نعيش الخليقة الجديدة في ملء خلاصنا الذي تمَّ بدم المسيح وقيامته. ولكن لا تزال

حياتنا الجديدة غير منظورة، بل مستترة كالمسيح القائم من بين الأموات: «لأنكم قد مُتُّمْ **وحياتكم مستترة مع المسيح في الله**» (كو ٣: ٣). فكما يقول القديس بولس: «متى أُظْهِرَ المسيح حياتنا، فحينئذ تُظْهَرون أنتم أيضاً معه في المجد.» (كو ٣: ٤)

هذه هي إسخاتولوجية الإيمان المسيحي، التي نعيش نحن أيضاً في رجائها، كما كان شعب إسرائيل في رجاء إسخاتولوجية تحقَّقت فينا.

وإذ نعود الآن إلى مزامير تجليس يهوه على عرشه في عيده السنوي لندرس قوة العقيدة والإيمان والمنطق في هذه المزامير، في تطلُّعها الإسخاتولوجي لمجيء يهوه للخلاص بصورة دائمة ومتكررة مدى كل أجيال إسرائيل الملتزمة بالعيد والطقس؛ نُدرك تماماً أن الإيمان الذي تقوم عليه إيمانٌ حقيقي، والتطلُّع الذي كان الشعب يتطلَّع إليه من وراء بؤس الزمن هو حقًّا تطلُّع إلهي بكل معنى، وكان تسبيحهم وتهليلهم بالآلات والصفوف تعبيراً نودُّ من كل القلب أن نحاكيه، لأنه كان نابعاً من ثقة وبساطة قلب وفرح حقيقي.

زمن التعييد بتتويج يهوه (يوم يهوه):

يقولون إن العلاقة واضحة بين الجزء الثاني من سفر إشعياء وزمن قرض الشعر الخاص بتتويج يهوه والتغنِّي به، ويتفق في ذلك كل من جونكل وكراوس. لذلك يقع هذا الزمن في ما قبل السبي والتعييد بالسنة الجديدة حيث تتلاحم الأشعار مع ما يقوله إشعياء: «ما أجمل على الجبال قدمي المبشر ... القائل لصهيون قد ملك إلهك.» (إش ٥٢: ٧)

+ «الرب قد ملك لبس الجلال، لبس الرب القدرة ائتزر بها. أيضاً تثبتت المسكونة لا تتزعزع. كرسيك مثبَّتة منذ القدم. منذ الأزل أنت.
شهاداتك ثابتة جدًّا. ببيتك تليق القداسة يا رب إلى طول الأيام.» (مز ٩٣: ١و٢و٥)

ولو أن بعض المفسِّرين يقولون إن هذا المزمور أقدم من إشعياء، أي أن إشعياء قد أخذ من المزامير لا العكس.

مز ١٣٢: ١٣: «لأن الرب قد اختار صهيون، اشتهاها مسكناً له،
١٤: هذه هي راحتي إلى الأبد. ههنا أسكن لأني اشتهيتها».
مز ٨٤: ١: «ما أحلى مساكنك يا رب الجنود ...
٣: مذابحك يا رب الجنود ملكي وإلهي»

مز٢٤:١و٧و٨: «للرب الأرض وملؤها ... فيدخل ملك المجد ... الرب القدير الجبار».

هذه المزامير بكل تأكيد هي مزامير ما قبل السبي، ولها صلتها بأعياد تجليس يهوه على عرشه. ولكن بعد سنة ٥٢٠ ق.م سنة الرجوع من السبي، توجد مزامير أيضاً لتجليس يهوه عادت بشكلها القديم. على أن في أزمنة السبي لم تُحرم إسرائيل من إقامة مثل هذه الأعياد في خرائب أُورشليم كما يحكي إرميا النبي (٢:٤). على أن رؤية إشعياء الثاني للاحتفال بالتجليس هي بسبب أنه عاين هذا الاحتفال قبل السبي. وكل هذا يشير بالتأكيد إلى أن معظم مزامير التعييد للاحتفال بتجليس يهوه موضوعة فيما قبل السبي.

بحث يبيِّن أن الاحتفال بيوم يهوه كان من أكبر أعياد ما قبل السبي:

بالتأكيد إن التعييد لعيد يهوه هو من قبل السبي، حيث يذكر المزمور ٧٤ مُلك الرب مرتبطاً مع سلطانه على الخليقة:

مز ١٢:٧٤: «والله ملكي منذ القدم، فاعل الخلاص في وسط الأرض.
١٦: لك النهار ولك أيضاً الليل، أنت هيَّأت النور والشمس.
١٧: أنت نصبت كل تخوم الأرض، الصيف والشتاء أنت خلقتهما».
مز ٣:٨٩: «قطعتُ عهداً مع مختاري، حلفتُ لداود عبدي
٤: إلى الدهر أُثبِّت نسلك، وأبني إلى جيل فجيل كرسيك. سلاه.
٥: والسموات تحمد عجائبك يا رب، وحقك أيضاً في جماعة القديسين ...
١١: لك السموات، لك أيضاً الأرض. المسكونة وملؤها أنت أسَّستهما ...
١٥: طوبى للشعب العارفين الهتاف. يا رب بنور وجهك يسلكون.
١٦: باسمك يبتهجون اليوم كله، وبعدلك يرتفعون ...
١٨: لأن الرب مجننا. وقدوس إسرائيل **ملكنا**».

هذان المزموران هما من عهد ما بعد السبي، ولكن على نمط طقس مزامير ما قبل السبي. فهذان المزموران وغيرهما حتى وإن كانا من بعد السبي إلاَّ أن طقس صناعة المزمور فيهما هو كما في نظام ما قبل السبي.

فمن طقس مزامير التتويج نتأكَّد أنها من قبل السبي لأنها تتكلَّم عن مجيء الله واستعلانه وحفظ شهاداته وخلاصه.

فتسمية العيد بيوم يهوه مرتبط بمجيئه واستعلان خلاصه وشهاداته:

مز ١٣:٩٦: «أمام الرب لأنه **جاء**. جاء ليدين الأرض. يدين المسكونة بالعدل والشعوب بأمانته».
مز ٩:٩٨: «أمام الرب لأنه **جاء** ليدين الأرض. يدين المسكونة بالعدل والشعوب بالاستقامة».
مز ٥:٩٣: «شهاداتك ثابتة جدًّا. ببيتك تليق القداسة يا رب. إلى طول الأيام».
مز ٢:٩٨: «**أعلن الرب خلاصه** لعيون الأُمم كشف بره».
مز ٧:٩٩: «بعمود السحاب كلَّمهم. حفظوا شهاداته والفريضة التي أعطاهم».

فالتعييد لتتويج يهوه هو عيد استعلانه وأعماله وكان من أعظم أعياد إسرائيل. وهوشع النبي يذكر كيف فسد العيد:

+ «ماذا تصنعون في يوم الموسم؟ **وفي يوم عيد الرب؟** إنهم قد ذهبوا من الخراب، تجمعهم مصر تدفنهم موف. يرث القريص نفائس فضتهم. يكون العوسج في منازلهم. جاءت أيام العقاب...» (هو ٩:٥-٧)

فمن بين الأعياد الثلاثة الكبار لإسرائيل خلال السنة كان منها عيدٌ يدعى عيد يهوه أو حتى باختصار "العيد" hahagh وهو "عيد الجمع" أو عيد المظال في الخريف: (خر ١٦:٢٣، ٢٢:٣٤) وهو يقفل على السنة الزراعية ويفتتح السنة الجديدة. وبه يبدأ موسم هطول الأمطار وتجديد الخليقة كلها لحياة جديدة. وكان في الأيام المتأخِّرة نوعاً ما يُعيَّد له ثمانية أيام (لا ٣٣:٢٣ إلخ). ومذكور في سفر حزقيال (٢٥:٤٥): «في الشهر السابع في اليوم الخامس عشر من الشهر في "العيد" يعملُ مثل ذلك سبعة أيام كذبيحة الخطية و(ذبيحة) كالمحرقة وكالتقدمة وكالزيت».

وكانوا يعيِّدونه في تمام القمر في شهر تشري ولكن أخيراً كان في الشهر الثامن (أكتوبر/نوفمبر) وكان في هذه المدة جمع محصول الزيتون.

وقد كان لهذا العيد بكل تأكيد مزمور (٦٥) للشكر:

مز ١:٦٥: «لك ينبغي التسبيح يا الله في صهيون، ولكَ يُوفَى النذر.
١١: كلَّلت السنة بجودك، وآثارك تقطر دسماً».

وفي نبوَّة زكريا يربط بين هذا العيد وفصول سقوط الأمطار القادمة هكذا:

+ «ويكون أن كل الباقي من جميع الأُمم الذين جاءوا إلى أُورشليم يصعدون من سنة إلى سنة ليسجدوا **للملك** رب الجنود وليعيِّدوا عيد المظال. ويكون أن كل مَنْ لا يصعد من قبائل

الأرض إلى أورشليم ليسجد للملك رب الجنود، لا يكون عليهم مطر. وإن لا تصعد ولا تأتِ قبيلة مصر ولا مطر عليها تكن عليها الضربة التي يضرب بها الرب الأمم الذين لا يصعدون ليعيِّدوا عيد المظال. هذا يكون قصاص مصر وقصاص كل الأمم الذين لا يصعدون ليعيِّدوا عيد المظال.» (زك ١٤: ١٦-١٩)

كذلك فإن مزمور (٦٧) يتبع عيد الحصاد الذي يعيد فيه ليوم يهوه على أساس أن يهوه يحكم ممالك الأرض ويعطي كل بركات السنة على أساس حكمه العادل:

مز ٦٧: ١: «ليتحنن الله علينا وليباركنا، لينر بوجهه علينا. سِلاه.»
٢: لكي يُعرف في الأرض طريقك، وفي كل الأمم خلاصك.
٣: يحمدك الشعوب يا الله، يحمدك الشعوب كلهم.
٤: تفرح وتبتهج الأمم لأنك تدين الشعوب بالاستقامة، وأُمم الأرض تهديهم. سِلاه.
٥: يحمدك الشعوب يا الله، يحمدك الشعوب كلهم.
٦: الأرض أعطت غلَّتها. يباركنا الله إلهنا.
٧: يباركنا الله، وتخشاه كل أقاصي الأرض».

كذلك فإن مزمور (٤٧) هو مزمور للسنة الجديدة الذي يخدم طقس السنة الجديدة، كذلك بناءً على التقليد وشهادة كلمات المزمور نفسه فإن مزمور (٨١) هو مزمور السنة الجديدة، وهو بآن واحد موازٍ لمزمور (٩٥) الذي هو مزمور التجليس على العرش ليهوه، فالمزموران ٨١،٩٥ يُعتبران أنهما ليهوه ولاسمه ولتجديد العهد.

مز ٨١: ١: «رنِّموا للرب قوتنا، اهتفوا لإله يعقوب ...
٣: انفخوا في رأس الشهر بالبوق عند الهلال ليوم **عيدنا**.
٤: لأن هذا فريضة لإسرائيل، حُكم لإله يعقوب.
٥: جعله شهادة في يوسف عند خروجه على أرض مصر ...
١٠: أنا الرب إلهك، الذي أصعدك من أرض مصر. أفغِر فاك فأملأه».
مز ٩٥: ١: «هلم نرنِّم للرب، نهتف لصخرة خلاصنا.
٣: لأن الرب إله عظيم، ملك كبير على كل الآلهة.
٤: الذي بيده مقاصير الأرض، وخزائن الجبال له.

٥: الذي له البحر وهو صنعه، ويداه سبكتا اليابسة».

وعلى نفس النمط أيضاً مزمور (٥٠):

مز ٥٠: ١: «إله الآلهة الرب تكلَّم، ودعا الأرض من مشرق الشمس إلى مغربها.
٢: من صهيون كمال الجمال، الله أشرق.
٣: يأتي إلهنا ولا يصمت. نار قدَّامه تأكل وحوله عاصف جداً.
١٤: اذبح لله حمداً وأوفِ العليّ نذورك.
١٥: وادعني في يوم الضيق، أنقذك فتمجدني».

وكان عيد الحصاد في اليوم الأول من شهر تشري الذي كان هو عيد يهوه وهو يوم السنة الجديدة، وقد كان التعييد ليهوه يوماً مقدَّساً للرب كما يقول نحميا:

+ «فقال لهم: اذهبوا كلوا السمين واشربوا الحلو وابعثوا أنصبة لمن لم يُعد له. لأن اليوم إنما هو مقدَّس لسيدنا. ولا تحزنوا لأن فرح الرب هو قوتكم.» (نح ٨: ١٠)

واليوم الذي للسنة الجديدة هو يوم الضرب بالأبواق وهو طقس لتجليس يهوه:

مز ٤٧: ٥: «صعد الله بهتاف، الرب بصوت الصور (الأبواق)
٦: رنِّموا لله رنِّموا. رنِّموا لملكنا رنِّموا.
٧: **لأن الله ملك الأرض كلها ...**
٨: **الله جلس على كرسي قدسه**»
مز ٩٨: ٤: «اهتفي للرب يا كل الأرض. اهتفوا ورنِّموا وغنوا.
٥: رنِّموا للرب بعود، بعود وصوت نشيد.
٦: بالأبواق وصوت الصور اهتفوا قدَّام **الملك الرب!**
٩: أمام الرب لأنه جاء ليدين الأرض ...».

هذا الهُتاف في يوم يهوه هو هتاف الولاء، إذا سُمع في إسرائيل يكون معناه "الولاء الملكي" وأن يهوه الملك مع إسرائيل كما يقول سفر العدد:

+ «لم يُبصر إثماً في يعقوب ولا رأى تعباً في إسرائيل. الرب إلهه معه وهتاف ملك فيه!» (عد ٢٣: ٢١)

ومزمور (٨١) يذكر يوم السنة الجديدة عند القمر الجديد للعيد أي عيد الحصاد والمظال في ملء

تمام القمر، ويشير إلى هتاف يهوه وصوت القرن الخاص باليوم الجديد للسنة الجديدة في تشري:

مز ٨١:١: «رنّموا لله قوتنا اهتفوا لإله يعقوب.»

٢: ارفعوا نغمة وهاتوا دُفاً. عوداً حلواً مع رباب.

٣: انفخوا في رأس الشهر بالبوق. عند الهلال ليوم عيدنا.

٤: لأن هذا فريضة لإسرائيل. حُكم لإله يعقوب.

٥: جعله شهادة في يوسف عند خروجه على أرض مصر. سمعت لساناً لم أعرفه.

٦: أبعدت من الحمل كتفه، يداه تحوَّلتا عن السَّل.

٧: في الضيق دعوت فنجيتك. استجبتك في ستر الرعد. جرَّبتك على ماء مريبة. سلاه»

وقد ذُكر أيضاً اليوم الأول الخاص بالسنة الجديدة أولاً في سفر حزقيال:

+ «في السنة الخامسة والعشرين من سبينا، في رأس السنة في العاشر من الشهر في السنة الرابعة عشرة بعدما ضُربت المدينة. في نفس ذلك اليوم كانت عليَّ يد الرب وأتى بي إلى هناك.» (حز ٤٠:١)

بمعنى أن هذا اليوم كان معروفاً جداً في السبي.

ولكن السؤال الآن إذا كان يوم يهوه وتنصيبه ملكاً هو من قبل السبي فإلى أي وقت يُنسب بداية هذا الطقس؟ فالآن معروف أن هذا الطقس بداية أصله من السنة الزراعية وزراعة الأرض، هذا حقيقة مبدؤها واضح بذكر الأفرع الخضراء وطقس سحب المياه، ويعتقد أن إسرائيل قد اقتبست هذه الاحتفالات قبل ظهور الملكية الفردية، وهي مذكورة في (قض ٢١، ١صم ١) إلخ «هوذا **عيد الرب** في شيلوه من سنة إلى سنة شمالي بيت إيل شرقي الطريق الصاعدة من بيت إيل إلى شكيم وجنوبي لبونة.» (قض ٢١:١٩)

+ «وكان هذا الرجل (ألقانة) يصعد من مدينته من سنة إلى سنة ليسجد ويذبح لرب الجنود في شيلوه.» (١صم ١:٣)

ومعلوم أنه حتى إلى أن صار لإسرائيل ملك لم يكن من السهل إن يُقال أن يهوه ملك أو له يوم للاحتفال له. وأقصى ما وصل إليه علمنا أن سليمان لمّا بنى الهيكل ترك كرسي الشاروبيم فارغاً، الذي عُرف قطعاً بعد ذلك أنه عرش يهوه. ولكن في المزمور (١١٠) وهو من أقدم المزامير ذُكر أن يهوه ملك جالساً على عرشه ومقدّما لابنه الأرض – الملك الأرضي – مجلساً للكرامة عن يمينه.

مز ١١٠:١: «قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك.»

٢: يُرسل الرب قضيب عزّك من صهيون. تسلّط في وسط أعدائك ...

٤: أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق

كذلك وبنفس القِدَم مزمور (٦٨) الذي فيه يدعو العابد يهوه ملكه وإلهه (٦٨:٢٤). وهكذا نتأكّد أنه من زمن بعيد جداً كان طقس الهيكل في أُورشليم متأثراً مما حواليه، وقد أعطى ليهوه لقب ملك خاصة لدخول الله الهيكل وجلوسه، ومن هنا بدأ عيد يهوه.

ولنا في مزمور (٩٣) مرجع لعلاقة مزمور تجليس يهوه بعيد المظال:

مز ٩٣:١: «الرب قد ملك. لبس الجلال. لبس الرب القدرة، ائتزر بها. أيضاً تثبّتت المسكونة لا تتزعزع.

٢: كرسيك مثبّتة منذ القدم. منذ الأزل أنت.

٥: ... ببيتك تليق القداسة يا رب إلى طول الأيام».

هنا ذكر "ببيتك تليق القداسة" إشارة إلى طقس الكفّارة وهو خامس يوم قبل عيد المظال.

وهناك في سفر الخروج ما يشير إلى تملّك يهوه وعلاقة ذلك بتكريس مسكنه:

+ «المكان الذي صنعته يا رب لسكنك، المقدس الذي هيّأته يداك يا رب. الرب يملك إلى الدهر والأبد.» (خر ١٥: ١٧ و١٨)

هذا يوضّح ويؤكّد أن طقس يهوه كملك وتمليكه هو منذ القديم جداً. وهناك إشارة إلى ذلك في مزمور (٩٩):

مز ٩٩:١: «الرب قد ملك ترتعد الشعوب. هو جالس على الكروبيم ...»

٦: موسى وهارون بين كهنته وصموئيل بين الذين يدعون باسمه».

وفي سفر الملوك الأول (١:٨ إلخ) يقص عن كيف دشّن سليمان الهيكل في شهر أيثانيم وهو عيد الحصاد والمظال. وهكذا اختير الاحتفال بالسنة الجديدة كموعد لتكريس الهيكل. وبهذا الخصوص في هذا الأصحاح كان العمل الأساسي في تكريس الهيكل هو التابوت حينما أحضروه في احتفال إلى المقدس كرمز لحضور يهوه الشخصي. وهكذا كان الاحتفال تكراراً لما جاء في (٢صم ٦).

ونجد في مزامير التتويج علاقة وثيقة بالاحتفال بالسنة الجديدة، وقد سلّمنا التقليد في كتاب أخبار الأيام أنه ترجع هذه العلاقة بين مزامير التتويج والاحتفال بالسنة الجديدة إلى زمن داود، حيث في (١أي ١٦) نرى أن الوارد في (٢صم ٦) يُضاف إليه أن نقل تابوت يهوه إلى أُورشليم

كان يُنشد أثناءها تسبحة كانت تتكوَّن من صفحات من مزامير التتويج مزامير ٩٦و٩٧ ومزامير أخرى مطابقة. وليس هذا من مجرد خيال الكاتب ولابد أنه كان هناك في فكره يوم معيَّن للتعييد لتتويج يهوه. وهنا نسأل: أليس في (٢صم ٦) أيضاً تلميح إلى أن نقل التابوت ومعه تدشين طقس عبادة يهوه في أُورشليم بواسطة داود كان في إطار التعييد للسنة الجديدة وهو عيد الحصاد؟

كذلك عند ذكر التكفير وإعادة التكريس للهيكل كما نقرأ في الناموس في (لا ١٦) عن اليوم العظيم للتطهير وللكفارة ولمغفرة الخطايا التي اقترفت بواسطة الشعب في الأرض على مدار السنة، نجد هذا اليوم مرتبطاً بعيد تتويج يهوه ملكاً. ونفس هذا الارتباط نجده أيضاً في مزامير التتويج مثل (مز ٩٩: ١و٨).

+ «ويكون لكم فريضة دهرية أنكم **في الشهر السابع في عاشر الشهر** (أي خمسة أيام قبل عيد المظال الذي هو عيد تمليك يهوه) تذللون أنفسكم وكل عمل لا تعملون. الوطني والغريب والنازل في وسطكم، لأنه في هذا اليوم يُكفِّر عنكم لتطهيركم. من جميع خطاياكم أمام الرب تطهرون. سبت عطلة هو لكم وتذللون نفوسكم فريضة دهرية، ويكفر الكاهن الذي يمسحه والذي يملأ يده للكهانة عوضاً عن أبيه، يلبس ثياب الكتان الثياب المقدَّسة ويكفِّر عن مقدس القدس وعن خيمة الاجتماع والمذبح يكفر، وعن الكهنة وكل شعب الجماعة يكفر **وتكون لكم هذه فريضة دهرية للتكفير عن بني إسرائيل من جميع خطاياهم مرَّة في السنة.** ففعل كما أمر الرب موسى.» (لا ١٦: ٢٩-٣٤)

أمَّا في مزامير التتويج:

مز ٩٦: ١٠: «قولوا بين الأُمم الرب قد ملك [الذي يشير إلى طقس الفريضة الدهرية ومغفرة الخطايا مرَّة كل سنة للعفو العام]».

مز ٩٧: ١: «**الرب قد ملك** فلتبتهج الأرض».

مز ٩٩: ١: «الرب قد ملك ترتعد الشعوب. هو جالس على الكروبيم ...
٧: حفظوا شهاداته **والفريضة** التي أعطاهم.
٨: أيها الرب إلهنا. أنت استجبت لهم. إلهاً غفوراً كنت لهم ومنتقماً على أفعالهم (للعفو العام)».

ونسمع عن طقس تجليس الملك الأرضي وعن العفو العام الذي يتم في هذه المناسبة:

+ «فأركبوا سليمان على بغلة الملك داود وذهبوا به إلى جيحون، فأخذ صادوق الكاهن قرن الدهن من الخيمة ومسح سليمان، وضربوا بالبوق وقال جميع الشعب ليحيى الملك سليمان

... فأخبر سليمان الملك وقيل له هوذا أدونيَّا خائف من الملك سليمان وهوذا قد تمسَّك بقرون المذبح ... فأرسل الملك سليمان فأنزلوه عن المذبح فأتى وسجد للملك سليمان فقال له سليمان اذهب إلى بيتك.» (١مل ١: ٣٨و٣٩و٥١و٥٣)

+ «وقال الشعب لصموئيل مَنْ هم الذين يقولون هل شاول يملك علينا، ائتوا بالرجال فنقتلهم، فقال شاول لا يُقتل أحد في هذا اليوم لأنه في هذا اليوم صنع الرب خلاصاً في إسرائيل.» (١صم ١١: ١٢و١٣)

وهكذا فإن مزامير التتويج مطابقة لمبادئ وأفكار اليهودية في المعنى الديني للسنة الجديدة. فهذا حال معروف جدًّا ونجد له وجوداً في صلاة (أبينوملكينو) التي تُقال في السنة الجديدة، فإن العيد يُنسب إلى أن الله سيغفر خطايا شعبه لكي يبدأوا بداية جديدة "كخلائق جديدة".

ففي (٢صم ٦، ١مل ٨) نجد أن الملك نفسه سواء داود أو سليمان يعمل عمل رئيس الكهنة متمِّماً أعمال الطقس بكل اهتمام بيده، وهذا متفق تماماً مع النظرة الإسرائيلية القديمة إلى أن الملك هو **"مسيح يهوه"، و"ابنه"، وخليفته على الأرض.** ينتج من هذا أن الملك الأرضي يكون هو الشخص الأساسي في احتفال السنة الجديدة ولو أن ذلك لا يُذكر دائماً في مزامير التجليس، لأن حضور يهوه إنما هو المحتفى به. ولكن هناك صلة حقيقية بين الرؤية الدينية للملوكية والعيد الرئيسي للسنة الجديدة.

+ «في ابتداء ملك يهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا صار هذا الكلام من قبل الرب قائلاً:
هكذا قال الرب. قف في دار بيت الرب وتكلَّم على كل مدن يهوذا **القادمة للسجود في بيت الرب** بكل الكلام الذي أوصيتك أن تتكلَّم به إليهم. لا تنقص كلمة. لعلَّهم يسمعون ويرجعون كل واحد عن طريقه الشرير فأندم عن الشر الذي قصدت أن أصنعه بهم من أجل شر أعمالهم.» (إر ٢٦: ١-٣)

هذا كلام مسجَّل فني متوارث كان يُقال في بدء تجليس الملك على كرسيه، وذلك بقصد محدَّد وهو انتهاء الفترة بين موت الملك القديم وبداية ولاية الملك الجديد. هذا الكلام كان يُقال في احتفال مهيب بطقس معروف.

هذا الاحتفال الطقسي المذكور هنا هو احتفال تنصيب الملك في بدء السنة الجديدة في عيد المظال للسنة الجديدة. وكلام إرميا هذا يوضِّح فكرة العيد المذكور، وهذا يظهر جيداً إذا قارناه بما

جاء في (مز ٩٣:٥): «شهاداتك ثابتة جدًّا، ببيتك تليق القداسة يا رب إلى طول الأيام».

وهكذا فإن وعود الله يثبت صدقها بتكرار تكريس الهيكل.

هنا نلتجيء إلى مزمور (١٣٢) فهو يخص احتفالاً طقسياً مهيباً ويشير إلى دخول يهوه في قصره وهتاف الولاء يقدّم له عند قدميه وهو جالس على عرشه. ولكن الاحتفال بآن واحد يُحتفل بتذكار ويدعو إلى عودة الحياة وإلى انتقال التابوت إلى أورشليم وتمكين الطقس لتكريم يهوه في أورشليم. وهذا مذكور في (٢صم ٦) حيث الملك هنا هو داود.

والاحتفال الذي يشير إليه المزمور يؤكّد بتكرارٍ نجاحَ الملكية بنعمة يهوه وتثبيت صهيون وبيت داود:

مز ١٣٢:١: «اذكر يا رب داود، كل ذله.
٢: كيف حلف للرب، نذر لعزيز يعقوب.
٣: لا أدخل خيمة بيتي لا أصعد على سرير فراشي.
٤: لا أُعطي وسناً لعينيّ ولا نوماً لأجفاني.
٥: أو أجد مقاماً للرب مسكناً لعزيز يعقوب.
٦: هوذا قد سمعنا به في أفراته. وجدناه في حقول الوعر.
٧: لندخل إلى مساكنه. لنسجد عند موطئ قدميه.
٨: قُمْ يا رب إلى راحتك أنت وتابوت عزّك.
٩: كهنتك يلبسون البر وأتقياؤك يهتفون.
١٠: من أجل داود عبدك لا ترد وجه مسيحك.
١١: أقسم الرب لداود بالحق لا يرجع عنه. من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك.
١٢: إن حفظ بنوك عهدي وشهاداتي التي أُعلّمهم إيّاها، فبنوهم أيضاً إلى الأبد يجلسون على كرسيك.
١٣: لأن الرب قد اختار صهيون اشتهاها مسكناً له.
١٤: هذه هي راحتي إلى الأبد ههنا أسكن لأني اشتهيتها.
١٥: طعامها أُبارك بركة مساكينها أُشبع خبزاً.
١٦: كهنتها أُلبس خلاصاً وأتقياؤها يهتفون هُتافاً.
١٧: هناك أُنبت قرناً لداود. رتّبتُ سراجاً لمسيحي.

١٨: أعداءه ألبس خزياً وعليه يزهر إكليله».

وهكذا نفس المحاباة ونفس البركات التي حُفظ بها داود، تردَّد صداها في مزمور (٨٩:٢٠) وفي (٢صم ٧) حُفظت أيضاً الآن للملك الحاكم.

مز ٨٩:٢٠: «وجدت داود عبدي بدهن قدسي مسحته.
٢١: الذي تثبت يدي معه. أيضاً ذراعي تشدّده.
٢٧: أنا أيضاً أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض.
٢٨: إلى الدهر أحفظ له رحمتي وعهدي يثبت له.
٢٩: وأجعل إلى الأبد نسله. وكرسيه مثل أيام السموات».

+ «وكان لمّا سكن الملك في بيته وأراحه الرب من كل الجهات من جميع أعدائه ... فحسب جميع هذا الكلام وحسب كل هذه الرؤيا كذلك كلّم ناثان داود.» (٢صم ٧: ١و١٧)

ومن المؤكّد لنا أن هذه القصة أصبح لها مكان في طقس السنة الجديدة وعيدها، كذلك المزمور (١٣٢). ويلزم أن ننتبه إلى العلاقة الوثيقة بين التعييد لتكريس الهيكل وبين عهد الله مع داود كما هو مذكور في صلاة سليمان الخاصة بالهيكل:

+ «منذ يوم أخرجت شعبي إسرائيل من مصر لم أختر مدينة من جميع أسباط إسرائيل لبناء بيت ليكون اسمي هناك، بل إنما اخترت داود ليكون على شعبي إسرائيل» (١مل ٨:١٦)

في هذا كله واضح أن داود يلعب دوراً رئيسياً "كابن" ممثل للألوهة، وكأب يمثل الشعب، وظهور الملك يمثل ظهور الله رحوماً وقوياً وسط شعبه، وهذا فكر نبوي صار حقيقة في المسيح، كونه ملكاً وابناً لله ووجوده وسط شعبه، حتى إذا اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمه، أو حينما يجتمع الشعب كله ككنيسة تحتفل بمواسم العبادة.

والنتيجة في هذا البحث تنطوي على صدق مزامير التجليس، ومن الشرح ننتهي إلى أن تجليس يهوه على عرشه كان واقعاً حيًّا لإحياء نصرته فوق قوات الظلمة. وتكرار هذه الاحتفالات كان للتعبير عن حقائق الخلاص وتثبيت ذكرى الخروج من مصر وإقامة العهد. وفي هذا كان التابوت هو رمز يهوه المنظور.

هذا العيد هو أصلاً أحد الاتجاهات للاحتفال بعيد الزراعة والحصاد والسنة الجديدة إلى أن صار

اليوم الأول من تشري، والتجليس صار منظره في يوم السنة الجديدة والمظال، ويمكن تتبّعه إلى أيام حكومات الملك في الملكية الفردية الأُولى.

والاتجاه الآخر من العيد هو إحياء ذكرى تكريس الهيكل تثبيتاً لذكرى يهوه في أُورشليم وذكرى التطهير السنوي وتقديم الولاء للملك.

كما يعتبر تذكاراً لتجديد عهد الله لداود وبيته الملكي مع تجديد عهد سيناء.

ويُلاحَظ أن التعييد لتجليس يهوه ملتحم بالسنة الزراعية بموسميها: موسم الجفاف والقحط والعطش، وموسم الأمطار وإحياء الطبيعة والزراعة والحصاد والخير. هذا التغيير بعينه يمثّل الموت الذي جازه يسوع المسيح والقيامة لحياة جديدة وأثرها في الإنسان، وهذا ما ظلّت الطقوس تخدم تكراره بمحافل رهيبة، حيث الله هو مصدر الحياة والتجديد.

هذه الدورة في الطبيعة والطقس في داخل العبادة تركت آثارها القديمة سواء كان لعيد الحصاد أو غيره حتى الأيام الأخيرة ولكن تغيَّر التعبير والواسطة.

فالمظاهر التي يذكرها سفر اللاويين (٢٣: ٤٠) والاحتفال حول المذبح بأغصان خضراء وثمار، يذكرها مزمور ١١٨: ٢٧: «الرب هو الله وقد أنار لنا. أوثقوا الذبيحة برُبط إلى قرون المذبح». وهو طقس ذكرى قديمة - حيث هنا مصدر التقديس هو المذبح ويشع بركة.

كذلك في صب الماء على المذبح من القدر الفضي التي يذكرها إشعياء هكذا:

+ «فتستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص وتقولون في ذلك اليوم احمدوا الرب، ادعوا باسمه، عرِّفوا (اذكروا) بين الشعوب بأفعاله.» (١٢: ٣و٤)

وهو طقس يدعو السماء لكي ترسل مطرها للسنة الجديدة، حيث الماء أيضاً يشير إلى الخلاص بمعنى الغنى والسلام والخصب، التي يذكرها إشعياء بينابيع الخلاص.

وفي إسرائيل أصبحت كل هذه الطقوس يعاد شرحها كرموز تعبِّر عن الصلاة ليهوه ليأتي ويخلق حياة وخصباً وسلاماً وخلاصاً. وكانت أعياد السنة الجديدة مع الحصاد والمظال تستمر سبعة أيام زائد يوماً واحداً مع احتفالات رقص.

يهوه يحيا ويعمل ويستعلن ذاته في التاريخ الحي:

لقد اختبرت إسرائيل يهوه في التاريخ، واستمر الأنبياء يرونه ويشرحون التاريخ باعتباره استعلاناً

له، كون الله يعلن ذاته لشهوده وشعبه خلال الحق ذاته، لأن حقائق التاريخ بالاستعلان تصبح هي كلماته من خلال شخص التاريخ الذي هو حقًّا "الكلمة".

هذا جعل إسرائيل دولة دين وعبادة، شيء مخالف لما في البلاد الأخرى حواليها. والمقولة الذهبية إن الإنسان يختلف عن الحيوان لأن له تاريخ وعبادة تنطبق تماماً على إسرائيل.

وفي إسرائيل تحوَّل الطقس إلى تاريخ كونه خاصاً بيهوه، كما أن التاريخ تحوَّل إلى طقس وعبادة. فلم تعد العبادة دورات طبيعية بلا خلاص ممتد وحقائق خلاصية، وانكشف الخلق أنه فعل ليهوه بدأ به التاريخ ويحقّقه بظهوره مجدداً كل سنة. ومن خلال التعييد ليهوه حُفظ التاريخ والخروج من مصر والعهد على جبل سيناء.

لذلك فإن كلمات الذكرى في الاحتفال بيهوه تشمل الخلاص الحقيقي الذي حازته إسرائيل بالخروج من مصر وعبور البحر الأحمر، والتعييد كل سنة لتتويج يهوه يؤكد استمرار الاختيار والخلاص، الذي عُيِّد له قديماً في شيلوه بحضور التابوت المعبِّر عن يهوه الصباؤوت كالرمز الأصلي لوجود يهوه وسط الشعب، وظلّت على مدى سنين ما قبل السبي كلها.

ولكي نخرج بمحصول واقعي من التعييد للتتويج بمزاميره وتسابيحه نلخِّصه في مفهوم الخلاص باعتباره أكثر ما يقع عليه التركيز في الطقس والتعييد، ومجيء يهوه وجلوسه.

أمّا الرسالة والاختبار الذي تخرج به المسيحية من مفهوم التعييد ليهوه بمفهوم المجيء للخلاص والتجديد فهي روح وحياة كل حفلات التعييد للمسيح. فالتعييد لظهور يهوه هو النبوة الأُولى والعظمى لظهور الله في الجسد، لتجديد الخليقة.

ونُلاحظ أن العامل الأساسي في التعييد ليهوه هو فكرة "**مجيئه**":

مز ٩٦: ١٣: «أمام الرب لأنه جاء، جاء ليدين الأرض. يدين المسكونة بالعدل والشعوب بأمانته».

مز ٩٨: ٩: «أمام الرب لأنه جاء ليدين الأرض، يدين المسكونة بالعدل والشعوب بالاستقامة».

كذلك يقوم الطقس على أساس استعلان يهوه، جاعلاً نفسه معروفاً:

مز ٤٨: ٣: «الله في قصورها يُعرف ملجأ.

٤: لأنه هوذا الملوك اجتمعوا. مضوا جميعاً.

٥: لمّا رأوا بُهتوا ارتاعوا فرّوا.

٨: كما سمعنا هكذا رأينا في مدينة رب الجنود في مدينة إلهنا».

مز ٩٨: ٢: «أعلن الرب خلاصه، لعيون الأمم كشف برّه».

مز ٧٦: ١: «الله معروف في يهوذا، اسمه عظيم في إسرائيل.
٢: كانت في ساليم مظلته ومسكنه في صهيون».

ومزامير التتويج ليهوه تشير إلى بر يهوه الذي يأتي بالخطوط السعيدة كنتيجة لتتويجه:
مز ٩٦:١٣: «أمام الرب لأنه جاء، جاء ليدين الأرض، يدين المسكونة بالعدل والشعوب بأمانته».
مز ٩٧: ٨: «سمعت صهيون ففرحت، وابتهجت بنات يهوذا من أجل أحكامك يا رب».
مز ٩٨: ٩: «أمام الرب لأنه جاء ليدين الأرض يدين المسكونة بالعدل والشعوب بالاستقامة».
مز ٤٨: ١٢: «طوفوا بصهيون ودوروا حولها. عدوا أبراجها.
١٣: ضعوا قلوبكم على متارسها. تأملوا قصورها لكي تحدّثوا بها جيلاً آخر.
١٤: لأن الله هذا هو إلهنا إلى الدهر والأبد. هو يهدينا حتى إلى الموت».

ولو أنه يتكلّم عن الدينونة ولكنها تعني أكثر من معناها القضائي، فالمقصود بالدينونة هو ما يهم الملك من حفظ التوازن والعهد في وضعه الصحيح، الذي نسميه أفضل "حكم" أو ضبط. لذلك حينما يُظهر الملك حكمه يظهر أيضاً بره: أي قوته لعمل الحق بكل معنى وليخلق نظاماً للحق! الذي يشمل السلام والبركة والأخلاق الطيبة والنصرة لشعبه لكي يبرِّرهم، بمعنى أن يخلق لهم أخلاقاً اجتماعية وأحوالاً دينية طيبة. على هذا المنوال يحكم يهوه ويدين.

فإذا وجه الحكم نحو إسرائيل ووضعها فهذا يعني أولاً أن يحفظ سعادتها ومصالحها وقوة سلامها وخلاصها، ومن نحو أعدائها فإنه يسحقهم. لهذا تفرح مُدن يهوذا بمُلك يهوه وأحكامه كما في مزامير (٤٨:١٢، ٩٧:٨).

ولكن قد يقصد من كلمة "الحكم" في مزامير التتويج المعنى الفني للحكم والعقاب، ونتيجة لذلك يكون المعنى أن يهوه يجمع مقاوميه لمحاكمتهم كما يفعل أي ملك أرضي مع أعدائه، مثل ما فعل سليمان مع أعدائه.

+ «وأيضاً هكذا قال الملك: مباركٌ الربُّ إله إسرائيل الذي أعطاني اليوم مَنْ يجلس على كرسيّ وعيناي تبصران. فارتعد وقام جميع مدعوّي أدونيّا وذهبوا كل واحدٍ في طريقه. وخاف

أدونيّا مِنْ قِبَلِ سليمان وقام وانطلق وتمسَّك بقرون المذبح.» (١مل ١: ٤٨-٥٠)

+ «ثم جاء أدونيّا ابن حجيث إلى بثشبع أُم سليمان، فقالت أللسلام جئتَ، فقال: للسلام. ثم قال: لي معكِ كلمة. فقالت: تكلّم. فقال: أنتِ تعلمين أن المُلكَ كان لي وقد جعل جميع إسرائيل وجوههم نحوي لأَمْلِكَ فدار المُلْكُ وصار لأخي لأنه من قبل الرب صار له. والآن أسألكِ سؤالاً واحداً فلا تردِّيني فيه. فقالت له: تكلّم. فقال: قولي لسليمان الملك لأنه لا يَرُدُّكِ أن يُعطيني أبيشج الشونمية امرأة ... وحلف سليمان الملك بالرب قائلاً: هكذا يفعل لي الله وهكذا يزيد إنه قد تكلّم أدونيّا بهذا الكلام ضدَّ نفسِهِ. والآن حيٌّ هو الرب الذي ثبّتني وأجلسني على كرسيّ داود أبي والذي صنع لي بيتاً كما تكلّم، إنه اليوم يُقتل أدونيّا ...

ثمَّ أرسل الملك ودعا شمعي وقال له: ابن لنفسك بيتاً في أورشليم وأقم هناك ولا تخرج من هناك إلى هنا أو هنالك. فيوم تخرج وتعبر وادي قدرون اعلمنَّ بأنك موتاً تموت ويكون دمُكَ على رأسِكَ.» (١مل ٢: ١٣-٣٧)

ويحكي مزمور ٧٦ أن يهوه أعلن نفسه في ساليم، وأنه أيضاً جعل دينونته تسمع من السماء حال يجلس على كرسيه في ساليم وأنه قام للحكم ليخلّص كل المنسحقين على الأرض:
مز ٧٦: ١: «الله معروف في يهوذا. اسمه عظيم في إسرائيل.
٢: كانت في ساليم مظلّتُهُ ومسكنه في صهيون ...
٨: من السماء أسمعت حكماً، الأرض فزعت وسكتت.
٩: عند قيام الله للقضاء لتخليص كل ودعاء الأرض. سلاه».

وفي مزمور ٧٥ يتحدَّث عن توبيخ شديد على سكان الأرض لأنه القاضي الذي يخفض الواحد ويرفع الآخر - وكيف أنه واقف ومعه كأس ليشربه كل أعدائه، يسلسل النبلاء والملوك بقيود من حديد:
مز ٧٥: ١: «نحمدك يالله نحمدك واسمك قريبٌ. يُحدِّثون بعجائبك.
٢: لأني أُعيِّن ميعاداً. أنا بالمستقيمات أقضي.
٣: ذابت الأرض وكل سكانها. أنا وزنت أعمدتها. سلاه
٤: قلت للمفتخرين لا تفتخروا وللأشرار لا ترفعوا قرناً.
٥: لا ترفعوا إلى العُلَى قرنكم، لا تتكلّموا بعُنقٍ مُتصلِّب.

٧: ولكن الله هو القاضي. هذا يضعه وهذا يرفعه.

٨: لأن في يد الرب كأساً وخمرُها مختمرةٌ. ملآنةٌ شراباً ممزوجاً. وهو يسكبُ منها. لكن عَكَرُهَا يَمَصُّهُ يشربه كل أشرار الأرض».

مز ١٤٩:٦: «تنويهات الله في أفواههم. وسيف ذو حدَّين في يدهم.

٧: ليصنعوا نقمة في الأُمم، وتأديبات في الشعوب.

٨: لأسر ملوكهم بقيود، وشرفائهم بكبول من حديد.

ليجروا بهم الحكم المكتوب. كرامةٌ هذا لجميع أتقيائه. هللويا».

والجور والظلم في التاريخ بين الأُمم بالنسبة للشعوب والحكومات جعل يهوه يتدخل في التاريخ ويُجري حكماً على الأقوياء في العالم الذين يخدمون الشر. وتحت حكم هؤلاء الأشرار صارت إسرائيل فقيرة ومحتاجة ومهانة، وهذا يُظهر حالة الشعب الداخلية، ولا عدل بين الأرامل أو الأيتام، ولا عامة الشعب وهذا ما سيتحكَّم في أعياد التجليس ليهوه، حيث يُجرى العدل مبدئياً ولم يظهر في الحقيقة العملية. وهكذا ينتهي هذا الوضع بالصلاة لله ليتدخَّل بين الشعوب والأمم.

مز ٤٦: ١: «الله لنا ملجأ وقوة. عوناً في الضيقات وُجِدَ شديداً.

٢: لذلك لا نخشى ولو تزحزحت الأرض، ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار.

٣: تعج وتجيش مياهها. تتزعزع الجبال بطموها. سلاه.

٦: ... أعطى صوته ذابت الأرض.

٧: رب الجنود معنا، ملجأنا إله يعقوب. سلاه

٨: هلموا انظروا أعمال الله، كيف جعل خربا في الأرض.

٩: مُسكِّن الحروب إلى أقصى الأرض. يكسر القوس ويقطع الرمح، المركبات يحرقها بالنار.

١٠: كُفُّوا واعلموا أني أنا الله. أتعالى بين الأُمم، أتعالى في الأرض».

مز ٤٨: ٤: «لأنه هوذا الملوك اجتمعوا. مضوا جميعاً.

٥: لَمَّا رأوا بُهتوا، ارتاعوا، فروا.

٦: أخذتهم الرعدة هناك. والمخاض كوالدة.

٧: بريح شرقية تكسر سفن ترشيش.

٨: كما سمعنا هكذا رأينا في مدينة رب الجنود في مدينة إلهنا. الله يثبتها إلى الأبد. سلاه».

هنا فكرة أن يهوه يكرِّر النصرة فوق الأُمم والثقة لإسرائيل في المقابل، يقدِّمها المزمور كقصة مغزولة بحوادث وقصص وهمية. هذه القصص والوهميات ضد إسرائيل عندما تبلغ أوجها يظهر يهوه ويسحقها، وأسوار أُورشليم لا تتزعزع لأنها مدينة الملك العظيم. ولكن القصص لا تفيد مستقبلاً ما ولكن واقعاً مختبراً.

مز ٤٨: ٩: «ذكرنا يا الله رحمتك في وسط هيكلك.

٨: كما سمعنا هكذا رأينا. في مدينة رب الجنود. في مدينة إلهنا. الله يثبتها إلى الأبد. سلاه».

يقدِّمها الطقس كقصة للتعليم عن حقيقة وقعت، تتكرَّر كلما ظهر يهوه في كل عيد وحتماً تعود وتتكرَّر.

وفي مزمور (٦٨) يقدِّم المؤلف احتفالاً موكبياً أصيلاً ليهوه لعيد رأس السنة ويسمَّى عيد المجيء وعيد الظهور ليهوه، ونستطيع أن نميِّز الأعداء الأقوياء لإسرائيل مع قوات الظلم الذين يُسحقون ويتبدَّدون:

مز ٦٨: ١: «يقوم الله. يتبدَّد أعداؤه ويهرب مبغضوه من أمام وجهه ...

٣: والصديقون يفرحون.

٤: أعدوا طريقاً للراكب في القفار باسمه ياه واهتفوا أمامه.

٥: أبو اليتامى وقاضي الأرامل. الله في مسكن قدسه.

٧: اللهم عند خروجك أمام شعبك. عند صعودك في القفر. سلاه.

٨: الأرض ارتعدت. السموات أيضاً قطرت. أمام وجه الله. سينا نفسه من وجه الله إله إسرائيل.

١٢: ملوك جيوش يهربون ...

١٤: عندما شتَّت القدير ملوكاً فيها».

ويُطلب مجيء الله في ميعاده لأن الأرض أصابها القحط، والموت، والأعداء.

ومزمور (٤٨: ١٤) يحكي عن الخلاص من الموت (حسب النسخة العبرية).

"الله قائدنا ضد الموت" (مز ٤٨: ١٤ عن نسخة مونكل).

وإسرائيل دائمة الفزع والشكوى من الأُمم وملوك الأُمم الذين اجتمعوا لهلاك شعب يهوه، كما يصوِّر ذلك المزمور الثاني وهو المسمَّى بالمزمور الملكي.

مز ٢: ١: «لماذا ارتجَّت الأُمم، وتفكر الشعوب في الباطل.

٢: قامت ملوك الأرض. وتآمر الرؤساء معاً. على الرب وعلى مسيحه قائلين.
٣: لنقطع قيودهما، ولنطرح عنا ربطهما.
٤: الساكن في السموات يضحك. الرب يستهزئ بهم.
٥: حينئذ يتكلَّم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه».

من أجل هذا التهديد يأتي يهوه لينجّي شعبه ويحاكم الأعداء وبعمل واحد يسحقهم. وعند الكلام عن الخلاص القادم يذكرون حالهم الواقع تحت التهديد على الدوام، والملوك يخطِّطون دائماً ضد مدينة الله، ولكن في إشراق الصبح يأتي الرب ليذبح ويسحق ولكنه الآن يجلس منتصراً على عرشه لا يهتز حتى إذا تزعزعت الجبال وضجَّت البحار. إله يعقوب ملجأنا.

ويُلاحظ أن المزامير تقرن بين الخليقة وظهور شعب إسرائيل! وأن الخليقة قد بلغت كمالها في أول ظهور إسرائيل عند الخروج من مصر.

متى صار يهوه ملكاً على إسرائيل؟

+ «حين قَسَمَ العلي للأُمم، حين فرَّق بني آدم نصب تخوماً لشعوب حسب عدد بني إسرائيل، إن قسم الرب هو شعبه يعقوب حبل نصيبه.» (تث ٣٢: ٨و٩)

ويُقال إنه عند خروج شعب إسرائيل من مصر وضع يهوه أسس ملكه لهم:

+ «عند خروج إسرائيل من مصر وبيت يعقوب من شعب أعجم، كان يهوذا مقدسه وإسرائيل محل سلطانه.» (مز ١١٤: ١و٢)

وقد وضع حكماء إسرائيل في فم موسى وبني إسرائيل عندما سبَّحوا الرب عند عبور شعب إسرائيل البحر الأحمر: هيكل صهيون ومملكة يهوه:

+ «تجيء بهم وتغرسهم في جبل ميراثك المكان الذي صنعته يا رب لسكنك، المقدس الذي هيأته يداك يا رب. **الرب يملك إلى الدهر والأبد!**» (خر ١٥: ١٧و١٨)

وهكذا فإن ما صنعه يهوه بشعب إسرائيل في مصر وما بعدها كان بمثابة تأسيس مملكته، وهو يجدِّد هذه الملوكية في كل عيد لأول السنة كملك منصور.

ولكن الاختيار تمَّ بالعهد الذي يُعتبر أهم ما تمَّ في تدبير يهوه داخل التاريخ، وصار كل تاريخ إسرائيل بعد ذلك هو لتقوية إسرائيل وللعهد، الذي هو إقامة "الحياة". وكل ما بعد موسى كان

تاريخاً للعهد الذي قطعه الله بصلاحه لشعبه المختار. وهذا هو مركز الفكر الإسرائيلي الديني، سواء في الطقس أو الأنبياء.

فعند التعييد لتجليس يهوه في أول السنة يكون دائماً تجديد ذكرى الاختيار في التاريخ، ففي العيد يأتي يهوه ليجدِّد العهد الذي صنعه مع الشعب عند قادش في سيناء.

وعند تجديد العهد كان هناك الوعد بالبركة للشعب وكل السعادة والنصرة على مدار السنة. ملك بار وقوي ومنتصر، كهنة حقيقيون، وخصوبة فردوسية، مع سلام ورئاسة على كل الشعوب ونصرة على الأعداء، وحماية من الشياطين وقوى الشر، وتحطيم قوى الشر والخطاة.

ومزمور (٩٩) يذكر هنا شواهدَ ثابتات ثبوت الدهر على أعمال يهوه الفائقة الأبدية المستحقة السجود مذكِّراً بأساس العهد وبدايته.

مز ٩٩: ١: «الرب قد ملك. ترتعد الشعوب. هو جالس على الكروبيم. تتزلزل الأرض.
٢: الرب عظيم في صهيون وعال هو على كل الشعوب.
٣: يحمدون اسمك العظيم والمهوب. قدوس هو.
٤: وعزُّ الملك أن يُحبَّ الحق. أنت ثبَّتَّ الاستقامة أنت أجريت حقًّا وعدلاً في يعقوب.
٥: علُّوا الرب إلهنا واسجدوا عند موطئ قدميه. قدوس هو.
٦: موسى وهارون بين كهنته وصموئيل بين الذين يدعون باسمه. دعوا الرب وهو استجاب لهم.
٧: بعمود السحاب كلَّمهم حفظوا شهاداته والفريضة التي أعطاهم.
٨: أيها الرب إلهنا، أنت استجبت لهم. إلهاً غفوراً كنت لهم، ومنتقماً على أفعالهم.
٩: علُّوا الرب إلهنا، واسجدوا في جبل قدسه، لأن الرب إلهنا قدوس».

مزمور (٩٥) يُذكِّر بالعودة إلى أعمال المجد التأسيسية ويحذر من قسوة القلب ونسيان معروف الله:

مز ٩٥: ١: «هلمَّ نرنِّم للرب، نهتف لصخرة خلاصنا.
٢: نتقدَّم أمامه بحمد، وبترنيمات نهتف له.
٣: لأن الرب إله عظيم، ملك كبير على كل الآلهة.
٤: الذي بيده مقاصير الأرض، وخزائن الجبال له.
٥: الذي له البحر وهو صنعه. ويداه سبكتا اليابسة.
٦: هلم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا.

٧: لأنه هو إلهنا ونحن شعب مرعاه وغنم يده. اليوم إن سمعتم صوته،
٨: فلا تقسوا قلوبكم كما في مريبة مثل يوم مسّة في البرية،
٩: حيث جرّبني آباؤكم. اختبروني. أبصروا أيضاً فعلي.
١٠: أربعين سنة مقتُّ ذلك الجيل وقلت: هم شعب ضالٌّ قلبهم. وهم لم يعرفوا سُبلي.
١١: فأقسمتُ في غضبي لا يدخلون راحتي».

ويعود أيضاً في مزمور (٨١) يذكّر الشعب بالأمجاد الأُولى ويحذّر من القسوة وعدم السمع ويبدأ المزمور بالترنّم والسجود والهُتاف ليهوه يوم تنصيبه ملكاً:

مز ٨١: ١: «رنّموا لله قوتنا. اهتفوا لإله يعقوب.
٢: ارفعوا نغمة وهاتوا دُفاً، عوداً حلواً مع رباب.
٣: انفخوا في رأس الشهر بالبوق، عند الهلال ليوم عيدنا.
٤ لأن هذا فريضة لإسرائيل حكم لإله يعقوب ...
٨: اسمع يا شعبي فأُحذّرك ...».

وهكذا يمزج مزمور التعييد لتجليس يهوه بين الفرح والآلات والعبادة، وبين الوصايا الهامة لكي يرضي يهوه. وهكذا يجعل ظهور يهوه فرصة لاسترجاع وصايا وتحذيرات الماضي. ولا يزال المزمور يوعّي الشعب بصوت يهوه أنه هو الذي أخرجهم من أرض مصر وهو الذي أعطاهم وصايا سيناء، ويكرّر ذكر عدم طاعة الجيل الشرير الذي أقسم الله في غضبه أن لا يدخلوا راحته. وهكذا صار عيد تجليس يهوه مدرسة تعليم وتوعية.

وهكذا أصبح عيد الحصاد والسنة الجديدة عيد تجديد العهد التاريخي وتوضيح ظروفه. ويظل المزمور يربط بين عهود الماضي وبين مراحم الله وأعماله مع الآباء وغيرتهم مثل مزمور (١٣٢).

مز ١٣٢: ١: «اذكر يا رب داود، كل ذلّه.
٣: لا أدخل خيمة بيتي. لا أصعد على سرير فراشي.
٤: لا أعطي وسنا لعيني، ولا نوماً لأجفاني.
٥: أو أجد مقاماً للرب. مسكناً لعزيز يعقوب».

وظلّ يهوه يحذّر في تجديد عيده عن نكص العهود وكسر الوصايا:
مز ٨١: ٨: «اسمع يا شعبي فأحذّرك. يا إسرائيل إن سمعت لي!

٩: لا يكن فيك إله غريب، ولا تسجد لإله أجنبي.
١٠: أنا الرب إلهك، الذي أصعدك من أرض مصر. أفْغِر فاك فأملأه»

وقد حذّر يهوه شعب إسرائيل من محاكمته ودينونته ومؤاخذته. وذلك في المزمور ٥٠ المستعمل في عيد الحصاد والمظال وذلك بحسب أبحاث المشناه، وذلك بسبب جنوح الشعب عن وصايا يهوه وظهور أشرار يدّعون المعرفة وهم مجرمون.

مز ٥٠: ١: «إله الآلهة الرب تكلّم، ودعا الأرض من مشرق الشمس إلى مغربها.
٢: من صهيون كمال الجمال، الله أشرق.
٣: يأتي إلهنا ولا يصمُتُ. نارٌ قدّامه تأكل وحوله عاصفٌ جداً.
٤: يدعو السموات من فوق، والأرض إلى مداينة شعبه ...
٧: اسمع يا شعبي فأتكلّم. يا إسرائيل فأشهد عليك. الله إلهك أنا ...
١٤: اذبح لله حمداً، وأوفِ العليَّ نذورك.
١٥: وادعني في يوم الضيق أنقذك فتمجّدني.
١٦: وللشرير قال الله: مالك تحدّث بفرائضي وتحمل عهدي على فمك.
١٧: وأنت قد أبغضت التأديب وألقيت كلامي خلفك.
١٨: إذا رأيت سارقاً وافقته، ومع الزناة نصيبك.
١٩: أطلقت فمك بالشر ولسانك يخترع غشًّا ...
٢٢: افهموا هذا يا أيها الناسون الله لئلاّ أفترسكم ولا منقذ».

ويلزم أن تُعرف مزامير تجليس يهوه على عرشه في رأس السنة الجديدة أنها متوافقة مع خلفية هذا العيد مع كل غنى الخبرات التي يحتويها والتي تحوي كل الماضي والمستقبل مع الحاضر المتجدّد.

فمزامير الظهور الإلهي والتجليس هي تسابيح للمديح والصلوات التي تمجّد يهوه باعتباره ملكاً قد عاد الآن وأظهر ذاته لشعبه، موضّحة انفعال الشعب واعتراف إيمانهم بالموعد الذي قطعه يهوه مجدّداً وذلك بالفرح والتعجُّب كاختبار متجدّد.

ويُعتقد تماماً أن تسابيح التجليس ليهوه تعود إلى يهوه بالملوكية والمجد. فهي تشيد بدخول يهوه وجلوسه على عرشه ونصرته، والكل يسجد تحت قدميه يعبده ويعطيه الأمانة، والكل يعتبر أنها تسبحة جديدة وصلاة للجميع.

مز ٩٦: ١: «رنّموا للرب ترنيمة جديدة، رنّمي للرب يا كل الأرض».

مز ٩٨: ١: «رنّموا للرب ترنيمة جديدة، لأنه صنع عجائب».

مز ٦٥: ١: «لك ينبغي التسبيح يا الله في صهيون ولك يوفى النذر.

٢: يا سامع الصلاة إليك يأتي كل بشر».

وذلك في مناسبة مجيئه جديداً كل سنة وقد أعاد خلقة الأرض.

ونلخّص أهم ما يميّز هذه المزامير فيما يلي:

١ - تبتدئ بإعطاء تسابيح الولاء والأمانة بأعلى ما يكون ليهوه كملك، الذي أتى وجلس على عرشه لأن يهوه ملك على كل الأرض، لذلك فإسرائيل تدعو الأرض كلها والشعوب لعبادته لأن يهوه أعاد خلقة الأرض، ولذلك تدعو إسرائيل كل عناصر الطبيعة لتفرح، فعمل يهوه فائق على كل كيان، فالكل يلزم أن يقدّم الاعتراف والخضوع.

٢ - تذكر أعماله العظيمة كأعمال الخلاص، وتقدمه لشعبه في محفل مقدّس ليقودهم نحو مستقبلهم.

٣ - ظهور عظمته وهيبته ومخافته، ودعوة الأعداء للخوف والتراجع، ودعوة في المقابل لشعبه للفرح لعدالة الله.

والآن بظهور يهوه كملك لإسرائيل وإعلان ملوكيته على شعبه إسرائيل المختار وأمانتهم له، أصبح ماضيهم ومستقبلهم في أمانة تعهُّده، لأن العالم خُلق من أجلهم! ومن أجلهم سُحق التنين والموت، وانتصرت البركة والنصرة وتمّت كل الرغبات والأحلام، ولا يوجد مثيل لهذا.

لذلك فالاحتفال بتجليس يهوه بكل هذه التسبيحات وأقصى التكريم موافق وواجب، وقد امتلأت يداه بالعطايا والقداسة حلّت بمقدسه، وها قد رأيناه في ساليم وكل عظمة أعماله منظورة لنا بالإيمان. فإن كانت أصوات الهتاف تملأ الأرض للملك الزمني، فما بالك يهوه! هوذا الجبال والبحار والغابات والأودية تصفّق بيديها، تهلّل لمجيئه، أمّا جماعته فتخر ساجدة أمامه، ويليق به جديداً تسبحة جديدة حينما يزور شعبه، وأُورشليم كلها تفرح وكل مدن يهوذا من أعمال عدله وبره.

عواطف المسبحين بتنصيب يهوه ملكاً وذلك في "عيد يهوه":

من الصعب تفريد المزامير التي تتكلّم عن مجموعة أعياد رأس السنة والحصاد والمظال وتجليس يهوه، وخاصة يصعب التفريق بين عواطف الشعب من جهة سلطان الله على الخليقة ومن جهة

ملوكية يهوه، وبالمثل التفريق بين اختبار أعمال الله الخلاصية وبين أعماله في تجديد الحصاد ومباركته كل سنة:

مز ٩٣: ١: «الرب قد ملك، لبس الجلال. لبس الرب القدرة، ائتزر بها. أيضاً تثبّتت المسكونة لا تتزعزع.

٢: كرسيك مثبتة منذ القدم. منذ الأزل أنتَ.

٣: رَفَعَتْ الأنهار يا رب رفعت الأنهار صوتها. ترفع الأنهار عجيجها.

٤: من أصوات مياه كثيرة من غِمار أمواج البحر الرب في العلى أقدر.

٥: شهاداتك ثابتةٌ جداً. ببيتك تليق القداسة يا رب إلى طول الأيام».

مز ٦٥: ١: «لك ينبغي التسبيح يا الله في صهيون ولك يُوفَى النَّذر.

٢: يا سامع الصلاة إليك يأتي كل بشر.

٣: آثام قد قويت عليَّ. معاصينا أنت تُكفّر عنها.

٤: طوبى للذي تختاره وتقرّبه ليسكن في ديارك. لنشبعن من خير بيتك، قدس هيكلك.

٥: بمخاوف في العدل تستجيبنا يا إله خلاصنا، يا مُتكل جميع أقاصي الأرض والبحر البعيدة.

٦: المثبت الجبال بقوته، المتنطّق بالقدرة.

٧: المهدئ عجيج البحار، عجيج أمواجها وضجيج الأُمم.

٨: وتخاف سكان الأقاصي من آياتك. تجعل مطالع الصباح والمساء تبتهج.

٩: تعهّدت الأرض وجعلتها تفيض. تغنيها جداً. سواقي الله ملآنة ماء. تهيّئ طعامهم لأنك هكذا تعدّها.

١٠: أرو أتلامها. مهّد أخاديدها، بالغيوث تُحلّلها. تبارك غلّتها.

١١: كلّلت السنة بجودك وآثارك تقطر دسماً.

١٢: تقطر مراعي البريَّة، وتتنطّق الآكام بالبهجة.

١٣: اكتست المروج غنماً، والأودية تتعطّف بُرًّا. تهتف وأيضاً تُغنّي».

مز ٦٧: ١: «ليتحنّن الله علينا وليباركنا، لِيُنر بوجهه علينا.

٢: لكي يُعرف في الأرض طريقك، وفي كل الأُمم خلاصك.

٣: يحمدك الشعوب يا الله، يحمدك الشعوب كلهم.

٤: تفرح وتبتهج الأُمم، لأنك تدين الشعوب بالاستقامة وأُمم الأرض تهديهم. سلاه.

٥: يحمدك الشعوب يا الله. يحمدك الشعوب كلهم.

٦: الأرض أعطت غلّتها. يباركنا الله إلهنا.

٧: يباركنا الله، وتخشاه كل أقاصي الأرض».

والآن يفرح الشعب ويُسر بظهور الملك وأعماله القوية في نصرة، وأساس ذلك إحساس الشعب بالأمان لأنهم تحت حفظ وعناية الملك العظيم:

مز ٤٦: ١: «الله لنا ملجأ وقوة. عوناً في الضيقات وُجدَ شديداً.

٢: لذلك لا نخشى ولو تزحزحت الأرض، ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار.

٣: تعج وتجيش مياهها. تتزعزع الجبال بطُمُوِّها.

٤: نهر سواقيه تُفرِّح مدينة الله، مقدس مساكن العلي.

٥: الله في وسطها فلن تتزعزع. يعينها الله عند إقبال الصبح.

٦: عجّت الأُمم. تزعزعت الممالك، أعطى صوته، ذابت الأرض.

٧: رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب. سلاه.

٨: هلموا انظروا أعمال الله، كيف جعل خرباً في الأرض.

٩: مُسكِّن الحروب إلى أقصى الأرض. يكسر القوس ويقطع الرمح. المركبات يحرقها بالنار.

١٠: كفّوا واعلموا أني أنا الله. أتعالى بين الأُمم، أتعالى في الأرض.

١١: رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب».

إن مشاعر المسبحين ليهوه في عيد تجليسه هي أن لا شيء يستطيع أن يهدِّد مدينة الملك العظيم أو شعبه، حتى ولا الخطية تستطيع أن تفصل الشعب عن الله، لأنه ظهر أنه الله الذي يغفر الخطايا.

مز ٩٩: ٨: «أيها الرب إلهنا، أنت استجبت لهم، إلهاً غفوراً كنت لهم، ومنتقماً على أفعالهم».

مز ٩٧: ١٠: «يا محبي الرب أبغضوا الشر. هو حافظ نفوس أتقيائه. من يد الأشرار ينقذهم.

١١: نور قد زُرع للصديق وفرح للمستقيمي القلب.

١٢: افرحوا أيها الصديقون بالرب واحمدوا ذكر قدسه».

مز ٨٥: ٢: «غفرت إثم شعبك. سترت كل خطيتهم. سلاه».

مز ١٣٠: ٣: «إن كنت تراقب الآثام يارب، يا سيد فمن يقف؟

٤: لأن عندك المغفرة لكي يُخاف منك.»

مز ٦٥: ٣: «آثامٌ قد قويت عليَّ، معاصينا أنتَ تُكفِّر عنها».

فإذا أخذنا جميع المزامير الخاصة بتجليس يهوه على عرشه والخاصة بالسنة الجديدة نجدها تعكس كل السلّم الديني الذي يجمع كل العواطف.

وإذا أخذنا الفرح والمسرة بظهور يهوه (الملك) بكل أعمال قوته، نجد أن القواعد التي ترسو عليها هذه الفرحة والمسرَّة هي الشعور بالأمان للوجود تحت حفظ وعناية مثل هذا الملك الجليل، كما هو واضح في مزامير ٤٦، ٤٨، والمزامير التالية:

مز ٩٥: ٧: «لأنه هو إلهنا، ونحن شعب مرعاه وغنم يده. اليوم إن سمعتم صوته».

مز ٩٧: ١٠: «هو حافظ نفوس أتقيائه، من يد الأشرار ينقذهم».

مز ١٢٥: ١: المتوكلون على الرب مثل جبل صهيون الذي لا يتزعزع، بل يسكن إلى الدهر.

٢: أُورشليم الجبال حولها، والرب حول شعبه من الآن وإلى الدهر.

٣: لأنه لا تستقر عصا الأشرار على نصيب الصديقين لكيلا يمد الصديقون أيديهم إلى الإثم.

٤: أحسن يا رب إلى الصالحين وإلى المستقيمي القلوب

٥: ... سلام على إسرائيل».

فلا يمكن لأحد بعد أن يهدِّد مدينة يهوه أو شعبه، حتى الخطية لن تفصلهم عنه، لأنه أثبت أنه إله يغفر الخطايا. ولهذا تخرج الاعترافات بالفضل والشكر في مزامير شكر أو تعبير عن الجود الذي أحاط السنة كلها مثل مزمور (٦٥):

مز ٦٥: ١: «لك ينبغي التسبيح يا الله في صهيون. ولك يوفى النذر.

٢: يا سامع الصلاة إليك يأتي كل بشر.

١١: كلّلت السنة بجودك وآثارك تقطر دسماً».

وبسبب التأمُّل في الخليقة:

مز ٦٥: ٧: «المُهدئ عجيج البحار، عجيج أمواجها. وضجيج الأُمم.

٨: وتخاف سكان الأقاصي من آياتك. تجعل مطالع الصبح والمساء تبتهج.

٩: تعهدت الأرض وجعلتها تفيض. تغنيها جدًّا. سواقي الله ملآنة ماء. تهيِّئ طعامهم لأنك لهذا تعدها».

وكذلك مزمور (٨):

مز ٨: ١: «أيها الرب سيدنا ما أمجد اسمك في كل الأرض! حيث جعلت جلالاً فوق السموات.

٢: من أفواه الأطفال والرُّضَّع أسَّستَ حمداً، بسبب أضدادك، لتسكيت عدو ومنتقم.
٣: إذا أرى سمواتك أعمال أصابعك، القمر والنجوم التي كوَّنتها.
٤: فمن هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده».

وكذلك بالنظرة إلى سابق الدهر عندما افتقد يهوه إسرائيل:

مز ٨٥: ٢: «غفرت إثم شعبك، سترت كل خطيتهم. سلاه.
٣: حجزت كل رجزك، رجعت عن حمو غضبك».

مز ١٢٦: ١: «عندما ردَّ الرب سبي صهيون، صرنا مثل الحالمين.
٢: حينئذ امتلأت أفواهنا ضحكاً، وألسنتنا ترنماً. حينئذ قالوا بين الأُمم: إن الرب قد عظَّم العمل مع هؤلاء.
٣: عظَّم الرب العمل معنا وصرنا فرحين».

كما خلَّص إسرائيل من أعدائهم الأقوياء:

مز ١٢٤: ١: «لولا الرب الذي كان لنا، ليقل إسرائيل.
٢: لولا الرب الذي كان لنا عندما قام الناس علينا.
٣: إذاً لابتلعونا أحياءً، عند احتماء غضبهم علينا.
٤: إذاً لجرفتنا المياه، لعبر السيل على أنفسنا.
٥: إذاً لعبرت على أنفسنا المياه الطامية.
٦: مباركٌ الرب الذي لم يُسلِّمنا فريسة لأسنانهم.
٧: انفلتت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيَّادين. الفخ انكسر ونحن انفلتنا.
٨: عوننا باسم الرب، الصانع السموات والأرض».

ولكن محبة يهوه ظهرت في معطياته المتصلة بحضوره والتي منها خرجت بركاته وفاضت. فالعبادة والهيكل والمدينة الموجود فيها الآن صارت موضع اشتياق الشعب:

مز ٨٤: ٢: «تشتاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرب. قلبي ولحمي يهتفان بالإله الحي.
٤: طوبى للساكنين في بيتك أبداً يسبِّحونك. سلاه
٥: طوبى لأُناس عزّهم بك. طرق بيتك في قلوبهم.
١٠: لأن يوماً واحداً في ديارك خير من ألف. اخترت الوقوف على العتبة في بيت إلهي

على السكن في خيام الأشرار».

مز ١٢٢: ١: «فرحت بالقائلين لي: إلى بيت الرب نذهب.
٢: تقف أرجلنا في أبوابك يا أُورشليم».

حيث تبلغ العبادة أوجها في السجود الصامت أمام "القدوس" وتبلغ العاطفة مداها.

مز ٩٥: ٦: «هلم نسجد ونركع، ونجثو أمام الرب خالقنا».
مز ٩٦: ٩: «اسجدوا للرب في زينة مقدَّسة. ارتعدي قدَّامه يا كل الأرض».
مز ٩٩: ٥: «علُّوا الرب إلهنا، واسجدوا عند موطئ قدميه. قدوس هو».

على أن العواطف التي كانت تحيط بعبيد يهوه كان أيضاً فيها المخافة والرهبة والمهابة مثل مزمور (٤:١٣٠):

مز ١٣٠: ٤: «لأن عندك المغفرة، لكي يخاف منك».

وهكذا فإن يهوه لا يدعو فقط إلى الفرح والمسرَّة المفرطة (الدهش) والسجود الصامت، بل ويدعو أيضاً للمخافة أمامه، الأمر الذي يعني أنه يطالب بحفظ وصاياه.

فهو يدعو إلى وصاياه كشرط للبركات:

مز ٢٤: ٣: «مَنْ يصعد إلى جبل الرب؟ ومَنْ يقوم في موضع قدسه؟
٤: الطاهر اليدين، والنقي القلب، الذي لم يحمل نفسه إلى الباطل ولا حلف كذباً.
٥: يحمل بركة من عند الرب. وبرًّا من إله خلاصه».

مز ١٥: ١: «يا رب مَنْ ينزل في مسكنك؟ مَنْ يسكن في جبل قدسك؟
٢: السالك بالكمال، والعامل الحق، والمتكلِّم بالصدق في قلبه.
٣: الذي لا يشي بلسانه، ولا يصنع شرًّا بصاحبه ولا يحمل تعييراً على قريبه.
٤: والرذيل محتقرٌ في عينيه، ويكرم خائفي الرب ...
٥: فضته لا يعطيها بالربا ولا يأخذ رشوة على البريء. الذي يصنع هذا لا يتزعزع إلى الدهر».

وفي تذكار تجديد العهد يذكرهم بالطاعة لوصاياه:

مز ٩٥: ٧: «لأنه هو إلهنا، ونحن شعب مرعاه وغنم يده. اليوم إن سمعتم صوته.
٨: فلا تقسوا قلوبكم، كما في مريبة، مثل يوم مسَّة في البرية».

مز ٨١: ٨: «اسمع يا شعبي فأحذرك. يا إسرائيل إن سمعت لي!
٩: لا يكن فيك إله غريب، ولا تسجد لإله أجنبي.
١٠: أنا الرب إلهك، الذي أصعدك من أرض مصر. أفْغِر فاك فأملأه».
مز ١٣٢: ١٢: «إن حفظ بنوك عهدي، وشهاداتي التي أُعلِّمهم إيَّاها. فبنوهم أيضاً إلى الأبد يجلسون على كرسيك.
١٣: لأن الرب قد اختار صهيون، اشتهاها مسكناً له».

ولكن للأسف مع هذا عُرف أن العهد قد كُسر مراراً، وكان هذا سبباً في أنه لم يحدث قط مجيء يهوه كاملاً. فالأفراح صارت ممزوجة بالمخالفات. وهكذا أصبح النداء الكبير في العيد وكذا كلمات الأنبياء في أنه يتحتّم على الشعب أن ينقّي نفسه من خطاياه، والهيكل يُطهر بطقوس التطهير، وكل الخطاة يحتاجون إلى الخوف والرعدة من نار يهوه الحارقة على حد قول إشعياء:

+ «ارتعب في صهيون الخطاة، أخذت الرعدة المنافقين. مَنْ منّا يسكن في نار آكلة، مَنْ يسكن في وقائد أبدية، السالك بالحق والمتكلّم بالاستقامة، الراذل مكسب المظالم، النافض يديه من قبض الرشوة. الذي يسد أذنيه عن سمع الدماء ويغمض عينيه عن النظر إلى الشر.» (إش ٣٣: ١٤و١٥)

مز ٢٤: ٣: «مَنْ يصعد إلى جبل الرب ومَنْ يقوم في موضع قدسه.
٤: الطاهر اليدين والنقي القلب، الذي لم يحمل نفسه إلى الباطل. ولا حلف كذباً».

وعلى الذي يقبل مغفرة خطاياه أن يقدِّم التوبة والاعتراف كما هو وارد من مزمور الشكر (٣٢):

مز ٣٢: ١: «طوبى للذي غُفر إثمه وسترت خطيته.
٢: طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطية ولا في روحه غش.
٣: لمّا سكتُّ بليت عظامي من زفيري اليوم كله ...
٥: أعترف لك بخطيتي ولا أكتم إثمي. قلت أعترف للرب بذنبي وأنت رفعت آثام خطيتي. سلاه.
٦: لهذا يُصلّي لك كل تقي في وقت يجدك فيه».

وتقدم الجماعة اعترافها في عيد يهوه ولكن بصيغة الشعب المجتمع بالمفرد (مز ١٣٠):

مز ١٣٠: ١: «من الأعماق صرخت إليك يا رب.
٢: يا رب اسمع صوتي. لتكن أُذناك مصغيتين إلى صوت تضرُّعاتي.

٣: إن كنت تراقب الآثام يا رب. يا سيد فمن يقف؟
٤: لأن عندك المغفرة لكي يخاف منك ...
٧: ليرجُ إسرائيل الرب، لأن عند الرب الرحمة. وعنده فِدى كثير.
٨: وهو يفدي إسرائيل من كل آثامه.

ومع الاشتياق لمجيء يهوه ومعه مغفرة الخطايا، تمتزج السعادة والبركة لأن الرب معه الخلاص من الضيقات والآلام والأعداء. وهنا قد ترتفع الصلاة حتى إلى الانفجار في المشاعر:

مز ١٢٣: ١: «إليك رفعت عيني يا ساكناً في السموات.
٢: هوذا كما أن عيون العبيد نحو أيدي سادتهم كما أن عيني الجارية نحو يد سيدتها هكذا عيوننا نحو الرب إلهنا حتى يترأف علينا.
٣: ارحمنا يا رب ارحمنا، لأننا كثيراً ما امتلأنا هواناً.
٤: كثيراً ما شبعت أنفسنا من هزء المستريحين وإهانة المستكبرين».

ومع يهوه يكون السلام والطمأنينة والرضا لكل حاجة وكل رغبة:

مز ١٣١: ٢: هدَّأتُ وسَكَّتُّ نفسي كفطيم نحو أُمه. نفسي نحوي كفطيم.
٣: ليَرْجُ إسرائيل الرب من الآن وإلى الدهر».

الانتظار الكبير لما سيأتي:

إن عيد الحصاد والسنة الجديدة ينظران نحو الماضي والمستقبل معاً. وكانت هذه الأعياد فرصة لتقديم الشكر على سنة مضت عيَّدوا لها بالبهجة والفرح عندما دخلت المخازن أدنان الخمر وزيت الزيتون، وكانت بالتالي أساساً لعيد قادم.

كذلك فكل الطقوس وكل العادات والتراث أصبحت لها صورة المستقبل، فقد بقيت هذه الطقوس بحسب المفهوم العام كرموز سرائرية لإعادة الخلق وبركة يهوه للجديد. وكان من بين هذه الطقوس إحضار الماء من نبع جيحون المقدَّس حينما يأتي الكهنة بالمياه بمسيرة مقدَّسة ويصبونها على المذبح المُعدّ للمحرقات. فهذا الطقس كان ولا يزال حتى الآن يُنظر إليه كوسيلة قوية لطلب الماء في المطر للسنة الجديدة.

وإشعياء النبي يذكر هذه العادة: «فتستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص» (إش ١٢:٣). وقد كان يُقام احتفال أيضاً كحفلة ليلية للعيد للنار والنور والرمز إلى الاستنارة حينما كانوا يرقصون في حوش الهيكل، كما يصنع في كل الأرض "لنيران الشمس"، ويعتبر عملاً لطلب تجديد نور الشمس

والدفء في السنة القادمة.

وكان المذبح يُكلل بأفرع الشجر الخضراء أثناء الاحتفال إشارة إلى الكروم أثناء جمع العنب، كما هي دعوة إلى اخضرار الربيع "أغصان الربيع" وزيادة الخصب لكل الأرض.

والمسيرة نحو الهيكل والدورة حول حائط المدينة وحول المذبح كانت عادات متمكّنة تشير إلى الحياة الجديدة وهي من أخص خصائص العيد.

مز ٤٨: ١٢: «طوفوا بصهيون ودوروا حولها. عُدُّوا أبراجها.
١٣: ضعوا قلوبكم على متارسها. تأمّلوا قصورها لكي تحدّثوا بها جيلاً آخر».

فحضور يهوه السنوي متجدِّد إلى الأبد:

مز ١٢:١٤٥: «ليعرفوا بني آدم قدرتك. ومجد جلال ملكك.
١٣: مُلكك ملك كل الدهور وسلطانك في كل دور فدور».

يحمي شعبه ضد كل شر وقوة شريرة:

مز ١٠: ١٦: «الرب ملك إلى الدهر والأبد. بادت الأُمم من أرضه.
١٧: قد سمعتَ يا رب ... تميل أذنك
١٨: لحق اليتيم والمنسحق لكي لا يعود أيضاً يرعبهم إنسان من الأرض».

مز ١٠:١٤٦: «يملك الرب إلى الأبد، إلهك يا صهيون إلى دور فدور. هللويا».
+ «أمّا الرب الإله فحق. هو إله حي وملك أبدي، من سخطه ترتعد الأرض ولا تطيق الأُمم غضبه.» (إر ١٠:١٠)

وعيد تجليس يهوه هو اختبار يشمل كل ما هو "الآن" الذي يحوي المستقبل، فهو الآن اللانهائي! لذلك فإن ترقُّب الأعمال والأشياء العظيمة ركن أساسي في العيد يهز كل عواطف المعيِّدين كما هو في كل مزامير تجليس يهوه. فيهوه جاء ليحكم الأرض، يرعى شعبه ويقيم العدل على الأرض وصهيون فرحة وكل البلاد في اليهودية مسرورة بسبب حكمه (مز ٩٧:٨).

وفي يوم تجليسه للسنة الجديدة يجدِّد العهد ويعيد المقاصد ويبدِّد الظلمة ويجعل نوره يبزغ من أجل الأبرار ويحقِّق كل ما يطلبه شعبه بحسب التقليد. والشعب له حق أن ينتظر هذا من قبل بر الله لأنه أمين وناصر ومقيم للعهد!

والمزامير تركّز على البركات الأرضية والأمان لشعب إسرائيل وبقاء عظمتها، كما تذكر العبادة بالروح والخير السلوكي، وتكرِّر أن أنهار الله ملآنة ماء كناية على أن الأمطار الوفيرة تنضج القمح في الوديان وتكسو الجبال بالحملان:

مز ٦٥: ١٠: «ارو أتلامها. مهِّد أخاديدها، بالغيوث تُحللها. تبارك غلتها.
١١: كلّلت السنة بجودك، وآثارك تقطر دسماً.
١٢: تقطر مراعي البرية، وتتنطّق الآكام بالبهجة.
١٣: اكتست المروج غنماً والأودية تتعطّف بُرًّا. تهتف وأيضاً تغنّي».

وهو من الآن وصاعداً سيرعى شعبه. والآن قد وضع أساس الخلاص والنصرة وقد ثبّت عهده وأقام برّه وأمانته لشعبه:

مز ٩٨: ١: «رنّموا للرب ترنيمة جديدة لأنه صنع عجائب. خلّصته يمينه وذراع قدسه.
٢: أعلن الرب خلاصه، لعيون الأُمم كشف برّه.
٣: ذكر رحمته وأمانته لبيت إسرائيل، رأت كل أقاصي الأرض خلاص إلهنا».

وهو سيحفظ نفوس قدّيسيه ويخلّصهم من أيدي الأشرار:

مز ٩٧: ١٠: «هو حافظ نفوس أتقيائه. من يد الأشرار ينقذهم.
١١: نور قد زُرع للصديق، وفرح للمستقيمي القلوب».

ويغفر الخطايا لشعبه ويسمع الصلوات المرفوعة من الكهنة والأنبياء:

مز ٩٩: ٦: «موسى وهارون بين كهنته. وصموئيل بين الذين يدعون باسمه. دعوا الرب وهو استجاب لهم».

وكان الشعب يترقّب عيد تجليس يهوه في رأس السنة لكي يطرحوا أعوازهم ومخاوفهم وهو يعتني بحاجاتهم. لهذا كان عيد يهوه طقساً قائماً بذاته له تدابيره وأعماله.

وكما ننظر نحن إلى الملكوت القادم الذي أعدّه الله للمسيحيين، كان ينظر اليهود في تعلّقهم بيهوه إلى يوم تجليسه ملكاً على إسرائيل، ينتظرون مستقبلاً يملك فيه الله إلى الأبد.

وكما ننظر إلى اليوم الأخير الذي سيدين الله فيه المسكونة بالعدل، كان يترقّب إسرائيل بكل يقين كسيف مجيء يهوه ليملك ويدين الأُمم بالعدل. وأقوى ما جاء بهذا المعنى جاء على لسان

إشعياء النبي:

+ «ما أجمل على الجبال قدمي المبشر المخبر بالسلام المبشر بالخير. المخبر بالخلاص القائل لصهيون قد ملك إلهك.» (إش ٥٢:٧)

وإشعياء في ذلك يحذو حذو المزامير التي تُعيد لتنصيب يهوه في عيده وليس العكس كما يرى بعض الشرَّاح أن المزامير أخذت عن إشعياء. والبرهان واضح في ذكر إشعياء لكل ما جاء في مزامير التجليس كما هو واضح في (إش ٥٢: ١و٧ إلخ).

مزامير الاحتفالات لتنصيب يهوه ملكاً والمضمون المستقبلي الذي يحمله معنى هذه الاحتفالات:

لو تمعنّا في روح التعييد لتنصيب يهوه ملكاً وعلاقتها بالسنة الجديدة، يسهل علينا فهم أصل الرجاء الجديد للتعييد المستقبلي لتنصيب يهوه ملكاً لإسرائيل. وكيف يتضمَّن هذا مثل هذا الرجاء. فحينما نحاول أن نشرح مزامير التنصيب باعتبارها أخروية نعتمد على ما يُحدثه مجيء يهوه من وعود لإعادة البناء والتقويم، على اعتبار أن معرفة يهوه عند إسرائيل تقوم على أساس الصفة الأساسية المستعلنة في يهوه وهي الرجاء وراء الحق الثابت الذي لا يتغيَّر والقوي والعظيم في رسم المستقبل ووضع العهد والاختيار، للدرجة التي لا يمكن احتمال فشلها أو سقوطها أو تحوّلها إلى مجرد كلمات. فمن الناحية التاريخية يمكن أن نرى هذا الرجاء قد تحوّل وامتد ليصبح بالنسبة للشعب إحساساً ووعياً عميقاً بحتمية إعادة البناء والتقويم، بالرغم من مستوى الشر الذي يبلغه الشعب ليصل إلى درجة الانقراض وينطفئ نهائياً على أن يكون مملكة مستقلة وأُمة حيَّة!

لذلك فالنظرة التجددية التي يخرج بها إسرائيل من بعد كل احتفال في تنصيب يهوه ملكاً لعودة عمل وبناء وتقويم وتجديد الشعب دخلت من صميم النبوَّة إلى صميم الواقع إلى صميم التاريخ، فإذا توقّفت تحتم عودتها لتصبح حقيقة من حقائق يهوه مصممها وبانيها على ممر التاريخ، حتى بعد تحوّل العهد إلى عهد جديد. فصاحب العهد يستحيل أن يغيِّر عهده وإن تحتَّم أن يرتقي به، وذلك من خلال شعب جديد على مستوى بنفس مستوى التقوى الأُولى وأكثر. هذا الرجاء يستمد قوته وروحه وتنفيذه من روح "يوم يهوه" عندما كان يظهر ويملك ويبني ملكه، لكي يؤمِّن العدل والمستقبل لشعبه، لأن هذا هو المعنى الجوهري للمفهوم الإسخاتولوجي للملكوت أو مملكة الله سواء في القديم أو الجديد. لأن معيار عمل يهوه إن في القديم أو في الجديد هو **"لقد قرب ملكوت الله"** أو بمفهوم العهد القديم الأكثر واقعية **«الرب قد ملك»** ليحكم الأرض! أو يدين المسكونة بالعدل.

فالخلاص المرجو والمنتظر بكل الرجاء وحيويته قائم هو هو باعتباره تنصيب يهوه ملكاً. هذا هو يوم الرجاء الذي كان والذي يكون بكل مفاعيله المسكونية والأخروية أيضاً. هذا ما علَّم به وتنبأ إشعياء: «ما أجمل على الجبال قدمي المبشِّر المخبر بالسلام، المبشِّر بالخير المخبر بالخلاص القائل لصهيون قد ملك إلهك!» (إش ٥٢:٧). وفي الحال يرن صداه في (مز ٩٣: ١و٢) «الرب قد ملك لبس الجلال، لبس الرب القدرة ائتزر بها. أيضاً تثبتت المسكونة لا تتزعزع. كرسيك مُثبتة منذ القدم منذ الأزل أنت». ويرد عليه بالإيجاب مزمور (٩٦: ١و٢): «رنِّموا للرب ترنيمة جديدة. رنِّمي للرب يا كل الأرض. رنِّموا للرب باركوا اسمه **بشِّروا من يوم إلى يوم بخلاصه**». ويوافق المزمور (٩٧:١): «الرب قد ملك فلتبتهج الأرض، ولتفرح الجزائر الكثيرة». أليس هذا هو عظمة الإسخاتولوجية في مفهوم يوم الرب؟

فملكوت الله ويوم الرب والخلاص الحتمي المتجدِّد كل يوم بكل أبعاده المسكونية حتى أقصى الشعوب والجزائر هو عمل الرب الأساسي ليؤمِّن الخلاص العام الذي يؤمِّن سعادة الإنسان بلا رجعة.

ولا بد أن الذي ابتدأ به يحقِّق هذه العودة حتى ولو وُضعت في آخر أجندة الزمان. هذه صرخة إشعياء بكل يقين: «استيقظي. استيقظي. اِلبسي عزّك يا صهيون. اِلبسي ثياب جمالك يا أُورشليم المدينة المقدَّسة ... ما أجمل على الجبال قدمي المبشِّر المخبر بالسلام المبشِّر بالخير، المخبر بالخلاص القائل لصهيون قد ملك إلهك.» (إش ٥٢: ١و٧)

إنها دعوة للمسكونة كلها لتعيِّد عيد تنصيب يهوه ملكاً، عيد أول السنة الأبدية، هناك بجوار نهر الحياة الخارج من أمام عرش الله حيث شجرة الحياة وورقها لشفاء الأُمم! كما يراها برناباس: إنها إعادة خلقة على أصل خلاصها الأبدي الشامل لكل مستقبل الدهور حيث العودة إلى ما كان أولاً "انظروا سأجعل الأمور الأخيرة مثل الأُولى"(١٢)

وقد صار يسوع المسيح البركة المنتظرة، البركة الأخروية لإسرائيل في النهاية، فقد حقَّق المجيء الأخروي لإسرائيل. لهذا فالرجاء المسيَّاني له جذوره الحيَّة في طقوس الاحتفالات بتنصيب يهوه، ولكنه صار رجاءً بظهور علني: الإبيفانيا العظمى، والتجليس الأبدي على كرسيك يا الله.

---

(12) *Epistle of Barnabas*, 6. 13.

٦ – مزامير الملك – أو المزامير الملكية

"أنا" و "نحن" في المزامير الملكية:

في النظرة العامة بالنسبة لحقيقة التخاطب بـ "أنا" الفرد أو "نحن" الجماعة في المجتمع اليهودي، نجد أن الأصل في المجتمع اليهودي هو "الشعب المختار"، الجماعة العظيمة المصلية، أمَّا الفرد فلا وجود له إلاَّ في الجماعة. فالشخص الإسرائيلي **خارج** الجماعة ليس له حقوق ولا معرفة وهو نهب للأعداء. والجماعة بآن واحد محسوبة أنها فرد، يخاطبها الله كفرد: «من مصر دعوت ابني.» (هو ١١:١)

لذلك فأساس الحياة الإسرائيلية هي الجماعة سواء بـ "نحن" أو بـ "أنا"، والفرد له وجوده بكل معنى وحق في القبيلة، والقبيلة تتكفَّل بكل حقوقه والدفاع عنه.

ولكن الحقيقة المذهلة أن هذا التجمُّع أو الجماعة أو الشركة المتحدة ليست وحدة خارجية قانونية قضائية، ولكن في حقيقتها هي وحدة روحية. ولكي نتعرَّف على هذا المعنى الدقيق نذهب إلى عالم النبات أو الحيوان فنجد أن العائلة الواحدة تضم أفراداً بأشكال وألوان متعدِّدة ولكن يجمعها علاقة أسرية سرية. فالأسرة ليست مجموعة أفراد اجتمعت وكوَّنت أسرة، بل الأسرة كيان ذو صفات ومدلولات يشترك فيها الجميع. كذلك الأجناس البشرية، فالجنس المصري والجنس العراقي والجنس الهندي والإنجليزي، هنا الجنس عبّر عن وجوده بأسرة جماعية لها أصول وأجداد وآباء مؤسسين وصفات ومميزات تميزها عن كل الأسر الأخرى أي الأجناس. ولكن شعب إسرائيل في الحقيقة ليس كباقي أجناس البشر، وعائلته ليست كباقي عائلات البشر. إذ لا تجمعهم صفات أو مميزات وحسب، بل الذي وضع أساس هذا الشعب هو الله نفسه يهوه، باختياره رئيس القبيلة وتقديسه واختياره ليكون تابعاً له مباشرة أو له بالملكية. فرأس إسرائيل هو إبراهيم ورأس إبراهيم هو يهوه. لذلك كان من المسلَّمات أن إسرائيل كشعب يُدعى باسم إسرائيل الفرد أو ابن إبراهيم. فإسرائيل الشعب حينما يتكلَّم يتكلَّم بأنا ويتكلَّم بنحن، وهي إذ تعود على الشعب تعود على الفرد بل وتعود على الله حينما يتكلَّم الله باسم الشعب أو يخاطبه، والذي يتكلَّم ضد إسرائيل أو يحاربه يتكلَّم ضد الله ويعتبر أنه محارب لله.

إذاً فالشعب لا يجمعه أفراد من لحم ودم واحد وحسب، بل وعلاقة صميمية بالله، علاقة قربى

«من مصر دعوت ابني». فالله أقام عهداً مع إبراهيم بذبيحة وقَسَم لكي يصبح إبراهيم ونسله من خاصة يهوه. فشعب إسرائيل حائز على عهد اختيار وقَسَم أنه شعب يهوه، ويمتلك البركة والكرامة في هذه التبعية. فمهما جنح عن الطاعة وأفسد العلاقة، ولكن يظل العهد قائماً والاختيار والتبعية ولكن يقع تحت التأديب الزمني، وهذا العهد يقتنيه الشعب ويقتنيه كل فرد، لأن الوحدة قائمة أصلاً مع الله بقسم.

وكل شعب له ملك ولكن إسرائيل في القديم كان الله هو الذي يملك عليهم، فكما أن الملك يمثل شعبه، هكذا إسرائيل كان يهوه يمثّله كملك عليه. شعب إسرائيل هو بيت الله، واستقر الله في بيته أولاً في الخيمة ثمَّ تمَّ تأسيس بيت لله أراده داود وبناه سليمان برضى الله ونزل وسكن فيه وملأه بهاءً، والله تبني إسرائيل وأصبح له أباً. فالعهد الذي أقامه الله مع داود كان أصلاً عهداً قائماً مع إبراهيم وهو قائم مع شعب إسرائيل، نطقه إشعياء بالوحي: «أميلوا آذانكم وهلمّوا إليَّ اسمعوا فتحيا أنفسكم، وأقطع لكم عهداً أبدياً مراحم داود الصادقة.» (إش ٥٥:٣)

وإلى هنا نأتي إلى هذا الواقع في الطقس:

فالوحدة بين الجماعة ومع مَنْ يمثلها يهوه دخلت الطقس فجعلت الفرد يعتبر تاريخه من تاريخ إبراهيم وعهده مع يهوه هو عهد إبراهيم ويعقوب وداود. فحينما يدخل الفرد الإسرائيلي حاملاً باكورات غلاَّته للمكان المقدَّس، فهو لزاماً عليه أن يسرد تاريخه الذي هو تاريخ أُمَّته: «ثم تُصَرِّح وتقول أمام الرب إلهك. أرامياً تائهاً كان أبي فانحدر إلى مصر وتغرَّب هناك في نفر قليل، فصار هناك أُمة كبيرة وعظيمة وكثيرة (بعناية الرب صاحب العهد). فأساء إلينا المصريونَ وثقَّلوا علينا وجعلوا علينا عبودية قاسية. فلمَّا صرخنا إلى الرب إله آبائنا سمع الرب صوتنا ورأى مشقتنا وتعبنا وضيقنا، فأخرجنا الرب من مصر بيد شديدة وذراع رفيعة ومخاوف عظيمة وآيات وعجائب. وأدخلنا هذا المكان وأعطانا هذه الأرض ...» (تث ٢٦: ٥-٩)

وهكذا نبَّه الله ذهن الإسرائيلي أن يحتسب نفسه منسوباً لمن بدأ الحياة متغرِّباً يطلب وطناً ثمَّ اضطُهِدَ في مصر، ثمَّ مع الناجين كواحد منهم - أو ناطقاً بلسانهم جميعاً «أرامياً تائهاً كان أبي»، ثمَّ مع الذين للرب إلههم، أي جزءاً لا يتجزَّأ من تاريخ الجماعة.

هكذا كان الكاهن وهكذا كان النبي وهكذا كان الملك، يحمل الجميع ويحتويهم بكل أعضائهم، وحينما يأتي صانعاً الطقس والعبادة يتكلَّم باسم الجميع كقاعدة الطقس ممثلاً الجميع. فحينما يقول "أنا" فهنا إسرائيل كله يتكلَّم أمام يهوه!

وظل الله يؤكّد لهم في الطقس أن جماعة إسرائيل هي متحدة وكيانها واحد أمام الله، **فيخاطبهم بالمفرد:** «ومتى أتيت إلى الأرض التي يعطيك الرب إلهك نصيباً وامتلكتها وسكنت فيها ...» (تث ٢٦: ١). وهكذا صارت جميع التعليمات وجميع العناوين فوق الطقوس والمزامير، اعتبرت جدًّا وجود إسرائيل كفرد حتى النهاية. فالكل كواحد والواحد كالكل. من هذا نشأت شدّة الإحساس بالأُمّة والجماعة والوطن بترابط شديد ليس له نظير بين كل الأُمم والشعوب. وهذا الاتحاد الذي كوّنه لهم الله وسهر عليه وربّاهم وأدّبهم عليه جعل اتحاد الأُمة المحبوبة تناطح الزمن. فالزمن والسنون تتفرّق وتذوب وتتلاشى وشعب إسرائيل ووحدة الجماعة وغيرة الأُمة على نفسها وعلى علاقتها بالله لم تهتز ألفيْ سنة! فإذا مات إسرائيلي في آخر الدنيا إن في حادث في البر أو البحر فيُعمل المستحيل للحصول على رفاته ويُسجَّل اسمه ودفنه، لأن الله أقسم أن يقيمهم ويجعلهم أُمّة واحدة متحدة بكل أفرادها. وظل الكهنة على منتهى الوعي بإقامة طقس هذه الوحدة. ففي كل انصراف بعد الصلاة يرفع الكاهن يديه فوق رؤوس الشعب ويخاطبهم كفرد واحد وذلك بأمر الرب:

+ «وكلّم الرب موسى قائلاً: كلّم هارون وبنيه قائلاً هكذا تباركون بني إسرائيل قائلين لهم: يباركك الرب ويحرسك، يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك، يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً. فيجعلون اسمي على بني إسرائيل وأنا أباركهم.» (عد ٦: ٢٢-٢٧)

وهكذا منذ أول طقس عمله موسى لما فتح فمه ليسبِّح الله نطق باسم الشعب بـ "أنا" المفرد:

+ «أرنّم للرب فإنه قد تعظّم ... الرب قوتي ونشيدي وقد صار خلاصي، هذا إلهي فأُمجِّده إله أبي فأرفعه ...» (خر ١٥: ١و٢)

هذا نجده واضحاً في المزامير، ففي مزمور (١٢٩) نقرأ:

مز ١٢٩: ١: «كثيراً ما ضايقوني منذ شبابي ليقل إسرائيل.
٢: كثيراً ما ضايقوني منذ شبابي لكن لم يقدروا عليَّ!
٣: على ظهري حرث الحرّاث، طوّلوا أتلامهم».

هنا المتكلّم لا يتقمّص شخص الشعب أبداً، ولكن يقدِّم الشعب كرجل واحد، لذلك لا يتعثّر أحد بعد ذلك في اعتبار الطقس الشعب أنه "أنا". وعندنا مزمور (٤٤) يُذكِّر الشعب بـ "أنا" و"نحن" في تمازج بديع ليحافظ على روح التسليم وقانون التقليد:

مز ٤٤: ١: «اللهم، بآذاننا قد سمعنا، آباؤنا أخبرونا، بعمل عملته في أيامهم، في أيام القدم.
٤: أنت هو ملكي يا الله، فَأْمُر بخلاص يعقوب».

لاحظ هنا كيف حينما يتكلّم صاحب المزمور عن الشعب الغائب يقول بالجمع، وحينما يقدّمه لله في توسله يقدِّمه بالمفرد: بـ"أنا" باعتبار أنه حي وهو يمثّل الشعب حضورياً!! هذا إبداع تربوي إلهي ليس له نظير! وغالباً يكون الذي يمثل الشعب هو شخصية لها الحق في تمثيله كالكاهن أو الملك نفسه!

وإلى هنا نكون قد دخلنا في مزامير الملك.

تنصيب الملك في الطقس(1):

هنا نبدأ بدراسة الملك وموضعه في الطقس في المزامير وبها سندرك معنى المزامير الملكية. فالملك موقعه هو في مركز الاحتفالات الدينية حيث ينال القوة والبركة من يهوه، ومن هذه القوة والبركة يشع على شعبه. لذلك ينبغي أن ننتبه جدًّا لمركز داود كملك ممسوح لحساب الشعب، ومركز كل الرؤساء السابقين كموسى والقضاة والذي كان يتبعهم أيضاً شاول. فالرئيس منهم كان هو الشخصية المركزية أو الرئيسية في الطقس القديم بالنسبة للاحتفالات الدينية، حيث كان يجلس مثلاً شاول ومن حوله عائلته وأخصاؤه حيث بركته لا تتعدَّى نفسه وأخصائه، وكان هذا كله لحساب القبيلة أو الشعب حيث كانت تتقابل مع يهوه وكان هذا هو القصد من الاحتفال.

ولكن بمجيء داود تصدَّر داود كملك الطقس وصار رئيسه. فهو المنوط به تدبيره وترتيبه وكان هو موضوع الطقس، حيث يسير الملك في موكبه حتى يبلغ "هيكل الملك" حيث يكون قد حضرت الهدايا والعطايا والتقدمات. ويقوم الكهنة بإجراء الطقس لحسابه، حيث يكون الشعب مجرَّد مشاهدين، ومن بركاته تسري البركات على كل شعبه.

لذلك فـ"المزامير الملكية" يُقصد بها المزامير الخاصة باحتفالات الملك! وعلى الأخص وبدرجة كبيرة من الأهمية المزامير الخاصة بمسحة الملك وتنصيبه ملكاً في هذه الاحتفالات، لأنها تكشف مفهوم الفكر عن الملكية، كما تلقي الضوء على الطقوس الدينية الخاصة بهذه الاحتفالات كما نسمع عنها في سفر القضاة (٥: ١٠، ١٠: ٤)، وذلك على لسان دُبورة القاضية وهي تصف موكب رئيس في أيام ما قبل داود:

+ «باركوا الرب أيها الراكبون الأُتن الصُّحْر الجالسون على طنافس والسالكون في الطريق. سبِّحوا ... حينئذ نزل شعب الرب إلى الأبواب.» (قض ٥: ٤و١٠و١١)

---

(1) Mowinckel, *op. cit.*, I, p. 61.

ثمَّ يتكلّم سفر القضاة عن يائير الجلعادي قاضي إسرائيل فيقول: «وكان له ثلاثون ولداً يركبون على ثلاثين جحشاً ولهم ثلاثون مدينة. منهم يدعونها حووث يائير.» (قض ١٠:٤)

وفي سفر الملوك الأول عندنا وصف موكب ملكي وهو لداود الملك يصف موكب تنصيب ابنه سليمان!

+ «وقال الملك داود ادعُ لي صادوق الكاهن وناثان النبي وبناياهو بن يهوياداع. فدخلوا إلى أمام الملك، فقال الملك لهم خذوا معكم عبيد سيدكم وأركبوا سليمان ابني على البغلة التي لي وانزلوا به إلى جيحون، وليمسحه هناك صادوق الكاهن وناثان النبي ملكاً على إسرائيل، واضربوا بالبوق وقولوا ليحيى الملك سليمان. وتصعدون وراءه فيأتي ويجلس على كرسيَّ وهو يملك عوضاً عني وإياه قد أوصيت أن يكون رئيساً على إسرائيل ويهوذا. فأجاب بناياهو بن يهوياداع الملك وقال آمين. هكذا يقول الرب إله سيدي الملك. كما كان الرب مع سيِّدي الملك كذلك ليكن مع سليمان ويجعل كرسيه أعظم من كرسي سيدي الملك داود. فنزل صادوق الكاهن وناثان النبي وبناياهو بن يهوياداع والجلادون والسعاة وأركبوا سليمان على بغلة الملك داود وذهبوا به إلى جيحون. فأخذ صادوق الكاهن قرن الدهن من الخيمة ومسح سليمان. وضربوا بالبوق وقال جميع الشعب ليحيى الملك سليمان.» (١مل ١: ٣٢-٣٩)

+ «وأخرج (يهوياداع الكاهن) ابن الملك ووضع عليه التاج وأعطاه الشهادة فملَّكوه ومسحوه وصفَّقوا وقالوا ليحيى الملك ... فأنزلوا الملك من بيت الرب وأتوا في طريق باب السعاة إلى بيت الملك فجلس على كرسي الملوك.» (٢مل ١١: ١٢و١٩)

حيث يكون تنصيب الملك على مرحلتين: الأُولى مسح الملك في الهيكل، والثانية: التجليس في قصر الملك حيث يجلس وعلى رأسه التاج المرصَّع.

وهذا الإجراء نسمع عنه في المزمور الثاني:

مز ٢: ٦: «أمَّا أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي.
٧: إني أخبر من جهة قضاء الرب، قال لي: أنت ابني أنا اليوم ولدتك.
٨: اسألني فأعطيك الأُمم ميراثاً لك، وأقاصي الأرض مُلكاً لك».

على أن مسح الملك كان من عمل الأنبياء كما هو موضَّح:

+ «فقال الرب لصموئيل حتى متى تنوح على شاول وأنا قد رفضته عن أن يملك على إسرائيل.

املأ قرنك دهناً وتعالَ أُرسلك إلى يسَّى البيتلحمي لأني قد رأيتُ في بنيه ملكاً ... ففعل صموئيل كما تكلَّم الرب وجاء إلى بيت لحم ... فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط إخوتهِ وحلَّ روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً.» (١صم ١٦: ١-١٣)

+ «فقال له (لإيليا) الرب اذهب راجعاً في طريقك إلى برية دمشق وادخل وامسح حزائيل ملكاً على أرام وامسح ياهو بن نمشي ملكاً على إسرائيل.» (١مل ١٩: ١٥و١٦)

+ «ودعا أليشع النبي واحداً من بني الأنبياء وقال له: شد حقويك وخذ قنينة الدهن هذه بيدك واذهب إلى راموت جلعاد. وإذا وصلت إلى هناك فانظر هناك ياهو بن يهوشافاط بن نمشي وادخل وأقمه من وسط إخوته ... ثمَّ خذ قنينة الدهن وصب على رأسه وقل هكذا قال الرب قد مسحتك ملكاً على إسرائيل ... فقام ودخل البيت فصبَّ الدهن على رأسه وقال له: هكذا قال الرب إله إسرائيل قد مسحتك ملكاً على شعب الرب إسرائيل.» (٢مل ٩: ١-٦)

وكان في أيام القضاة حيث اعتُبر صموئيل نبيًّا وكاهناً ورائياً، كذلك بقية الأنبياء الذين يمسحون الملك في الهيكل كانوا يعلنون مرسومه ومعه مواهب يهوه التي تحل على الملك أثناء المسحة، الأمر الذي يعطي الملك أساس حقوقه الملكية مثل:

مز ٢: ٧: «إني أخبر من جهة قضاء الرب = **أنا أعلن مرسوم الله** = hã'êdhûth»
مز ١:١١٠: «**قال الرب لربي** اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك.
٢: يرسل الرب قضيب عزك من صهيون تسلَّط في وسط أعدائك.
٤: **أقسم الرب** ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق.
٥: الرب عن يمينك».
مز ٣:٨٩: «**قطعت عهداً** مع مختاري، **حلفت لداود** عبدي.
٤: إلى الدهر أثبت نسلك، وأبني إلى دور فدور كرسيك».

كذلك الآيات ١٩و٢٠و٢٤و٢٦-٢٩و٣٥-٣٧ من نفس المزمور.

وهكذا بنطق المرسوم يكون قد تمَّ العهد مع الملك متيلاً لداود وموازياً له. وهكذا فإن العهد والمرسوم والتاج تكون عطية الله للملك المنتخب الابن مثل:

مز ١٢:١٣٢: «إن حفظ بنوك عهدي وشهاداتي التي أُعلِّمهم إيَّاها فبنوهم أيضاً إلى الأبد **يجلسون على كرسيك**».

مز ٨٩: ٣٨: هنا العكس: «غضبت على مسيحك.
٣٩: نقضت عهد عبدك. نجَّست تاجه في التراب».

مز ١٠٥: ١٠: «فثبَّته ليعقوب فريضةً (ذكر إلى الدهر عهده) ولإسرائيل عهداً أبدياً».

فالمرسوم الإلهي يقوم أساساً على كلمة يهوه نفسه، ليس فقط على العهود القديمة التي لسلفه داود ولكن على عهد أو وعد واضح مجدَّد عند كل تنصيب لملك. ففي وقت الرسامة يكون للنبي مكانة أيضاً، وكما هو مسجَّل في النبوات أن النبي هو الذي يقوم بالمسحة كما رأينا في (١صم ١٦: ١-١٢، ١مل ١: ٣٢-٣٦، ١٩: ١٥و١٦، ٢مل ٩: ٦). وفي هذه الحالة يكون النبي أو الكاهن **الرائي** كما هو في حالة صموئيل: «هوذا رجل الله (صموئيل) في هذه المدينة والرجل مكرَّم كل ما يقوله يصير ... هلم نذهب إلى الرائي لأن النبي اليوم كان يدعى سابقاً الرائي.» (١صم ٩: ٦و٩)

وفي أواخر الأيام كان للهيكل نبي خاص يعلن مرسوم يهوه أثناء المسحة حيث يعطي هذا المرسوم الحق القانوني للملك كما رأينا في المزامير (٢، ١١٠، ٨٩: ٢٠). وهذه المراسيم بلغتنا وكانت هي أساس التقليد الذي سمعناه من فم ناثان لداود: «فقال ناثان للملك (داود) اذهب افعل كل ما بقلبك لأن الرب معك. وفي تلك الليلة كان كلام الرب إلى ناثان قائلاً: اذهب وقل لعبدي داود.» (٢صم ٧: ٣-٥)

وواضح جدًّا من هذا أن محور التاريخ هنا أن عهد يهوه مع الملك ومرسومه أثناء المسحة كان معروفاً عنه بدقة أنه تجديد **لمراحم الله التي أُعطيت لداود بحسب العهد** الذي قطعه الله مع داود كما هو مدوَّن في سفر إشعياء:

+ «أميلوا آذانكم وهلموا إليَّ. اسمعوا فتحيا أنفسكم وأقطع لكم **عهداً أبدياً** مراحم داود الصادقة.» (إش ٥٥: ٣)

وأيضاً:

+ «أقسم الرب لداود بالحق **لا يرجع عنه**: من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك.» (مز ١٣٢: ١١)
+ «رفعت مختاراً من بين الشعب. وجدت داود عبدي بدهن قدسي مسحته ... إلى الدهر أحفظ له رحمتي وعهدي يثبت معه.» (مز ٨٩: ١٩و٢٠و٢٨)

ولكن ليس فقط حفظ المراحم وعهد ومرسوم إلهي، بل واعتبار الملك "**ابناً**" لله أيضاً على

طقس داود:

مز ٢: ٧: «**أنت ابني** أنا اليوم ولدتك».

فنجدها مستمرَّة مع الملوك:

مز ٨٩: ٢٧: «أنا أيضاً **أجعله بكراً**، أعلى من ملوك الأرض».

هذا عهد مستمر مثل:

مز ٨٩: ٢٩: وأجعل إلى الأبد نسله، وكرسيه مثل أيام السموات.
٣٤: لا أنقض عهدي، ولا أغيِّر ما خرج من شفتيَّ.
٣٥: مرَّة حلفت بقدسي، إني لا أكذب لداود.
٣٦: نسله إلى الدهر يكون وكرسيه كالشمس أمامي.
٣٧: مثل القمر يُثبَّت إلى الدهر. والشاهد في السماء أمينٌ. سلاه».

والسر في ذلك أن الله اعتبر بيت داود على رتبة ملكي صادق كهنوتاً دائماً أبدياً. فكما تبنَّى الله داود هكذا صار كل ملك على كرسيه.

والآية التي أخذناها في المسيحية هي أصلاً لداود والملوك الآتين على كرسيه أنهم يأخذون اسماً جديداً وميلاداً جديداً وقت مسحتهم: «لأنه يولد لنا ولد (أنت ابني أنا اليوم ولدتك) ونُعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويُدعى اسمه ... على كرسي داود وعلى مملكته ليثبِّتها ...» (إش ٩: ٦و٧). وصدق الله ظهر مائة بالمائة في مجيء المسيح الذي فيه قد كمل كل ما قيل لداود من نبوات التي كانت تبدو غير معقولة ومستحيلة!

وقد جاءت معظم مزامير الملك أو المزامير الملكية قائمة على أساس طقس المسحة مثل مزمور ١١٠: «قال الرب لربي اجلس عن يميني». هنا في هذه الآية وصف لصعود الملك على المنصَّة ليتقبَّل عهد بنوَّته ومرسوم مسحته! وكأنه صاعد وجالس عن يمين عرش الله. هذا هو طقس ورسامة الملك **الابن**، وكأن الملك جلس على عرش يهوه! وقوله: «أنت **كاهن** إلى الأبد على رتبة **ملكي صادق**» يعلن أن مملكته مملكة كهنوتية من عند الله ودائمة كما كان ملكي صادق "كاهناً وملكاً" **بالصدق**. ثمَّ قضيب ملكه أو صولجان ملوكيته يرسله له الرب من صهيون أي من مقدسه وله قوة يهوه يتسلَّط به على أعدائه ويحطِّم في يوم رجزه ملوكاً. وعن قوته المتجدِّدة الشبابية يقول مثل الذي يخرج من رحم الفجر يكون شبابك = «من رحم الفجر لك طلّ حداثتك.» (مز ١١٠: ٣)

ويلاحظ أن اتحاد الملوكية مع القوة الكهنوتية هي الصفة الأساسية في مزامير "العلـي" الملكيـة في أُورشليم القديمة، التي ورثها كل من داود وسليمان.

ما هي المزامير الملكية؟

يقول ماونكل(٢) إنه بناء على نظرة اللاهوت التقليدي تكون معظم المزامير ملكية، فإنه كان من المعتبر أنها معظمها من تأليف داود النبي والملك، وتحمل علاقته بالشعب وبأعدائه وكل الصعوبات التي واجهته. ولكن الدراسات الأكثر حداثة للمزامير تميل أكثر إلى نفي الفكرة الملكية عن كل المزامير، وأنها تكوَّنت في أيام ما بعد السبي في الأوساط اليهودية من صميم اختبارات الشعب في أحزانهم وأفراحهم اليومية ومن خلال موحيات روحية لبعض أفراد الشعب.

وحينما يجدون في مزمور (٩٣) والمزامير من (٩٥) إلى (٩٩) ملامح متشابهة مع ما جاء في إشعياء الجزء الثاني المسمَّى إشعياء الثاني، ينحصر فكر هؤلاء العلماء في أن هذه المزامير قد جاءت بموحيات من سفر إشعياء تقليداً للأسلوب والفكر(٣).

وعندما تقابلهم كلمات عن شخصية ملكية في المزمور خاصة في المزامير المسمَّاه بالمسيَّانية، فإنهم يشرحونها كمحاولة لتقمُّص الشعب الإسرائيلي لشخصية الملك كما يقول ولهاوزن(٤).

ولكن أول عالِم يُعتبر أنه اكتشف مزامير الملك أنها فعلاً مزامير للملك وأرسى اكتشافه على أُسس علمية راسخة هو جونكل الألماني(٥)، وبعدها قام مونكل(٦) ليشرح بتوسُّع هذا الاكتشاف لصورة الملك المرسومة في هذه المزامير، ليس فقط بالفكرة المعروفة في الشرق، ولكن بالأولى بالتديُّن الحقيقي والعبادة والطقس لإسرائيل العتيقة. وقد استمر في هذا الاتجاه الشُّرَّاح الأقل بعد ذلك.

ولكن ما معنى مزمور ملكي؟

هذه المزامير ليست ذات شكل أو طابع معيَّن من جهة تاريخ التنسيق في المزامير وآدابها الليتورجية، لأنها تحوي مزامير من كافة الأشكال تقريباً مثل التسابيح والتماجيد والتضرُّع والشكر

(2) Mowinckel, *op. cit.*, p. 47.

(٣) مثل العلماء Delitzsch و Buhl في شرحهم للمزامير.

(4) Wellhausen, Buhl, Gray.

(5) Gunkel, "Die Königspsalmen", *Preuss. Jahrb.* 1914.

(6) Mowinckel, *Kongesalmerne; Ps. St. II*, pp. 299 ff.

والأقوال النبوية والمزامير الأخرى. ولكن العامل المشترك الأساسي بينها جميعاً هو أن الملك هو الأساس فيها: فهو الذي يصلِّي أو يُتكلَّم عنه، أو يُصلَّي من أجله. والمزامير التي تحمل هذه الأوصاف هي: ٢ و١٨ و٢٠ و٢١ و٤٥ و٧٢ و١٠١ و١١٠ و١٣٢ و٢٨ و٦١ و٦٣ و٨٩ وغيرها.

نماذج:

مز ٢ : ٦ : «أمَّا أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي.
٧ : إني أخبر من جهة قضاء الرب: قال لي: أنت ابني أنا اليوم ولدتك.
٨ : اسألني فأعطيك الأُمم ميراثاً لك، وأقاصي الأرض ملكاً لك».

مز ١٨ : ٢٠ : «يكافئني الرب حسب برِّي، حسب طهارة يدي يرد لي.
٢١ : لأني حفظت طرق الرب، ولم أعص إلهي.
٢٨ : لأنك أنت تضيء سراجي. الرب إلهي ينير ظلمتي.
٢٩ : لأني بك اقتحمت جيشاً، وبإلهي تسوَّرت أسواراً.
٣٤ : الذي يعلِّم يدي القتال، فتحنى بذراعي قوس من نحاس.
٣٥ : وتجعل لي ترس خلاصك، ويمينك تعضدني، ولطفك يعظمني.
٥٠ : برج خلاص لملكه، والصانع رحمة لمسيحه، لداود ونسله إلى الأبد».

مز ٢٠ : ٦ : «الآن عرفت أن الرب مخلِّص مسيحه، يستجيبه من سماء قدسه. بجبروت خلاص يمينه»
٩ : يا رب خلِّص! ليستجب لنا الملك في يوم دعائنا!».

ومنطوق النبي أثناء إلقاء المرسوم الخاص بتمليك الملك مع الوعود الموروثة أصبحت هي بنفسها بروجرام الملك بعد ذلك الذي يحكي عنه، الذي نسمع عنه عند رحبعام (١مل ١٢:١٤) حيث أخطأ رحبعام وظن أن مرسوم تمليكه والقوة التي ستؤازره يمكن أن يؤدِّب بها الشعب بالعقارب:

+ «وكلمهم حسب مشورة الأحداث (وليس النبي الذي رسمه) قائلاً: أبي (سليمان) ثقَّل نيركم وأنا أزيد على نيركم. أبي أدَّبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بالعقارب.» (١مل ١٢:١٤)

هذا هو المفهوم الخاطئ جدًّا لقول النبوَّة في المزمور، أي في مرسوم التنصيب والمسحة الملكية في المزمور الثاني: «تحطمهم بقضيب من حديد، مثل إناء خزاف تكسرهم» (مز ٢:٩) وذلك عن ملوك الشعوب القائمين عليه، هذه أخذها رحبعام وطبَّقها على شعبه بحماقة مشورة الشباب.

في حين أنه في مزمور (١٠١:٢): «أتعقَّل في طريق كامل، متى تأتي إليَّ. أسلك في كمال قلبي

في وسط بيتي» هذا أيضاً يُحسب أنه مرسوم تنصيب وبروجرام الحكم. فـالمتكلّم هنا ملك، وبيته هو شعب الله يهوه. فهذا الوعد الملكي هو بروجرام الملك أمام يهوه بوعد، الذي يمكن أن نسميه وعداً أو عهداً طقسياً أمام يهوه، يكرره الملك في أعياد الشعب الطقسية وخاصة أعياد السنة الجديدة.

ويعتبر مزمور (١٠١) أنه مزمور اعتراف للملك أمام يهوه في عيد الملـك، كيـف يسـلك أمامه بالنسبة للشعب على مستوى السلوك الديني. يقدّمه ليهوه كتقدمة شكر على اختياره ومسحته. لذلك بدأ المزمور بصلاة غناء وترنيم ليهوه وإبداء مسرّة مشيئته «رحمة وحكماً أغنّي. لـك يا رب أرنّم.» (مز ١٠١:١)

وفي مزمور (٧٢) نسمع كيف يطلب الكهنة من يهوه الحكمة والبر للملك لقضاء الشعب بالعدل واحترام مساكين الأرض بصورة إبداعية:

مز ٧٢: ١: «اللهم أعطِ أحكامك للملك، وبرّك لابن الملك.
٢: يدين (يقضى) شعبك بالعدل، ومساكينك بالحق.
٣: تحمل الجبال سلاماً للشعب، والآكام بالبر.
٤: يقضي لمساكين الشعب، يخلّص بني البائسين، ويسحق الظالم».

مع دعاء صاحب المزمور – وهو غالباً نبي – للملك دعاء النبوّة وبركة المسحة.

مز ٧٢: ٦: «ينزل مثل المطر على الجزاز ومثل الغيوث الذارفة على الأرض.
٧: يشرق في أيامه الصديق وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر ...
١٧: يكون اسمه إلى الدهر قدّام الشمس يمتد اسمه ويتباركون به، كل أُمم الأرض يطوّبونه.
١٨: مبارك الرب الله إله إسرائيل. الصانع العجائب وحده.
١٩: ومبارك اسم مجده إلى الدهر، ولتمتلئ الأرض كلها من مجده. آمين ثمَّ آمين.

كما عندنا مزمور (٢٠) يحكي عن الكهنة الرائين الذين يقدّمون ذبيحة من أجل الملك لكي يعينه الله في طريقه الحربي من قلب مخلص ودعاء النبوّة.

مز ٢٠: ١: «ليستجيب لك الرب في يوم الضيق، ليرفعك اسم إله يعقوب.
٢: ليرسل لك عوناً من قدسه، ومن صهيون ليعضدك.
٣: ليذكر كل تقدماتك، ويستسمن محرقاتك. سلاه.
٤: ليعطك حسب قلبك، ويتمّم كل رأيك.

٥: نترنّم بخلاصك، وباسم إلهنا نرفع رايتنا. ليكمّل الرب كل سؤلك.
٦: الآن عرفت أن الرب مخلّص مسيحه، يستجيبه من سماء قدسه، بجبروت خلاص يمينه.
٧: هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل، أمَّا نحن فاسم الرب إلهنا نذكر.
٨: هم جثوا وسقطوا، أمَّا نحن فقمنا وانتصبنا.
٩: يا رب خلّص! ليستجب لنا الملك في يوم دعائنا!».

أمَّا مزمور (٢١) فهو مثل مزمور (٢٠) دعاء للملك وثناء وصلاة تدعيم، وذلك من فم الكهنة الرائين الذين مسحوه وحلّت على أيديهم بركات يهوه.

مز ٢١: ١: «يا رب بقوتك يفرح الملك، وبخلاصك كيف لا يبتهج جدًّا.
٢: شهوة قلبه أعطيته، وملتمس شفتيه لم تمنعه. سلاه.
٣: لأنك تتقدَّمه ببركات خير، وضعت على رأسه تاجاً من إبريز.
٧: لأن الملك يتوكّل على الرب، وبنعمة العلي لا يتزعزع».

مز ٤٥: ١: «فاض قلبي بكلام صالح. متكلّم أنا بإنشائي للملك. لساني قلم كاتب ماهر.
٢: أنت أبرع جمالاً من بني البشر. انسكبت النعمة على شفتيك. لذلك باركك الله إلى الأبد.
٦: كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك».

مز ٧٢: ١: «اللهم أعطِ أحكامك للملك وبرك لابن الملك.
٢: يدين شعبك بالعدل ومساكينك بالحق.
١٧: يكون اسمه إلى الدهر، قدَّام الشمس يمتد اسمه، ويتباركون به، كل أُمم الأرض يطوّبونه».

مز ١٠١: ١: «رحمة وحكماً أُغنّي. لك يا رب أُرنّم».

مز ١١٠: ١: «قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك.
٤: أقسم الرب ولن يندم. أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق».

مز ١٣٢: ١: «اذكر يا رب داود وكل ذله.
١١: أقسم الرب لداود بالحق لا يرجع عنه، من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك».

مز ٢٨: ٨: «الرب عز لهم، وحصن خلاص مسيحه هو.
٩: **خلّص شعبك، وبارك ميراثك وارعهم واحملهم إلى الأبد**».

مز ٦١: ٦: «إلى أيام الملك تضيف أيّاماً. سنيه كدور فدور».

مز ٦٣: ١١: «أمَّا الملك فيفرح بالله، يفتخر كل مَنْ يحلف به».

مز ٨٩: ٣: «قطعت عهداً مع مختاري، حلفت لداود عبدي.

٤: إلى الدهر أثبت نسلك وأبني إلى دور فدور كرسيك. سلاه».

ومزامير أخرى أيضاً.

والآن هذه الأمثلة تكشف أن هذه المزامير تخص ملكاً حقيقياً بشخصه المفرد المحدَّد وليست مجرَّد أشعار أو أنها تهدف إلى شعب أو جماعة. فالجماعة تذكره بأنه درع لها وتتوسل من أجله. وإنه من غير المعقول أن تكون مجرد أشعار تجعل يهوه يقول للشعب أنا اليوم ولدتك. فهذا يخص فرداً واحداً فقط يُعلن يهوه على أنه "**اليوم**" قد وُلِدَ في وقت الهتاف بالمزمور ليكون "ابناً ليهوه وملكاً" (مز ٢:٧). أمَّا شعب إسرائيل فدعاه الله ابناً له عندما دعاه خارجاً من مصر (هو ١١:١) والجماعة يستحيل أن تُدعى "ملك يهوه" بل بالعكس فيهوه هو "ملك إسرائيل".

وواضح أن الملك المقصود هو ملك إسرائيل ومقره صهيون (مز ٢:٦، ١١٠:٢، ٢٠:٢، ١٣٢:١٣) وهو من نسل داود (١٨:٥٠، ٨٩:٣٦، ١٣٢:١١و١٧).

وقد يبدو حسب الظاهر أن مفهوم إسرائيل عن ملك إسرائيل يشترك مع مفهوم "الملك" عند كنعان أو مصر أو بقية أُمم الشرق، ولكن الذي يميِّز مفهوم "الملك" في شخص "ملك إسرائيل" عناصر أخرى قوية أهمها:

١ - أن له مع شعبه صلة قوية، وخاصة الأمناء منهم:

+ «عيناي على أمناء الأرض لكي أُجلسهم معي.» (مز ١٠١:٦)

٢ - هو حصن إسرائيل ومجنه:

+ «ليرسل لك عوناً من قدسِهِ، ومن صهيون ليعضُدك.» (مز ٢٠:٢)

+ «الرب عزّ لهم، وحصن خلاص مسيحه هو.
خلّص شعبك وبارك ميراثك، وارعهم واحملهم إلى الأبد.» (مز ٢٨:٩)

+ «يقضي لمساكين الشعب. يخلّص بني البائسين ويسحق الظالم.» (مز ٧٢:٤)

+ «يا مجننا انظر يا الله، والتفت إلى وجه مسيحك.
لأن الرب الله، شمس ومجن. الرب يعطي رحمة ومجداً.» (مز ٨٤:٩و١١)

٣ - الملك والشعب (هو ونحن) معاً يعبدون يهوه الواحد:

+ «ليستجيب لك الرب في يوم الضيق، ليرفعك اسم إله يعقوب.

ليرسل لك عوناً من قدسه، ومن صهيون ليعضدك.
ليذكر كل تقدماتك، ويستسمن محرقاتك. سلاه.
ليعطك حسب قلبك، ويتمِّم كل رأيك.
نترنَّم بخلاصك، وباسم إلهنا نرفع رايتنا. ليكمِّل الرب كل سؤلك.
الآن عرفت أن الرب مخلِّص مسيحه، يستجيبه من سماء قدسه، بجبروت خلاص يمينه.
هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل، أمَّا نحن فاسم الرب إلهنا نذكر.
هم جثوا وسقطوا، أمَّا نحن فقمنا وانتصبنا.
يا رب خلّص! ليستجب لنا الملك في يوم دعائنا!» (مز ٢٠: ١-٩)

ويُلاحَظ أن (مزمور ٢٠ كله) وموضوعه توسُّل إلى الرب من أجل الملك (بديع حقًّا).

٤ - نصرة الملك هي فرحة إسرائيل العظمى وقوته، فهو يحيا ويحكم أمام وجه يهوه:

+ «يا رب بقوتك يفرح الملك، وبخلاصك كيف لا يبتهج جداً.
شهوة قلبه أعطيته، وملتمس شفتيه لم تمنعه. سلاه.
لأنك تتقدَّمه ببركات خير، وضعت على رأسه تاجاً من إبريز.
حياة سألك فأعطيته. طول الأيام إلى الدهر والأبد.
عظيمٌ مجده بخلاصك جلالاً وبهاءً تضع عليه.
لأنهم نصبوا عليك شرًّا. تفكروا بمكيدة لم يستطيعوها ... إلخ» (مز ٢١:١-٥و١١)

٥ - يهوه هو إله الملك!! وحينما يخلّص يهوه الملك من الضيقة يكون هو نفسه لخلاص شعب الله:

+ «أحببتَ البر وأبغضتَ الإثم، من أجل ذلك مسحك الله إلهك، بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك.» (مز ٤٥:٧)

+ «الرب عزّ لهم، وحصن خلاص مسيحه هو. خلّص شعبك وبارك ميراثك، وارعهم واحملهم إلى الأبد.» (مز ٢٨:٨و٩)

٦ - الملك يصلّي أن يهوه كان دائماً ملجأه وسيسكن في خيمته إلى الأبد، أي في هيكل صهيون (مز ٦١:٤ إلخ)

٧ - ثمَّ الذي يميِّز ملك إسرائيل بشكل خاص هي المسحة التي من العلي دون كافة من يدعى ملكاً على الأرض:

(أ) «أمَّا أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي.» (مز ٢:٦)

(ب) «أحببتَ البر وأبغضتَ الإثم. من أجل ذلك مسحك الله إلهك. بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك.» (مز ٤٥:٧)

(ج) «الرب عزٌّ لهم وحصن خلاص مسيحه هو.» (مز ٢٨:٨)

(د) «حينئذ كلَّمت برؤيا تقيّك وقلت: جعلت عوناً على قوي. رفعت مختاراً من بين الشعب وجدت داود عبدي. بدهن قدسي مسحته ...» (مز ٨٩:١٩و٢٠)

(هـ) «تنقذني من مخاصمات الشعب. تجعلني رأساً للأمم. شعب لم أعرفه يتعبَّد لي. من سماع الأذن يسمعون لي. بنو الغرباء يتذلَّلون لي ... الإله المنتقم لي، والذي يخضع الشعوب تحتي ... برج خلاص لملكه، والصانع رحمة **لمسيحه**، لداود ونسله إلى الأبد.» (مز ١٨:٤٣و٤٤و٤٧و٥٠)

(و) «من أجل داود عبدك لا ترد وجه مسيحك ... هناك أنبت قرناً لداود رتبت سراجاً لمسيحي ...» (مز ١٣٢:١٠و١٧)

هذا يجزم ويقطع قطعاً أنه ملك يهودي وإسرائيلي من واقع هذه المزامير.

٨ - وهو ملك قائم دائم ليس فقط لأنه كان وسيكون بل هو الآن وإلى الأبد، ثمَّ يستعلن الملك والملكة (الكنيسة) معه:

(أ) «أنا أيضاً أجعله بكراً، أعلى من ملوك الأرض.
إلى الدهر أحفظ له رحمتي، وعهدي يُثبَّت له.
وأجعل **إلى الأبد** نسله، وكرسيه مثل أيام السماوات ...
نسله إلى الدهر يكون، **وكرسيه كالشمس** أمامي.
مثل القمر يثبت إلى الدهر. والشاهد في السماء أمينٌ. سلاه.» (مز ٨٩: ٢٧-٢٩و٣٦و٣٧)

(ب) «**يكون اسمه إلى الدهر**. قدَّام الشمس يمتد اسمه. ويتباركون به.
كل أُمم الأرض يطوِّبونه.
مبارك الرب الله إله إسرائيل، الصانع العجائب وحده.
ومبارك اسم مجده إلى الدهر، ولتمتلئ الأرض كلها من مجده. آمين ثمَّ آمين.» (مز ٧٢: ١٧-١٩)

(ج) «قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك.
أقسم الرب ولن يندم: أنت كاهن **إلى الأبد** على رتبة ملكي صادق.» (مز ١١٠:١و٤)

(د) «كرسيك يا الله **إلى دهر الدهور**. قضيب استقامة قضيب ملكك.
أحببتَ البر وأبغضتَ الإثم من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك...
من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد ...
جُعلت الملكة (الكنيسة) عن يمينك ... اسمعي يا بنت وانظري وأميلي أذنك،
وانسي شعبك وبيت أبيك. فيشتهي الملك حسنك،
لأنه هو سيدك فاسجدي له.» (مز ٤٥: ٦و٧و١٧و١٠و١١)

٩ - الرب يُنقذه ويجعله يعبر الموت ويخرج إلى الرحب:

+ «اكتنفتني حبال الموت، وسيول الهلاك أفزعتني.
حبال الهاوية حاقت بي. أشراك الموت انتشبت بي.
فارتجّت الأرض (زلزلة يوم الجمعة) وارتعشت، أُسس الجبال ارتعدت، وارتجت لأنه غضب.
... جعل الظلمة ستره (كان ظلام من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة) ... أرسل سهامه فشتتهم ... أرسل من العُلَى فأخذني نشلني من مياه كثيرة. أنقذني من عدوي القوي (الشيطان) ومن مبغضيَّ لأنهم أقوى مني.
أصابوني في يوم بليتي، وكان الرب سندي.
أخرجني إلى الرحب (القيامة) خلَّصني لأنه سُرَّ بي!» (مز ١٨: ٤و٧و١١و١٤و١٦-١٩)

فإذا عبرنا من المزامير إلى الأنبياء فيما يخص "الملك" المسيَّاني نجد أن النموذج الفائق عن البشر هو واحد في الاثنين. وقد أبدعت المزامير الملكية في الإحاطة بـ"الملك" المسيَّاني.

ولكن، هناك فارق كبير بين الملك المسيَّاني في المزامير، ومسيَّا الملك الآتي في الأنبياء. فالمزامير ترى أن الملك المسيَّاني تحقَّق أو أنه يرجى أن يتحقَّق ولكن على الأرض يجلس أمامهم على كرسيه. أمَّا الأنبياء فلم يكتفوا أبداً في كونه يُرى في الحاضر الزمني كحقيقة بأي صورة، ولكن تتطلَّع النبوَّات جميعاً إلى ملك جديد يُرسله الله "في زمانه الحسن"، تحقيقاً للنموذج الأكمل الذي تطلَّعت إليه كل ملوك الحاضر ولكن لم تحقِّقه لأنه يكون فوق الطاقة البشرية.

ولكن سواء المزامير أو الأنبياء فإنها كانت تتطلَّع إلى ما هو أكثر من الحاضر، الذي تحقَّق في

المسيح يسوع الذي صار ملكاً وهو "ابن الإنسان" و"ابن الله" بآن. في هذا ظهرت الكنيسة محقّة في اعتبارها أن الملك في المزامير الملكية هو هو يسوع المسيح(٧).

ولكن يلزم أن ندرك أن "مسيح الرب" في العهد القديم كملك إسرائيل لم يكن يُقصد به يسوع المسيح إطلاقاً، لأن الحجب كانت كثيفة للغاية، والفارق الإلهي عن البشرى كان صارخاً كهوة لا تُعبر.

ولكن لم يخلُ العهد القديم من إشارات بليغة تصف المسيّا تماماً استخدمها المسيح نفسه ليوضح شخصيته، فيها نجد الاتحاد واضحاً بين يهوه والملك بصورة فائقة عن التصور، فيها يظهر الملك ابناً ليهوه مباشرة: «قال الرب لربي»، «أنت ابني أنا اليوم ولدتك».

أهم المزامير الملكية:

توجد ثمانية مزامير مخصَّصة تماماً لشخصية الملك وتحمل آثار طابع مشترك، وسوف نعالج الآن هذه المزامير الخاصة وهي مز ٢ و٢٠ و٢١ و٤٥ و٧٢ و١٠١ و١١٠ و١٤٤.

ولكن لن نبحث هذه التسبيحات الملكية بالنسبة للهيكل أو الخدمات الهيكلية بقدر ما سنبحث فيها عن صلتها بقصر ملك إسرائيل نفسه، ولكن هذا لا يمنع من وجود خدمات ليتورجية كبيرة وأعياد تداولتها بعظمة ونفخة ملكية. لأن المظهر الواحد فيها جميعاً هو الصبغة الدينية العبادية.

فبعد أن طالب الشعب أن يكون لهم ملك كباقي الشعوب، لم يأخذوا ملكاً مثل هؤلاء كما سبق وأوضحنا، بل ظلّ ملك إسرائيل غير مستقل بذاته بالنسبة لإسرائيل، إنما كان ملكاً لدولة الحكم فيها إلهي.

فيهوه ظلّ هو الملك الحقيقي وكل صفة الملك الأرضي الموروثة من أجداده أنه "مسيح يهوه" والشخص العزيز بصفة خاصة ليهوه وقد اختير من بين الشعب ليحكم في إسرائيل.

نموذج من كلام داود النبي:

+ «وقد اختارني الرب إله إسرائيل من كل بيت أبي لأكون ملكاً على إسرائيل إلى الأبد ... سُرَّ بي ليملّكني على كل إسرائيل. ومن كل بنيّ لأن الرب أعطاني بنين كثيرين، إنما اختار سليمان ابني ليجلس على كرسي مملكة الرب على إسرائيل.» (١أي ٢٨: ٤و٥)

(7) Mowinckel, *op. cit.*, p. 49.

وكان على الملك أن يسير أمام الله ببساطة واستقامة قلب كما كان داود أيضاً:

+ «وأنت إن سلكت أمامي كما سلك داود أبوك وعملت حسب كل ما أمرتك به وحفظت فرائضي وأحكامي...» (٢أي ٧:١٧)

وحينما كان الشعب يتجمهر ليُظهر الولاء والطاعة والإكرام للملك في يوم عيد جلوسه أو ميلاده أو لذكرى مسحه أو عند زواجه أو لأيام انتصاراته، فإن هذا كله كان لأنه "مسيح الرب" إذ من خلاله هم يعيِّدون ليهوه.

وحينما كانوا يجتمعون للصلاة من أجل نجاحه أو نصرته أو شفائه فلأنه يحمل وعود يهوه للخلاص، فهو ليس دائماً قائداً حربياً أو مدنياً، بل هو في الأساس الحائز على محبة يهوه، فمن خلاله يحوز الشعب الخلاص.

ففي هذه المناسبات التي ذُكرت كانت تُقام حفلات سواء في الهيكل أو قصره يُقال فيها الألحان والمزامير الخاصة بالملوك. حيث يكون الملك مع عظماء حاشيته مجتمعين.

وأحياناً قد يتكلّم الملك وخاصة من منبر عرشه كالمزامير التالية كنماذج:

مز ١٠١: ١: «رحمة وحكماً أغنّي. لك يا رب أُرنّم.
٢: أتعقّل في طريق كامل. متى تأتي إليَّ؟ أسلك في كمال قلبي في وسط بيتي.
٨: باكراً أبيد جميع أشرار الأرض، لأقطع من مدينة الرب كل فاعلي الإثم».

مز ١٤٤: ١: «مبارك الرب صخرتي، الذي يُعلّم يديَّ القتال وأصابعي الحرب.
٢: رحمتي وملجأي، صرحي ومنقذي، مجني والذي عليه توكّلت، المخضع شعبي تحتي.
٩: يا الله أُرنّم لك ترنيمة جديدة. برباب ذات عشرة أوتار أُرنّم لك.
١٠: المعطي خلاصاً للملوك، المنقذ داود عبده من السيف السوء».

ومن المزامير التي كان يسبّح بها الكهنة الراعون الذين مسحوا الملوك في هذه المناسبات مزامير ٢١و٧٢:

مز ٢١: ١: «يا رب بقوتك يفرح الملك، وبخلاصك كيف لا يبتهج جداً!
٢: شهوة قلبه أعطيته، وملتمس شفتيه لم تمنعه. سلاه.
٣: لأنك تتقدّمه ببركات خير. وضعت على رأسه تاجاً من إبريز.
٧: لأن الملك يتوكّل على الرب، وبنعمة العلي لا يتزعزع».

مزمور ٧٢: مزمور لسليمان:

١: «اللهم أعطِ أحكامك للملك، وبرك لابن الملك.

٢: يدين شعبك بالعدل، ومساكينك بالحق.

٤: يقضي لمساكين الشعب، يُخلّص بني البائسين، ويسحق الظالم».

كذلك من الحِكَمْ والوحي والأقوال الإلهية التي كانت تُقال في تلك المناسبات: مزامير (٢و٢٠و١١٠). فالمزامير النبوية وحي وإلهام وتنبؤ.

مز ٢: ١: «لماذا ارتجت الأُمم، وتفكّر الشعوب في الباطل؟

٢: قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه.

٦: أمّا أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي.

٧: إني أخبر من جهة قضاء الرب: قال لي أنت ابني أنا اليوم ولدتك.

٨: اسألني فأعطيك الأُمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض ملكاً لك».

مز ٢٠: ١: «ليستجب لك الرب في يوم الضيق، ليرفعك اسم إله يعقوب.

٦: الآن عرفت أن الرب مخلّص مسيحه، يستجيبه من سماء قدسه، بجبروت خلاص يمينه»

مز ١١٠:١: «قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك.

٤: أقسم الرب ولن يندم. أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق».

وفي مثل هذه المناسبات الملوكية كانت تُقدَّم التمنيات الطيبة.

مز ٤٥: ١: «فاض قلبي بكلام صالح. متكلّم أنا بإنشائي للملك. لساني قلم كاتب ماهر.

٢: أنت أبرع جمالاً من بني البشر. انسكبت النعمة على شفتيك، لذلك باركك الله إلى الأبد.

٦: كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك.

٧: احببتَ البر وأبغضتَ الإثم، من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك.

٩: جُعِلَتِ الملكة عن يمينك بذهب أوفير.

١٠: اسمعي يا بنت وانظري، وأميلي أذنك، وانسي شعبك وبيت أبيك.

١١: فيشتهي الملك حُسنكِ، لأنه هو سيدكِ فاسجدي له».

خصائص مجموعة مزامير الملك:

ولو أن هذه المزامير تُعتبر مجموعة قائمة بذاتها ذات مواصفات معيّنة على خلفية واحدة، إلاّ أنها شديدة القرب من مزامير التسبيح لمجد الله والشكر والتوسُّل وأيضاً مزامير البركة. ومن خصائصها:

أولاً: أنها تتركّز حول شخصية الملك ولها تراث واحد مميّز، ولها عناصر مشتركة تتكرّر فيها بكثرة، غير أن كل مزمور له ظروفه المعيّنة والمناسبة التي قيل فيها، لذلك لا نستطيع أن نوحّد عناصرها تحت هيكل واحد.

فبعض هذه المزامير يهتم بوصف الحاكم بأوصاف ضخمة وعظيمة مثل مزمور (٤٥):

مز ٤٥: ٢: «أنت أبرع جمالاً من بني البشر، انسكبت النعمة على شفتيك، لذلك باركك الله إلى الأبد.

٣: تقلد سيفك على فخذك أيها الجبّار، جلالك وبهاءك.

٤: وبجلالك اقتحم، اركب. من أجل الحق والدعة والبر، فتريك يمينك مخاوف.

٦: كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك».

ثانياً: وبالاختصار فالملك في هذه المزامير صاحب شخصية محورية لها مظهرها الجميل، وهو محارب قوي وهو يُجري الحق والعدل وإنه سيحتفظ بملوكيته إلى الأبد. وإن يهوه أعطاه نصيباً في قوة حكمه، ولأنه له عمله الخاص الذي يعمله باسم يهوه وكممثل له فهو يسميه **ابنه**. وفي يوم صعود الملك على العرش يُقال إن يهوه قد **ولده** وهو وُلد لكي يتحلّى بالكرامات التي هي مقدَّسة: (مز ٢:٧، ١١٠:٣). وكل ما للملك يُحسب أنه عطايا يهوه له. وكملك فهو قد مُسح بزيت بهجة وقد اختير أكثر من رفقائه (مز ٤٥:٧) وارتفع منتصراً على أعدائه، وهذا مذكور في مزمور الشكر (١٨). وهو مستعد دائماً ومتسلّح للمعركة، هكذا يصفه مزمور (٢١):

مز ٢١: ٣: «لأنك تتقدَّمه ببركات خير. وضعت على رأسه تاجاً من إبريز.

٤: حياة سألك فأعطيته. طول الأيام إلى الدهر والأبد.

٥: عظيم مجده بخلاصك، جلالاً وبهاءً تضع عليه.

٦: لأنك جعلته بركات إلى الأبد. تُفرّحه ابتهاجاً أمامك».

فالملك محبوب الله كما كان داود نبيًّا وملكاً هكذا نسل داود. وهكذا فكل ملك ينسب إلى داود حتى أن كل حكّام أهل بيته يُباركون:

مز ١٤٤:١٠: «المعطي خلاصاً للملوك. المنقذ داود عبده من السيف السوء».

مز ٨٩: ٢٠: «وجدت داود عبدي. بدهن قدسي مسحته.
٢١: الذي تثبت يدي معه. أيضاً ذراعي تشدّده.
٢٢: لا يرغمه عدو وابن الإثم لا يذلّله.
٢٣: وأسحق أعداءه أمام وجهه، وأضرب مبغضيه.
٢٤: أمّا أمانتي ورحمتي فمعه، وباسمي ينتصب قرنه.
٢٥: وأجعل على البحر يده، وعلى الأنهار يمينه.
٢٦: هو يدعوني: أبي أنت، إلهي وصخرة خلاصي.
٢٧: أنا أيضاً أجعله بكراً، أعلى من ملوك الأرض.
٢٨: إلى الدهر أحفظ له رحمتي، وعهدي يُثبت له.
٢٩: وأجعل إلى الأبد نسله، وكرسيه مثل أيام السماوات».

ثالثاً: وثالث خاصية من مجموعة مزامير الملك كونها تحمل الدعوات والتمنيات الطيبة من أجل الملك. فالصلوات تُقدَّم من أجله في بدء حكمه، والصلوات تُقدَّم إذا دخل الحرب والصلوات من أجل السلام في أثناء حكمه:

مز ٢٠: ٢: «ليرسل لك عوناً من قدسه، ومن صهيون ليعضدك».
٩: «يا رب خلّص. ليستجب لنا الله من أجل الملك في يوم دعائنا» (ترجمة إنجليزية).

مز ٧٢: ١: «اللهم أعطِ أحكامك للملك. وبرك لابن الملك.
٢: يدين شعبك بالعدل ومساكينك بالحق».

ثمّ يقدّمون للملك تمنياتهم الطيبة:

مز ٢٠: ٤: «ليعطك حسب قلبك، ويتمّم كل رأيك».

مز ٤٥: ٤: «وبجلالك اقتحم. اركب. من أجل الحق والدعة والبر، فتريك يمينك أعمالاً مخيفة» (ترجمة إنجليزية).

أمّا في مزمور (١٤٤) فنسمع الملك نفسه في صلواته:

مز ١٤٤: ١١: «أنقذني ونجني من أيدي الغرباء، الذين تكلّمت أفواههم بالباطل، ويمينهم يمين كذب.
١٢: لكي يكون بنونا مثل الغروس النامية في شبيبتها. بناتنا كأعمدة الزوايا منحوتات حسب بناء هيكل.

١٣: أهراؤنا ملآنة تفيض من صنف فصنف. أغنامنا تُنتج ألوفاً وربوات في شوارعنا.
١٤: بقرنا محمَّلة، لا اقتحام ولا هجوم، ولا شكوى في شوارعنا».

أمّا الملك فمن ناحيته يَعدُ يهوه أنه سوف يحيا بالحق ويمارس العدل الاجتماعي تجاه شعبه:

مز ١٠١: ٢: «متى تأتي إليّ؟ أسلك في كمال قلبي في وسط بيتي.
٣: لا أضع قدّام عينيّ أمراً رديئاً. عمل الزيغان أبغضت. لا يلصق بي».

أمّا في مزمور (٤٥) فهو من تأثره يدعو للملك أن أولاده يملكون وذكره يبقى إلى الأبد.

مز ٤٥: ١٦: «عوضاً عن آبائك يكون بنوك، تقيمهم رؤساء في كل الأرض.
١٧: أذكر اسمك في كل دور فدور. من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد».

رابعاً: ومن أهم خواص مزامير الملك هي أقوال الإلهام النبوية التي تُقال نحو الملك:

مز ٢: ٧: «إني أخبر من جهة قضاء الرب: قال لي: أنت ابني أنا اليوم ولدتك.
٨: اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك، وأقاصي الأرض مُلكاً لك.
٩: تحطّمهم بقضيب من حديد. مثل إناء خزاف تكسرهم».

مز ٨٩: ٣: «قطعت عهداً مع مختاري، حلفت لداود عبدي.
٤: إلى الدهر أُثبّت نسلك، وأبني إلى دور فدور كرسيك. سلاه.
١٩: حينئذ كلّمت برؤيا تقيك وقلتُ: جعلتُ عوناً على قوي، رفعت مختاراً من بين الشعب.
٢٠: وجدت داود عبدي. بدهن قدسي مسحته.
٢١: الذي تثبت يدي معه. أيضاً ذراعي تشدّده.
٢٢: لا يرغمه عدوٌّ وابن الإثم لا يذلّله.
٢٣: وأسحق أعداءه أمام وجهه وأضرب مبغضيه.
٢٤: أمّا أمانتي ورحمتي فمعه، وباسمي ينتصب قرنه.
٢٥: وأجعل على البحر يده، وعلى الأنهار يمينه.
٢٦: هو يدعوني: أبي أنت، إلهي وصخرة خلاصي.
٢٧: أنا أيضاً أجعله بكراً، أعلى من ملوك الأرض.
٢٨: إلى الدهر أحفظ له رحمتي، وعهدي يثبت له.
٢٩: وأجعل إلى الأبد نسله، وكرسيه مثل أيام السماوات».

ثمَّ مزمور ١١٠ كله وأهم آياته الآية (٤): «أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق».

ولكن يا للأسف ويا لحزن إسرائيل، فقد سقطت ملوكية إسرائيل حتى الخراب لأن الملوك أثبتوا أنهم خونة بلا إيمان نحو رسالتهم الإلهية، إذ أخذوا لأنفسهم كل اختصاصات وصلاحيات يهوه الخاصة به وحده، الذي هو الملك الحقيقي. فإذا استثنينا داود وحزقيا ويوشيا يكون الباقي منهم جميعاً قد أخطأوا جدًّا وانتهوا إلى الخراب، كما سجَّل عليهم ابن سيراخ: «كلهم أجرموا ما خلا داود وحزقيا ويوشيا، تركوا شريعة العلي، ارتد ملوك يهوذا، دفعوا قرنهم لغيرهم ومجدهم إلى أُمة غريبة.» (بن سيراخ ٤٩:٤-١٧)

فانحدر الخط الملكي إلى الخراب سنة ٥٨٧ ق.م.

ولكن إشعياء رأى وتنبَّأ أنه من جذر يسى ينبت فرخ (١:١١) لأن الأصل سقط إلى الأرض ولكن بيت داود يقدِّم مرَّة أخرى منقًى وفي مجد الروح في شخص المسيَّا القادم ليُعيِّن على ملكوت الله. ويجيء بعده حزقيال ويقول:

+ «وأُقيم عليها راعياً واحداً فيرعاها عبدي داود. هو يرعاها ويكون لها راعياً وأنا الرب أكون لهم إلهاً وعبدي داود رئيساً في وسطهم أنا الرب تكلَّمت وأقطع معهم عهد سلام.» (حز ٣٤:٢٣-٢٥)

وبعد عودة اليهود من السبي، بدأت ليتورجيا التسبيح تأخذ المعنى المستقبلي الذي يشوبه الرجاء. فأصبحت مزامير الملك صلوات الرجاء.

وشيئاً فشيئاً نسي الكهنة وأصحاب الليتورجيا والشعب العلاقة بين التسبيح الذي يسبِّحونه وأعمال يهوه الإعجازية السابقة. وبالرغم من الإحساس بالروحانية من خلال نبوات إشعياء والأنبياء فيما يخص الملك والملكوت، فاليهود بعد السبي وخاصة في أيام المكابيين ترقَّبوا بشدة قيام إمبراطورية أرضية يهودية تقوم على "بطل" يسعى للحرية التي يسود عليها مستقبلاً، وتجمع الكل في حكم واحد للعالم. والملكوت المزعوم هذا بدأ يزداد وضوحاً وتأثيراً في حياة الشعب. فالملك سيكون مسيح الرب، المسيَّا المسيح الذي سيأتي ويحرِّر الأُمة بالمعنى السياسي.

يسوع هو المسيَّا الذي فيه أقام الله الملكوت على الأرض وهو الملك لهذا الملكوت:

+ «يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الإثم.» (مت ١٣:٤١)

+ «ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده. ويجتمع أمامه جميع الشعوب، فيميِّز بعضهم من بعض كما يميِّز الراعي الخراف من الجداء. فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار. ثمَّ يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم.» (مت ٢٥: ٣١-٣٤)
+ «وبعد ذلك النهاية، متى سلَّم الملك لله الآب متى أبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة.» (١كو ١٥:٢٤)
+ «وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب **ملك الملوك** ورب الأرباب.» (رؤ ١٩:١٦)

ولكن المسيح لم يلفت النظر نحو وظيفته كملك، ولكن كان يشير إلى أن نبوات إشعياء بخصوص عبد يهوه قد تحقَّقت كما قرأها بنفسه وقال: «اليوم قد تمَّ هذا المكتوب في مسامعكم.» (لو ١٨:٢١) وكان يرتاح للقب ابن داود.

ولكن حينما أراد الشعب أن يجعلوه ملكاً تركهم وانصرف إلى الجبل وحده (يو ٦:١٥). ولكنه رتَّب لنفسه موكباً ملكياً راكباً على جحش والكل يهتف أوصانا في الأعالي يا ابن داود، وكان منشرحاً لهذا الهتاف. ولمَّا أراد الكهنة والفريسيُّون أن يسكتوا التلاميذ والأطفال انتهرهم وقال إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ، مشيراً إلى أن نبوَّة زكريا النبي قد تحقَّقت:

+ «ابتهجي جدًّا يا ابنة صهيون اهتفي يا بنت أُورشليم. هوذا ملكك يأتي إليكِ هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان.» (زك ٩:٩)

ولكنه كان حريصاً حتى لا يخطئ الشعب ويفهمون أنه ملك أرضي لأنه لم يكن بطل تحرير لإسرائيل من العبودية للرومان، بل إنه صرَّح أمام بيلاطس بمنتهى الوضوح إن مملكتي ليست من هذا العالم (يو ١٨:٣٦)

والمسيح أيضاً أوضح ما جاء عنه في مزمور (١١٠) حينما سأله الفريسيون:

+ «وفيما كان الفريسيُّون مجتمعين سألهم يسوع قائلاً: ماذا تظنون في المسيح. ابن مَنْ هو؟ قالوا له: ابن داود. قال لهم: فكيف يدعوه داود بالروح ربًّا قائلاً: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. فإن كان داود يدعوه ربًّا فكيف يكون ابنه؟» (مت ٢٢:٤١-٤٦)

فمن سؤال المسيح يظهر أن المسيح ابن داود هو أعلى من داود، بل ربّه. فالمسيح يسوع هو

الرب حتى إلى نهاية الزمان.

ولكن في أعماق وعي اليهود الذين تنصَّروا أن المسيح هو الملك: «وقد قبلهم ياسون. وهؤلاء كلهم يعملون ضد أحكام قيصر قائلين: إنه يوجد ملك آخر يسوع.» (أع ١٧:٧)

وقد لعب المزمور الثاني دوراً كبيراً في اعتقاد الكنيسة، باعتباره أساس التعليم بربوبية المسيح يسوع، وكذلك المزمور (١١٠). كذلك موضوع جلوسه عن يمين الله كنصرة فوق جميع أعدائه. هذه النصرة للمسيح جاء التنبُّؤ بها واضحاً في المزمور (٨) وخاصة إخضاع كل شيء لابن الإنسان.

مز ٨: ٦: «تُسلِّطه على أعمال يديك. جعلتَ كل شيء تحت قدميه».

وموضوع جلوسه عن يمين الآب والكل تحت رجليه:

مز ١١٠: ١: «قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك».

وفي سفر الأعمال تحقَّقت ملوكيته وارتقاؤه إلى عرشه:

+ «فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربًّا ومسيحاً.» (أع ٢:٣٦)

أمَّا الأصحاح الأول من الرسالة إلى العبرانيين فقد أعطى فيه ق. بولس الرسول وصفاً مرتفعاً للغاية لربوبية المسيح موافقاً للمزامير (٢و٤٥و١١٠) وغيرها، يتبع بعضها الواحد للآخر:

سفر العبرانيين	سفر المزامير
(عب ١: ٢-٣): + «الذي جعله **وارثاً** لكل شيء. الذي به أيضاً عمل العالمين الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته،	**(مز ٢:٨):** + «اسألني فأعطيك الأُمم **ميراثاً** لك، وأقاصي الأرض ملكاً لك».
بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا **جلس في يمين** العظمة في الأعالي».	**(مز ١:١١٠):** + «قال الرب لربي: **اجلس عن يميني** حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك».

سفر العبرانيين	سفر المزامير
(عب ١:٥-٧): + «**أنت ابني أنا اليوم ولدتك**. وأيضاً أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً. وأيضاً متى أدخل البكر إلى العالم يقول ولتسجد له كل ملائكة الله. وعن الملائكة يقول الصانع ملائكته رياحاً وخدَّامه لهيب نار».	**(مز ٢:٧):** + «**أنت ابني أنا اليوم ولدتك**»
(عب ١:٨-١١): + «كرسيك يا الله إلى دهر الدهور، قضيب استقامة قضيب ملكك. احببتَ البر وأبغضتَ الإثم. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك. وأنت يا رب في البدء أسست الأرض والسموات هي عمل يديك. هي تبيد ولكن أنت تبقى وكلها كثوب تبلى».	**(مز ٤٥:٦و٧):** + «كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك. احببتَ البر وأبغضتَ الإثم. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك».

الرجاء المسيَّاني في المزامير:

ومع مزامير الملك، ندرس أيضاً المزامير التي تحكي عن نبوات المسيَّا:

ونسأل أولاً ما هي المسيَّانية؟ هي كل ما جاء في الوحي المقدَّس عن الفداء الأخير للإنسان، وأيضاً فيما يختص بالملك لهذه الأيام الأخيرة الذي سيصنع الخلاص ويؤسِّس ملكوت الله، ويحيا ممثلاً ليهوه. وتتكلَّم عن ما كُتب من أجل الأمور الأخروية التي تذكرها مزامير تنصيب الملك. علماً بأن المزامير الخاصة بالملوك الذين حكموا إسرائيل على الأرض لا يمكن احتسابها مسيانية ولا يُحسب هؤلاء الملوك مسيانيين في شيء، غير أن تنصيب هؤلاء الملوك ولو أنهم لا يحسبون مسيانيين في شيء إلاَّ أن تسلسلهم كان بالنهاية يستعلن مسيَّا الآتي خاصة أنهم كانوا يحكمون صهيون. وكان يُحسب الملك أنه متصل بداود، وبدرجة من الترقب وانتظار مجيء المسيَّا.

وفي مزمور (٨٩و١٣٢) تبرز هذه الترقُّبات بصورة شديدة وتتكشف الصلة القوية بداود:

مز ٨٩: ٣: «قطعتُ عهداً مع مختاري، حلفت لداود عبدي.

٤: إلى الدهر أثبِّت نسلك، وأبنى إلى دور فدور كرسيك.

٣٥: مرَّةً حلفت بقدسي، أني لا أكذب لداود.

٣٦: نسله إلى الدهر يكون، وكرسيه كالشمس أمامي».

مز ١٣٢:١١: «أقسم الرب لداود بالحق لا يرجع عنه: من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك».

وهكذا ظلَّ الملك يحمل وعود الله لداود، وقوة يهوه لم تنحجب عن الشعب بواسطة الملك والكهنة، وظل ملكوت الله يُترقب في أعمال الملوك وبقية خدَّامه. وظل الشعب ينتظر تحقيق ملكوت الله بعد السبي بحسب نص المكتوب.

كما امتدَّت هذه الآمال والترقبات لملكوت الله حتى بعد دخول المسيحية، وقامت الكنيسة مقام الشعب التقي المترقب. ولكن لم يعد هناك وسطاء، فليس ملوك ولا أنبياء، فالشعب يعيش هذا الترقُّب لملكوت الله. وبموت الرب وقيامته بلغت حدود الترقب أقصاها، وفي المسيح تمَّت كل توقعات الشعب والملوك وكَمُل تنصيب المسيح ملكاً وكان التاج إكليل الشوك:

+ «فمضى به العسكر إلى داخل الدار التي هي دار الولاية وجمعوا كل الكتيبة. وألبسوه أرجواناً وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه عليه. وابتدأوا يسلِّمون عليه قائلين: السلام **يا ملك اليهود**.» (مر ١٥: ١٦-١٨)

وهكذا في النهاية وضح دور الملوك قديماً الذي اكتمل وانكشف واستعلن معناه وسرّه في المسيح، وقد بلغنا استعلان كل ما جاء في المزامير خاصة التي تكلَّمت عن "الملك" والملوكية والملكوت.

وأصبحت المزامير تأخذ الآن وجهاً مسيحياً محبوك المعنى. لا تُشرح بعد على حوادث وتاريخ إسرائيل، بل تأخذ قوة معناها النبوي مطابقاً لما قد صنعه المسيح من أجل الفداء والخلاص.

٧ – مزامير المراثي والتوسُّل أو التضرُّع

Psalms of Lamentation and Petition

مقدِّمة:

كما أن مزامير التسبيح للمجد تتبع قبل كل شيء الأعياد الكبرى كتعبير عن الفرح والامتنان والتمجيد، هكذا بالمثل مزامير التوسُّل والمراثي في منشئها الشعبي كمزامير الجماعة، هي تتبع أيام المذلة والاتضاع والصلاة التي كان يُعلن عنها في بعض المناسبات الحرجة التي يمكن اعتبارها طوارئ طقسية يتجمَّع فيها الشعب.

مثلاً لذلك: الحرب والانهزام أمام الأعداء، انتشار الأوبئة والمجاعة والقحط والجراد وما شابهها من ظروف طارئة تحدث وتهدد الأُمة. فكل الشعب يجتمع، كباره مع صغاره يجتمعون في الهيكل وتُقام الطقوس والصلوات التي يكرس الشعب نفسه لها، وبالأخص عندما يمتنع الشعب أثناء هذه المصائب سواء عن الأكل والشرب أو عن المعاشرات أو النجاسة. على أن الاتضاع والانسحاق والنوح يكون بسبب ما حلَّ من مصيبة ولعنة، فالناس يشقُّون ملابسهم ويلطمون على صدورهم وعلى جوانبهم، ويقطعون شعورهم وجلدهم ويحلقون لحاهم، ويلبسون المسوح أو يعفرون وجوههم ورؤوسهم بالتراب والهباب، ويتمرَّغون في التراب ويقعون على ركبهم أو ينطرحون على بطونهم ووجوههم، أو يرفعون أيديهم نحو السماء بصراخ.

نماذج:

+ «ثم سقطت أمام الرب كالأول أربعين نهاراً وأربعين ليلة لا آكل خبزاً ولا أشرب ماءً من أجل كل خطاياكم التي أخطأتم بها ...» (تث ٩:١٨)
+ «ثم صعد بنو إسرائيل وبكوا أمام الرب إلى المساء وسألوا الرب قائلين ...» (قض ٢٠:٢٣)
+ «فصعد جميع بني إسرائيل وكل الشعب وجاءوا إلى بيت إيل وبكوا وجلسوا هناك أمام الرب وصاموا ذلك اليوم إلى المساء ...» (قض ٢٠:٢٦)
+ «فاجتمعوا إلى المصفاة واستقوا ماءً وسكبوه أمام الرب وصاموا في ذلك اليوم وقالوا هناك قد أخطأنا إلى الرب ...» (١صم ٧:٦)
+ «إذا انكسر شعبك إسرائيل أمام العدو لأنهم أخطأوا إليك ثمَّ رجعوا إليك واعترفوا باسمك وصلوا

وتضرَّعوا إليك نحو هذا البيت، فاسمع أنت من السماء واغفر ...» (١مل ٨: ٣٣و٣٤)

+ «لأنهم حوَّلوا نحوي القفا لا الوجه، وفي وقت بليتهم يقولون قم وخلِّصنا.» (إر ٢:٢٧)
+ «ناحت يهوذا وأبوابها ذبلت، حزنت إلى الأرض وصعد عويل أورشليم.» (إر ١٤:٢)
+ «لا يصرخون إليَّ بقلوبهم حينما يولولون على مضاجعهم. يتجمعون لأجل القمح والخمر ويرتدّون عني.» (هو ٧:١٤)
+ «تنطَّقوا ونوحوا أيها الكهنة، ولولوا يا خدَّام المذبح، ادخلوا بيتوا بالمسوح يا خدَّام إلهي لأنه قد امتنع عن بيت إلهكم التقدمة والسكيب. قدِّسوا صوماً نادوا باعتكاف. اجمعوا الشيوخ جميع سكان الأرض إلى بيت الرب إلهكم واصرخوا إلى الرب.» (يؤ ١:١٣و١٤)
+ «إذا جاء علينا شر سيف، قضاء أو وبأ أو جوع ووقفنا أمام هذا البيت وأمامك لأن اسمك في هذا البيت، وصرخنا إليك من ضيقنا فإنك تسمع وتخلِّص.» (٢أي ٢٠:٩)
+ «وكان في السنة الخامسة ليهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا في الشهر التاسع، أنهم نادوا لصوم أمام الرب كل الشعب.» (إر ٣٦:٩)

وذلك يكون لأن المصيبة التي حلَّت بسبب غضب الرب تكون بسبب خطية الشعب والرب لم يخلِّصهم، وبذلك تكون القوى الشريرة قد تملَّكت عليهم. فكل هذه الطقوس التي للندم والصراخ والحزن تكون عادة للتخلُّص من المصيبة الحادثة والتوبة عن الخطأ والتطهر من الدنس. ففي نظام يهوه يكون هذا علامة ندم وعودة وانسحاق أمام يهوه لكي يرجع عن حمو سخط غضبه ويتراءف.

كما أن هناك طقوس أخرى تتبع يوم الصوم العام ولها نفس الغرض السابق وهي ذبائح، وسكب الماء أمام يهوه التي تتبع رفع البخور على المذبح. وهذه وغيرها نسمع عنها في المواضع الآتية:

+ «فأخذ صموئيل حملاً رضيعاً وأصعده محرقة بتمامه للرب، وصرخ صموئيل إلى الرب من أجل إسرائيل فاستجاب له الرب.» (١صم ٧:٩)
+ «حين يصومون لا أسمع صراخهم وحين يصعدون محرقة وتقدمة لا أقبلهم، بل بالسيف والجوع والوبإ أنا أفنيهم.» (إر ١٤:١٢)
+ «فصعد جميع بني إسرائيل وكل الشعب وجاءوا إلى بيت إيل وبكوا وجلسوا هناك أمام الرب وصاموا ذلك اليوم إلى المساء وأصعدوا محرقات وذبائح سلامة أمام الرب.» (قض ٢٠:٢٦)
+ «وفي الغد بكَّرَ الشعب وبنوا هناك مذبحاً وأصعدوا محرقات وذبائح سلامة.» (قض ٢١:٤)

وفي مواقف كثيرة يتجمَّع كل الشعب مع نحيب وولولة ونوح وصراخ، أو أنين مكتوم وتنهُّد دائم، وبكاء الكهنة:

+ «ثم صعد بنو إسرائيل وبكوا أمام الرب إلى المساء ...» (قض ٢٠:٢٣)
+ «ليبكِ الكهنة خدَّام الرب بين الرواق والمذبح ويقولوا اشفق يا رب على شعبك ولا تسلِّم ميراثك للعار.» (يؤ ٢:١٧).

وهكذا يسمع لتوبة الشعب ويرى حزنه وكآبته:

+ «فلمَّا رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ندم الله على الشر الذي تكلَّم أن يصنعه بهم فلم يصنعه.» (يون ٣:١٠)
+ «يقولون لماذا صمنا ولم تنظر، ذلَّلنا أنفسنا ولم تلاحظ.» (إش ٥٨:٣)

والطقس التذلُّلي والمراثي بدأت شيئاً فشيئاً تصير كصلاة خاصة إذا وقعت كارثة:

+ «وناديت هناك بصوم على نهر أهوا لكي نتذلَّل أمام إلهنا لنطلب منه طريقاً مستقيمة لنا ولأطفالنا.» (عز ٨:٢١)

وهكذا تحوَّلت هذه المشاعر والطقوس إلى مزامير وأخذت في إسرائيل بداية شكلها. هذه الشركة الشعبية في أيام الصوم والحزن والمراثي الموسومة بـ"نحن" تجدها على الخصوص في المزامير الآتية: ١٢ و١٤ و٤٤ و٥٨ و٦٠ و٧٤ و٧٩ و٨٠ و٨٣ و٨٩ و١٤٤، وغيرها كثير كتبت بصيغة "أنا" والتي كانت أيضاً بسبب ظروف شعبية عامة. وكلا التركيبتين للمزمور يكاد يكون واحداً. على أن مزامير المراثي التي تقدَّم بضمير "نحن" هي متأخِّرة عن المزامير الموسومة بـ"أنا".

على أن في مزامير النحيب والرثاء هذه توجد علاقة مباشرة بين شكل المزمور ومضمونه الذي يحدِّده الظرف الذي قيل فيه أو الغرض منه. فالشعب في حزنه يأتي إلى الله مؤمناً بقوته ومراحمه ومحبته وأمانته للعهد، هذه كلها كان يُسبَّح بها دواماً لطلب المعونة. وكما رأوا خيراته وحنانه هكذا يرون مرَّة أخرى غضبه الذي يثقل به عليهم حينما "يبتعد عنهم" و"يخفي وجهه عنهم". وهكذا يكون الغرض من المزمور هو أن يتكلَّم مع الله حتى يسمع وينظر وهم يصرخون نحوه ويظهرون حزنهم وانسحاقهم أمامه، ويكشفون له عن مدى رعبتهم محاولة منهم أن يلمسوا قلب الله حتى يحنو ويستجيب إلى صلواتهم. لذلك يتفانون في إيقاظ رحمته لعودة أمانته لعهده وكرامته محاولين أن يرفعوا أسباب تعثرهم من أمامه ويعترفون بخطاياهم ويطلبون الغفران والمعونة، لأنه

عظيم هو و"نحن" صغار وضعفاء وهو قادر أن يعمل كل شيء و"نحن" لا نقوى على عمل أي شيء! ليس أحد بدونه ممكن أن يعين إن هو لم يخلّص، فبدونه يكون لنا الهلاك، ولكن ثقتنا لا تتزعزع فيه. بهذا يُصاغ المزمور، مزمور التوسُّل والنحيب.

والمزمور يبدأ غالباً بدعوة باسم يهوه مع رجاء السمع وطلب المعونة، مع تقديم تسبيحات بصفات يهوه السلامية وعلاقته الحميمة بشعبه والإشارة إلى قوته وعادته في الاستجابة، وإليك النماذج:

مز ١٢: ١: «خلّص يا رب لأنه قد انقرض التقى ...
٥: من اغتصاب المساكين، من صرخة البائسين الآن أقوم يقول الرب».

مز ١٤: ٧: «ليت من صهيون خلاص إسرائيل ...».

مز ٤٤: ٤: «أنت هو ملكي يا الله، فأْمر بخلاص يعقوب.
٢٣: استيقظ لماذا تتغافى يا رب؟ انتبه لا ترفض إلى الأبد.
٢٤: لماذا تحجب وجهك وتنسى مذلتنا وضيقنا؟».

مز ٦٠: ١١: «أعطنا عوناً في الضيق، فباطل هو خلاص الإنسان.
١٢: بالله نصنع ببأس، وهو يدوس أعداءنا».

مز ٧٤: ١: «لماذا رفضتنا يا الله إلى الأبد؟ لماذا يدخّن غضبك على غنم مرعاك؟
٢: اذكر جماعتك التي اقتنيتها منذ القدم، وفديتها سبط ميراثك، جبل صهيون هذا الذي سكنت فيه.
١٠: حتى متى يا الله يعيّر المقاوم؟ ويهين العدو اسمك إلى الغاية؟
١١: لماذا ترد يدك ويمينك. أخرجها من وسط حضنك. أفنِ.
١٢: والله ملكي منذ القدم، فاعل الخلاص في وسط الأرض.
٢٠: انظر إلى العهد ...
٢٢: قُمْ يا الله أقم دعواك».

مز ٧٩: ٥: «إلى متى يا رب تغضب كل الغضب وتتقد كالنار غيرتك؟
٨: لتتقدّمنا مراحمك سريعاً لأننا قد تذلّلنا جداً
٩: أعنا يا إله خلاصنا من أجل مجد اسمك، ونجنا واغفر خطايانا من أجل اسمك.

١١: ليدخل قدّامك أنين الأسير».

مز ٨٣: ١: «اللهم، لا تصمت. لا تسكت ولا تهدأ يا الله».

مز ٨٩: ٤٦: «حتى متى يا رب تختبئ كل الاختباء ...
٤٩: أين مراحمك الأُول يا رب، التي حلفت بها لداود بأمانتك؟».

مز ١٤٤: ٧: «أرسل يدك من العلاء. أنقذني ونجّني».

أنواع مزامير التوسُّل أو التضرُّع والمراثي:

إن مزامير التوسُّل أو التضرُّع والمراثي هي الأكثر شيوعاً بين المزامير، وربما تمثّل ثلث المزامير، وهي تشمل تضرُّعات الجماعة وتضرُّعات الأفراد:

(أ) تضرُّعات ومراثي الأفراد:

وهي مزامير: ٣ و٥ و٧ و١٣ و١٧ و٢٢ و٢٥ و٢٦ و٢٧ و٣١ و٣٥ و٣٨ و٣٩ و٤٢ و٤٣ و٥١ و٥٥ و٥٧ و٥٩ و٧٧ و٨٨ و١٢٣ و١٤٠ و١٤١ و١٤٢ و١٤٣.

كذلك فإن مراثي الأفراد قد تأتي متداخلة مع أصناف أخرى من المزامير وبالأكثر مزامير الشكر مثل مزامير: ٦ و١٣ و٢٢ و٢٨ و٣٠ و٣١ و٤١ و٥٤ و٥٦ و٦١ و٦٣ و٦٤ و٦٩ و٧١ و٨٦ و٩٤ و١٠٢ و١٢٠ و١٣٠.

ومع مزامير التسبيح مثل مزامير: ١٢:١٠ إلخ، ٣١:١٠٤ إلخ، ٢٣:١٣٩ إلخ.

ومع مزامير الليتورجيا في الهيكل مثل مزامير: ١:٣٦ إلخ، ١:٧٧ إلخ، ٢٥:١١٨ إلخ.

(ب) تضرعات ومراثي الجماعة:

مزامير: ٤٤ و٧٤ و٧٩ و٨٠ و٨٣ و٩٠ و١٣٧.

كما توجد مراثي للجماعة متداخلة وسط أصناف أخرى من المزامير تستخدم في الخدمة فتحوي عبارات شكر أيضاً مثل مزمور: ١:٢١ إلخ، ٢٠:٣٣ إلخ، ٤:١٢٦ إلخ، ٤:١٢٩ إلخ.

وهناك بعض عبارات التوسُّل متداخلة في مزامير الملك. كما يوجد مزمور توسُّل ملكي وهو مزمور ١٤٤ محسوب أنه توسُّل فردي من أجل الملك.

مزامير التوسُّل الخاصة بالأفراد:

إن مزامير الرثاء والتوسُّل الخاصة بالأفراد تحسب أنها خارج الليتورجيا، لأنها ناتجة عن أحزان وضيقات فردية ومعظمها فيها الوقوف أمام تهديد الموت. علماً بأن لا شيء يؤثّر على نفسية أحد أفراد الشعب أقسى من إحساسه بالموت. والوضع الأمثل الذي يترجّاه هو أن يحيا ويحيا طويلاً، ليبلغ منتهى طول الأيام.

وفي روع الشعب أن الله هو إله الأحياء:

مز ١٠٢: ٢: «لا تحجب وجهك عني في يوم ضيقي. أمل إليَّ أذنك. في يوم أدعوك استجب لي سريعاً.

٣: لأن أيامي قد فنيت في دخان، وعظامي مثل وقيد قد يبست.

٢٤: أقول يا إلهي لا تقبضني في نصف أيامي، إلى دهر الدهور سنوك».

حتى يعقوب الذي قد حاباه الله كثيراً وأطال عمره جداً لم يكن عمره كافياً في عينيه!

+ «فقال فرعون ليعقوب، كم هي أيام سني حياتك. فقال يعقوب لفرعون: أيام سني غربتي مئة وثلاثون سنة، قليلة وردية كانت أيام سني حياتي ولم تبلغ إلى أيام سني حياة آبائي في أيام غربتهم.» (تك ٤٧: ٨و٩)

وإليك أيضاً صلاة حزقيا الملك وهو يرثي حياته التي كانت ستؤخذ منه ويواجه الموت هكذا:

+ «أنا قلت في عزّ أيامي أذهب إلى أبواب الهاوية، قد أُعدمت بقية سنيَّ. قلت لا أرى الرب. الرب في أرض الأحياء. لا أنظر إنساناً بعد مع سكان الفانية. مسكني قد انقلع وانتقل عني كخيمة الراعي. لففت كالحائك حياتي. من النول يقطعني. النهار والليل تفنيني.» (إش ٣٨: ١٠-١٢)

كان هذا بسبب أنه في العهد القديم لم تكن حقيقة الحياة الأخرى قد توضّحت لهم. وأن شاؤول أو الهاوية هي المقر الأخير للجميع دون تفريق، وأن الذين في الهاوية هم الذين في الظل بلا حول ولا قوة في حالة يُرثى لها. هي «أرض النسيان» (مز ٨٨: ١٢)، بلا سرور ولا نور (مز ٤٩: ١٩). ولا يدرون شيئاً عن أرض الأحياء وما بها. وحتى بالنسبة ليهوه لا اتصال ولا وصال.

مز ٨٨: ٥: «بين الأموات فراشي مثل القتلى المضطجعين في القبر الذين لا تذكرهم بعد وهم من يدك انقطعوا.

٦: وضعتني في الجب الأسفل. في ظلمات، في أعماق».

أمَّا مبدأ أن لا أحد يُسبِّح يهوه في أرض النسيان أو شاؤول فهو مأخوذ من الأنبياء، أو على الأصح هو مبدأ كان يعيشه كل نبي لانعدام الرجاء في حياة أخرى بعد الموت. فهو يتكرر كثيراً مثل:

مز ٦: ٥: «لأنه ليس في الموت ذكرك، في الهاوية من يحمدك».

مز ٣٠: ٩: «ما الفائدة من دمي إذا نزلت إلى الحفرة؟ هل يحمدك التراب؟ هل يُخبر بحقك».

مز ٨٨: ١٠: «أفلعلك للأموات تصنع عجائب؟ أم الأخيلة تقوم تُمجّدك؟ سلاه.

١١: هل يحدّث في القبر برحمتك، أو بحقك في الهلاك؟

١٢: هل تُعرف في الظلمة عجائبك، وبرّك في أرض النسيان؟»

مز ١١٥: ١٧: «ليس الأموات يُسبّحون الرب، ولا من ينحدر إلى أرض السكوت».

إش ٣٨: ١٨: «لأن الهاوية لا تحمدك، الموت لا يُسبِّحك، لا يرجو الهابطون إلى الجب أمانتك».

وكان بنو إسرائيل يتخيَّلون العالم السفلي كمكان مغلق، كسجن بأبواب وقضبان من حديد أو كحفرة عميقة يسقط فيها الأموات إلى عالمهم، أو كبئر عميقة قاعها طين زلق:

مز ٦٩: ١٤: «نجني من الطين فلا أغرق، نجني من مبغضيّ ومن أعماق المياه.

١٥: لا يغمرني سيل المياه، ولا يبتلعني العمق. ولا تطبق الهاوية عليَّ فاها».

وفي مرات أخرى يرون مملكة الأموات على أنها أرض متسعة كلها تراب أموات تمخر فيها أنهار ومياه عميقة. وفي مزمور ١٤١ يُصوِّر الهاوية كوحش له فم يتلقف الذين ينزلون بين فكيه:

مز ١٤١: ٧: «كمن يَفْلَحُ ويشق الأرض، تبددت عظامنا عند فم الهاوية».

مز ٤٩: ١٤: «مثل الغنم للهاوية يُساقون، الموت يرعاهم، ويسودهم المستقيمون. غداةً وصورتهم تبلى. الهاوية مسكن لهم».

وكان من رعبة بني إسرائيل من الموت أنهم كانوا عندما يواجهون الأخطار الكبيرة المميتة يصفون أنفسهم وكأنهم وصلوا إلى أبواب الهاوية، والموت على استعداد أن يغرّقهم فيها:

مز ٩: ١٣: «ارحمني يا رب. انظر مذلتي من مبغضيّ. يا رافعي من أبواب الموت».

مز ٦٩: ١٤: «نجني من الطين فلا أغرق. نجني من مبغضيّ ومن أعماق المياه.

١٥: لا يغمرني سيل المياه، ولا يبتلعني العمق، ولا تطبق الهاوية عليَّ فاها».

مز ٨٨: ٣: «لأني قد شبعت من المصائب نفسي، وحياتي إلى الهاوية دنت ...

٥: مثل القتلى المضطجعين في القبر، الذين لا تذكرهم بعد، وهم من يدك انقطعوا».

لذلك حينما يقدِّم الإنسان منهم الشكر بعد نجاة، يصف نفسه كأنه عاد من مملكة الأموات.

مز ٤٠: ٢: «وأصعدني من جب الهلاك، من طين الحمأة، وأقام على صخرة رجليَّ، ثبَّت خطواتي».

مز ٣٠: ٣: «يا رب أصعدت من الهاوية نفسي. أحييتني من بين الهابطين في الجب».

ويعتقد الشعب أن النفس (نِفِش nephesh) تعبِّر عن الإنسان ككل وليس كما نعتقد الجزء الروحي فيه. لذلك حينما يموت الإنسان وتنزل نفسه إلى الهاوية يعني ينزل كله بجسده ولا يبقى بعد ذلك إلاَّ "الخيال" وجمعها "أخيلة".

ولكن بعد دخول الفكر اليوناني الفلسفي عند إسرائيل استطاعوا أن يفرِّقوا بين الجسد والنفس وهذه التفرقة أول ما ظهرت ظهرت في سفر المكابيين وفي كتاب الحكمة. ومن ذلك ابتدأ الفكر في تمييز الحياة بعد الموت للنفس:

وكان عامل الموت الأول هو المرض، والله هو الذي يجلب المرض.

مز ٣٨: ٢: «لأن سهامك قد انتشبت فيَّ ونزلت عليَّ يدك.

٣: ليس في جسدي صحة من جهة غضبك، ليست في عظامي سلامة من جهة خطيتي».

مز ١٠٢: ١٠: «بسبب غضبك وسخطك، لأنك حملتني وطرحتني.

١١: أيامي كظل مائل، وأنا مثل العشب يبست».

مز ٦٩: ٢٦: «لأن الذي ضربته أنت هم طردوه، والذي جرحته هم أساءوا إليه بالأكثر» (مترجمة من الإنجليزية).

مز ٣٢: ٤: «لأن يدك ثقلت عليَّ نهاراً وليلاً. تحوَّلت رطوبتي إلى يبوسة القيظ. سلاه».

وحينما يطلب الإنسان يهوه ويتوسَّل من أجل العودة إلى حالة الصحة فيستجاب له، يسبِّح الله ويقول أنت شفيتني:

مز ٣٠: ٢: «يا رب إلهي. استغثت بك فشفيتني».

ويؤمن الإسرائيلي أن سبب المرض هو الخطية والشر، فكل الآلام الجسدية هي عقوبة لتنقية الإنسان:

مز ١٠٧: ١٧: «والجهَّال من طريق معصيتهم، ومن آثامهم يُذلُّون.

١٨: كرهت أنفسهم كل طعام، واقتربوا إلى أبواب الموت.

١٩: فصرخوا إلى الرب في ضيقتهم، فخلَّصهم من شدائدهم.

٢٠: أرسل كلمته فشفاهم، ونجَّاهم من تهلكاتهم».

مز ٤١: ٤: «أنا قلت يا رب ارحمني. اشفِ نفسي لأني قد أخطأت إليك».

مز ٣٨: ٣: «ليست في جسدي صحة من جهة غضبك، ليست في عظامي سلامة من جهة خطيتي.

٤: لأن آثامي قد طمت فوق رأسي كحمل ثقيل أثقل مما أحتمل».

وفي مزمور (٣٨) أيضاً يُلوِّن صاحب المزمور الذي يرثي حاله آلامه وأوجاعه بألوان عديدة:

مز ٣٨: ٥: «قد أنتنت، قاحت حُبر ضربي من جهة حماقتي.

٦: لويت. انحنيت إلى الغاية. اليوم كله ذهبت حزيناً.

٧: لأن خاصرتيَّ قد امتلأتا احتراقاً، وليست في جسدي صحة.

٨: خدرت وانسحقت إلى الغاية. كنت أئن من زفير قلبي.

٩: يا رب أمامك كل تأوهي، وتنهدي ليس بمستور عنك.

١٠: قلبي خافق. قوتي فارقتني، ونور عيني أيضاً ليس معي».

مز ١٠٢: ٤: «ملفوح كالعشب ويابس قلبي، حتى سهوت عن أكل خبزي.

٥: من صوت تنهدي لصق عظمي بلحمي.

٦: أشبهت قوق البرية، صرت مثل بومة الخرب.

٧: سهدت وصرت كعصفور منفرد على السطح.

٨: اليوم كله عيَّرني أعدائي. الحنقون عليَّ حلفوا عليَّ.

٩: إني قد أكلت الرماد مثل الخبز، ومزجت شرابي بدموعٍ».

ومع شكوى الآلام والضيقات يقرنها صاحب المزمور بالأعداء بكل شكل وكل وسيلة.

مز ٣٥: ١: «خاصم يا رب مخاصميَّ. قاتل مقاتليَّ.

٢: أمسك مجناً وتُرساً وانهض إلى معونتي.

٣: وأشرع رمحاً وصدَّ تلقاء مطاردي. قُل لنفسي خلاصك أنا ...

١١: شهود زور يقومون، وعمَّا لم أعلم يسألونني.

١٢: يجازونني عن الخير شراً، ثكلاً لنفسي.

١٣: أمَّا أنا ففي مرضهم كان لباسي مسحاً. أذللت بالصوم نفسي، وصلاتي إلى حضني ترجع.

١٤: كأنه قريب، كأنه أخي كنت أتمشَّى. كمن ينوح على أمه انحنيت حزيناً.

١٥: ولكنهم في ظلعي فرحوا واجتمعوا. اجتمعوا عليَّ شاتمين ولم أعلم».

مز ٤١: ٥: «أعدائي يتقاولون عليَّ بشرٍ: متى يموت ويبيد اسمه؟

٧: كل مبغضيَّ يتناجون معاً عليَّ. عليَّ تفكَّروا بأذيتي.

٨: يقولون: أمرٌ رديءٌ قد انسكب عليه. حيث اضطجع لا يعود يقوم».

والأعداء في المزامير ليسوا أعداء الأُمة ولكن أعداء الإنسان شخصياً. والإسرائيلي يعرف ثلاثة أنواع من الأعداء:

الأول: الذين كانوا من دائرة صداقته ولكن لمَّا أُصيب تركوه وتقاولوا عليه: إنه بسبب خطيته قد صار إلى ما صار إليه، والرب إنما يعاقبه بذنبه. وهذا البند واضح من سؤال التلاميذ للمسيح بخصوص الأعمى: «يا معلِّم، مَنْ أخطأ: هذا أم أبواه حتى وُلِدَ أعمى؟» (يو ٩:٢). وقصة أيوب مملوءة بمثل هذا التصوُّر، وتقاولهم عليه. هكذا أساءوا إليه وزادوه ألماً وحزناً. لأنه مرٌّ على النفس أن أصدقاء الإنسان يصيرون أعداءً له بلا سبب من جهة الإنسان.

الثاني: العدو الذي يسخر من الأتقياء ورجال الله حينما يبتلون بمرض أو ضيق: الآن ننظر هل تنفعهُ تقواه، يضحكون ويسخرون من تقواه!

نموذج:

مز ٦٩: ١٠: «أبكيت بصوم نفسي، فصار ذلك عاراً عليَّ.

١١: جعلت لباسي مسحاً، وصرت لهم مثلاً.

١٢: يتكلَّم فيَّ الجالسون في الباب، وأغانيُّ شرَّابي المُسكر».

والذي يتكلَّم في المزمور عن هؤلاء الذين كانوا بالسابق أصدقاء له وانقلبوا أعداء لمَّا دخل التجربة، نجد أن حزنه وألمه كان بالأكثر من أجل يهوه الذي يهينونه بتصرفهم هذا تجاهه.

الثالث: هم أُولئك الذين كانوا دائماً يناصبونه العداء ويضطهدونه، سرقوه أو سرقوا حقَّه واغتالوه من خلف، وقد جاءتهم الفرصة لمَّا دخل الضيقة أو المرض فانبروا يسحقونه مختفين وراء الناموس وكأنه أخطأ للناموس لذلك وقع في الضيق. وبذلك أصبحوا يملكون حجة قوية ضدَّه مستندين على الناموس وأقوال الله، وكأنهم يأخذون موقفاً مستنداً على الله وكأنهم على حق[1].

(1) Drijvers, *op. cit.*, p. 111.

مز ٦٩ :٢٦: «لأن الذي ضربته أنت هم طردوه، وبوجع الذين جرحتهم يتحدَّثون».

مز ٣١ :١٠: «لأن حياتي قد فنيت بالحزن، وسنيني بالتنهُّد. ضعفت بشقاوتي قوتي، وبليت عظامي.

١١: عند كل أعدائي صرت عاراً، وعند جيراني بالكلية، ورعباً لمعارفي. الذين رأوني خارجاً هربوا عني.

١٢: نسيت من القلب مثل الميت، صرت مثل إناء مُتلف.

١٣: لأني سمعت مذمة من كثيرين. الخوف مستدير بي. بمؤامرتهم معاً عليَّ، تفكَّروا في أخذ نفسي».

مز ١٠٩:٢٢: «فإني فقير ومسكين أنا، وقلبي مجروح في داخلي.

٢٣: كظل عند ميله ذهبت. انتفضت كجرادة.

٢٤: ركبتاي ارتعشتا من الصوم، ولحمي هزل عن سِمَن.

٢٥: وأنا صرت عاراً عندهم، ينظرون إليَّ وينغضون رؤوسهم».

ولكن الذي ضاعف من أحزان وآلام المجرَّبين بتجارب من الله سواء من مرض أو ضعف أو خلافه أن القضاء لم يكن يسعفهم، بل القضاة يعوِّجون الأحكام ويتدخَّل الأغنياء وذوو النفوذ ويقلبون حق المسكين والفقير واليتيم والأرملة. فلا عدل ولا رحمة: ويقول إشعياء:

+ «رؤساء متمردون وشركاء (حسب الترجمة الإنجليزية) اللصوص. كل واحد منهم يحب الرشوة ويتبع العطايا. لا يقضون لليتيم ودعوى الأرملة لا تصل إليهم.» (إش ١:٢٣).

+ «إن كرم رب الجنود هو بيت إسرائيل وغرس لذَّته رجال يهوذا. فانتظر حقًّا فإذا سفك دم وعدلاً فإذا صراخ.» (إش ٥:٧)

+ «الذين يبررون الشرير من أجل الرشوة وأمَّا حق الصديقين فينزعونه منهم.» (إش ٥:٢٣)

وقصة المسيح عن الأرملة التي كان يهملها قاضي الظلم واضح فيها ما انتهت إليه إسرائيل من جهة القضاء الفاسد ومعاملة الفقراء والأرامل معاملة مجحفة وظالمة (لو ١٨: ٢-٥)

وهكذا فسدت إسرائيل وفسد قضاؤها وخرج عن حدود الناموس:

+ «لا تشهد على قريبك شهادة زور.» (خر ٢٠:١٦)

+ «لا تحرِّف حق فقيرك في دعواه، ابتعد عن كلام الكذب ولا تقتل البريء والبار، لأني لا أُبرِّر المذنب. ولا تأخذ رشوة لأن الرشوة تعمي المبصرين وتعوِّج كلام الأبرار. ولا تضايق الغريب فإنكم عارفون نفس الغريب لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر.» (خر ٢٣: ٦-٩)

+ «فإن فحص القضاة جيداً وإذا الشاهد شاهد كاذب قد شهد بالكذب على أخيه. فافعلوا به كما نوى أن يفعل بأخيه فتنزعون الشر من وسطكم. ويسمع الباقون فيخافون ولا يعودون يفعلون مثل ذلك الأمر الخبيث في وسطك.» (تث ١٩: ١٨-٢٠)

وكان القضاء يُرفع **على أبواب المدينة** كمحكمة أو في مكان المحكمة الخاصة أو في قصر الملك حيث كان أمراء داود قضاة للشعب. وأحياناً كان يُرفع القضاء داخل المجامع. وكانت المحاكم ترفع القضاء في الساعات المبكّرة من كل يوم، لذلك نسمع في المزامير عن القضاء في الصباح الباكر.

مز ٥ : ٣ : «يا رب، بالغداة تسمع صوتي. بالغداة أوجّه صلاتي نحوك وأنتظر».

أمّا وعيد الله تجاه الذين يعوّجون القضاء ويتكلّمون بالكذب وباللسان الغاش فهو هكذا:

مز ٥٢: ٢: «لسانك يخترع مفاسد. كموسى مسنونة يعمل بالغش.

٢: أحببت الشر أكثر من الخير، الكذب أكثر من التكلّم بالصدق. سلاه.

٣: أحببت كل كلام مهلك، ولسان غاش.

٤: أيضاً يهدمك الله إلى الأبد. يخطفك ويقلعك من مسكنك، ويستأصلك من أرض الأحياء. سلاه».

وهكذا فإن الشهود الأتقياء الصالحين هم أعظم دعامة للقضاء النزيه الصالح، ومزمور (١٢٧) يحكي عنه:

مز ١٢٧:٣: «هوذا البنون ميراث من عند الرب، ثمرة البطن أجرة.

٤: كسهام بيد جبّار، هكذا أبناء الشبيبة.

٥: طوبى للذي ملأ جعبته منهم. لا يخزون، **بل يكلمون الأعداء في الباب**».

وحينما يعثر الأتقياء أولاد الله على هؤلاء الشهود الصالحين الذين يتكلّمون بالصدق ويشهدون بالحق حينئذ يغني المزمور:

مز ١٠٩:٣٠: «أحمد الرب جداً بفمي، وفي وسط كثيرين أسبّحه.

٣١: لأنه يقوم عن يمين المسكين، ليخلّصه من القاضين على نفسه».

ونهاية قضاء التقي تسبحة لله الذي نجّاه من الذي حفر حفرة فسقط فيها، وأمّا المسكين فظلّ طول الليل ساهراً يفكّر عسى أن الله ينصره، فالشرير يتلمّظ ومعه شهود الكذب:

مز ٧ : ٣ : «يا رب إلهي، إن كنت قد فعلت هذا. إن وُجد ظلم في يديّ.

٤: إن كافأت مسالمي شراً، وسلبت مضايقي بلا سبب.

٥: فليطارد عدو نفسي وليدركها، وليدس إلى الأرض حياتي، وليحط إلى التراب مجدي. سلاه».

أمّا شهود الزور الذين يشتكي منهم المزمور فهؤلاء يتكلّم عنهم بالرمز. فهم جنود بقوة مسلّحة حنجرتهم قبر مفتوح ولسانهم موسى مسنن وأسنانهم سهام. ويصوّرهم كصيّادين الذين يحكّمون شبكتهم بالاتهامات والافتراءات كخيوط مثبّتة، أو كمن يحفرون الفخاخ أو كلصوص يكمنون وراء الأكمة في الظلمة وهم يتنسبون للأسد أو الكلب أو الثعبان الذي يلبد مهيأً للانقضاض. والمزمور يرى ويبكي: وإليك أمثلة موضّحة.

مز ٧: ١٢: «إن لم يرجع يحدّد سيفه. مدَّ قوسه وهيّأها.

١٣: وسدّد نحوه آلات الموت. يجعل سهامه ملتهبة».

مز ٣٥: ٤: «ليخز وليخجل الذين يطلبون نفسي. ليرتد إلى الوراء ويخجل المتفكّرون بإساءتي.

٥: ليكونوا مثل العصافة قدّام الريح، وملاك الرب داحرهم.

٦: ليكن طريقهم ظلاماً وزلقاً، وملاك الرب طاردهم».

مز ٥٧: ٦: «هيّأوا شبكة لخطواتي. انحنت نفسي. حفروا قدّامي حفرة. سقطوا في وسطها. سلاه.»

مز ٦٤: ٥: «يشددون أنفسهم لأمر رديء. يتحادثون بطمر فخاخ. قالوا: مَنْ يراهم؟».

مز ١٧: ٩: «من وجه الأشرار (اللصوص) الذين يخربونني. أعدائي بالنفس الذين يكتنفونني.

١٠: قلبهم السمين قد أغلقوا. بأفواههم قد تكلّموا بالكبرياء.

١١: في خطواتنا الآن قد أحاطوا بنا. نصبوا أعينهم ليزلقونا إلى الأرض».

ولكي نعود إلى مزامير التوسُّل في وضعها الطبيعي، فبعد أن عرضنا خطورة الموت في كل ظروفها نأتي الآن إلى ما هو معروف بعزو الصفات البشرية إلى الله: "الانثروبومورفزم anthropomorphism" والكتاب مليء بها من البداية إلى النهاية خاصة في مزامير التوسُّل.

معروف في البداية أن يهوه شخصٌ حيٌّ وهو الإله وأنه روح وذلك من خبرات حيّة، فكان من الطبيعي أن يُنظر إليه كشخصية إنسانية قبالة الإنسان بطريقة حرّة سهلة، قد تبدو في الحقيقة غريبة علينا. فمعروف أن الشخصيات الروحية الكبيرة مثل موسى ويشوع وإيليا وإرميا كانوا يتعاملون بحرية مع يهوه ولكنهم في نفس الوقت يعتبرون الله فائقاً جداً. وقد أعطى أحد العلماء "فريزن" هذا

القول: [أينما وجدت معرفة الله تصير هناك شركة مع الله حيث ترتفع كل التحفظات سواء شعورياً أو لا شعورياً، وتُنسب لله المشاعر والأحاسيس البشرية، بل والشكل البشري وتُضفي على الله بلا تردد](٢).

أمثلة:

+ «فقال موسى للرب: **لماذا أسأتَ إلى عبدك** ولماذا لم أجد نعمة في عينيك حتى أنك وضعت ثقل جميع هذا الشعب عليَّ. ألعلّي حبلت بجميع هذا الشعب أو لعلّي ولدته حتى تقول لي احمله في حضنك كما يحمل المربّي الرضيع إلى الأرض التي حلفت لآبائه. من أين لي لحم حتى أعطي جميع هذا الشعب لأنهم يبكون عليَّ قائلين: أعطنا لحماً لنأكل. لا أقدر أنا وحدي أن أحمل جميع هذا الشعب لأنه ثقيل عليَّ. فإن كنت تفعل بي هكذا فاقتلني قتلاً إن وجدت نعمة في عينيك فلا أرى بليتي.» (عد ١١: ١١-١٥)

+ «وقال يشوع: آه يا سيد الرب! لماذا عبّرت هذا الشعب الأُردن تعبيراً **لكي تدفعنا إلى أيدي الأموريين** ليبيدونا. ليتنا ارتضينا وسكنا في عبر الأُردن. أسألك يا سيد ماذا أقول بعدما حوّل شعب إسرائيل قفاه أمام أعدائه. فيسمع الكنعانيون وجميع سكّان الأرض ويحيطون بنا ويقرضون اسمنا من الأرض، وماذا تصنع لاسمك العظيم!» (يش ٧:٧-٩).

+ «وبعد هذه الأمور مرض ابن المرأة صاحبة البيت واشتدّ مرضه جداً حتى لم تبق فيه نسمة. فقالت لإيليا مالي ولك يا رجل الله. هل جئت إليَّ لتذكير إثمي وإماتة ابني. فقال لها أعطيني ابنكِ. وأخذه من حضنها وصعد به إلى العلية التي كان مقيماً بها وأضجعه على سريره وصرخ إلى الرب وقال أيها الرب إلهي **أأيضاً إلى الأرملة التي أنا نازل عندها قد أسأت بإماتتك ابنها.**» (١مل ١٧:١٧-٢٠)

+ «لم أجلس في مجلس المازحين مبتهجاً. من أجل يدك جلست وحدي **لأنك قد ملأتني غضباً**. لماذا كان وجعي دائماً وجرحي عديم الشفاء يأبى أن يُشفى. **أتكون لي مثل كاذب** مثل مياه غير دائمة.» (إر ١٥: ١٧و١٨).

+ «قد أقنعتني يا رب فاقتنعت. وألححت عليَّ فغلبت. صرت للضحك طول النهار كل واحد استهزأ بي.» (إر ٢٠:٧).

(2) Vriezen cited by Pius Drijvers, *op. cit.*, p. 117.

كان صراخ صاحب المزامير كمن يرغم الله على السمع، فهو يصف حاله بالسواد الحالك أولاً، ثمَّ يصرخ إلى الله لا كأنه في السماء أو غائب، بل لأنه سامع ولابد أن يسمع، ويسمع ويستجيب سريعاً. وهو يصرخ إلى يهوه لا كأنها صرخة في الهواء لإله في الخفاء، بل لإله حيّ يسمع وقريب وشخصي. هذا هو يهوه، لذلك فهذا التوسُّل الصارخ يُقدَّم كما لشخصية حاضرة وملموسة، فالحاجة والألم جعلت شعور الإنسان يقرِّبه من الله الذي لا يمكن إلاَّ أن يساعد!

وهذه الضيقات صعبة فعلاً وقادرة أن توقع الإنسان في القلق والاضطراب وعدم وضوح الرؤيا كالمرض العضال والموت الداهم والاضطهاد بغير عقل والعدو الأقوى المتربّص. هذه الظروف كلها معاً أعطت مزامير التوسُّل تركيباً وبناءً وشكلاً مميزاً خطيراً.

العناصر التركيبية لمزامير التوسُّل:

مزامير التوسُّل لها أربعة عناصر تركيبية:

الأول: الدعاء إلى يهوه، بالاسم لأن في الاسم تكمن القوة.

الثاني: الشكوى أو المناحة.

الثالث: التوسُّل المطلوب.

الرابع: دوافع الاستجابة.

العنصر الأول:

يتميَّز مزمور التوسُّل بذكر اسم يهوه أو اسم الله في مطلعه، ففي مزامير مجموعة الإلوهيم يأتي اسم الله أو إلهي بينما في المزامير الأخرى يأتي اسم يهوه (المترجم يا رب): «يا رب ما أكثر مضايقيَّ» (مز ٣:١) أو «يا رب لا توبِّخني بغضبك» (مز ٦:١) أو «يا رب إلهي عليك توكَّلت» (مز ٧:١) أو «ارحمني يا الله» (مز ٥١:١) أو «اللهم باسمك خلِّصني» (مز ٥٤:١). وفي المثل الأخير وغيره كثير يُنسب الخلاص لاسم الله.

فاسم الله وحده يمثِّل قوة إلهية، والاسم بحد ذاته يصنع عجائب وهو يخلق:

مز ١٢٤: ٨: «عوننا باسم الرب الصانع السموات والأرض».

مز ٢٠: ٧: «هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل، أمَّا نحن فاسم الرب إلهنا نذكر».

مز ٣٣: ٢١: «لأنه به تفرح قلوبنا، لأننا على اسمه القدوس اتكلنا».

+ «فقال داود للفلسطيني (جليات الجبار) أنت تأتي إليَّ بسيف وبرمح وبترس وأنا آتي إليك

باسم رب الجنود إله صفوف إسرائيل الذين عيرتهم. هذا اليوم يحبسك الرب في يدي فأقتلك وأقطع رأسك.» (١صم ١٧: ٤٥و٤٦)

لذلك فأي فرد في الشعب يبدأ مزمور توسله باسم يهوه الله القدوس، لأنه **بمجرد أن يقول اسم الله يشعر بأنه قد صار متصلاً بالله**. لذلك فمنذ بدء المزمور نشعر أننا في صميم صلاة واقعية صحيحة جداً. لأنه بمجرد أن يشعر صاحب المزمور بصلته بالله فإن القوة الإلهية تنساب نحوه للمعونة. هذا يحدث ببساطة بمجرد ذكر اسم الله بدون إضافة أي كلمة أخرى وبدون تكبيرات وتعظيمات كصلاة الوثنيين.

ومن هذا يتبيَّن لنا أن المتوسِّل في مزموره قريب من الله وهو ليس غريباً عنه، وأنه قد صار في جو من الثقة وهذه ظاهرة مميزة جداً. وهكذا فمجرد الدعاء باسم يهوه كفيل بأن يضع الإسرائيلي في حضرة الله. وهذا هو الحادث الآن في اسم يسوع المسيح.

العنصر الثاني:

وبعد أن يقدِّم المتوسل مزموره باسم يهوه يبدأ بسرد موضوع تعبه فيصف حاجته بدقة زائدة لتصير واضحة أمام الله، وذلك بشيء من التوتر لكي يوقظ مشاعر يهوه للشفقة كما يتهيَّأ له. وهو إنما يسرد ما تمَّ له من قبل الله نفسه، سواء ما أصاب نفسه أو فكره أو جسده أو ظروفه الأخرى، وكل ما أصابه من أعدائه، فيصف شدة مرضه وزور اتهام أعدائه وها هو قد بلغ النهاية:

مز ٢٢: ١: «إلهي إلهي لماذا تركتني؟ بعيداً عن خلاصي، عن كلام زفيري!

١٢: أحاطت بي ثيران كثيرة. أقوياء باشان اكتنفتني.

١٣: فغروا عليَّ أفواههم. كأسد مفترس مزمجر».

مز ٣١: ١: «عليك يا رب توكَّلت. لا تدعني أخزى مدى الدهر. بعدلك نجِّني.

١٢: نُسيتُ من القلب مثل الميت. صرتُ مثل إناء مُتلف.

١٣: لأني سمعت مذمة من كثيرين. الخوف مستدير بي بمؤامرتهم معاً عليَّ. تفكَّروا في أخذ نفس».

وهو يكرر كلام أعدائه أمام الله لكي يسمع ويشفق:

مز ٢٢: ٨: «اتكل على الرب فلينجه، لينقذه لأنه سُرَّ به».

مز ١٠٩: ٨: «لتكن أيامه قليلة، ووظيفته ليأخذها آخر».

كذلك فالمزمور يحاول أن يصوِّر آلامه وأتعابه إلى درجة الإرهاق الشديد الذي غُلب له:

مز ٦٩: ٣: «تعبت من صراخي. يبس حلقي. كلَّت عيناي من انتظار إلهي».

مز ٣١: ٢٢: «وأنا قلت في حيرتي: إني قد انقطعت من قدَّام عينيك».

ولا يكف عن الأنين حتى يوقظ عطف يهوه وشفقته ويكشف أتعابه أمام يهوه حتى كأنه يدفعه لكي يعينه. معتبراً أن التعبير عن أتعابه وحزنه هو الدافع الأول لكي يسمعه، وبينما تصوير الحزن يُحدث في نفسه توتراً إلاَّ أنه يُحسب في نفس الوقت تنفيساً لأتعابه. فهو على كل حال يشرح ليهوه سر أتعابه. فسواء كان يهوه سيسمع له مباشرة أم لا، فهو بعمله هذا يجدد قوة:

مز ١٤٢: ٢: «أسكب أمامه شكواي بضيقي قدامه أخبر.

٣: عندما أعيت روحي فيَّ، وأنت عرفت مسلكي».

ويلاحظ أن عنوان المزمور نفسه في (مز ١٠٢) يكشف حال صاحب المزمور: «صلاة لمسكين إذا أعيا وسكب شكواه قدَّام الله».

وبعد أن يدعو صاحب المزمور يهوه ويبث شكواه نأتي إلى قلب مزمور التوسل:

العنصر الثالث:

قلب مزمور التوسُّل أو التضرُّع:

في هذا الجزء نجد البساطة والاتجاه المباشر في علاقة صاحب المزمور بيهوه. إذ أن الصلاة تأتي من عمق قلبه «اسمعني»، "ساعدني"، "خلِّصني"، "احفظني"، "ارحمني". وأحياناً يصلِّي: «يهوه هل يمكن أن لا تردني خائباً»، أو «هل ليهوه أن يساعدني» أو «هل ليهوه أن يسمعني» وهكذا يتوسَّل.

وهذا القسم من المزمور تظهر فيه حيوية الصلاة، خاصة وإن حدث أن الله فعلاً قد تأخر في المعونة، فيبدأ صاحب المزمور يجاهد أكثر من الأول حتى يجذب انتباه الله له مثل: «أقدم بنفسك يا يهوه وأعني» «إلى متى يا رب تتركني». والإسرائيلي يثق في صلاته ويثق أن يهوه يسمع له: «يا سامع الصلاة إليك يأتي كل بشر». وشعوره بقرب الله هو الذي يدفع أسلوب توسله لله، فيهوه لا يستطع إلاَّ أن يسمع ويعين. وبتأثير الأنبياء دخلت الصلاة في أن «يبعد عني الخطية والإثم» «ويوضِّح لي وصاياه» ويهوه عليه أن يعلِّم إسرائيل كيف يصنع إرادته ويخلق فيه قلباً جديداً:

مز ٥١: ١٠: «قلباً نقياً اخلق فيَّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدِّد في داخلي.

١١: لا تطرحني من قدام وجهك، وروحك القدوس لا تنزعه مني.

١٢: ردّ لي بهجة خلاصك وبروح منتدبة اعضدني».

وإلى هنا نكون قد وصلنا إلى أعتاب العهد الجديد حيث خلقة القلب الجديد وإعطاء الروح القدس وتثبيته.

العنصر الرابع:

أمَّا العنصر الرابع من مزمور التوسُّل والتضرُّع فهو يدور حول لماذا هو يلح في السؤال، وكيف أن له الحق في أن يُسمع إليه. فهو يجاهد مع نفسه ليثبت أن له الحق في أن يسمع له الله. وهذا يعتمد على صفات يهوه نفسه، فرحمة الله وصلاحه وبره وقدرته غير المحدودة، هذه كلها مستند عليها، فالرب يرحمني وهو يعينني ويخلّصني وهو قوتي وصخرة خلاصي، وهو ترسي ومجني وحارسي. وأيضاً: «أنت تسمع الصارخ إليك» و «أنت تنقذ المسكين من يد الأقوى منه»، «أنت طيب عند الذين يترجونك». وهي هنا تصاغ لتناسب مزمور التوسُّل.

كذلك عبارات الثقة في الله: إليك أهرب وألتجئ وأثق وأرفع عيني وأضع نفسي بين يديك وأنا أرجوك دائماً، والرب يعتني بي. وهذه كلها منبثقة من روح العهد الذي قطعه الله مع الآباء. لذلك فكل إسرائيلي له أن يطلب ويلح ويرجو ويثق، وإنه يستحيل أن يردّه الله أو لا ينظر إلى مسألته لأن خلاصه من خلاص شعبه، خاصة وأن العهد المقطوع يتطلّب من بني إسرائيل أن يلتجئوا إلى الله ويطلبوه فهو قريب، والمتوسِّل يؤدِّي واجباته: التوبة إلى الله والصوم والصلاة وإماتة الذات.

وصاحب المزمور يتفنن في إعطاء الأسباب العامة التي تؤيِّد طلبه، فالإنسان ضعيف وأيامه قليلة ومصائبه كثيرة، كذلك هو يَعِد يهوه أنه سيشكره علناً في وسط الجماعة الكثيرة، وهو يذكّر يهوه أنه بريء وأنه لم يخطئ ولم يغش وعليه فإن يهوه لابد وأن يُظهر حقّه في الظهيرة.

مزامير التوسُّل أو التضرُّع الخاصة بالجماعة:

مزامير التوسُّل أو التضرُّع الخاصة بالجماعة لها نفس العناصر التركيبية الأربعة: الدعاء والشكوى والتوسُّل ودوافع الاستجابة، وهي تقال في الهيكل في الأعياد الشعبية أو في صلوات التوبة للشعب كأيام الكوارث أو الحروب أو الانكسار في المعارك أو أيام القحط أو توقُّف المطر أو ضعف الحصاد، أو في قيام الأوبئة أو هجوم الجراد، حيث تُقام الأصوام للتوبة والتوسُّل حيث يتجمَّع الشعب.

أمثلة:

+ «إذا انكسر شعبك إسرائيل أمام العدو لأنهم أخطأوا إليك ثمَّ رجعوا إليك واعترفوا باسمك

وصلوا وتضرَّعوا إليك نحو هذا البيت؛ فاسمع أنت من السماء واغفر خطية شعبك إسرائيل، وارجعهم إلى الأرض التي أعطيتها لآبائهم.

إذا أُغلِقَت السماء ولم يكن مطر لأنهم أخطأوا إليك ثمَّ صلوا في هذا الموضع واعترفوا باسمك ورجعوا عن خطيتهم لأنك ضايقتهم. فاسمع أنت من السماء واغفر خطية عبيدك وشعبك إسرائيل فتعلمهم الطريق الصالح الذي يسلكون فيه، وأعطِ مطراً على أرضك التي أعطيتها لشعبك ميراثاً.

إذا صار في الأرض جوع، إذا صار وبأ، إذا صار لفح أو يرقان أو جراد جردم، أو إذا حاصره عدوه في أرض مدنه في كل ضربة وكل مرض؛ فكل صلاة وكل تضرُّع تكون من أي إنسان من كل شعبك إسرائيل الذين يعرفون كل واحد ضربة قلبه فيبسط يديه نحو هذا البيت؛ فاسمع أنت من السماء مكان سكناك واغفر واعمل وأعطِ كل إنسان حسب كل طرقه كما تعرف قلبه، لأنك أنت وحدك قد عرفت قلوب كل بني البشر ...

إذا خرج شعبك لمحاربة عدوه في الطريق الذي ترسلهم فيه وصلّوا إلى الرب نحو المدينة التي اخترتها والبيت الذي بنيته لاسمك؛ فاسمع من السماء صلاتهم وتضرُّعهم واقضِ قضاءهم.

إذا أخطأوا إليك، لأنه ليس إنسان لا يخطئ، وغضبت عليهم ودفعتهم أمام العدو وسباهم سابوهم إلى أرض العدو بعيدة أو قريبة؛ فإذا ردّوا إلى قلوبهم في الأرض التي يُسبون إليها ورجعوا وتضرَّعوا إليك في أرض سبيهم قائلين: قد أخطأنا وعوَّجنا وأذنبنا، ورجعوا إليك من كل قلوبهم ومن كل أنفسهم في أرض أعدائهم الذين سبوهم وصلُّوا إليك ...» (١مل ٨:٣٣-٤٨)

أمَّا يوم حزنهم ولبسهم المسوح فيحكي عنه يوئيل النبي:

+ «تنطقوا ونوحوا أيها الكهنة. ولولوا يا خدَّام المذبح. ادخلوا بيتوا بالمسوح يا خدَّام إلهي لأنه قد امتنع عن بيت إلهكم التقدمة والسكيب. قدِّسوا صوماً نادوا باعتكاف. اجمعوا الشيوخ جميع سكان الأرض إلى بيت الرب إلهكم واصرخوا إلى الرب.» (يؤ ١:١٣و١٤)

+ «ليبكِ الكهنة خدَّام الرب بين الرواق والمذبح ويقولوا: اشفق يا رب على شعبك ولا تسلّم ميراثك للعار حتى تجعلهم الأمم مثلاً. لماذا يقولون بين الشعوب أين إلههم.» (يؤ ٢:١٧)

ولكي نجمع الظروف التي تقدّم فيها الأشخاص والعظماء بالتوسُّل لدى يهوه لإنقاذ تاريخ الشعب إليك:

موسى: (تث ٩: ٢٥-٢٧):

+ «فسقطتُ (موسى يتكلَّم) أمام الرب الأربعين نهاراً والأربعين ليلة التي سقطتها لأن الرب قال إنه يهلككم. وصليت للرب وقلت يا سيد الرب لا تهلك شعبك وميراثك الذي فديته بعظمتك الذي أخرجته من مصر بيد شديدة. اذكر عبيدك إبراهيم وإسحق ويعقوب. لا تلتفت إلى غلاظة هذا الشعب وإثمه وخطيته ...».

كذلك: يشوع: (٧:٧-٩)، وعزرا: (٩:٦-١٥)، نحميا (٩:٦-٣٧)، (١:٥-١١).
والشعب كله معاً (١مكا ٣:٥٠-٥٢).

ومن هذه الصلوات جميعها نستطيع أن نجمع الأفكار الرئيسية التي عرضتها هذه الصلوات:
أولاً: الإحساس العميق جداً بالله كسامع للصلاة.
ثانياً: اعتراف واضح للإيمان بالله والاعتراف بالجُرم.
ثالثاً: إن أحاسيس الشعب هي طبق الأصل من أحاسيس كل فرد في الجماعة.
رابعاً: التأكيد أن صلاتهم سُمعت، وفي الختام سلَّموا له القضية ليحكم فيها.

فكثيراً ما نجد عبارات تفيد بأن القضية تخص الله شخصياً:

مز ٤٤: ١١: «جعلتنا كالضأن أكلاً، ذرَّيتنا بين الأُمم.
١٢: **بعت شعبك بغير مال، وما ربحت بثمنهم.**
١٣: تجعلنا عاراً عند جيراننا، هزأة وسخرة للذين حولنا».
مز ٧٤: ١: «لماذا رفضتنا يا الله إلى الأبد؟ لماذا يدخن غضبك على غنم مرعاك.
٢: **اذكر جماعتك التي اقتنيتها منذ القدم وفديتها، سبط ميراثك**، جبل صهيون هذا الذي سكنت فيه».
مز ٧٩: ١: «اللهم، إن الأُمم قد **دخلوا ميراثك، نجَّسوا هيكل قدسك**. جعلوا أُورشليم أكواماً».
مز ٨٠: ١٤: «يا إله الجنود، ارجعن. اطلع من السماء وانظر وتعهَّد هذه الكرمة.
١٥: **والغرس الذي غرسته يمينك، والابن الذي اخترته لنفسك**».

وبالإضافة إلى هذه الأسباب التي تدور حول اختيار إسرائيل يذكرون الأسباب التي تدور حول مراحم الله السابقة التي أعطاهم.

مز ٨٩: ٤٩: «أين مراحمك الأُول يا رب، التي حلفت بها لداود بأمانتك».

مز ٧٧: ٥: «تفكَّرتُ في أيام القدم، السنين الدهرية».
مز ٤٤: ١: «اللهم بآذاننا قد سمعنا. آباؤنا أخبرونا. بعمل عملته في أيامهم، في أيام القدم».

الأصول الأُولى لمزامير التوسُّل والتضرُّع وعلاقتها بالطقس:

بالنسبة لمزامير التضرُّع للجماعة فبالتحقيق عُرف أن مزمور (٨٠) قُدِّم قبل سنة ٧٢١ ق.م حيث انتظر شعب سبط بنيامين ظهور يهوه من فوق تابوت الله لأنه قد حدثت هزيمة ونهب السبط وشُمت به:

مز ٨٠: ١: «يا راعي إسرائيل، اصغ، يا قائد يوسف كالضأن، يا جالساً على الكروبيم أشرق.
٢: قدَّام أفرايم وبنيامين ومنسَّى أيقظ جبروتك وهلمّ لخلاصنا.
٣: يا الله أرجعنا وأنر بوجهك فنخلص ...
٥: قد أطعمتهم خبز الدموع. وسقيتهم الدموع بالكيل.
٦: جعلتنا نزاعاً عند جيراننا، وأعداؤنا يستهزئون بين أنفسهم».

وعندنا مزمور (٤٤) ومعه (٨٣)، (١٠٦) كعينة لتقليد التضرُّع في طقس مخصَّص للتوسُّل عند حدوث كوارث شعبية حيث يظهر في (مزمور ٤٤: ٢٣) انتظار ظهور الله وتدخُّله لإنقاذ الشعب:

مز ٤٤: ٩: «لكنك قد رفضتنا وأخجلتنا، ولا تخرج مع جنودنا.
١٠: تُرجعنا إلى الوراء عن العدو، ومبغضونا نهبوا لأنفسهم.
١١: جعلتنا كالضأن أُكلاً، ذرَّيتنا بين الأُمم.
١٢: بِعْت شعبك بغير مال. وما ربحت بثمنهم.
١٣: تجعلنا عاراً عند جيراننا، هزأة وسخرة للذين حولنا».
مز ٨٣: ٤: «قالوا هلمَّ نبدِّدهم من بين الشعوب، ولا يُذكر اسم إسرائيل بعد.
٥: لأنهم تآمروا بالقلب معاً، عليك تعاهدوا عهداً.
٦: خيام أدوم والإسماعيليين، موآب والهاجريون.
٧: جبال عمون وعماليق، فلسطين مع سكان صور.
٨: أشور أيضاً اتفق معهم. صاروا ذراعاً لبني لوط. سلاه».
مز ١٠٦: ٦: «أخطأنا مع آبائنا. أسأنا وأذنبنا.
٧: آباؤنا في مصر ...».
مز ٤٤: ٢٣: «استيقظ لماذا تتغافى يا رب؟ انتبه لا ترفض إلى الأبد.

٢٤: لماذا تحجب وجهك وتنسى مذلتنا وضيقنا؟

٢٥: لأن أنفسنا منحنية إلى التراب، لصقت في الأرض بطوننا.

٢٦: قم عوناً لنا وافدنا من أجل رحمتك».

مز ٧٩: ٨: «لا تذكر علينا ذنوب الأولين. لتتقدمنا مراحمك سريعاً، لأننا قد تذللنا جداً.

٩: أعنّا يا إله خلاصنا من أجل مجد اسمك، ونجنا واغفر خطايانا من أجل اسمك.

١١: ليدخل قُدّامك أنين الأسير. كعظمة ذراعك استبق بني الموت».

مز ٧٤: ١٠: «حتى متى يا الله يُعيِّر المقاوم؟ ويهين العدو اسمك إلى الغاية؟

١٨: اذكر هذا: أن العدو قد عيَّر الرب، وشعباً جاهلاً قد أهان اسمك.

١٩: لا تُسلِّم للوحش نفس يمامتك، قطيع بائسيك لا تنس إلى الأبد.

٢٠: انظر إلى العهد ...».

مز ٧٩: ٩: «أعنا يا إله خلاصنا من أجل مجد اسمك، ونجنا واغفر خطايانا من أجل اسمك.

١٣: أمّا نحن شعبك وغنم رعيتك نحمدك إلى الدهر. إلى دور فدور نحدِّث بتسبيحك».

مز ٨٩: ٤٧: «اذكر كيف أنا زائل إلى أي باطل خلقت جميع بني آدم!

٤٨: أي إنسان يحيا ولا يرى الموت؟ أيّ ينجِّي نفسه من يد الهاوية؟ سلاه.

٤٩: أين مراحمك الأول يا رب، التي حلفت بها لداود بأمانتك؟

٥٠: اذكر يا رب عار عبيدك الذي أحتمله في حضني من كثرة الأُمم كلها.

٥١: الذي به عيَّر أعداؤك يا رب، الذين عيَّروا آثار مسيحك».

ومزامير التضرُّع والتوسُّل للأفراد دخلت أيضاً الطقس وهذا واضح من تكرار ذكر الهيكل والتقدمات:

مز ٥: ٣: «يا رب بالغداة تسمع صوتي، بالغداة أُوجِّه صلاتي نحوك وأنتظر.

٧: أمّا أنا فبكثرة رحمتك أدخل **بيتك**. أسجد في **هيكل قدسك** بخوفك».

مز ٢٨: ٢: «استمع صوت تضرُّعي إذ أستغيث بك وأرفع يديَّ إلى **محراب قدسك**.

٦: مبارك الرب لأنه سمع صوت تضرُّعي».

ويشترك إرميا النبي في تقديم نموذج التضرُّعات التي يذكر فيها بيت الرب:

+ «كرسي مجد مرتفع من الابتداء هو موضع مقدسنا ... اشفني يا رب فأشفى. خلّصني فأخلص لأنك أنت تسبيحتي.» (إر ١٧: ١٢-١٤)

وفي معظم الحالات يقدِّم الفرد تضرُّعه بعهد يقدِّمه أمام الجماعة، وهذه أيضاً إشارة إلى ارتباط التوسل بالعبادة في الهيكل:

مز ٢٢: ٢٢: «أخبر باسمك إخوتي. **في وسط الجماعة أسبحك**.

٢٤: لأنه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين، ولم يحجب وجهه عنه، بل عند صراخه إليه استمع».

مز ٢٦: ١: «اقض لي يا رب لأني بكمالي سلكت، وعلى الرب توكَّلت بلا تقلقل.

١٢: رجلي واقفة على سهل، **في الجماعات أبارك الرب**».

مز ٢٨: ٩: «خلِّص شعبك، وبارك ميراثك، وارعهم واحملهم إلى الأبد».

ويُقال بلسان الرب يسوع المسيح مزامير التوسُّل التالية التي غالباً ما تنتهي أيضاً بالتسبيح في وسط الجماعة:

مز ٣١: ١: «عليك يا رب توكَّلت. لا تدعني أخزى مدى الدهر. بعدلك نجِّني.

٢: أمل إليَّ أذنك. سريعاً أنقذني. كن لي صخرة حصن، بيت ملجأ لتخليصي ...

٤: أخرجني من الشبكة التي خبَّأوها لي، لأنك أنت حصني.

٥: في يدك أستودع روحي. فديتني يا رب إله الحق ...

٧: أبتهج وأفرح برحمتك، لأنك نظرت إلى مذلتي، وعرفت في الشدائد نفسي ...

٩: ارحمني يا رب لأني في ضيق. خسفت من الغم عيني، نفسي وبطني.

١٠: لأن حياتي قد فنيت بالحزن وسنيني بالتنهُّد، ضعفت بشقاوتي قوتي وبليت عظامي.

١١: عند كل أعدائي صرت عاراً، وعند جيراني بالكلية، ورعباً لمعارفي. الذين رأوني خارجاً هربوا مني.

١٢: نُسيت من القلب مثل الميت. صرت مثل إناء متلف.

١٣: لأني سمعت مذمة من كثيرين. الخوف مستدير بي. بمؤامرتهم معاً عليَّ تفكَّروا في أخذ نفسي ...

٢٣: **أحبوا الرب يا جميع أتقيائه**».

مز ٣٥: ١١: «شهود زور يقومون، وعما لم أعلم يسألونني.

١٢: يجازونني عن الخير شرًّا، ثكلاً لنفسي ...

١٥: ولكنهم في ظلعي فرحوا واجتمعوا. اجتمعوا عليَّ شاتمين ولم أعلم. مزَّقوا ولم يكفوا.

١٧: يا رب إلى متى تنظر؟ استرد نفسي من تهلكاتهم، وحيدتي من الأشبال ...

٢٠: لأنهم لا يتكلَّمون بالسلام، وعلى الهادئين في الأرض يتفكَّرون بكلام مكر.

٢١: فغروا عليَّ أفواههم ...

٢٢: قد رأيت يا رب، لا تسكت. يا سيد لا تبتعد عني.

٢٣: استيقظ وانتبه إلى حكمي، يا إلهي وسيدي إلى دعواي.

٢٤: اقض لي حسب عدلك يا رب إلهي.

٢٧: **ليهتف ويفرح المبتغون حقي وليقولوا دائماً ليتعظم الرب** المسرور بسلامة عبده».

مز ٥٢: ١: «لماذا تفتخر بالشر أيها الجبَّار؟ رحمة الله هي كل يوم.

٢: لسانك يخترع مفاسد. كموسى مسنونة يعمل بالغش.

٣: أحببتَ الشر أكثر من الخير، الكذب أكثر من التكلُّم بالصدق. سلاه.

٤: أحببتَ كل كلام مهلك، ولسان غش ...

٨: أمَّا أنا فمثل زيتونة خضراء **في بيت الله**. توكَّلت على رحمة الله إلى الدهر والأبد.

٩: **أحمدك إلى الدهر** لأنك فعلت وأنتظر اسمك فإنه صالح **قدَّام أتقيائك**».

مز ١٠٩: ١: «يا إله تسبيحي لا تسكت.

٢: لأنه قد انفتح عليَّ فم الشرير وفم الغش، تكلَّموا معي بلسان كذب.

٣: بكلام بغض أحاطوا بي، وقاتلوني بلا سبب ...

٤: أمَّا أنا فصلاة ...

٢١: أمَّا أنت يا رب السيد فاصنع معي من أجل اسمك، لأن رحمتك طيبة، نجني.

٢٢: فإني فقير ومسكين أنا، وقلبي مجروح في داخلي.

٢٣: كظل عند ميله ذهبت. انتفضت كجرادة.

٢٤: ركبتاي ارتعشتا من الصوم، ولحمي هزل عن سمن.

٢٥: وأنا صرت عاراً عندهم. ينظرون إليَّ وينغضون رؤوسهم.

٢٦: أعنّي يا رب إلهي. خلّصني حسب رحمتك ...

٣٠: **أحمد الرب جدًّا بفمي، وفي وسط كثيرين أسبحك**».

مز ١٤٠: ١: «أنقذني يا رب من أهل الشر. من رجل الظلم احفظني.

٢: الذين يتفكَّرون بشرور في قلوبهم. اليوم كله يجتمعون للقتال.

٣: سنّوا ألسنتهم كحية، حمة الأفعوان تحت شفاههم. سلاه.

٤: احفظني يا رب من يدي الشرير. ومن رجل الظلم أنقذني، الذين تفكَّروا في تعثير

خطواتي.

٥: أخفى لي المستكبرون فخاً وحبالاً. مدُّوا شبكة بجانب الطريق. وضعوا لي أشراكاً. سلاه.

٦: قلت للرب أنت إلهي. أصغ يا رب إلى صوت تضرعاتي.

٧: يا رب السيد قوة خلاصي. ظلَّلت رأسي في يوم القتال ...

١٣: **إنما الصديقون يحمدون اسمك. المستقيمون يجلسون في حضرتك**».

وفي بكور أيام إسرائيل يقص علينا صموئيل النبي في سفره الأول الأصحاح الأول والثاني كيف كانت القبائل تجتمع في عيد يهوه، وكيف كان يقدم إلى الله التائبون والمتوسِّلون وأصحاب الهموم والضيقات ليسمع منهم الله، وذلك حول التابوت في مدينة شيلوه.

ومن الأدلة على ارتباط مزامير التوسُّل الفردية بعبادة الهيكل أن كثيراً منها ينتهي بالتوسُّل من أجل الجماعة بل ومن أجل الملك أيضاً:

مز ٣: ١: «يا رب ما أكثر مضايقي. كثيرون قائمون عليَّ.

٢: كثيرون يقولون لنفسي، ليس له خلاص بإلهه. سلاه.

٣: أمَّا أنت يا رب فترس لي، مجدي ورافع رأسي.

٨: **للرب الخلاص. على شعبك بركتك. سلاه**».

مز ٢٥: ١: «إليك يا رب أرفع نفسي.

٢: يا إلهي عليك توكَّلت. فلا تدعني أخزى. لا تَشْمَت بي أعدائي.

٣: أيضاً كل منتظريك لا يخزوا. ليخز الغادرون بلا سبب.

٢٢: يا الله، **افدِ إسرائيل من كل ضيقاته**».

مز ٢٨: ٩: «يا رب خلّص شعبك، وبارك ميراثك، وارعهم واحملهم إلى الأبد».

مز ٦١: ٦: «إلى أيام الملك تضيف أيَّاماً. سنينه كدور فدور.

٧: يجلس قدَّام الله إلى الدهر. اجعل رحمة وحقًّا يحفظانه».

مز ٦٣: ١١: «أمَّا الملك فيفرح بالله. يفتخر كل مَنْ يحلف به».

مز ٦٩: ٣٥: «لأن الله يخلّص صهيون ويبني مدن يهوذا، فيسكنون هناك ويرثونها».

مز ١٠٢: ٢٨: «أبناء عبيدك يسكنون، وذريتهم تثبت أمامك».

مز ١٣٠: ٧: «ليرجُ إسرائيل الرب، لأن عند الرب الرحمة، وعنده فدى كثير.

٨: وهو يفدي إسرائيل من كل آثامه».

وهكذا على قدر ما تكشف مزامير التوسُّل والتضرُّع والصراخ من ضعف في شخصية المتوسل والصارخ، بقدر ما تظهر روح الانعطاف نحو الجماعة وتمني الخير لها والسعادة. مما يكشف عن شيء كثير في نفسية المتوسِّل صحياً. كما تؤكِّد أصالة وصحة مزامير التوسُّل والتضرُّع وتنفي عنها أي اقتباس من شعب آخر.

كما تتنوَّع مزامير التوسل والتضرُّع في مخاطبة يهوه: تارة بالتوسُّل له وتارة بالشهادة له، مرَّة في صيغة المخاطب ومرَّة في صيغة الغائب، فتحسب صلاة وشهادة:

مز ٤٤: ٨: «بالله نفتخر اليوم كله، واسمك نحمد إلى الدهر. سلاه.»

مز ٦٨: ٩: مخاطب: «ميراثك وهو مُعْيٍ أنت أصلحته.

١٠: قطيعك سكن فيه. هيَّأت بجودك للمساكين يا الله.

١١: غائب: الرب يعطي كلمة. المبشرات بها جند كثير».

مز ٩٤: ١١: غائب: «الرب يعرف أفكار الإنسان أنها باطلة.

١٢: مخاطب: طوبى للرجل الذي تؤدبه يا رب، وتعلِّمه من شريعتك».

مز ١٢٣: ١: مخاطب: إليك رفعت عينيَّ يا ساكناً في السموات.

٢: غائب: هوذا كما أن عيون العبيد نحو أيدي سادتهم. كما أن عيني الجارية نحو يد سيدتها. هكذا عيوننا نحو الرب إلهنا حتى يترأف علينا».

مز ١٢٥: ٤: مخاطب: «أحسن يا رب إلى الصالحين وإلى المستقيمي القلوب.

٥: غائب: أمَّا العادلون إلى طرق معوجة. فيُذهبهم الرب مع فعلة الإثم. سلام على إسرائيل!»

وهكذا تجمع مزامير التضرُّع بين الصلاة والشهادة.

لذلك وإن كانت مزامير التضرُّع تميل أحياناً لذكر الشكر، إلاَّ أنها لا تُحسب من مزامير الشكر، وإن كان يوجد مزامير للتضرُّع تحمل الشكر لله واضحاً.

ولكن توجد مزامير للتضرُّع تحمل عوض الشكر مزيداً من تعظيم أعمال الله المجيدة مع الآخرين وهكذا يتعظَّم التضرُّع:

مز ٦: ١: تضرع: «يا رب لا توبخني بغضبك. ولا تؤدبني بغيظك.

٢: ارحمني يا رب لأني ضعيف. اشفني يا رب لأن عظامي قد رجفت.

٣: ونفسي قد ارتاعت جدًّا. وأنت يا رب فحتى متى؟

٤: عد يا رب نجِّ نفسي. خلِّصني من أجل رحمتك.»

٨: عوض الشكر: ابعدوا عني يا جميع فاعلي الإثم، لأن الرب قد سمع صوت بكائي.

٩: سمع الرب تضرُّعي. الرب يقبل صلاتي.

١٠: جميع أعدائي يخزون ويرتاعون جدًّا. يعودون ويخزون بغتة».

مز ١٣: ١: تضرع: «إلى متى يا رب تنساني كل النسيان، إلى متى تحجب وجهك عني.

٢: إلى متى أجعل هموماً في نفسي، وحزناً في قلبي كل يوم. إلى متى يرتفع عدوي عليَّ.

٣: انظر واستجب لي يا رب إلهي. أنر عينيَّ لئلاَّ أنام نوم الموت.

٤: لئلا يقول عدوي: قد قويت عليه.

٥: عوض الشكر: أمَّا أنا فعلى رحمتك توكَّلت. يبتهج قلبي بخلاصك.

٦: أغنِّي للرب لأنه أحسن إليَّ».

مز ٢٢: ١: تضرع: «إلهي إلهي لماذا تركتني بعيداً عن خلاصي، عن كلام زفيري.

٢: إلهي في النهار أدعو فلا تستجيب، في الليل أدعو فلا هدوَّ لي ...

٤: عليك اتكل آباؤنا. اتكلوا فنجَّيتهم.

٥: إليك صرخوا فنجوا. عليك اتكلوا فلم يخزوا.

١٦: لأنه قد أحاطت بي كلابٌ. جماعةٌ من الأشرار اكتنفتني. ثقبوا يديَّ ورجليَّ.

١٣: فغروا عليَّ أفواههم كأسد مزمجر مفترس.

١٤: كالماء انسكبت انفصلت كل عظامي. صار قلبي كالشمع قد ذاب في وسط أمعائي.

١٥: يبست مثل شقفة قوتي. ولصق لساني بحنكي، وإلى تراب الموت تضعني ...

٢٢: عوض الشكر: أخبر باسمك إخوتي. في وسط الجماعة أُسبِّحك.

٢٣: يا خائفي الرب سبِّحوه. مجِّدوه يا معشر ذرية يعقوب، واخشوه يا زرع إسرائيل جميعاً.

٢٤: لأنه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين، ولم يحجب وجهه عنه، بل عند صراخه إليه استمع».

مز ٢٨: ١: تضرع: «إليك يا رب أصرخ. يا صخرتي، لا تتصامم من جهتي لئلاً تسكت عني فأشبه الهابطين في الجب.

٢: استمع صوت تضرُّعي إذ أستغيث بك، أرفع يديَّ إلى محراب قدسك.

٣: لاتجذبني مع الأشرار.

٦: عوض الشكر: مبارك الرب لأنه سمع صوت تضرُّعي.

٧: الرب عزّي وترسي. عليه اتكل قلبي فانتصرت. ويبتهج قلبي وبأغنيتي أحمده.

٨: الرب عزّ لهم وحصن خلاص مسيحه هو.

٩: خلّص شعبك، وبارك ميراثك، وارعهم واحملهم إلى الأبد».

مز ٣٠: ١٠: تضرع: «استمع يا رب وارحمني. يارب كن معيناً لي.

١١: عوض الشكر: حوّلت نوحي إلى رقص لي. حللت مسحي ومنطقتني فرحاً».

مز ٣١: ١: تضرع: «عليك يا رب توكّلت. لا تدعني أخزى مدى الدهر.

٢: أمل إليَّ أذنك سريعاً أنقذني. كن صخرة حصن بيت ملجإ لتخليصي.

٢٤: عوض الشكر: لتتشدد ولتتشجّع قلوبكم يا جميع المنتظرين الرب».

مز ٤١: ٤: تضرع: «أنا قلت: يا رب ارحمني اشفِ نفسي لأني قد أخطأت إليك.

١٣: عوض الشكر: مبارك الرب إله إسرائيل. من الأزل وإلى الأبد. آمين فآمين».

مز ٥٤: ١: تضرع: «اللهم باسمك خلّصني، وبقوتك احكم لي.

٦: عوض الشكر: ... أحمد اسمك يا رب لأنه صالح».

مز ٥٥: ١: تضرع: «اصغ يا الله إلى صلاتي، ولا تتغاض عن تضرُّعي.

٢٢: عوض الشكر: ألق على الرب همك فهو يعولك، لا يدع الصديق يتزعزع إلى الأبد».

مز ٥٦: ١: تضرع: «ارحمني يا الله لأن الإنسان يتهممني، واليوم كله محارباً يضايقني.

١٢: عوض الشكر: اللهم عليَّ نذورك. أوفي ذبائح شكر لك».

مز ٥٩: ١: تضرع: «أنقذني من أعدائي يا إلهي. من مقاوميَّ احمني.

١٧: عوض الشكر: يا قوتي لك أُرنّم. لأن الله ملجإي، إله رحمتي».

مز ٦١: ١: تضرع: «اسمع يا الله صراخي، واصغ إلى صلاتي.

٨: عوض الشكر: هكذا أُرنّم لاسمك إلى الأبد، لوفاء نذوري يوماً فيوماً».

مز ٦٤: ١: تضرع: «استمع يا الله صوتي في شكواي. من خوف العدو احفظ حياتي.

١٠: عوض الشكر: يفرح الصديق بالرب ويحتمي به، ويبتهج كل المستقيمي القلوب».

مز ٦٩: ١: تضرع: «خلّصني يا الله، لأن المياه قد دخلت إلى نفسي.

٢: غرقت في حمأة عميقة، وليس مقر. دخلت إلى أعماق المياه، والسيل غمرني.

٣٥: عوض الشكر لأن الله يخلّص صهيون ويبني مدن يهوذا. فيسكنون هناك ويرثونها.

٣٦: ونسل عبيده يملكونها، ومحبو اسمه يسكنون فيها».

مز ٧١: ١: تضرع: «بك يا رب احتميت. فلا أخزى إلى الدهر.

٢: بعدلك نجني وأنقذني. أمل إليَّ أذنك وخلّصني.

٢٤: عوض الشكر: ولساني أيضاً اليوم كله يلهج ببرك. لأنه قد خزي، لأنه قد خجل الملتمسون لي شرًّا».

مز ٨٦: ١: تضرع: «أمل يا رب أذنك. استجب لي، لأني مسكين وبائس أنا.

١٧: عوض الشكر: اصنع معي آية للخير، فيرى ذلك مبغضيَّ فيخزوا، لأنك أنت يا رب أعنتني وعزّيتني».

مز ٩٤: ١: تضرع: «يا إله النقمات، يا رب، يا إله النقمات أشرق.

٢: ارتفع يا ديّان الأرض، جاز صنيع المستكبرين.

١٩: عوض الشكر: عند كثرة همومي في داخلي. تعزياتك تلذذ نفسي».

مز ١٠٢: ١: تضرع: «يا رب استمع صلاتي، وليدخل إليك صراخي.

٢٥: عوض الشكر: من قدم أسست الأرض، والسموات هي عمل يديك.

٢٦: هي تبيد وأنت تبقى وكلها كثوب تبلى، كرداء تغيرهن فتتغيّر.

٢٧: وأنت هو وسنوك لن تنتهي».

مز ١٣٠: ١: تضرع: «من الأعماق صرخت إليك يا رب.

٢: يا رب اسمع صوتي. لتكن أذناك مصغيتين إلى صوت تضرُّعاتي.

٨: عوض الشكر: وهو يفدي إسرائيل من كل آثامه».

ولكي نؤكّد أن هذا النمط من الوحي الإلهي في المزامير هو تقليد تعليمي من القديم، وتعليم

سائد في كل إسرائيل واليهودية، نجده قائماً بنفس النمط في سفر إرميا النبي، إذ بعدما قدم إرميا أمام الله شكواه وأحزانه وآلامه، ختمها بنشيد ترنم لله. ومن ذلك نكتشف التعليم الإلهي الذي عاشته الأُمة اليهودية تحت يد الله كأبدع ما يكون التعليم، إذ لا يصح ولا يجوز أن يتقدَّم أي إنسان إلى الله بتضرع أو توسُّل أو شكوى إلاَّ ويتحتم أن يختمها بتمجيد الله والترنُّم والاعتراف بفضله:

+ «قد أقنعتني يا رب فاقتنعت، وألححت عليَّ فغلبتَ (أن يُنادي بعقوبات الله على الشعب لعدم أمانته) ... ناديتُ ظلم واغتصاب - لأن كلمة الرب صارت لي للعار وللسخرة (السخرية) كل النهار. فقلت لا أذكره ولا أنطق بعد باسمه. فكان في قلبي كنار محرقة محصورة في عظامي فمللت من الإمساك ولم أستطع، لأني سمعت مذمة من كثيرين، خوف من كل جانب، يقولون اشتكوا فنشتكي عليه. كل أصحابي يراقبون ظلعي قائلين يُطغى فنقدر عليه وننتقم منه - ولكن الرب معي كجبار قدير. من أجل ذلك يعثر مضطهدي ولا يقدرون، خزوا جدًّا لأنهم لم ينجحوا خزياً أبدياً لا يُنسى. فيا رب الجنود مختبر الصديق ناظر الكلى والقلوب دعني أرى نقمتك منهم لأني لك كشفت دعواي. رنِّموا للرب سبِّحوا الرب لأنه قد أنقذ نفس المسكين من يد الأشرار.» (إر ٢٠: ٧-١٣)

ويلاحظ أيضاً أن في صميم فكر كل إسرائيلي كتعليم ثابت كان تقليداً وصار طبيعة، أن أي فرد إسرائيلي له أن يدخل في علاقة شخصية مع يهوه، كما له أن يشترك في كل بركات العهد، فقط على قدر طاقة إيمانه كعضو في جماعة العهد. وهكذا نفهم أن بهذه العقلية يرى العابد نفسه من خلال صلاته الخاصة، ومن خلال الخلاص الفردي الذي يطلبه متصلاً اتصالاً وثيقاً بخلاص الجماعة وبعهد الله مع إسرائيل سواء في التاريخ أو الحاضر الزمني الذي يعيشه. هذا كان القصد من العهد ومنتهى التقليد القائم عليه التعييد لهذا العهد. بهذا تحقق لكل فرد الإحساس بوجوده في الحضرة الإلهية متحققاً من شهادات الله ومن حقيقة إعطاء المعونة الإلهية بمجرد التحاق الفرد في هذه الحضرة الإلهية. وهذا يتحقَّق من المزامير الآتية:

مز ٢٢: ٢٢: «أخبر باسمك إخوتي. في وسط الجماعة أسبحك.

٢٣: يا خائفي الرب سبحوه! مجِّدوه يا معشر ذرية يعقوب. واخشوه يا زرع إسرائيل جميعاً.

٢٤: لأنه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين، ولم يحجب وجهه عنه، بل عند صراخه إليه استمع.

٢٥: من قِبلك تسبيحي في الجماعة العظيمة ...».

مز ٣٥: ١٨: «أحمدك في الجماعة الكثيرة. في شعب عظيم أسبحك.

٢٧: ليهتف ويفرح المبتغون حقِّي، وليقولوا دائماً ليتعظم الرب المسرور بسلامة عبده».

مز ٤٣: ٣: «أرسل نورك وحقك، هما يهديانني ويأتيان بي إلى جبل قدسك وإلى مساكنك.

٤: فآتي إلى مذبح الله، إلى الله بهجة فرحي، وأحمدك بالعود يا الله إلهي.

٥: لماذا أنتِ منحنية يا نفسي؟ ولماذا تئنين فيَّ؟ ترجَّي الله، لأني بعد أحمده. خلاص وجهي وإلهي».

مز ٥٢: ٩: «أحمدك إلى الدهر لأنك فعلت، وأنتظر اسمك فإنه صالح قدام أتقيائك».

مز ٧١: ١٦: «آتي بجبروت السيد الرب، أذكر برّك وحدك».

مز ١٠٩: ٣٠: «أحمد الرب جدًّا بفمي، وفي وسط كثيرين أُسبِّحه».

مز ١١٦: ١٧: «فلك أذبح ذبيحة حمد، وباسم الرب أدعو.

١٨: أوفي نذوري للرب. مقابل شعبه.

١٩: في ديار بيت الرب، في وسطك يا أُورشليم. هللويا».

مز ١٤٠: ١٣: «إنما الصديقون يحمدون اسمك. المستقيمون يجلسون في حضرتك».

ومسرة عبادة إسرائيل هي في التقليد الذي يتمحور في أعمال الخلاص التي قام بها يهوه، هذا التقليد ظل حيًّا دائماً في الطقس الذي ضمن للفرد عبارات التوسُّل والتضرُّع من جهة وعبارات الشكر، وهذا هو السبب في أننا في نهاية مزمور التوسُّل نجد إمَّا التمجيد الفائق لأعمال يهوه الخلاصية أو دعوة للآخرين أن يسبِّحوا الله:

مز ٥: ١١: «ويفرح جميع المتكلين عليك إلى الأبد يهتفون وتظلِّلهم. ويبتهج بك محبُّو اسمك».

مز ٢٢: ٣٠: «الذرية تتعبد له، يُخبَّر عن الرب الجيل الآتي.

٣١: يأتون ويخبرون ببره شعباً سيولد بأنه قد فعل».

مز ٣٠: ١٢: «لكي تترنم لك روحي ولا تسكت. يا رب إلهي، إلى الأبد أحمدك».

مز ٣٥: ٢٧: «ليهتف ويفرح المبتغون حقِّي، وليقولوا دائماً: ليتعظَّم الرب المسرور بسلامة عبده.

٢٨: ولساني يلهج بعدلك. اليوم كله بحمدك».

مز ٥٢: ٩: «أحمدك إلى الدهر لأنك فعلت. وأنتظر اسمك فإنه صالح قدَّام أتقيائك».

مز ٦١: ٨: «هكذا أرنم لاسمك إلى الأبد، لوفاء نذوري يوماً فيوماً».

مز ٦٣: ٤: «هكذا أباركك في حياتي. باسمك أرفع يديَّ».

مز ٦٤: ٩: «ويخشى كل إنسان، ويخبر بفعل الله، وبعمله يفطنون.

١٠: يفرح الصديق بالرب ويحتمي به، ويبتهج كل المستقيمي القلوب».

مز ٨٦: ١٢: «أحمدك يا رب إلهي من كل قلبي. وأمجد اسمك إلى الدهر».

مز ٣١: ٢٣: «أحبوا الرب يا جميع أتقيائه الرب حافظ الأمانة. ومجاز بكثرة العامل بالكبرياء».

مز ٣٢: ١٠: «كثيرة هي نكبات الشرير، أمَّا المتوكِّل على الرب فالرحمة تحيط به.

١١: افرحوا بالرب وابتهجوا يا أيها الصديقون. واهتفوا يا جميع المستقيمي القلوب».

مز ٣٤: ١١: «هلمَّ أيها البنون استمعوا إليَّ. فأعلمكم مخافة الرب».

مز ٤١: ١: «طوبى للذي ينظر إلى المسكين. في يوم الشر ينجيه الرب.

٢: الرب يحفظه ويحييه، يغتبط في الأرض، ولا يسلمه إلى مرام أعدائه.

٣: الرب يعضده وهو على فراش الضعف. مهَّدت مضجعه كله في مرضه.

١٣: مبارك الرب إله إسرائيل. من الأزل وإلى الأبد آمين. فآمين».

مز ٦٩: ٣٠: «أسبح اسم الله بتسبيح وأعظمه بحمد.

٣١: فيستطاب عند الرب أكثر من ثور بقر ذي قرون وأظلاف.

٣٢: يرى ذلك الودعاء فيفرحون، وتحيا قلوبكم يا طالبي الله.

٣٣: لأن الرب سامع للمساكين ولا يحتقر أسراه.

٣٤: تسبحه السماوات والأرض. البحار وكل ما يدب فيها.

٣٥: لأن الله يخلِّص صهيون ويبني مدن يهوذا، فيسكنون هناك ويرثونها.

٣٦: ونسل عبيده يملكونها، ومحبو اسمه يسكنون فيها».

مز ٧١: ٦: «عليك استندت من البطن، وأنت مخرجي من أحشاء أمي. بك تسبيحي دائماً».

وفي بعض المزامير يتضح أن التقدمة المقبولة لدى الله هي أقوال الفم عوض الذبائح، سواء أقوال الشكر أو حتى تقديم التوسلات في صورة مديح وتنتهي حتماً بالشكر والحمد والتسبيح والترنم. هكذا تسجلت عبارات مكتوبة لمثل هذه التوسلات بالهيكل، مثل:

مز ١٠٢: ١٧: «التفتَ إلى صلاة المضطر ولم يرذل دعاءهم.

١٨: **يُكتب هذا للدور الآخر** وشعب سوف يُخلق يُسبِّح الرب.»

وهذا معناه الاهتمام جدًّا لا بتقديم التوسُّل في حد ذاته، بل بدوام تقديمه من جيل إلى جيل كعمل عقائدي. وتوجد المزامير التي تُثبت أنها قُدِّمت أمام يهوه كتقدمة:

مز ١٩: ١٤: «لتكن أقوال فمي وفكر قلبي مرضية أمامك يا رب، صخرتي ووليِّي».

مز ٤٠: ٦: «بذبيحة وتقدمة لم تُسرّ. أذنيَّ فتحت. محرقة وذبيحة خطية لم تطلب.

٧: حينئذ قلت: هنذا جئت بدرج الكتاب. مكتوب عني.

٨: أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررت».

مز ٥٠: ١٣: «هل آكل لحم الثيران أو أشرب دم التيوس؟

١٤: **اذبح لله حمداً** وأوفِ العلي نذورك،

١٥: وادعني في يوم الضيق أنقذك فتمجدني...

٢٣: **ذابح الحمد** يمجدني والمقوِّم طريقه أريه خلاص الله».

مز ٥١: ١٥: «يا رب افتح شفتيَّ فيُخبر فمي بتسبيحك.

١٦: لأنك لا تُسر بذبيحة وإلاَّ فكنت أقدمها، **بمحرقة لا ترضى**.

١٧: **ذبائح الله هي روح منكسرة**. القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره»

مز ٦١: ٨: «هكذا أُرنِّم لاسمك إلى الأبد، لوفاء نذوري يوماً فيوماً».

مز ٦٣: ٥: «كما من شحم ودسم تشبع نفسي. وبشفتيَ الابتهاج يُسبِّحك فمي».

مز ٦٩: ٣٠: «أسبح اسم الله بتسبيح. وأُعظِّمه بحمد.

٣١: فيستطاب عند الرب أكثر من ثور بقر ذي قرون وأظلاف.

٣٢: يرى ذلك الودعاء فيفرحون، وتحيا قلوبكم يا طالبي الله.

٣٣: لأن الرب سامع للمساكين ولا يحتقر أسراه».

مز ٧١: ١٥: «فمي يحدث بعدلك اليوم كله بخلاصك لأني لا أعرف لها أعداداً».

مز ١٤١: ٢: «لتستقم صلاتي كالبخور قدَّامك، ليكن رفع يديَّ كذبيحة مسائية».

مز ١٤٠: ١٣: «إنما الصديقون يحمدون اسمك. المستقيمون يجلسون في حضرتك».

والمعروف أن أهمية مزامير التضرُّع وقصدها النهائي هو في مواجهة الله والتقابل معه كموجود وحاضر، فالعابد يتصوَّر من جهة يهوه أنه حاضر وظاهر في الطقس. ويصوِّر هذا التقابل المزامير الآتية:

مز ١٠٢: ١٢: «أمَّا أنت يا رب فإلى الدهر جالس وذكرك إلى دور فدور.

١٣: أنت تقوم وترحم صهيون، لأنه وقت الرأفة، لأنه جاء الميعاد».

كما يذكر نفس المزمور أن يهوه يُظهر مجده:

مز ١٠٢ :١٦: «إذا بنى الرب صهيون يُرى بمجده».

مز ٧٣: ١٧: «حتى دخلت مقادس الله، وانتبهت إلى آخرتهم».

مز ٢٧: ٨: «لك قال قلبي: قلتَ اطلبوا وجهي. وجهك يا رب أطلب».

ومزامير التوسل هي في طبيعتها التزائي أمام وجه يهوه كما في المزمور السابق، وأيضاً:

مز ٥١: ١١: «لا تطرحني من **قدام وجهك**. وروحك القدوس لا تنزعه مني».

مز ٨٨: ٢: «فلتأتِ **قدَّامك** صلاتي. أمل أذنك إلى صراخي».

مز ١٤٢: ٢: «أسكب **أمامه** شكواي، بضيقي **قدامه** أُخبر».

فعندما يشرق الله بوجهه تكون هذه علامة أنه لابد صانع رحمة ومستجيب الصلاة.

مز ٤ : ٦: «كثيرون يقولون مَنْ يرينا خيراً. ارفع علينا نور **وجهك** يا رب».

مز ١٣: ٣: «انظر واستجب لي يا رب إلهي. أنر عينيَّ لئلا أنام نوم الموت».

مز ٣١: ١٦: «أضئ **بوجهك** على عبدك، خلصني برحمتك».

مز ٤١: ١٢: «أمَّا أنا فبكمالي دعَّمتني، وأقمتني **قدَّامك** إلى الأبد».

مز ٥٦: ١٣: «لأنك نجيت نفسي من الموت. نعم ورجلي من الزلق، لكي أسير **قدَّام** الله في نور الأحياء».

مز ٥٩: ٤: «استيقظ إلى لقائي وانظر.
٥: وأنت يا رب إله الجنود، إله إسرائيل. انتبه لتطالب كل الأُمم ...».

مز ٦٣: ٢: «لكي أُبصر قوتك ومجدك. كما قد رأيتك في قدسك».

مز ١٠٢ :١٩: «لأنه أشرق من علو قدسه. الرب من السماء إلى الأرض نظر.
٢٠: ليسمع أنين الأسير، ليطلق بني الموت.
١٦: إذا بنى الرب صهيون يُرى بمجده».

مز ٦٧: ١: «ليتحنن الله علينا ويباركنا. ليُنر **بوجهه** علينا. سلاه».

مز ٨٠: ١: «... يا جالساً على الكروبيم أشرق.
٣: يا الله أرجعنا، وأنر **بوجهك** فنخلص.

١٤: يا إله الجنود، أرجعن. اطلع من السماء وانظر وتعهد هذه الكرمة».

مز ١١٨ :٢٧: «الرب هو الله وقد أنار لنا ...».

مز ٢١: ٩: «تجعلهم مثل تنور نار في زمان حضورك».

ومن أجل أهمية ظهور يهوه فإن المزامير ترجوه حتى لا يخفي وجهه:

مز ١٠: ١: «يا رب لماذا تقف بعيداً. لماذا تختفي في أزمنة الضيق؟»

مز ٢٢: ٢٤: «لأنه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين، ولم يحجب وجهه عنه، بل عند صراخه إليه استمع».

مز٢٧: ٩: «لا تحجب وجهك عني. لا تخيِّب بسخط عبدك. قد كنت عوني فلا ترفضني ولا تتركني يا إله خلاصي».

مز٤٤: ٢٤: «لماذا تحجب **وجهك** وتنسى مذلتنا وضيقنا».

مز ٥٥: ١: «اصغ يا الله إلى صلاتي، ولا تتغاض عن تضرُّعي».

مز ٦٩: ١٧: «ولا تحجب **وجهك** عن عبدك، لأن لي ضيقاً. استجب لي سريعاً.
١٨: اقترب إلى نفسي فكّها بسبب أعدائي افدني.
١٩: أنت عرفت عاري وخزيي وخجلي. قدامك جميع مضايقيَّ».

مز ٨٨: ١٤: «لماذا يا رب ترفض نفسي. لماذا تحجب **وجهك** عني».

مز ٨٩: ٤٦: «حتى متى يا رب تختبئ كل الاختباء؟ حتى متى يتقد كالنار غضبك».

مز ١٠٢: ٢: «لا تحجب **وجهك** عني في يوم ضيقي. أمل إليَّ أذنك في يوم أدعوك. استجب لي سريعاً».

مز ١٤٣: ٧: «أسرع أجبني يا رب. فنيت روحي. لا تحجب **وجهك** عني، فأشبه الهابطين في الجب».

وبناء على هذا أصبحت أمنية العابد العظمى أن يرى وجه الرب ويتأكَّد أنه قريب منه وفي حضرته:

مز ١١: ٧: «لأن الرب عادل ويحب العدل. المستقيم يُبصر وجهه.
٤: الرب في هيكل قدسه. الرب في السماء كرسيه».

مز ١٦: ١١: «تعرفني سبيل الحياة، أمامك شبع سرور. في يمينك نعم إلى الأبد».

مز ١٧: ١٥: «أما أنا فبالبر أنظر وجهك. أشبع إذا استيقظت بشبهك».

مز ٢٧: ٤: «واحدة سألت من الرب وإياها ألتمس أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي. لكي أنظر إلى جمال الرب، وأتفرَّس في هيكله.

٥: لأنه يخبئني في مظلته في يوم الشر يسترني بستر خيمته. على صخرة يرفعني.
١٣: لولا أنني آمنت بأن أرى جود الرب في أرض الأحياء».

مز ٢٧: ٨: «لك قال قلبي. قلت: اطلبوا وجهي. وجهك يا رب أطلب».

مز ٤٢: ٢: «... متى أجيء وأتراءى قدَّام الله».

مز ٥٦: ١٣: «لأنك نجيت نفسي من الموت. نعم ورجليَّ من الزلق، لكي أسير قدَّام الله في نور الأحياء».

مز ٦١: ٧: «يجلس قدَّام الله إلى الدهر. اجعل رحمة وحقًا يحفظانه».

مز ٦٣: ٢: «لكي أبصر قوتك ومجدك كما قد رأيتك في قدسك».

مز ١١٦: ٩: «أسلك قدَّام الرب في أرض الأحياء».

مز ١٤٠:١٣: «إنما الصديقون يحمدون اسمك، المستقيمون يجلسون في حضرتك».

مز١٤١: ٨: «لأنه إليك يا سيد يا رب عيناي. بك احتميت لا تُفرِغ نفسي».

وهذا التعبير الشائع في المزامير «رؤية وجه الرب» نجده أصلاً كاصطلاح فـي يعـني أيضـاً زيـارة الهيكل. وأصله في العهد القديم كالآتي:

+ «ثلاث مرَّات في السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب!!» (خر ٢٣:١٧)

+ «ثلاث مرَّات في السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب إله إسرائيل.
فإني أطرد الأُمم من قدَّامك وأوسع تخومك. ولا يشتهي أحد أرضك حين تصعد لتظهر أمام الرب إلهك ثلاث مرَّات في السنة.» (خر ٣٤: ٢٣و٢٤)

+ «حينما يجيء جميع إسرائيل لكي يظهروا أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره. تقرأ هذه التوراة أمام كل إسرائيل في مسامعهم.» (تث ٣١: ١١).

+ «ولكن حنة لم تصعد لأنها قالت لرجلها متى فطم الصبي آتي به ليتراءى أمام الرب ويقيم هناك إلى الأبد.» (١صم ١:٢٢)

+ «حينما تأتون لتظهروا أمامي مَنْ طلب هذا من أيديكم أن تدوسوا دوري. لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة. البخور هو مكرهة لي رأس الشهر والسبت ونداء المحفل. لست أطيق الإثم والاعتكاف.» (إش ١: ١٢و١٣)

كما أيضاً توجد إشارة قوية للوجود في حضرة الرب في اصطلاح "الاحتماء في ظل جناحيه":

مز ١٧: ٨: «احفظني مثل حدقة العين. بظل جناحيك استرني.
٩: من وجه الأشرار الذين يُخربونني».

مز ٣٦: ٧: «ما أكرم رحمتك يا الله. فبنو البشر في ظل جناحيك يحتمون».

مز ٥٧: ١: «ارحمني يا الله ارحمني. لأنه بك احتمت نفسي. وبظل جناحيك أحتمي إلى أن تعبر المصائب».

مز ٦١: ٤: «لأسكنن في مسكنك إلى الدهور. أحتمي بستر جناحيك. سلاه».

مز ٦٣: ٧: «لأنك كنت عوناً لي، وبظل جناحيك أبتهج».

مز ٩١: ٤: «بخوافيه يظللك، وتحت أجنحته تحتمي. تُرس ومجن حقّه».

كما كان أصلها في سفر التثنية:

+ «كما يحرك النسر عشه وعلى فراخه يرفّ ويبسط جناحيه ويأخذها ويحملها على مناكبه. هكذا الرب وحده اقتاده وليس معه إله أجنبي.» (تث ٣٢: ١١و١٢)

مز ٣١: ٢٠: «تسترهم بستر وجهك من مكايد الناس. تخفيهم في مظلة من مخاصمة الألسن».

مز ٢٧: ٥: «لأنه يخبئني في مظلته في يوم الشر. يسترني بستر خيمته على صخرة يرفعني».

كذلك فالمزامير تشير إلى حضرة الله التي ظهرت فوق التابوت على أجنحة الكروبيم، فتقول:

مز ٩٤: ١: «يا إله النقمات يا رب. يا إله النقمات أشرق».

مز ٨٠: ١: «يا راعي إسرائيل اصغ، يا قائد يوسف كالضأن، يا جالساً على الكروبيم أشرق».

وهكذا يتكرر الخطاب ليهوه: قم أو أشرق أو قف أو استيقظ، والتي كلها تعبِّر عن الثيؤفانيا في الموقف الخطر وعند الطقس الذي يقرر مصير الإنسان. إن كان في الخلاص أو في وقوع حادثة مأساوية. وهي كلها تعود إلى ظهور الرب فوق تابوت العهد الذي يعود إلى أيام إسرائيل الأُولى.

+ «وعند ارتحال التابوت كان موسى يقول: قم يا رب فلتتبدد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك. وعند حلوله كان يقول ارجع يا رب إلى ربوات ألوف إسرائيل.» (عد ١٠: ٣٥و٣٦)

مز ٣: ٧: «قم يا رب! خلّصني يا إلهي. لأنك ضربت كل أعدائي على الفك. هشَّمت أسنان الأشرار».

مز ٧: ٦: «قم يا رب. بغضبك. ارتفع على سخط مضايقي وانتبه لي».

مز ١٠: ١٢: «قم يا رب. يا الله ارفع يدك. لا تنس المساكين».

مز ١٧: ١٣: «قم يا رب. تقدّمه، اصرعه، نج نفسي من الشرير بسيفك».

مز ٣٥: ٢٣: «استيقظ وانتبه إلى حكمي، يا إلهي وسيدي إلى دعواي».

مز ٤٤: ٢٣: «استيقظ لماذا تتغافى يا رب. انتبه! لا ترفض إلى الأبد».

مز ٥٧: ٥: «ارتفع اللهم على السموات. ليرتفع على كل الأرض مجدك».

مز ٥٩: ٤: «استيقظ إلى لقائي وانظر ...».

مز ٧٤: ٢٢: «قم يا الله. أقم دعواك. اذكر تعيير الجاهل إياك اليوم كله».

مز ٨٢: ٨: «قم يا الله. دن الأرض، لأنك أنت تمتلك كل الأُمم».

مز ٩٤: ١: «يا إله النقمات. يا رب. يا إله النقمات. أشرق».

مز ١٠٢:١٣: «أنت تقوم وترحم صهيون. لأنه وقت الرأفة، لأنه جاء الميعاد».

ونجد هذا النداء أيضاً في مزامير التضرعات الملكية بتفصيل أكثر:

مز ١٤٤:٥: «يا رب طأطئ سماواتك وانزل. المس الجبال فتدخن.

٧: أرسل يدك من العلاء. أنقذني ونجِّني».

حيث عبارة «طأطئ السموات وانزل» مقتبسة أصلاً من المزمور (١٨: ٩).

مز ١٨: ٧: «فارتجت الأرض وارتعشت، أُسس الجبال ارتعدت وارتجت لأنه غضب ...

٩: طأطأ السموات ونزل، وضباب تحت رجليه» (وهو مزمور لداود).

وهذا كله متصل اتصالاً واضحاً بالتقليد القديم للاستعلان والظهور الإلهي ليهوه في التقليد.

وفي مزامير التضرُّع حضور يهوه في هيكله واقترابه من الشعب يعني بالتأكيد استجابته للصلاة وإجراء الخلاص المنشود. وإليك المزامير:

مز ٣: ٣: «أما أنت يا رب فترس لي. مجدي ورافع رأسي.

٤: بصوتي إلى الرب أصرخ، فيجيبني من جبل قدسه. سلاه.

٧: قم يا رب خلِّصني يا إلهي. لأنك ضربت كل أعدائي على الفك. هشَّمت أسنان الأشرار».

مز ٥: ٧: «أمَّا أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك. أسجد في هيكل قدسك بخوفك».

مز ١٦: ١١: «تعرفني سبيل الحياة. أمامك شبع سرور. في يمينك نعم إلى الأبد».

مز ٢٧: ٤: «واحدة سألت من الرب وإياها ألتمس: أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي، لكي أنظر إلى جمال الرب، وأتفرَّس في هيكله».

مز ٤١: ١٢: «أما أنا فبكمالي دَعَمتني، وأقمتني قدَّامك إلى الأبد».

مز ٥٦: ١٣: «لأنك نجيت نفسي من الموت. نعم ورجلي من الزلق. لكي أسير قدَّام الله في نور الأحياء».

مز٥٩: ٤: «... استيقظ إلى لقائي وانظر!».

مز ٦٩: ١٨: «اقترب إلى نفسي فكها. بسبب أعدائي افدني».

مز ٧٣: ٢٣: «ولكني دائماً معك. أمسكت بيدي اليمنى.

٢٨: أمَّا أنا فالاقتراب إلى الله حسن لي. جعلتُ بالسيد الرب ملجإي. لأخبر بكل صنائعك».

مز ١٠٢:٢٨: «أبناء عبيدك يسكنون وذريتهم تثبت أمامك».

مز ١٤١: ٨: «لأنه إليك يا سيد يا رب عيناي. بك احتميت. لا تُفْرِغ نفسي».

اسم يهوه:

وكما رأينا في مزامير التسبيح هكذا هنا في مزامير التضرُّع، نجد نفس الاهتمام بالنطق باسم يهوه. فسواء هنا أو هناك نجد أن اسم يهوه له علاقة وصلة باستعلان يهوه في الطقس كحدث استعلاني.

مز ١٤٢: ٧: «أخرج من الحبس نفسي، لتحميد اسمك. الصديقون يكتنفونني لأنك تُحسن إليَّ».

كما نجد استخدام اسم يهوه فوق الكل عند التعهد بنذر معيَّن يتم إيفاؤه في الطقس والهيكل. ومن جهة العابد المتديِّن هو أمر مفروغ منه أنه لا ينطق باسم الله إلاَّ في أمور متصلة بالطقس والعبادة.

مز ١٠٦:٤٧: «خلِّصنا أيها الرب إلهنا، واجمعنا من بين الأُمم، لنحمد اسم قدسك ونتفاخر بتسبيحك».

مز ١٣٨: ٢: «أسجد في هيكل قدسك، وأحمد اسمك على رحمتك وحقِّك، لأنك قد عظمت كلمتك على كل اسمك».

كما نجد صلاة بالاسم:

مز ٥٤: ١: «اللهم باسمك خلِّصني، وبقوتك احكم لي.

٦: أذبح لك منتدباً. أحمد اسمك يا رب لأنه صالح».

وبه يتوسَّط من أجل الملك:

مز ٢٠: ١: «ليستجب لك الرب في يوم الضيق. ليرفعك اسم إله يعقوب.

٦: الآن عرفت أن الرب مخلِّص مسيحه. يستجيبه من سماء قدسه. بجبروت خلاص يمينه.

٧: هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل. أمَّا نحن فاسم الرب إلهنا نذكر».

مز ٤٤: ٥: «بك ننطح مضايقينا. باسمك ندوس القائمين علينا.

٨: بالله نفتخر اليوم كله، واسمك نحمد إلى الدهر. سلاه».

مز ٧٢: ١٩: «ومبارك اسم مجده إلى الدهر، ولتمتلئ الأرض كلها من مجده. آمين ثمَّ آمين» (= ذكصولوجية).

هذه الذكصولوجية ترادف ما أوحي إلى إشعياء من خلال الرؤيا مما يؤكّد على أنها تعليم إلهي بالوحي المقدس:

+ «وهذا نادى ذاك وقال: قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض.» (إش ٦:٣)

مز ٧٥: ١: «نحمدك يا الله نحمدك. واسمك قريب. يُحدِّثون بعجائبك».

حيث يشير هنا "قرب اسم يهوه" إلى الاستعلان الذي يحدث أثناء الصلاة بالظهور الإلهي ليؤكّد للعابدين قرب الله واستجابته وخلاصه، مما يعطي للعابدين سبباً لتسبيح وتمجيد اسم يهوه أكثر.

مز ٨٣: ١٥: «املأ وجوههم خزياً، فيطلبوا اسمك يا رب ...

١٨: ويعلموا أنك اسمك يهوه وحدك. العلي على كل الأرض».

مز ٨٦: ١١: «علمني يا رب طريقك. أسلك في حقك. وحِّد قلبي لخوف اسمك.

١٢: أحمدك يا رب إلهي من كل قلبي، وأمجد اسمك إلى الدهر».

مز ٩٢: ١: «حسن هو الحمد للرب والترنم لاسمك أيها العلي».

مز ١٤٠: ١٣: «إنما الصديقون يحمدون اسمك. المستقيمون يجلسون في حضرتك».

واتصال اسم يهوه بأعمال الخلاص كاستعلان لطبيعة يهوه في طقس العهد وعيده نجده بصفة متكرِّرة في مزامير التضرُّع: فالتعرف على أعمال الله العظيمة والاعتراف بها وإقامة التذكار لها هو من صميم اهتمام المتديِّن كواجب ديني على مستوى الطقس في التقليد الذي يُسلَّم من جيل إلى جيل.

مز ٩ : ١: «أحمد الرب بكل قلبي. أُحدِّث بجميع عجائبك.

٢: أفرح وأبتهج بك. أُرنِّم لاسمك أيها العلي.

١٠: ويتكل عليك العارفون اسمك. لأنك لم تترك طالبيك يا رب.

١٤: لكي أُحدِّث بكل تسابيحك في أبواب ابنة صهيون، مبتهجاً بخلاصك».

مز ٢٢: ٢٢: «أخبر باسمك إخوتي، في وسط الجماعة أُسبِّحك.

٣٠: الذرية تتعبَّد لك. يُخبَّر عن الرب الجيل الآتي.

٣١: يأتون ويخبرون ببره شعباً سيولد بأنه قد فعل».

مز ٢٦: ٧: «لأُسمِّع بصوت الحمد، وأُحدِّث بجميع عجائبك».

مز ٦٤: ٩: «ويخشى كل إنسان، ويخبر بفعل الله، وبعمله يفطنون».

مز ٧١: ١٦: «آتي بجبروت السيد الرب. أذكر برك وحدك».

مز ٧٣: ٢٨: «أمَّا أنا فالاقتراب إلى الله حسن لي. جعلت بالسيد الرب ملجاي لأخبر بكل صنائعك».

وهذا التقليد الطقسي متصل بتذكار الصفحات المجيدة من التاريخ المقدَّس في الطقس:

مز ٤٤: ١: «اللهم بآذاننا قد سمعنا، آباؤنا أخبرونا بعملٍ عملته في أيامهم. في أيام القدم.

٢: أنت بيدك استأصلت الأُمم وغرستهم حطَّمت شعوباً ومددتهم.

٣: لأنه ليس بسيفهم امتلكوا الأرض، ولا ذراعهم خلَّصتهم، لكن يمينك وذراعك ونور وجهك، لأنك رضيت عنهم».

مز ٧٨: ٣: «التي سمعناها وعرفناها وآباؤنا أخبرونا.

٤: لا نُخفي عن بنيهم. إلى الجيل الآخر، مخبرين بتسابيح الرب وقوته وعجائبه التي صنع».

مز ١١١: ٤: «صنع ذكراً لعجائبه. حنَّان ورحيم هو الرب.

٦: أخبر شعبه بقوة أعماله، ليعطيهم ميراث الأُمم».

وجمعها كلها بدقة هائلة (المزمور ١٠٦) بتدقيق وتوضيح.

وفي معظم الأحيان تأتي على هيئة عبارات مختصرة لها دلالة مثل: "أعماله العظيمة"، "عجائبه"، "أعمال بره"، "خلاصه". أو باصطلاحات مألوفة مثل: "رحمته وأمانته" وغيرها كما جاءت هنا في هذه المزامير:

مز ٢٥: ١٠: «كل سبل الرب رحمة وحق لحافظي عهده وشهاداته».

مز ٢٦: ٣: «لأن رحمتك أمام عينيَّ وقد سلكت بحقك».

مز ٣٠: ٩: «ما الفائدة من دمي إذا نزلت إلى الحفرة؟ هل يحمدك التراب؟ هل يُخبر بحقك؟»

مز ٣٦: ٥: «يا رب في السموات رحمتك أمانتك إلى الغمام».

مز ٤٠: ١٠: «لم أكتم عدلك في وسط قلبي. تكلَّمت بأمانتك وخلاصك. لم أخفِ رحمتك وحقك عن الجماعة العظيمة.

١١: أمَّا أنت يا رب فلا تمنع رأفتك عني. تنصرني رحمتك وحقك دائماً».

مز ٥٧: ٣: «يُرسل من السماء ويخلصني. عيَّر الذي يتهممني. سلاه.

١٠: لأن رحمتك قد عظمت إلى السموات وإلى الغمام حقك».

مز ٦١: ٧: «يجلس قدَّام الله إلى الدهر. اجعل رحمة وحقًّا يحفظانه».

مز ٨٥: ١٠: «الرحمة والحق التقيا. البر والسلام تلاثما».

مز ٨٦: ١٣: «لأن رحمتك عظيمة نحوي، وقد نجَّيت نفسي من الهاوية السفلى.

١٥: أمَّا أنت يا رب فإله رحيم ورؤوف، طويل الروح وكثير الرحمة والحق».

مز ٨٨: ١١: «هل يحدَّث في القبر برحمتك أو بحقك في الهلاك؟»

مز ٨٩: ١٤: «العدل والحق قاعدة كرسيك. الرحمة والأمانة تتقدَّمان أمام وجهك.

٤٩: أين مراحمك الأول يا رب، التي حلفت بها لداود بأمانتك».

مز ٩٢: ١: «حسن هو الحمد للرب والترنُّم لاسمك أيها العلي.

٢: أن يخبر برحمتك في الغداة وأمانتك كل ليلة».

مز ١٣٨: ٢: «أسجد في هيكل قدسك، وأحمد اسمك على رحمتك وحقك، لأنك قد عظمت كلمتك على كل اسمك».

وهذا طبعاً له صلة واضحة مع التعبير الأساسي الذي جاء في سفر الخروج عند الظهور الإلهي:

+ «فنزل الرب في السحاب فوقف عنده هناك ونادى باسم الرب. فاجتاز الرب قدَّامه ونادى الرب الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء. حافظ الإحسان إلى ألوف، غافر الإثم والمعصية والخطية. ولكنه لا يبرئ إبراءً.» (خر ٣٤: ٥-٧)

بهذا الطابع النموذجي الرسمي الذي وضعه سفر الخروج على الطبيعة الإلهية خرج المزمور (١٠٦) وغيره:

مز ١٠٦: ١: «هللويا. احمدوا الرب لأنه صالح، لأن إلى الأبد رحمته».

مز ١٠٧: ١: «احمدوا الرب لأنه صالح، لأن إلى الأبد رحمته».

مز ١١٨: ١: «احمدوا الرب لأنه صالح، لأن إلى الأبد رحمته».

مز ١٣٦: ١: «احمدوا الرب لأنه صالح، لأن إلى الأبد رحمته».

ثمَّ على هذه الوتيرة يسير المزمور كله:

مز ١٣٦:٢٦: «احمدوا إله السموات لأن إلى الأبد رحمته».

وهكذا يعود بنا المزمور إلى كل ما حدث منذ القديم لشعب الله، وهي استعلانات لأعمال خلاصية بواسطة يهوه التي حدثت في التاريخ وتسجَّلت في الطقس. كما يضيف إليها ما ذُكر من أعمال إضافية فردية مثل: «سأذكر كل الأعمال التي عملتها معي».

مز ٩: ١: «أحمد الرب بكل قلبي. أُحدِّث بجميع عجائبك.

١٤: لكي أُحدِّث بكل تسابيحك في أبواب ابنة صهيون مبتهجاً بخلاصك».

مز ٢٦: ٧: «لأسمِّع بصوت الحمد، وأُحدِّث بجميع عجائبك».

مز ٤٠: ٥: «كثيراً ما جعلت أنت أيها الرب إلهي عجائبك وأفكارك من جهتنا».

مز ٧٣: ٢٨: «أمَّا أنا فالاقتراب إلى الله حسن لي. جعلت بالسيد الرب ملجإي لأخبر بكل صنائعك».

مز ٧٧: ١١: «أذكر أعمال الرب. إذ أتذكر عجائبك منذ القدم.

١٢: وألهج بجميع أفعالك، وبصنائعك أناجي».

مز ١٠٦: ٢: «مَنْ يتكلَّم بجبروت الرب؟ مَنْ يُخبر بكل تسابيحه؟».

وقد تسجَّلت أعمال يهوه الخلاصية للجماعة وقدَّم عنها الشعب معاً شكره وتسبيحه في الطقس ومن خلال الجماعة يقدِّم الأفراد أيضاً ما يشعرون به من فضل الله عليهم، وهذا يصير سبب تمجيد مقدَّم بواسطة الجماعة كلها أيضاً.

مز ١٠٦: ٤: «اذكرني يا رب برضا شعبك. تعهَّدني بخلاصك.

٥: لأرى خير مختاريك. لأفرح بفرح أُمَّتك. لأفتخر مع ميراثك».

وهكذا يحتوي المزمور شهادة الأفراد لتصبح جزءاً من تسبيح وشهادة الجماعة في الطقس العام.

مز ٦٩: ٣٢: «يرى ذلك الودعاء فيفرحون، وتحيا قلوبكم يا طالبي الله.

٣٣: لأن الرب سامع للمساكين. ولا يحتقر أسراه.

٣٥: لأن الله يخلِّص صهيون ويبني مدن يهوذا، فيسكنون هناك ويرثونها».

مز ١٠٧: ٨: «فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم.

١٥: فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم.

٢١: فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم.

٣١: فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم».

لهذا فإن ذكر الأعمال الخلاصية التي قام بها يهوه، والتي لا تتصل مباشرة بالأفراد، في مزامير التضرُّع ومزامير الشكر، إنما يرجع إلى استخدام هذه المزامير في طقس التعييد ذي الطابع الخلاصي.

وفي مزامير التضرع كثيراً ما نجد إلحاحاً على يهوه لكي يحكم ويقضي وبالأكثر من جهة الأعداء، ويمكن إرجاع ذلك إلى نفس السبب المذكور في الموضوع السالف، أي إلى استخدام هذه المزامير في الأعياد ذات الطابع الخلاصي. فالتوسُّل المتعدد والعنيف أحياناً يصدر من العابد على أساس أن الله جالس فعلاً على كرسيه ليُصدر أحكاماً.

وهكذا وعلى أساس ذلك يتضح أن الظهور الإلهي وعمل القضاء ليهوه هما أساس طقس مزامير التضرُّع، هكذا:

مز ٧: ٦: «قم يا رب بغضبك. ارتفع على سخط مضايقيَّ وانتبه لي. بالحق أوصيت.
٨: الرب يدين الشعوب. اقضِ لي يا رب كحقّي ومثل كمالي الذي فيَّ».

مز ٩: ٤: «لأنك أقمت حقّي ودعواي. جلست على الكرسي قاضياً عادلاً».

مز ١٠: ١٢: «قم يا رب. يا الله ارفع يدك. لا تنس المسكين.
١٤: قد رأيتَ. لأنك تبصر المشقة والغم لتجازي بيدك. إليك يُسلّم المسكين أمره أنت صرت معين اليتيم».

مز ١٧: ٢: «من قدامك يخرج قضائي عيناك تنظران المستقيمات».

مز ٣٥: ٢٣: «استيقظ وانتبه إلى حكمي، يا إلهي وسيدي إلى دعواي.
٢٤: اقض لي حسب عدلك يا رب إلهي. فلا يشمتوا بى».

مز ٣٦: ٦: «عدلك مثل جبال الله، وأحكامك لجة عظيمة»

مز ٥٤: ١: «اللهم باسمك خلّصني. وبقوتك احكم لي».

مز ٥٧: ٥: «ارتفع اللهم على السموات. ليرتفع على كل الأرض مجدك.
١١: ارتفع اللهم على السموات. ليرتفع على كل الأرض مجدك».

مز ٥٩: ٥: «وأنت يا رب إله الجنود، إله إسرائيل. انتبه لتطالب كل الأُمم. كل غادر أثيم لا ترحم. سلاه».

مز ٨٢: ٨: «قم يا الله دن الأرض. لأنك أنت تمتلك كل الأمم».

مز ٩٤: ٢: «ارتفع يا ديَّان الأرض جازِ صنيع المستكبرين».

وفي الخدمة الإلهية يتم «حكم الله» من جهة الشدة والضيق إذ يُصدر الله أمراً بالبلية أو بالخلاص من جهة العابد أو بالنكبة للأعداء.

وبر الله يُستعلن بحضوره وبأعماله الخلاصية السابقة التي على أساسها تُقام الطقوس التقليدية وتتحوَّل إلى حقيقة واقعة. وحقيقة أعمال يهوه هي هي معتبرة برّه أو صدقه الذي يحققه لمصلحة شعب الله، ويُعبَّر عن ذلك في اللغة العبرية بتعبير «صداقوت يهوه» الذي يُترجم «حقوق الرب» كما في الآيات التالية:

+ «من صوت المُحَاصِّين(٣) بين الأحواض هناك يُثنون على **حق الرب** (صداقوت يهوه). حق حكّامه في إسرائيل. حينئذ نزل شعب الرب إلى الأبواب.» (قض ٥:١١).

+ «فالآن امثلوا فأحاكمكم أمام الرب **بجميع حقوق الرب** التي صنعها معكم ومع آبائكم.» (١صم ١٢:٧)

مز ١٠٣: ٦: «الرب مجري **العدل والقضاء** لجميع المظلومين».

ولذلك فإن "بر الله وعدله وحقوقه" معاني مرادفة لأعماله الخلاصية.

مز ٣٥: ٢٨: «ولساني يلهج **بعدلك**. اليوم كله بحمدك».

مز ٣٦: ١٠: «أدم رحمتك للذين يعرفونك **وعدلك** للمستقيمي القلوب».

مز ٤٠: ١٠: «لم أكتم **عدلك** في وسط قلبي. تكلّمت **بأمانتك وخلاصك**. لم أخف رحمتك **وحقك** عن الجماعة العظيمة».

مز ٤٨: ١٠: «نظير اسمك يا الله تسبيحك إلى أقصى الأرض. يمينك ملآنة **برًّا**.
١١: يفرح جبل صهيون، تبتهج بنات يهوذا من أجل **أحكامك**».

مز ٦٥: ٥: «بمخاوف في **العدل** تستجيبنا يا إله خلاصنا، يا متكل جميع أقاصي الأرض والبحر البعيدة».

مز ٧١: ١٥: «فمي يُحدِّث **بعدلك**، اليوم كله **بخلاصك**، لأني لا أعرف لها أعداداً».

وارتباط "قضاء الرب" بتذكار العهد في التقليد الطقسي رسمياً وفي أعياده يجعلنا في نفس الوقت نفهم لماذا في مزامير التضرُّع يكون الاشتراك في الطقس للعبادة العامة مرغوباً فيه باعتباره اشتراكاً في الخلاص:

مز ٥: ٧: «أمَّا أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك. أسجد في هيكل قدسك بخوفك.
٨: يا رب اهدني إلى برك بسبب أعدائي سهل قدامي طريقك».

مز ١٧: ١٥: «أمَّا أنا فبالبر أنظر وجهك. أشبع إذا استيقظت بشبهك».

مز ٢٧: ٤: «واحدة سألت من الرب وإيَّاها ألتمس: أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي،

(٣) كلمة (المُحاصِّين) وردت في ترجمات أخرى بمعنى: المطربين أو المنشدين أو المرنمين.

لكي أنظر إلى جمال الرب، وأتفرّس في هيكله.

٥: لأنه يخبئني في مظلته في يوم الشر يسترني بستر خيمته. على صخرة يرفعني.

١٣: لولا أنني آمنت بأن أرى جود الرب في أرض الأحياء».

مز ٤١: ١٢: «أما أنا فبكمالي دعمتني، أقمتني قدامك إلى الأبد».

مز ٥٢: ٨: «أمَّا أنا فمثل زيتونة خضراء في بيت الله. توكلت على رحمة الله إلى الدهر والأبد».

مز ٥٥: ١٣: «بل أنت إنسان عديلي. إلفي وصديقي.

١٤: الذي معه كانت تحلو لنا العشرة. إلى بيت الله كنا نذهب في الجمهور».

مز ٦١: ٤: «لأسكنن في مسكنك إلى الدهور. أحتمي بستر جناحيك ...

٧: يجلس قدام الله إلى الدهر. اجعل رحمة وحقًّا يحفظانه».

مز ٦٥: ٤: «طوبى للذي تختاره وتقربه ليسكن في ديارك. لنشبعن من خير بيتك قدس هيكلك».

مز ٦٨: ٣: «والصديقون يفرحون يبتهجون أمام الله ويطفرون (يرقصون) فرحاً».

مز ٧٣: ٢٣: «ولكني دائماً معك. أمسكتَ بيدي اليمنى».

مز ٨٤: ٤: «طوبى للساكنين في بيتك، أبداً يسبّحونك. سلاه.

٥: طوبى لأناس عزهم بك. طرق بيتك في قلوبهم».

مز ١٠٢: ٢٨: «أبناء عبيدك يسكنون، وذريتهم تثبت أمامك».

فإذا ابتعدوا أو أُبعدوا عن وجه الله كانت هي المصيبة الكبرى:

مز ٥١: ١١: «لا تطرحني من قدام وجهك، وروحك القدوس لا تنزعه مني».

مز ٣١: ٢٢: «وأنا قلت في حيرتي. إني قد انقطعت من قدام عينيك».

فيكون هذا معناه أنه قد صار لي نصيب الأشرار الذي يرادف الخراب والهلاك.

مز ٥: ٤: «لأنك أنت لست إلهاً يُسرُّ بالشر، لا يساكنك الشرير.

٥: لا يقف المفتخرون قدام عينيك. أبغضت كل فاعلى الإثم.

٦: تهلك المتكلّمين بالكذب. رجل الدماء والغش يكرهه الرب.

٧: أمَّا أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك. أسجد في هيكل قدسك بخوفك ...

١٠: دنهم يا الله. ليسقطوا من مؤامراتهم. بكثرة ذنوبهم طوِّح بهم لأنهم تمرَّدوا عليك».

مز ٥٢: ٥: «أيضاً يهدمك الله إلى الأبد. يخطفك ويقلعك من مسكنك، ويستأصلك من أرض

الأحياء. سلاه».

مز ٥٥: ٢٣: «وأنت يا الله تحدرهم إلى جب الهلاك. رجال الدماء والغش لا ينصفون أيامهم أما أنا فأتكل عليك».

مز ٦٣: ٩: «أمَّا الذين هم للتهلكة يطلبون نفسي، فيدخلون في أسافل الأرض.

١٠: يُدفعون إلى يدي السيف. يكونون نصيباً لبنات آوى».

مز ٦٤: ٧: «فيرميهم الله بسهم. بغتة كانت ضربتهم».

مز ٦٨: ٢: «كما يذرى الدخان تذريهم. كما يذوب الشمع قدّام النار يبيد الأشرار قدّام الله».

مز ٦٩: ٢٨: «ليمحوا من سفر الأحياء. ومع الصديقين لا يُكتبوا».

مز ٧٣: ١٧: «حتى دخلت مقادس الله، وانتبهت إلى آخرتهم.

١٨: حقًّا في مزالق جعلتهم. أسقطتهم إلى البوار.

١٩: كيف صاروا للخراب بغتة. اضمحلوا. فنوا من الدواهي».

مز ٨٠: ١٦: «هي محروقة بنار، مقطوعة. من انتهار وجهك يبيدون».

مز ١٢٥: ٥: «أمَّا العادلون إلى طرق معوجة فيذهبهم الرب مع فعلة الإثم. سلام على إسرائيل».

مز ١٢٩: ٥: «فليخز وليرتد إلى الوراء كل مبغضي صهيون.

٦: ليكونوا كعشب السطوح الذي ييبس قبل أن يُقلع.

٧: الذي لا يملأ الحاصد كفه منه. ولا المحزم حضنه».

مز ١٤٠: ٩: «أمَّا رؤوس المحيطين بي فشقاء شفاههم يغطيهم.

١٠: ليسقط عليهم جمر. ليسقطوا في النار وفي غمرات فلا يقوموا».

مز ١٤٤: ٥: «يا رب طأطئ سماواتك وانزل. المس الجبال فتدخن.

٦: أبرق بروقاً وبدِّدهم. أرسل سهامك وأزعجهم.

٧: أرسل يدك من العلاء. أنقذني ونجِّني من المياه الكثيرة، من أيدي الغرباء».

والدخول إلى مجال الخلاص الفعلي الذي يتحقّق في طقس العيد مربوط هو بطاعة إرادة يهوه التي هي واجب تعهدي كما يقول مزمور (٢٤):

مز ٢٤: ٦: «هذا هو الجيل الطالبه، الملتمسون وجهك يا يعقوب. سلاه».

هنا تأتي التوراة لكي تنظِّم الدخول إلى الطقس ودفاع العابد عن صدقه وكماله واستقامته ونزاهته واتكاله الكلي على الرب في مزامير التضرُّع:

مز ١٥: ١: «يا رب من ينزل في مسكنك، من يسكن في جبل قدسك؟
٢: السالك بالكمال، والعامل الحق، المتكلم بالصدق في قلبه.
٣: الذي لا يشي بلسانه، ولا يصنع شرًّا بصاحبه، ولا يحمل تعييراً على قريبه».
مز ٧: ٣: «يا رب إلهي، إن كنتُ قد فعلتُ هذا. إن وُجدَ ظلم في يدي.
٤: إن كافأت مسالمي شرًّا، وسلبت مضايقي بلا سبب.
٥: فليطارد عدو نفسي وليدركها، وليدس إلى الأرض حياتي، وليحط إلى التراب مجدي. سلاه».
مز ١٣: ٥: «أما أنا فعلى رحمتك توكلت، يبتهج قلبي بخلاصك.
٦: أغنّي للرب لأنه أحسن إليَّ».
مز ١٦: ١: «احفظني يا الله لأني عليك توكلت.
٢: قلت للرب: أنت سيدي. خيري لا شيء غيرك.
٣: القديسون الذين في الأرض والأفاضل كل مسرَّتي بهم».
مز ١٧: ١: «اسمع يا رب للحق. أنصت إلى صراخي. أصغ إلى صلاتي من شفتين بلا غش.
٣: جرَّبت قلبي تعهَّدته ليلاً. محصَّتني. لا تجد فيَّ ذموماً لا يتعدَّى فمي.
٥: تمسَّكت خطواتي بآثارك فما زلت قدماي».
مز ١٨: ٢٠: «يكافئني الرب حسب برِّي. حسب طهارة يديّ يردُّ لي».
مز ٢٢: ١٠: «عليك أُلقيت من الرحم. من بطن أمي أنت إلهي».
مز ٢٥: ٢: «يا إلهي عليك توكلت. فلا تدعني أخزى. لا تشمت بي أعدائي.
٣: أيضاً كل منتظريك لا يخزون. ليخز الغادرون بلا سبب ...
١٥: عيناي دائماً إلى الرب لأنه هو يُخرج رجلي من الشبكة ...
٢٠: احفظ نفسي وأنقذني. لا أُخزى لأني عليك توكلت».
مز ٢٦: ١: «اقض لي يا رب لأني بكمالي سلكت وعلى الرب توكَّلت بلا تقلقل.
٣: لأن رحمتك أمام عيني. وقد سلكت بحقك.
٤: لم أجلس مع أُناس السوء ومع الماكرين لا أدخل.
٥: أبغضت جماعة الأثمة ومع الأشرار لا أجلس».
مز ٣١: ٦: «أبغضت الذين يراعون أباطيل كاذبة. أمَّا أنا فعلى الرب توكَّلت.
١٤: أمَّا أنا فعليك توكلت يا رب. قلت: "إلهي أنت"».

مز ٤٠: ٨: «أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررت. وشريعتك في وسط أحشائي.
٩: بشَّرت ببر في جماعة عظيمة. هوذا شفتاي لم أمنعهما. أنت يا رب علمت.
١٠: لم أكتم عدلك في وسط قلبي».
مز ٤١: ١٢: «أمَّا أنا فبكمالي دَعَمتني، وأقمتني قدَّامك إلى الأبد».
مز ٤٤: ٤: «أنت هو ملكي يا الله ...
٨: بالله نفتخر اليوم كله، واسمك نحمد إلى الدهر. سلاه.
١٧: هذا كله جاء علينا، وما نسيناك ولا خنَّا في عهدك».
مز ٥٥: ٢٣: «وأنت يا الله تحدرهم إلى جُبِّ الهلاك. رجال الدماء والغش لا ينصفون أيامهم. أمَّا أنا فأتكل عليك».
مز ٥٦: ٤: «الله أفتخر بكلامه. على الله توكلت فلا أخاف ماذا يصنعه بي البشر؟
١١: على الله توكلت فلا أخاف ماذا يصنعه بي الإنسان».
مز ٥٩: ٣: «لأنهم يكمنون لنفسي، الأقوياء يجتمعون عليَّ، لا لإثمي ولا لخطيتي يا رب.
٤: بلا إثم مني يجرون ويعدّون أنفسهم. استيقظ إلى لقائي وانظر».
مز ٦٦: ١٨: «إن راعيتُ إثماً في قلبي لا يستمع لي الرب».
مز ٦٩: ٩: «لأن غيرة بيتك أكلتني وتعييرات معيريك وقعت عليَّ».
مز ٧١: ٦: «عليك استندت من البطن، وأنت مُخرجي من أحشاء أمي. بك تسبيحي دائماً».
مز ٨٦: ٥: «لأنك أنت يا رب صالح وغفور، وكثير الرحمة لكل الداعين إليك.
٨: لا مِثْلَ لك بين الآلهة يا رب، ولا مثل أعمالك.
٩: كل الأُمم الذين صنعتهم يأتون ويسجدون أمامك يا رب ويمجدون اسمك».
مز ١٤٠: ٦: «قلت للرب: أنت إلهي. أصغ يا رب إلى صوت تضرعاتي».
مز ١٤٢: ٥: «صرخت إليك يا رب. قلت: أنتَ ملجإي نصيبي في أرض الأحياء».

وهكذا نجد التوراة تنظم الدخول الحسن للطقس فتُسبق الليتورجيا الخاصة بالظهور الإلهي بمثل هذه الأقوال:

مز ٢٤: ٣: «من يصعد إلى جبل الرب، ومن يقوم في موضع قدسه.
٤: الطاهر اليدين، والنقي القلب، الذي لم يحمل نفسه إلى الباطل ولا حلف كذباً».

وحكم الله بالاستجابة أو الرفض يسبقه اختبار الإنسان بواسطة الله، ونجد هذا الاختبار معبّراً

عنه في المزامير التالية:

مز ٧: ٩: «لينته شر الأشرار وثبّت الصديق، فإن فاحص القلوب والكلى الله البار.

١٠: ترسي عند الله. مخلّص مستقيمي القلوب».

مز ٩: ١٦: «معروف هو الرب. قضاءً أمضى. الشرير يَعْلَق بعمل يديه».

مز ١١: ٤: «الرب في هيكل قدسه. الرب في السماء كرسيه. عيناه تنظران. أجفانه تمتحن بني آدم».

مز ١٤: ٢: «الرب من السماء أشرف على بني البشر لينظر: هل من فاهم طالب الله».

مز ٢٦: ٢: «جرّبني يا رب وامتحني. صفّ كُليتيَّ وقلبي.

٣: لأن رحمتك أمام عيني. وقد سلكت بحقك».

مز ٣٣: ١٥: «المصوّر قلوبهم جميعاً، المنتبه إلى كل أعمالهم.

١٦: لن يخلص الملك بكثرة الجيش. الجبار لا يُنقذ بعظم القوة».

مز ٣٥: ١٣: «أمّا أنا ففي مرضهم كان لباسي مسحاً، أذللت بالصوم نفسي وصلاتي إلى حضني ترجع.

١٤: كأنه قريب، كأنه أخي كنت أتمشّى. كمن ينوح على أُمه انحنيت حزيناً.

١٥: ولكنهم في ظلعي فرحوا واجتمعوا. اجتمعوا عليَّ شاتمين و لم أعلم. مزّقوا و لم يكفوا».

مز ٥٠: ١٦: «وللشرير قال الله: مالك تُحدِّث بفرائضي وتحمل عهدي على فمك.

١٧: وأنت قد أبغضت التأديب. وألقيت كلامي خلفك».

مز ٦٦: ١٠: «لأنك جربتنا يا الله. محّصتنا كمحص الفضة».

+ «لا تخافوا لأن الله إنما جاء لكي يمتحنكم ولكي تكون مخافته أمام وجوهكم حتى لا تخطئوا.» (خر ٢٠:٢٠).

والاعتراف بالخطايا واضح وكثير كلما حث ضمير العابد أن يخبر بأنه لن يكون قادراً أن يقف امام اختبار الله. وفي معظم الأحوال تكون علامة على حساسية العابد. فأحياناً تسود على كل التضرُّع وفي هذه الحالة يكون مزمور التضرُّع مركّزاً على رحمة الرب وغفرانه للإثم والمعصية والخطية، كما يقول سفر الخروج:

+ «فنزل الرب في السحاب ووقف عنده هناك ونادى باسم الرب. فاجتاز الرب قدامه ونادى: الرب الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء، حافظ الإحسان إلى ألوف، **غافر الإثم والمعصية والخطية** ولكنه لايبرئ إبراءً.» (خر ٣٤: ٥-٧)

ففي مزامير التضرُّع الفردية نجد الاعتراف بالخطية واضحاً في المزامير التالية:

مز ٢٥: ٧: «لا تذكر خطايا صباي ولا معاصيَّ. كرحمتك اذكرني. أنت من أجل جودك يا رب».

مز ٤١: ٤: «أنا قلت يا رب ارحمني. اشف نفسي لأني قد أخطأت إليك».

مز ٦٩: ٥: «يا الله أنت عرفت حماقتي، وذنوبي عنك لم تخف».

مز ١٤٣: ٢: «لا تدخل في المحاكمة مع عبدك. فإنه لن يتبرر قدامك حيٌّ».

ومزمور الانسحاق في العهد القديم معروف وهو لموسى النبي:

مز ٩٠: ٧: «لأننا قد فنينا بسخطك وبغضبك ارتعبنا.

٨: قد جعلت آثامنا أمامك، خفياتنا في ضوء وجهك.

٩: لأن كل أيامنا قد انقضت برجزك. أفنينا سنينا كقصة.

١٠: أيام سنينا هي سبعون سنة، وإن كانت مع القوة فثمانون سنة. وأفخرها تعب وبلية، لأنها تُقرض سريعاً فنطير».

ومزامير التوبة في الكنيسة الأُولى هي سبعة مزامير مسلّمة من جيل إلى جيل:

مز ٦: ١: «يا رب، لا توبخني بغضبك، ولا تؤدبني بغيظك.

٢: ارحمني يا رب لأني ضعيف. اشفني يا رب لأن عظامي قد رجفت».

مز ٣٢: ١: «طوبى للذي غُفر إثمه وسُترت خطيته ...

٣: لما سكتُّ بليت عظامي من زفيري اليوم كله ...

٥: أعترف لك بخطيتي ولا أكتم إثمي، قلت أعترف للرب بذنبي وأنت رفعت آثام خطيتي. سلاه».

مز ٣٨: ١: «يا رب، لا توبخني بسخطك، ولا تؤدبني بغيظك.

٢: لأن سهامك قد انتشبت فيَّ، ونزلت عليَّ يدك».

مز ٥١: ١: «ارحمني يا الله حسب رحمتك. حسب كثرة رأفتك امح معاصيَّ.

٢: اغسلني كثيراً من إثمي، ومن خطيتي طهّرني».

مز ١٠٢: ١: «يا رب استمع صلاتي، وليدخل إليك صراخي ...

٩: إني قد أكلت الرماد مثل الخبز ومزجت شرابي بدموع.

١٠: بسبب غضبك وسخطك لأنك حملتني وطرحتني».

مز ١٣٠: ١: «من الأعماق صرخت إليك يا رب.

٣: إن كنت تراقب الآثام يا رب يا سيد فمن يقف.

٤: لأن عندك المغفرة ...».

مز ١٤٣: ١: «يا رب، اسمع صلاتي، وأصغ إلى تضرعاتي. بأمانتك استجب لي بعدلك.

٢: ولا تدخل في المحاكمة مع عبدك، فإنه لن يتبرَّر قدَّامك حيٌّ».

وقد عُرف أكيداً أن الاعتراف بالخطايا كان جزءًا من طقس الأعياد وقد جاء ذكره في مزمور (٦٥):

مز ٦٥: ٢: «يا سامع الصلاة إليك يأتي كل بشر.

٣: آثامٌ قد قويت عليَّ. معاصينا أنت تكفِّر عنها».

والعجيب أن هذا مذكور في مزمور ٦٥ الذي هو أصلاً مزمور للتعييد والتسبيح! وفي العبادة العامة! وهذا الاعتراف يجب أن يُقارن بالاعتراف الشامل بأخطاء الأجيال السالفة كما جاء في مزمور ٧٨، ٧٩:٨ إلخ.

مز ٧٨: ٨: «لا يكونون مثل آبائهم جيلاً زائغاً ومارداً ...

١٠: لم يحفظوا عهد الله وأبوا السلوك في شريعته.

٣٢: في هذا كله أخطأوا بعد ولم يؤمنوا بعجائبه ...

٣٦: فخادعوه بأفواههم وكذبوا عليه بألسنتهم ...

٣٨: أمَّا هو فرؤوف يغفر الإثم».

مز ٧٩: ٨: «لا تذكر علينا ذنوب الأولين. لتتقدمنا مراحمك سريعاً، لأننا قد تذللنا جدًّا.

٩: أعنا يا إله خلاصنا من أجل مجد اسمك، ونجنا واغفر خطايانا من أجل اسمك».

وهذه المعاني مرادفة لما جاء في أسفار عزرا ونحميا ودانيال:

+ «وقلت. اللهم إني أخجل وأخزى أن أرفع يا إلهي وجهي نحوك لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤوسنا، وآثامنا تعاظمت إلى السماء. منذ أيام آبائنا نحن في إثم عظيم إلى هذا اليوم. ولأجل ذنوبنا قد دُفعنا نحن وملوكنا وكهنتنا ليد ملوك الأراضي للسيف والسبي والنهب وخزي الوجوه كهذا اليوم.» (عز ٩: ٦و٧).

+ «والآن يا إلهنا الإله العظيم الجبار المخوف حافظ العهد والرحمة، لا تصغر لديك كل المشقات التي أصابتنا نحن وملوكنا ورؤساءنا وكهنتنا وأنبياءنا وآباءنا وكل شعبك ... وأنت بار في كل ما أتى علينا لأنك عملت بالحق ونحن أذنبنا.» (نح ٩: ٣٢و٣٣).

+ «وصليت إلى الرب إلهي واعترفت وقلت أيها الرب الإله العظيم المهوب حافظ العهد والرحمة لمحبيه وحافظي وصاياه. أخطأنا وأثمنا وعملنا الشر وتمرَّدنا وحِدنا عن وصاياك وعن أحكامك.» (دا ٩: ٤و٥).

وهذا الأسلوب في فهم التاريخ كقضاء صار شائعاً في طقوس التعييد للعهد كما يظهر من مزمور التضرُّع الجماعي التالي:

مز ٨٣: ١: «اللهم، لا تصمت. لا تسكت ولا تهدأ يا الله.

٢: فهوذا أعداؤك يعجّون، ومبغضوك قد رفعوا الرأس.

٣: على شعبك مكروا مؤامرة، وتشاوروا على أحميائك.

٤: قالوا: هلم نبدهم من بين الشعوب، ولا يُذكر اسم إسرائيل بعد.

٥: لأنهم تآمروا بالقلب معاً. عليك تعاهدوا عهداً.

٦: خيام أدوم والإسماعيليين، موآب والهاجريون.

٧: جبال وعمون وعماليق، فلسطين مع سكان صور.

٨: أشور أيضاً اتفق معهم. صاروا ذراعاً لبني لوط. سلاه».

مز ٦٨: ٣٠: «انتهر وحش القصب، صوار الثيران مع عجول الشعوب المترامين بقطع فضة. شتت الشعوب الذين يُسرُّون بالقتال».

مز ٧٦: ٣: «هناك سحق القسي البارقة. المجن والسيف والقتال. سلاه».

مز ٩٥: ٦: «هلم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا.

٧: لأنه هو إلهنا، ونحن شعب مرعاه وغنم يده. اليوم إن سمعتم صوته.

٨: فلا تقسوا قلوبكم، كما في مريبة، مثل يوم مسَّة. في البرية.

٩: حيث جربني آباؤكم. اختبروني. أبصروا أيضاً فعلي.

١٠: أربعين سنة مقتّ هذا الجيل، وقلت: هم شعب ضال قلبهم وهم لم يعرفوا سبلي».

ونجد أفكاراً متواردة مع هذا الفكر وموازية له قد تمت عند الأنبياء وفي أدبياتهم:

+ «وأنا أيضاً أعطيتكم نظافة الأسنان في جميع مدنكم وعوز الخبز في جميع أماكنكم فلم ترجعوا إليَّ يقول الرب. وأنا أيضاً منعت عنكم المطر إذ بقي ثلاثة أشهر للحصاد وأمطرت على مدينة واحدة وعلى مدينة أخرى لم أُمطر. أمطر على ضيعة واحدة والضيعة التي لم يُمطر عليها جفّت. فجالت مدينتان أو ثلاث إلى مدينة واحدة لتشرب ماء ولم تشبع. فلم ترجعوا

إليَّ يقول الرب.» (عا ٤: ٦–٨)

+ «فإنك رفضت شعبك بيت يعقوب لأنهم امتلأوا من المشرق وهم عائفون كالفلسطينيين ويصافحون أولاد الأجانب. وامتلأت أرضهم فضة وذهباً ولا نهاية لكنوزهم، وامتلأت أرضهم خيلاً ولا نهاية لمركباتهم. وامتلأت أرضهم أوثاناً. يسجدون لعمل أيديهم لما صنعته أصابعهم، وينخفض الإنسان وينطرح الرجل فلا تغفر لهم.» (إش ٢: ٦–٩)

+ «لأنشدن عن حبيبي نشيد محبي لكرمه. كان لحبيبي كرم على أكمة خصبة. فنقبه ونقّى حجارته وغرسه كرم سورق وبنى برجاً في وسطه ونقر فيه أيضاً معصرة. فانتظر أن يصنع عنباً فصنع عنباً رديئاً ...

فالآن أعرِّفكم ماذا أصنع بكرمي. أنزع سياجه فيصير للرعي. أهدم جدرانه فيصير للدوس. وأجعله خراباً لا يُقضب ولا يُنقب. فيطلع شوك وحسك وأوصي الغيم أن لا يمطر عليه مطراً.» (إش ٥: ١–٦)

+ «وقد أكل الخزي تعب آبائنا منذ صبانا، غنمهم وبقرهم بنيهم وبناتهم. نضطجع في خزينا ويغطينا خجلنا لأننا إلى الرب إلهنا أخطأنا نحن وآباؤنا منذ صبانا إلى هذا اليوم. ولم نسمع لصوت الرب إلهنا.» (إر ٣: ٢٤و٢٥).

+ «قد عرفنا يا رب شرنا، إثم آبائنا لأننا قد أخطأنا إليك.» (إر ١٤: ٢٠).

+ «سمعاً سمعتُ أفرايم يتنحب. أدّبتني فتأدَّبت كعجل غير مَرُوضٍ. توِّبني فأتوب لأنك أنت الرب إلهي. لأني بعد رجوعي ندمت وبعد تعلّمي صفقت على فخذي. خزيت وخجلت لأني قد حملت عار صباي.» (إر ٣١: ١٨و١٩).

وهذا يتفق مع وجهتي نظر العهد القديم فيما يخص قضاء الله: الأُولى أن الله يقضي لأتقيائه فيما يخصهم بقدر اشتراكهم في أعمال الطقس الخلاصية. والثانية أنه يُظهر قضاءه كمصيبة أو كحرمان من الخلاص للأشرار من أعضاء شعبه المعتبرين أعداء يهوه سواءً بسواء مع الغرباء أعداء شعبه، وهذا يتفق مع الفكر العام للعهد القديم:

مز ٤٤: ١: «اللهم، بآذاننا قد سمعنا. آباؤنا أخبرونا بعمل عملته في أيامهم، في أيام القدم.
٢: أنت بيدك استأصلت الأُمم وغرستهم. حطّمت شعوباً ومددتهم.

٣: لأنه ليس بسيفهم امتلكوا الأرض، ولا ذراعهم خلّصتهم، لكن يمينك وذراعك ونور وجهك لأنك رضيت عنهم».

كذلك أيضاً من جهة الأفراد مثل مزمور (٩):

مز ٩: ١: «أحمد الرب بكل قلبي. أُحدِّث بجميع عجائبك.
٤: لأنك أقمت حقي ودعواي. جلست على الكرسي قاضياً عادلاً ...
٧: أمّا الرب فإلى الدهر يجلس. ثبَّت للقضاء كرسيه.
٨: وهو يقضي للمسكونة بالعدل. يدين الشعوب بالاستقامة».

وهنا نلاحظ نظرة مستمدة من التفكير الطقسي: أن أعمال الخلاص التي بها ساعد يهوه شعبه في الماضي ضد أعدائهم هي مختبرة الآن كخلاص في الحاضر ذي قيمة واقعية، وموجَّهة أيضاً ضد الأعداء الذين في الوقت الحاضر يهدِّدون الشعب:

+ «هكذا يبيد جميع أعدائك يا رب. وأحباؤه كخروج الشمس في جبروتها. واستراحت الأرض أربعين سنة.» (قض ٥: ٣١).

وكنتيجة لذلك يكون التاريخ المقدس كله لشعب الله متمركزاً ومعاداً عمله في صميم حال الفرد الذي لا يُرى فقط أو يُفهم كامتداد للتاريخ المقدس الماضي، ولكن أحياناً يتشكل بنفس صورة هذا التاريخ:

مز ١١: ٦: «يمطر على الأشرار فخاخاً، ناراً وكبريتاً، وريح السموم نصيب كأسهم».
مز ٢١: ٩: «تجعلهم مثل تنور نار في زمان حضورك. الرب بسخطه يبتلعهم وتأكلهم النار».
مز ٣٤: ٧: «ملاك الرب حالّ حول خائفيه، وينجيهم».
مز ٤٨: ٣: «الله في قصورها يُعرف ملجأً.
٤: لأنه هوذا الملوك اجتمعوا. مضوا جميعاً.
٥: لمّا رأوا بهتوا، ارتاعوا فرّوا. أخذتهم الرعدة هناك ...
٦: كما سمعنا هكذا رأينا في مدينة رب الجنود، في مدينة إلهنا،
٨: الله يثبتها إلى الأبد.سلاه».
مز ٥٥: ٩: «أهلك يا رب. فرِّق ألسنتهم، لأني قد رأيت ظلماً وخصاماً في المدينة.
١٥: ليبغتهم الموت. لينحدروا إلى الهاوية أحياءً، لأن في مساكنهم، في وسطهم شروراً».

مز ٥٩: ١١: «لا تقتلهم لئلاً ينسى شعبي. تيههم بقوتك وأهبطهم يا رب ترسنا (أمر خطير وحقد مريع).

١٢: خطية أفواههم هي كلام شفاههم، وليؤخذوا بكبريائهم، ومن اللعنة ومن الكذب الذي يحدِّثون به».

مز ٦٦: ٥: «هلمَّ انظروا أعمال الله. فعله المرهب نحو بني آدم!

٦: حوَّل البحر إلى يبس، وفي النهر عبروا بالرجل. هناك فرحنا به.

٧: متسلط بقوته إلى الدهر. عيناه تراقبان الأُمم. المتمردون لا يرفعن أنفسهم. سلاه.

١٢: ركَّبت أُناساً على رؤوسنا. دخلنا في النار والجليد ولم نحترق وأخرجتنا إلى السعة». (ترجمة قبطية).

مز ٦٨: ٣٠: «انتهر وحش القصب، صوار الثيران مع عجول الشعوب المترامين بقطع فضة. شتِّت الشعوب الذين يسرّون بالقتال».

مز ٧١: «أنت الذي أريتنا ضيقات كثيرة ورديئة، تعود فتحيينا، ومن أعماق الأرض تعود

٢٠: فتصعدنا».

مز ٧٦: ١: «الله معروف في يهوذا. اسمه عظيم في إسرائيل.

٢: كانت في ساليم مظلّته، ومسكنه في صهيون.

٨: من السماء أسمعت حكماً. الأرض فزعت وسكتت.

٩: عند قيام الله للقضاء، لتخليص كل ودعاء الأرض. سلاه».

مز ٨٣: ٩: «افعل بهم كما بمديان، كما بسيسرا، كما بيابين في وادي قيشون.

١٠: بادوا في عين دور. صاروا دمناً للأرض».

مز ١٠٧: ٣١: «فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم.

٣٢: وليرفعوه في مجمع الشعب، وليسبِّحوه في مجلس المشايخ.

٣٣: يجعل الأنهار قفاراً، ومجاري المياه معطشة

٣٤: والأرض المثمرة سبخة من شر الساكنين فيها».

مز ١٤٠: ١٠: «ليسقط عليهم جمر. ليسقطوا في النار وفي غمرات فلا يقوموا».

وواضح جدًّا أن مفهوم النطق بقضاء الله في مزامير التضرُّع يتبعه حلول هذا القضاء الذي كثيراً ما يأخذ صورة واقعية للغاية كأن يكون الطرد للأشرار مع مصائب وتخريب:

مز ٦٩: ٢٨: «ليمحوا من سفر الأحياء. ومع الصديقين لا يُكتبوا».

مز ١٢: ٣: «يقطع الرب جميع الشفاة الملقة واللسان المتكلِّم بالعظائم».

مز ٢٨: ٣: «لا تجذبني مع الأشرار، ومع فعلة الإثم المخاطبين أصحابهم بالسلام والشرّ في قلوبهم.

٤: أعطهم حسب فعلهم وحسب شر أعمالهم. حسب صنع أيديهم أعطهم».

مز ٣٤: ١٥: «عينا الرب نحو الصديقين، وأُذناه إلى صراخهم.

١٦: وجه الرب ضد عاملي الشرّ ليقطع من الأرض ذكرهم».

مز ٤٠: ١٤: «ليخز وليخجل معاً الذين يطلبون نفسي لإهلاكها. ليرتد إلى الوراء، وليخز المسرورون بأذيتي.

١٥: ليستوحش من أجل خزيهم القائلون لي: هه هه».

مز ٥٢: ٥: «أيضاً يهدمك الله إلى الأبد. يخطفك ويقلعك من مسكنك ويستأصلك من أرض الأحياء. سلاه.

٦: فيرى الصديقون ويخافون، وعليه يضحكون».

مز ٥٤: ٥: «يرجع الشر على أعدائي. بحقك أفنهم.

٦: أذبح لك منتدباً. أحمد اسمك يا رب لأنه صالح».

مز ٩٤: ١: «يا إله النقمات، يا رب، يا إله النقمات، أشرق.

٢: ارتفع يا ديَّان الأرض جاز صنيع المستكبرين».

وهناك علاقة واضحة بين قضاء يهوه وبين طقس الظهور الإلهي ليهوه. وفي مرَّات كثيرة تتم عملية حرم طقسية بمقتضى قضاء يهوه مثل:

+ «العنوا ميروز قال ملاك الرب. العنوا ساكنيها لعناً لأنهم لم يأتوا لمعونة الرب. معونة الرب بين الجبابرة.» (قض ٥:٢٣).

+ «وهؤلاء يقفون على جبال عيبال للَّعنة: رأوبين وجاد وأشير وزبولون ودان ونفتالي. فيُصَرِّح اللاويون ويقولون لجميع قوم إسرائيل بصوت عالٍ: ملعون ... ويجيب الشعب آمين (وتشمل الأعداد ١٥-٢٦).» (تث ٢٧: ١٣-٢٦)

+ «لكن إن لم تسمعوا لي ولم تعملوا كل هذه الوصايا. وإن رفضتم فرائضي وكرهت أنفسكم أحكامي فما عملتم كل وصاياي بل نكثتم ميثاقي. فإني أعمل هذه بكم ...» (لا ٢٦: ١٤-١٦)

كل هذه أخذت طريقها في طقس العهد. وتركت آثارها في المزامير المسمّاة بمزامير اللعنة: ٨٣ و١٢٩.

والمفارقة بين الأشرار والأبرار صارت على أشدها في مناقشات زمن ما بين العهدين. وأحياناً يكون المقصود من الأعداء الشخصيين هم المقاومون السياسيون للملك وأمرائه، والمقصود عموماً من الصديقين أو الأبرار هم شركاء البر الذي بالعهد، والأشرار هم بالعكس المخالفون للطقس وللعهد والغرباء عن الخلاص.

ويلاحظ في مزامير التضرُّع ظاهرة تغيير الأسلوب Change of mood وذلك في نهاية العديد من المزامير الخاصة بالتضرُّع، حيث تنقلب رنة الأسف التي للتضرع والتوسُّل لتحل محلها اصطلاحات وتعبيرات الثقة والتأكد أن الصلاة قد سُمعت مع إيمان هادئ وقوى:

مز ٦: ٨: «ابعدوا عني يا جميع فاعلي الإثم، لأن الرب قد سمع صوت بكائي.
٩: سمع الرب تضرُّعي. الرب يقبل صلاتي».
مز ٧: ١٠: «ترسي عند الله مخلّص مستقيمي القلوب.
١١: الله قاضٍ عادل، وإله يسخط في كل يوم».
مز ١٣: ٥: «أمّا أنا فعلى رحمتك توكّلت. يبتهج قلبي بخلاصك.
٦: أُغني للرب لأنه أحسن إليَّ».
مز ١٦: ١٠: «لأنك لن تترك نفسي في الهاوية. لن تدع تقيّك يرى فساداً.
١١: تعرّفني سبل الحياة. أمامك شبع سرور. في يمينك نعم إلى الأبد».
مز ٢٠: ٦: «الآن عرفت أن الرب مخلّص مسيحه، يستجيبه من سماء قدسه، بجبروت خلاص يمينه».
مز ٢٧: ٦: «والآن يرتفع رأسي على أعدائي حولي، فأذبح في خيمته ذبائح الهتاف. أغني وأرنّم للرب».
مز ٢٨: ٦: «مبارك الرب، لأنه سمع صوت تضرعي.
٧: الرب عزّي وترسي. عليه اتكل قلبي، فانتصرت. ويبتهج قلبي وبأغنيتي أحمده».
مز ٣١: ١٩: «ما أعظم جودك الذي ذخرته لخائفيك، وفعلته للمتكلين عليك تجاه بني البشر.
٢٠: تسترهم بستر وجهك من مكايد الناس. تخفيهم في مظلة من مخاصمة الألسن».
مز ٥٥: ٢٣: «وأنت يا الله تحدرهم إلى جب الهلاك. رجال الدماء والغش لا ينصفون أيامهم أمّا أنا فأتكل عليك».
مز ٥٦: ٩: «حينئذ ترتد أعدائي إلى الوراء في يوم أدعوك فيه. هذا قد علمته لأن الله لي.
١٠: الله أفتخر بكلامه. الرب أفتخر بكلامه».

مز ٦١: ٥: «لأنك أنت يا الله استمعت نذوري. أعطيت ميراث خائفي اسمك».
مز ٩٤: ٢٢: «فكان الرب لي صرحاً، وإلهي صخرة ملجإي.
٢٣: ويرد عليهم إثمهم، وبشرّهم يفنيهم. يفنيهم الرب إلهنا».
مز ١٣٠: ٧: «ليرجُ إسرائيل الرب، لأن عند الرب الرحمة. وعنده فدى كثير.
٨: وهو يفدي إسرائيل من كل آثامه».
مز ١٤٠: ١٢: «قد علمت أن الرب يُجري حكماً للمساكين وحقًّا للبائسين.
١٣: إنما الصديقون يحمدون اسمك، المستقيمون يجلسون في حضرتك».

+ «لأني أنا معك يقول الرب لأخلّصك. وإن أفنيت جميع الأُمم الذين بددتك إليهم فأنت لا أفنيك بل أُؤدبك بالحق ولا أبرئك تبرئة.» (إر ٣٠: ١١)

وتغيير أسلوب مزمور التضرُّع في هذه الأمثلة يمكن تعليله من الجهة النفسية باعتباره يرجع إلى حالة داخلية حدثت للنفس أثناء صلاتها، أو يمكن تعليله أيضاً بأنه قد نتج عن كلمة نطق بها الكاهن لتسبق وتُنبِّئْ بخلاص المصلّي - كمثل الكلمة التي تشجّعت بها حنة أُم صموئيل على فم عالي الكاهن (١صم ١: ١٧).

المعنى اللاهوتي للألم في مزامير التوسُّل والتضرُّع:

كان لابد أن يكون للألم مفهوم خاص سواء في المزامير الفردية أو الجماعية للتوسُّل والتضرُّع.

ولكن لأن الموضوع كبير للغاية لأنه سيدخل في معنى الخطية، فسنختصر البحث ليكون مجرَّد رد على ماذا كان مفهوم شعب إسرائيل أو اعتباره لمشكلة الألم؟

أمَّا الإجابة فستعتمد أساساً على المزامير نفسها وعلى تاريخ الأُمة.

فأول عامل يكوِّن مفهوم الألم عند الإسرائيلي الفرد أو الجماعة هو الخبرة الضخمة التي اختبرها الشعب ككل، بكل أفراده واحداً واحداً، من نحو الخلاص أو النجاة من الضيقة العظمى والأسر في مصر. وكذلك في عبور الشعب في سيناء وما صادفه من أهوال: من أعداء وجوع وعطش ووحوش ومرض. فالذي عمله الله مع شعب إسرائيل بأفراده هو محور الحياة واللاهوت وعلاقات الشعب والفرد بالله، وبها صار تعبُّد شعب إسرائيل أو ديانته أو علاقته بالله مرتكزة على الله، أو الله هو محورها جميعاً الذي تدور حوله وتنبعث منه. فسيادة الله ومشورته وأعماله وأوامره هي فوق كل فكر أو سؤال.

والأمر الآخر هو أن الفرد في إسرائيل لا يمثّل نفسه ولكنه يمثل إسرائيل، وبالتالي يمثل يهوه، فهو ليس حراً بالدرجة التي يستطيع أن يرى نفسه أو حاله بمعزل عن الشعب كله أو بمعزل عن تدبير الله الكلي.

لذلك نشأت أحاسيس المسؤولية بالذنب لكل فرد إن أخطأ الشعب، والعكس صحيح. وهذا وضح مبكّراً جدًّا في موضوع عخان بن كرمي الذي اشتهى شيئاً من متاع العدو الذي حرّمه يشوع بأمر الرب، فكانت النتيجة أن الجيش انهزم كله وواجه إسرائيل أول كسرة في حرب في حياته، والسبب «في وسطك حرام يا إسرائيل» (يش ٧:١٣). من هنا أصبح كل فرد مسئولاً عن أخطاء غيره في الشعب.

ومن هنا وضح أن أي إصابة أو كسرة أو مصيبة تحدث للشعب وبالتالي للفرد هي نتيجة خطأ أو خطية في تنفيذ أوامر الله. والذي يمكن أن نستخلصه من هذا هو أن الله أراد أن يكون للشعب وللأفراد طبيعة الطاعة. فتطهير الأُمة يكون بدخولها المحنة والفرد كذلك، ولكن بعدها يتدخّل الله بالإنقاذ والخلاص.

من هنا نفهم أن الآلام بالنسبة للشعب هي نفسها الآلام بالنسبة لكل فرد في معناها ومضمونها اللاهوتي، سواء كانت تخلية أو كسرة أو مرض أو خطر الموت.

ولكن الخلاص والإنقاذ الذي يقوم به الله من جراء تدخّله في محن وآلام الشعب والأفراد دخل في مستوى يوميات الله في تاريخ شعب إسرائيل لأنها لا تعد ولا تُحصى، كتاريخ خلاص أُمة.

من هنا جاءت خبرة رجل المزمور باعتبارها ليست منفصلة عن الشعب ولا عن تاريخ الأُمة الإلهي[٤].

وبمجيء عصر الأنبياء برزت الآلام باعتبارها مشكلة لأنهم اعتبروا المرض وانكسار الجيش وكل المصائب أنها مجازاة للخطية، خاصة أيام إرميا النبي.

واستخدام هذا المبدأ أدّى إلى أن عقاب الخطية يصوِّر غضب الله، وأن العكس من جهة النجاح والازدهار وبقية البركات الأرضية هي جزاء الحياة الصالحة. هذه الصورة نجدها موجودة في قصة أيوب وقد أثرت تأثيراً سلبياً غير مباشر على مفهوم رحمة الله. فبدأ مفهوم التاريخ ينحرف ناحية

(4) Gunkel, *Einleitung*, p. 185, cited by Drijvers, *op. cit.*, p. 128.

حكم الجزاء والعقاب والاستحقاق بدلاً من تدخُّل الله الحر في مصير شعبه. وعليه بدأت إسرائيل تتطلع إلى مستقبل غني ومزدهر بحكم استحقاقها كشعب اختاره الله وتعاهد معه.

ولكن وقوع إسرائيل كشعب مختار وأُمة منتخبة في الأسر رفع فكرة الاستحقاق الطبيعي ودخلت علائق الله الفردية مع الشعب. فالله لم يعد يُظهر أمانته للشعب إذ قد مسحه من سجل العناية الخاصة والاستحقاق، ولكنه بدأ يُظهرها نحو الأفراد الذين أثبتوا أمانة لعهد يهوه.

هنا برزت حقيقة تطلب التفسير: لماذا يقع الصدِّيق في التجربة والمحنة؟ علماً بأن الجزاء في العالم الآخر لم يكن قد انكشف بعد؟ لماذا يتألّم البار؟ هنا يخفق قانون الجزاء والعقاب بالخير والشر. ويحل محلّه مبدأ التعليم والتأديب والتطهير الذي بواسطته ينقّي ويطهِّر ويعلّم يهوه مختاريه، سواء الأُمة ككل أو الأفراد.

فالآلام دخلت لتكون بيد يهوه عصى تأديب وبناء للأمة باعتبار أن يهوه لا يزال قريباً من محبيه وخائفي اسمه.

مز ٧٣: ١: «إنما صالح الله لإسرائيل، لأنقياء القلب.
٢١: لأنه تمرمر قلبي، وانتخستُ في كليتيَّ.
٢٢: وأنا بليد ولا أعرف. صرت كبهيم عندك.
٢٣: ولكني دائماً معك. أمسكت بيدي اليمنى.
٢٤: برأيك تهديني، وبعد إلى مجد تأخذني.
٢٥: من لي في السماء؟ ومعك لا أريد شيئاً في الأرض.
٢٦: قد فني لحمي وقلبي. صخرة قلبي ونصيبي الله إلى الدهر.
٢٨: أمَّا أنا فالاقتراب إلى الله حسن لي. جعلت بالسيد الرب ملجإي. لأخبر بكل صنائعك».

مز ١٦: ٨: «جعلت الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني فلا أتزعزع».

ولكن قد صارت حقيقة ثابتة: أن الصديق يتألّم ويتجرَّب.

مز ٣٤: ١٩: «كثيرة هي بلايا الصديق، ومن جميعها ينجيه الرب».
مز ١٣٨: ٧: «إن سلكت في وسط الضيق تُحييني. على غضب أعدائي تمد يدك، وتخلّصني يمينك».
مز ٣٧: ٣٩: «أمَّا خلاص الصديقين فمن قبل الرب، حصنهم في زمان الضيق».

مز ٥٠: ١٥: «ادعني في يوم الضيق. أنقذك فتمجدني».
مز ١٢٦: ٥: «الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج».

وبناءً على مبدأ قرب الله من خائفيه وكيف ينجيهم ويتمجد بخلاصهم، أصبح للآلام معنى جديد وهو أن الآلام بالنسبة للمجربين من الله تؤدي إلى سعادة، والحزن والوجع والضيق ينتهي بالفرح والشكر. ذلك لأن الآلام هنا تنقي الإنسان وتبنيه، والتجربة تعلّمه وتدرّبه، ومنها ينفتح قلب الإنسان لله بالشكر والحمد والتسبيح. وهكذا فإن مزمور التضرُّع بعد أن يصف الضيقة يذكر الفرحة والشكر.

فإذا دامت التجربة دام اختبار الإنسان في الإحساس بقرب الله ويصبح في النهاية الله ملكه وإلهه. وقد تعلّمت إسرائيل من هذا الوضع سواء كأمة أو كأفراد بالرغم من الخراب والأسر والتعذيب، إذ بعدها اختبرت الله من جديد أعمق من ذي قبل وبصورة أفضل جدًّا على مستوى روحي أعلى. وهكذا تدرّبت وتعلّم بنو إسرائيل من السبي أكثر من أيام الرخاء.

المسكين في مزامير التضرُّع والمسيح يسوع:

المساكين "anawim" في المزامير هم أتقياء إسرائيل المتواضعون من كل الفئات وخاصة من الأُسر المتوسطة الذين لم يصيبوا سهماً في أمجاد هذه الدنيا وخيراتها، إلاَّ أنهم لم يكونوا مساكين بمعنى الفقر. هؤلاء هم الذين من جراء الآلام والمحن اختُبروا ونضجوا، وبسبب آلامهم وتجاربهم دخلوا في علاقات خاصة مع يهوه: «من الأعماق صرخت إليك يا رب» (مز ١٣٠:١)(٥) حيث الصراخ هنا ليس من جراء العقاب ولا هو من التأديب ولكن كعمل إيجابي جيد بحد ذاته. ويدور مزمور (١٣٩) كله على هذا المعنى، فهو من إنسان ينتظر الله بالصبر بمعنى أنه بكل الاجتهاد والرجاء يمسك في الله.

ففي الألم نختبر قرب الله:

مز ٣٤: ١٨: «قريب هو الرب من المنكسري القلوب ويخلّص المنسحقي الروح».
مز ٢٦: ٢: «جربني يا رب وامتحني. صف كليتي وقلبي».
مز ١٠٩:٢١: «أمّا أنت يا رب السيد فاصنع معي من أجل اسمك. لأن رحمتك طيبة نجني.

(5) Drijvers, *op. cit.*, p. 131.

٢٢: فإني فقير ومسكين أنا، وقلبي مجروح في داخلي».
مز ٩٤: ١٩: «عند كثرة همومي في داخلي تعزياتك تلذذ نفسي».

فإذا قارنا مفهومات العهد القديم بمفهوماتنا في العهد الجديد لا نجد من يمثل المسكين تماماً إلاَّ يسوع المسيح(٦). فهو المسكين المتألِّم بالدرجة الأُولى، بل ويقول العالِم درايفرز: إن الإنجيليين الأربعة حينما اضطلعوا بتسجيل آلام المسيح كانوا تحت تأثير مزامير التوسُّل والتضرُّع. فمزامير ٢٢ و٣١ و٣٨ و٦٩ و٨٨ فيها كلمات المسيح التي كان يخاطب بها الآب أو التي كُتبت عنه. ويشترك مع درايفرز كل من العالِم دود(٧) والعالِم جريلوت(٨).

ففي مزامير التضرُّع ميَّزت الكنيسة الأُولى كلمات المسيح ورأت فيها وصفاً لآلامه كما جاءت في الأناجيل، حيث يُرى بوضوح التصاقه بالآب وانتظاره لتدخُّل الآب لتكميل الخليقة الجديدة بقيامته من الأموات: «لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الخليقة الجديدة. فكل الذين يسلكون بحسب هذا القانون عليهم سلام ورحمة وعلى إسرائيل الله.» (غل ٦: ١٥و١٦)

كما يقول درايفرز إنه إذا التفتنا إلى حال الرب يسوع وما تقرأه الكنيسة من مزامير التوسُّل في أسبوع الآلام يتضح ذلك، وإليك النماذج:

مز ٢٢: ١: «إلهي إلهي، لماذا تركتني؟ بعيداً عن خلاصي، عن كلام زفيري.
٧: كل الذين يرونني يستهزئون بي، يفغرون الشفاة، وينغضون الرأس قائلين:
٨: اتكل على الرب فلينجّه، لينقذه لأنه سُرَّ به.
١٢: أحاطت بي ثيران كثيرة. أقوياء باشان اكتنفتني.
١٣: فغروا عليَّ أفواههم كأسد مفترس مزمجر.
١٤: كالماء انسكبت، انفصلت كل عظامي. صار قلبي كالشمع. قد ذاب في وسط أمعائي.
١٥: يبست مثل شقفة قوتي، ولصق لساني بحنكي، وإلى تراب الموت تضعني.
١٦: لأنه قد أحاط بي كلاب. جماعة من الأشرار اكتنفتني. ثقبوا يديَّ ورجليَّ.
١٧: أُحصي كل عظامي، وهم ينظرون ويتفرَّسون فيَّ.

(6) *Ibid.*, p. 132.
(7) C.H Dodd, *According to the Scriptures*, London, 1953, p. 96-101, cited by Drijvers, *op. cit.*, p. 132.
(8) P. Grelot, *Sens chrétien de l'Ancien Testament*, Tournai, 1962, p. 436.

١٨: يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون».

مز ٤٢: ٩: «أقول لله صخرتي: لماذا نسيتني؟ لماذا أذهب حزيناً من مضايقة العدو؟

١٠: بسحق في عظامي عيّرني مضايقيَّ. بقولهم لي كل يوم: أين إلهك؟»».

مز ٤٣: ١: «اقضِ لي يا الله، وخاصم مخاصمتي مع أُمة غير راحمة، ومن إنسان غش وظلم نجني.

٢: لأنك أنت إله حصني، لماذا رفضتني؟ لماذا أتمشّى حزيناً من مضايقة العدو؟»».

مز ٦٩: ١: «خلّصني يا الله، لأن المياه قد دخلت إلى نفسي.

٢: غرقت في حمأةٍ عميقةٍ، وليس مقر. دَخَلتُ إلى أعماق المياه، والسيل غمرني.

٣: تعبت من صراخي. يَبِسَ حلقي. كلّت عيناي من انتظار إلهي.

٤: أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سببٍ. اعتزَّ مستهلكيَّ أعدائي ظلماً. حينئذٍ رددت الذي لم أخطفه.

٧: لأني من أجلك احتملت العار. غطّى الخجل وجهي.

٩: لأن غيرة بيتك أكلتني. وتعييرات معيّريك وقعت عليَّ.

٢٠: العار قد كسر قلبي فمرضت. انتظرت رقّة فلم تكن، ومعزين فلم أجد.

٢١: ويجعلون في طعامي علقماً، وفي عطشي يسقونني خلاً».

على أن مزامير التضرُّع هذه حينما نقرأها على الآلام التي عاناها المسيح ثمَّ القيامة والحياة بعدها، تأخذ بعدها الإلهي وقوتها وجمالها اللاهوتي وتضرب إلى أعماق أعماق الإنسان، وندرك كم كلّف الخلاص. وحينما نسمع المسيح نفسه يتكلّم عن نفسه في المزامير نندهش:

+ «فقال لهما (لتلميذي عمواس): أيها الغبيّان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلّم به الأنبياء: أما كان ينبغي أن المسيح يتألّم بهذا ويدخل إلى مجده.» (لو ٢٤: ٢٥و٢٦)

+ «هذا هو الكلام الذي كلّمتكم به وأنا بعد معكم أنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير.» (لو ٢٤:٤٤)

فانظر أيها القارئ كيف كان المسيح ينظر إلى الآلام على أنها حتمية من أجل تجديد طبيعتنا الترابية، وبهذه الآلام تمجد المسيح وصار رباً لمجد الله الآب (في ٢: ٥-١١).

ونحن الآن حينما نضع أمامنا حياة المسيح وآلامه وصلبه وموته عن حب فائض لأبيه وللبشرية الخاطئة والعاجزة عن أن تغيّر نفسها، ثمَّ نقرأ مزامير التضرُّع، فإنها تأخذ حيويتها وكأنها ذات

فاعليتها كما مارسها المسيح.

كما أن هذه المزامير توسِّع من رؤيتنا لمفهوم وحقيقة المجد الذي حازه المسيح عوض احتماله لهذه الآلام حتى الموت، وتشهد لقيمة قربه من الله أبيه، هذه القربى التي جعلت من آلامه واسطة خلاص أبدي. فخلاصنا تحتويه حقيقة مزامير التضرُّع بآلامها وأحزانها باعتبارها الإطار الحي الذي يحمل سر الخلاص والموت والقيامة. كما أن احتفالنا بقداس الذبيحة المقدَّسة ما هو إلاَّ جواب أو غاية ما نتلوه في مزامير التضرُّع. فنحن لا نستطيع أن نشترك في القداس إلاَّ إذا اشتركنا في مسيرة الصليب والآلام والموت: «فإن كنّا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه» (رو ٦:٨)، «أنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله» (أع ١٤:٢٢)، «إن كنا نتألّم معه لكي نتمجَّد أيضاً معه.» (رو ٨:١٧)

معنى هذا أن الآلام والضيقات جزء هام من الحياة المسيحية، نُختبر بها ونُبنى أيضاً بها، فهي ليست مجرَّد عقوبة أو تأديب بل تعليم وتهذيب وبناء: «تأديباً أدبني الرب، وإلى الموت لم يسلمني» (مز ١١٨:١٨). فنحن صورة صحيحة وواقعية للذي تألم وصُلب ومات ثمَّ قام: «ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم» (يو ١٧:١٦)، لذلك أصبحت الآلام إذا فُهمت صحيحاً تُحسب أغلى جزء من الحياة. ونحن نشعر بذلك ونتأكّد منه في نهاية مشوار العمر، لأن الآلام تقرِّبنا جداً من الله وتوحّدنا بالمسيح إذ نصير مثله!

إن مزامير التضرُّع هي نقطة تلاقي مع المسيح وطاقة نرى من خلالها الله. بل نحن من وسط الآلام نشبُّ على أطراف أصابع أرجلنا لنرى من فوق الرؤوس الخروج العتيد أن يكون بحسبان أن العالم هو في جملته "الضيقة العظيمة": «هؤلاء المتسربلون بالثياب البيض، مَنْ هم ومن أين أتوا؟ فقلتُ له: يا سيد أنت تعلم. فقال لي: هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة، وقد غسَّلوا ثيابهم وبيَّضوا ثيابهم في دم الخروف، من أجل ذلك هم أمام عرش الله، يخدمونه نهاراً وليلاً في هيكله، والجالس على العرش يحلُّ فوقهم» (رؤ ٧: ١٣-١٥). وحينئذ تكف الآلام والأتعاب والأحزان مرَّة واحدة وإلى الأبد:

+ «وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً: هوذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم، وهم يكونون له شعباً والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم. وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم والموت لا يكون في ما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد، لأن الأمور الأُولى قد مضت» (رؤ ٢١: ٣و٤)

+ «كثيرة هي بلايا الصدِّيق ومن جميعها ينجِّيه الرب.» (مز ٣٤: ١٩)

والآن حينما نسبِّح بمزامير التضرُّع فنحن نواجه سر الألم الذي حلَّ لغزه المسيح بالحب على الصليب وجعل من الألم حياة جديدة وتسبيح شكر يدوم بل وخلاصاً أبدياً.

فنحن نشترك مع المسيح بمزامير التضرُّع ونشعر حقًّا أننا عضو صحيح حسَّاس في جسد المسيح المتألِّم الذي هو الكنيسة. وفي أعماق مزامير التضرُّع ومن مرارة الاستغاثة نذوق روح الخلاص كإسعاف جاء في حينه ليعطي حياة جديدة عوض التي عفنت وشاخت. وهكذا نحيا الثقة والإمساك في جسد الخلاص الذي هو عينه الحياة الأبدية: «أمسك بالحياة الأبدية التي إليها دعيت» (١تي ٦: ١٢). ففي ظل الصليب يقودنا نور الحياة والخلود، فبالألم والموت على الصليب دخلنا القيامة كهبة وورثنا الحياة الأبدية والبنوَّة كخليقة جديدة.

لذلك أصبح الألم في العهد الجديد يورِّث الثقة بالخلاص والحياة الأبدية.

مزامير الثقة بالله:

هي أربعة مزامير: ٤ و١٦ و٦٢ و١٣١[9]
وهي تتسم بالثقة في الله.

وقد رأينا في مزامير التضرُّع ضرورة بل حتمية الثقة في الله لأنها تجعل التضرُّع ينتقل من مفهوم الشكوى إلى مفهوم الصلاة والتسبيح، لأن الثقة في الله تجعل التضرُّع مسموعاً لدى الله، وهذا يوضِّحه مزمور (٢٧):

مز ٢٧: ١: «الرب نوري وخلاصي، ممن أخاف. الرب حصن حياتي، ممن أرتعب.
٣: إن نزل عليَّ جيش لا يخاف قلبي. إن قامت عليَّ حرب ففي ذلك أنا مطمئن.
٥: لأنه يخبئني في مظلته في اليوم الشر. يسترني بستر خيمته. على صخرة يرفعني.
١٣: لولا أنني آمنت بأن أرى جود الرب في أرض الأحياء.
١٤: انتظر الرب. ليتشدَّد وليتشجَّع قلبك وانتظر الرب».
مز ١١: ١: «على الرب توكَّلت. كيف تقولون لنفسي: اهربوا إلى جبالكم كعصفور.
٤: الرب في هيكل قدسه. الرب في السماء كرسيه. عيناه تنظران. أجفانه تمتحن بني آدم».

(9) Gunkel, *Einleitung*, pp. 254-256.

مز٢٣: ٤: «أيضاً إذا سرت في وادي ظل الموت. لا أخاف شرًّا، لأنك أنت معي».

ولكن كما قلنا أن أربعة مزامير فقط هي التي تعطي الثقة في الله مضمونها الكلِّي بضغط واضح وسمة خاصة جدًّا.

مزامير تبحث في مشكلة الألم في معناها المتسع:

بعد أن قدَّمنا مزامير الثقة ينبغي الآن أن نتعرَّض لمجموعة أخرى من مزامير التضرُّع تتخصَّص في البحث عن ما هو الألم ولماذا هو إنما في إطار التضرُّع. فهذه المزامير لا تتعرَّض لرأي أو فكر المتألِّم كرد فعل للألم، سواء كان الألم يخص الفرد أو يخص الشعب، ولكن تتعرَّض لمشكلة الألم كظاهرة عامة، وتتعلَّق في الأساس بالبحث عن الله في عدله وقضائه. ولكن لا تضغط المزامير على ضرورة الألم بل تعالج حدوثه العام الذي يثير الأسئلة والشكوك وتبحث عن الجواب:

لماذا يحدث الألم؟ لماذا يوجد للشر قوة وفاعلية تبدو ناجحة؟ لماذا لا يتدخَّل الله مباشرة وبالتالي ما معنى السعادة الحقيقية على الأرض؟

كذلك تتعرَّض المزامير التي تعالج موضوع الألم للظلم الحادث بكثرة (في العهد القديم) إلى درجة الإعثار والفساد المستشري بين القضاة وذوي الحيثية في إسرائيل. فيوجد مزموران يختصان بالقضاة الظلمة غير العادلين يصفان بتعبيرات صارخة حيَّة ذلك الفساد ويطلبان من الله التدخُّل: مزمور ٥٨ ومزمور ٨٢.

ويمتاز مزمور (٥٨) بأنه يعرض الاتهام ثمَّ يعقبه بصلاة لتدخُّل القوة الإلهية، واضعاً الأساس لتوسله أن الرجل البار سوف يتقوَّى في إيمانه بيهوه حينما يرى تدخله:

مز ٥٨: ٤: «لهم حمة مثل حمة الحيَّة. مثل الصِّل الأصم يسد أذنه.
٦: اللهم، كسِّر أسنانهم في أفواههم. اهشم أضراس الأشبال يا رب.
١١: ويقول الإنسان إن للصديق ثمراً. **إنه يوجد إله قاضٍ في الأرض**».

أمَّا مزمور (٨٢) فيصف يهوه جالساً للقضاء في السماء في محكمة عدله، ويبدأ المزمور بالاتهام:

مز ٨٢: ١: «الله قائم في وسط مجلسه الإلهي وبين الآلهة يقضي. (حسب الترجمة الإنجليزية)
٢: حتى متى تقضون جوراً. وترفعون وجوه الأشرار. سلاه.
٣: اقضوا للذليل ولليتيم. انصفوا المسكين والبائس.

٤: نجّوا المسكين والفقير، من يد الأشرار أنقذوا.
٥: لا يعلمون ولا يفهمون في الظلمة يتمشّون. تتزعزع كل أُسس الأرض.
٦: أنا قلت: إنكم آلهة وبنو العليّ كلكم.
٧: لكن مثل الناس تموتون. وكأحد الرؤساء تسقطون.
٨: قم يا الله دن الأرض. لأنك أنت تمتلك كل الأُمم!».

مزامير تختص في المقارنة بين البار والأثيم:

وعددها سبعة عشر مزموراً: مزمور ١ و١٠ و١١ و١٢ و١٤ و٣٧ و٤٩ و٥٢ و٥٣ و٧٣ و٧٥ و٩٤ و١١٢ و١١٩ و١٢٥ و١٢٧ و١٢٨. ويدعوها بعض المفسِّرين بـ"مزامير الحكمة"(١٠) لأنه واضح على هذه المزامير لمسة الحكمة كفلسفة الحياة. وهي فعلاً مزامير واكبت أيام سليمان في أثناء التقدم الثقافي للشعب والارتقاء بالفكر الديني، وهي تعني بقوانين ومبادئ الحياة الحقة والاستقامة في لغة تحمل طابع المبادئ المأثورة والحِكَم الذهبية لهذا العصر. فجاءت الأشعار في صيغة الحِكَم. ولكن هذه الفترة لم تدم طويلاً حتى ظهرت علامات الانقسام والفساد فتعقد وصف الحال، وأصبح السؤال حتمياً: لماذا حدث هذا وكيف كان وما الحل؟

لأنه كان على إسرائيل أن تستغل روح الإلهام والحكمة لتخدم شروط العهد وواجباته، وكانت البركات والمسرَّات والسعادة التي في العهد تشمل روح شعب إسرائيل بنزعة شبابية.

ولكن لما جاءت الضيقات والملمَّات مضافاً إليها تدهور البيت الملكي، ولـمَّا صار العهد نفسه مهدداً بالنقض بواسطة الأشرار، برزت حتمية التفريق بين البار والأثيم في حياة الأمة.

وأسفار الحكمة عموماً لها أسلوب تربوي تعليمي، ولكن هذه المزامير السبعة عشر تتخصَّص في المقارنة بين مصير الرجل البار والأثيم، وهذه المقارنة نجدها واضحة في المزمور الأول بين الرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار الذي يعرف الرب طريقه، وبين الأشرار الذين طرقهم فاشلة وبالنهاية تُباد. هذه رأس النصائح للأمة لتختار بين النجاح والفشل. وعلى نفس النمط نجد مزمور (١١٢)(١١).

(10) G. Castellino gives in his Commentary these Psalms the name of "Wisdom psalms": *Libro*, pp. 728-31, cited by Drijvers, *op. cit.*, p. 222, n. 28.

(11) See S. Mowrinckel, in "Psalms and Wisdom". in *Supplements to Vetus Testamentum*, III, p. 214, cited by Drijvers, *op. cit.*, p. 222, n. 29.

مز ١١٢: ١: «هللويا. طوبى للرجل المتقي الرب، المسرور جدًّا بوصاياه.
٢: نسله يكون قويًّا في الأرض. جيل المستقيمين يبارك.
٣: رغد وغنى في بيته، وبرّه قائم إلى الأبد.
٤: نور أشرق في الظلمة للمستقيمين. هو حنّان ورحيم وبار. (الترجمة الإنجليزية).
٥: سعيد هو الرجل الذي يترأف ويقرض. يدبِّر أموره بالحق.
١٠: الشرير يرى فيغضب. يحرّق أسنانه ويذوب. شهوة الشرير تبيد».

وهكذا تُظهر هذه المزامير مشاعر مختلطة فبعضها يُعتبر من الأدبيات والأخلاقيات في التسبيح، ثمَّ تعود لتفرِّق بين البار والأثيم ولكن يسودها التضرُّع وكذلك تتمسك بالثقة بالله.

المزمور (١١٩):

لو علمنا الظروف التي أحاطت بتأليف هذا المزمور بإلهام الروح، حينئذ يصير واضحاً كل الوضوح. فأولاً هو يتكوَّن من ٢٢ قطعة كل منها تحوي ٨ أبيات تبدأ بحرف متدرّج من الألف باء العبرية وذلك ليسهُل حفظ المزمور لأنه مزمور تعليمي للشعب، وقد تمَّ تأليفه حينما صار الشعب في حالة يائسة بائسة حيث أصبح إسرائيل بعد السبي بلا موضع، بلا ملك، بلا هيكل، بلا تابوت عهد: (أي تباعد الله إلى درجة القطيعة)، ولم يعد للشعب كأفراد محسوبين على جانب الخطاة الذين وقعوا تحت التأديب، لم يعد لهم إلاَّ الناموس أو الشريعة.

فهذا المزمور مؤلَّف على قيمة الشريعة وعظمتها وقوتها بحد ذاتها لكي يرد نفس الشعب إلى مخافة الله والعبادة. والناموس هو كل ما بلغ الشعب من الناموس أو مقولات الأنبياء بالحفظ والتسليم والسمع. فالكل محسوب أنه كلمة يهوه!! والتي صارت لهم الرمز الحي لوجود يهوه معهم بعد ضياع كل شيء. فيهوه موجود في وسط الشعب ومع كل فرد فيه إذا أمسك بالناموس حفظاً وعبادة وتعليماً وتسبيحاً.

وهكذا أصبح الفكر الإسرائيلي مرتكزاً أساساً على حياة وأقوال وتعاليم حكماء وكهنة الشعب الحافظين للعهد والناموس باعتباره كلمة يهوه الحية. وهذه العبادة ليهوه عن طريق سماع وترديد كلمة يهوه كما هي مستعلنة في الناموس أي خمس كتب موسى عامة هي التي يركِّز عليها مزمور (١١٩) ويشترك معه في ذلك مزمور (١) والجزء الثاني من مزمور (١٩).

علماً بأن مزامير الحكمة عموماً ومن ضمنها مزمور ١١٩ لا تكف عن تصوير يهوه بأنه مصدر

السعادة الحقيقية وعليك أن ترجع للمزمور ١ و٥٢ و١١٢ و١٢٧ و١٢٨، لترى هذا الغنى الزاخر في وصف الله، حيث يتخصّص المزموران ١٢٧ و١٢٨ في التركيز فقط على بركات ونعم السعادة التي تتبع العهد.

نماذج:

مز ١: ٢: «لكن في ناموس الرب مسرّته، وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلاً».

مز ٨:٥٢: «أمّا أنا فمثل زيتونة خضراء في بيت الله. توكّلت على رحمة الله إلى الدهر والأبد».

مز ١١٢: ١: «هللويا. طوبى للرجل المتّقي الرب، المسرور جدًّا بوصاياه».

أمّا مزمور ١١٩ فإن كل قطعة فيه من قطعه الـ ٢٢ تحوي في كل بيت من أبياتها الثمانية كلمة الناموس أو الوصية أو إحدى مرادفاتها:

مز ١١٩: (أ): «**شريعة** الرب. حافظي **شهاداته**. أوصيت **بوصاياك** أن تُحفظ. حفظ **فرائضك**. كل وصاياك. **أحكام** عدلك. **وصاياك** أحفظ.

(ب) حسب **كلامك**. عن **وصاياك**. **كلامك** في قلبي. علّمني **فرائضك**. **أحكام** فمك. **شهاداتك**. **بوصاياك**. **بفرائضك**. **كلامك**.

(ج) أمرك. شريعتك. وصاياك. أحكامك. وصاياك. شهاداتك. فرائضك. شهاداتك.

(د) كلمتك. فرائضك. وصاياك. كلامك. شريعتك. أحكامك. شهاداتك. وصاياك.

(هـ) فرائضك. شريعتك. وصاياك. شهاداتك. طريقك. قولك. أحكامك. وصاياك.

(و) قولك. كلامك. أحكامك. شريعتك. وصاياك. بشهاداتك. بوصاياك. وصاياك. فرائضك.

(ز) القول. قولك. شريعتك. أحكامك. شريعتك. فرائضك. شريعتك. وصاياك.

(ح) كلامك. قولك. شهاداتك. وصاياك. شريعتك. أحكام. وصاياك. فرائضك.

(ط) كلامك. وصاياك. قولك. فرائضك. وصاياك. شريعتك. فرائضك. شريعة.

(ي) وصاياك. كلامك. أحكامك. قولك. شريعتك. بوصاياك. شهاداتك. فرائضك.

(ك) كلامك. قولك. فرائضك. شريعتك. وصاياك. وصاياك. شهادات فمك.

(ل) كلمتك. أحكامك. شريعتك. وصاياك. وصاياك. بشهاداتك. وصيتك.

(م) شريعتك. وصيتك. شهاداتك. وصاياك. كلامك. أحكامك. قولك. وصاياك.

(ن) كلامك. أحكام. كلامك. أحكامك. شريعتك. وصاياك. شهاداتك. فرائضك.

(س) شريعتك. كلامك. وصايا. فرائضك. فرائضك. شهاداتك. أحكامك.

(ع) حكماً. خلاصك. كلمة برك. فرائضك. شهاداتك. شريعتك. وصاياك. وصاياك.

(ف) شهاداتك. كلامك. وصاياك. كلمتك. وصاياك. فرائضك. شريعتك.

(ص) أحكامك. بشهاداتك. كلامك. كلمتك. وصاياك. شريعتك. وصاياك. شهاداتك.

(ق) فرائضك. شهاداتك. كلامك. بأقوالك. أحكامك. شريعتك. وصاياك. شهاداتك.

(ر) شريعتك. كلمتك. فرائضك. أحكامك. شهاداتك. كلمتك. وصاياك. كلامك. أحكام.

(ش) كلامك. بكلامك. شريعتك. أحكام. شريعتك. وصاياك. شهاداتك. وصاياك وشهاداتك.

(ت) كلامك. كلمتك. فرائضك. وصاياك. وصاياك. شريعتك. أحكامك. وصاياك.

وقد شرح العالِم دايسلر هذا المزمور واكتشف فيه ديواناً شعرياً يقوم على وصايا الله بحذق ومهارة كما يصفها درايفرز(١٢).

على أن المزمور (١١٩) لم يغفل مديح يهوه شخصياً بخلاف مديح فرائضه وأحكامه كما يلي:

ط: (٦٨): يقول لله: «صالح أنت ومحسن».

ل: (٩٠): «إلى دور فدور أمانتك».

ص: (١٣٧): «بار أنت يا رب ...»

ق: (١٥١): «قريب أنت يا رب ...»

ر: (١٥٦): «كثيرة هي مراحمك ...»

مجموعة مزامير أكثر عنفاً:

وهي مزامير ١٠ و١١ و١٢ و١٤ و٥٣ و٧٥ و٩٤ و١٢٥ وهي من ضمن المزامير التي تقارن بين البار والأثيم، ولكنها تمتاز بأنها شديدة النقد، فمع الثقة في يهوه تصر على ضرورة تدخل يهوه لإنقاذ الأبرار وتحطيم الأشرار.

نموذج: مزمور (١٠):

مز ١٠: ٧: «فمه مملوء لعنةً وغشاً وظلماً. تحت لسانه مشقة وإثم.

٨: يجلس في مكمن الديار، في المختفيات يقتل البريَّ. عيناه تراقبان المسكين.

(12) Compare the extensive commentary on Ps. 119 by A. Deissler, cited by Drijvers, *op. cit.*, p. 223.

٩: يكمن في المختفى كأسد في عِرِّيسه. يكمن ليخطف المسكين. يخطف المسكين بجذبه في شبكته.

١٠: فتنسحق وتنحني وتسقط المساكين ببرائنه.

١١: قال في قلبه: إن الله قد نسي، حجب وجهه. لا يرى إلى الأبد.

١٢: قم يا رب. يا الله ارفع يدك. لا تنسَ المساكين.

١٣: لماذا أهان الشرير الله؟ لماذا قال في قلبه إنك لا تطالب؟» (الترجمة الإنجليزية)

مزامير تتنبأ عن الخلاص القادم بل وعن الحياة الأخرى:

ولا تخلو مزامير التضرُّع من طروحات نبوية بتأثير ظاهر كما في المزامير: ١٢ و١٤ و٣٧ و٤٩ و٧٣ وإليك بعض النماذج:

مز ١٢: ٥: «الآن أقوم يقول الرب. أصنع الخلاص علانية» (حسب الترجمة السبعينية)

مز ١٤: ٧: «ليت من صهيون خلاص إسرائيل، عند رد الرب سبي شعبه يهتف يعقوب ويفرح إسرائيل».

ولكن مزمور (٣٧) يُحسب بحق مزمور الحكمة، فكله آياتٌ وأمثال وحكم ومقارنة حادة بين الشرير والبار. ولا داعي لكتابته هنا، فالدارس مدعو لكي يقرأه على مهلٍ.

مز ٤٩: ٤: «أميل أذني إلى مثل، وأوضِّح بعود لغزي».

وهي تتضح بما جاء في (مت ١٣: ٣٥): «لكي يتم ما قيل بالنبي (مزمور ٤٩) القائل سأفتح بأمثال فمي وأنطق بمكتومات منذ تأسيس العالم».

كذلك بقية النبوات في مزمور (٤٩):

مز ٤٩: ٧: «الأخ لن يفدي الإنسان فداءً، ولا يعطي الله كفَّارة عنه.

١٢: والإنسان في كرامة لا يبيت، يشبه البهائم التي تُباد.

١٥: **إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية لأنه يأخذني.** سلاه».

مز ٧٣: ٢: «أمَّا أنا فكادت تزل قدماي. لولا قليل لزلقت خطواتي.

٣: لأني غرت من المتكبِّرين. إذ رأيت سلامة الأشرار.

٤: لأنه ليست في موتهم شدائد، وجسمهم سمين.

٥: ليسوا في تعب الناس، ومع البشر لا يُصابون ...

٩: جعلوا أفواههم في السماء، وألسنتهم تتمشى في الأرض ...

١١: وقالوا: كيف يعلم الله؟ وهل عند العلي معرفة؟

١٢: هوذا هؤلاء هم الأشرار، ومستريحين إلى الدهر يكثرون ثروة.

١٣: حقًّا قد زكيت قلبي باطلاً وغسلت بالنقاوة يدي ...

١٦: فلما قصدت معرفة هذا، إذا هو تعب في عيني.

١٧: حتى دخلت مقادس الله، وانتبهت إلى آخرتهم.

١٨: حقًّا في مزالق جعلتهم. أسقطتهم إلى البوار.

١٩: كيف صاروا للخراب بغتة! اضمحلوا، فنوا من الدواهي ...

٢٢: وأنا بليد ولا أعرف. صرت كبهيم عندك.

٢٣: ولكني دائماً معك. أمسكت بيدي اليمنى.

٢٤: **برأيك تهديني، وبعدُ إلى مجد تأخذني.**

٢٥: **مَنْ لي في السماء؟** ومعك لا أريد شيئاً في الأرض!»

هنا يقدِّم كل من مزمور (٣٧)، (٧٣) حلاً غامضاً مبهماً لم يذهب مذهب الفكر العام أو أخذ مكانه كحل نهائي لموضوع الآلام ونصرة الشر والشرير في هذا الدهر، فقد تلامس معه مزمور (٧٣) دون أي شرح عندما قال:

+ «أنا بليد ... صرت كبهيم عندك. ولكني دائماً معك. أمسكت بيدي اليمنى.
برأيك تهديني وبعدُ إلى مجد تأخذني.
مَنْ لي في السماء؟ ومعك لا أريد شيئاً في الأرض»

وعلى نفس النمط يحكي مزمور (٤٩) النبوي كيف سيفدي الله النفس من الهاوية:

مز ٤٩: ١٤: «مثل الغنم للهاوية يُساقون. الموت يرعاهم. ويسودهم المستقيمون. غداةً وصورتهم تبلى. الهاوية مسكنٌ لهم.

١٥: **إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية لأنه يأخذني.** سلاه».

أمَّا مزمور (٣٧) فبالرغم من إتقانه في التفرقة بين البار والأثيم ونهاية هذا وذاك، ولكنه جعل عوض أعمال الشر هنا على الأرض كذلك عوض أعمال الخير هنا على الأرض أيضاً. فلم ترتفع عيناه إلى ما هو أكثر من الأرض.

ولكن مَلِك كتاب المزامير جميعاً بلا نزاع في التعرُّف على عدم الموت وغلبة الهاوية، والحياة بعد الموت هو مزمور (١٦)[١٣]. فقد قال قولته الأُولى والعُظمى والأخيرة التي كانت بمثابة وصلة إلى العهد الجديد بصورة جبَّارة:

مز ١٦: ٨: «جعلت الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني فلا أتزعزع.
٩: لذلك فرح قلبي، وابتهجت روحي. **جسدي أيضاً يسكن مطمئناً.**
١٠: **لأنك لن تترك نفسي في الهاوية. لن تدع تقيك يرى فساداً.**
١١: تعرّفني سبل الحياة. أمامك شبع سرور. في يمينك نعم إلى الأبد».

وهي النبوَّة التي تحققت مرَّة واحدة وإلى الأبد في موت الرب يسوع المسيح وقيامته.
وهكذا انتهينا إلى أن هذه الثلاثة مزامير ١٦ و٤٩ و٧٣ هي التي تنبَّأت بسر الحياة بعد الموت وغلبة الهاوية.

مزامير الدعاء بالشر:

وقبل أن نختم على فصل مزامير التضرُّع التي أخذت أشكالاً وألواناً كثيرة يبقى أمامنا مزامير الدعاء بالشر أو اللعن. وهذا النوع لا يستسيغه ولا يجيزه الإنسان المسيحي لأنه مرفوض في الإيمان. ولكن لكي نجوزها علمياً علينا فحص نفسية الإنسان الذي يتفوَّه بمثل هذا العدوان، كما يلزم معرفة مستوى الفكر العام الذي يسود الجماعة في مثل هذه الظروف التي فيها يحيط الأعداء ليهدِّدوا ظلماً إنساناً ضعيفاً في الوقت الذي يكون فيه القضاء منحرفاً عن جادَّة الحق وليس من يردع أو يحفظ حقوق المظلوم، ولم يعد للإنسان المظلوم والمُهَاجَم إلاَّ فمه وكلمته كسلاح يدافع به عن نفسه.

وكان المعروف أن كلمة اللعن لا تعود فارغة ولكنها تعمل عملها بحسب نية قائلها وتعدُّد الظلم الواقع عليه، وهذا حقيقي وواقعي لدى عامة الشعب سواء بالبركة أو اللعنة. فاللعنة تصيب بالخسارة والبركة تصيب بالخير.

ومن الإنصاف وبالدراية بالنفس البشرية، أن لا نلوم مثل هذا الإنسان الذي يلعن بالشر، إذ هو يفعل ذلك لا عن حقد وبغضة نفسانية على الدوام. فالألم يُخرج النفس عن وعيها الصحيح. فإذا حاول الأب أو الأم إصلاح ألم في عضو من جسم طفلهم كدمّل أو خلافه فيضطروا لإمساكه

(13) J. Coppens, cited by Drijvers, *op. cit.*, p. 223, n. 35.

وتقييده، فإنه لن يكف عن السب واللعن والشتم لأمه وأبيه عن غير وعي كاف بما يقول. فاللعن هنا هو رد فعل ألم يُخرج الشعور عن رزانته ووعيه وأصوله. فهو قول نتيجة ورطة لا خلاص منها. هكذا المتضايق عندما تزيد عليه الضيقة، ويتضح لديه أن عدوه يشمت فيه وليس من عدل ولا قضاء ولا همّة بين الناس، حينئذ لا يبقى للإنسان سلاح يلجأ إليه إلاَّ اللسان والكلمة.

ولا ينبغي أن ننحاز شديداً ضد مَنْ يشتم ويلعن بهذا المعنى، فهذا على مستوى من يبارك ويدعو بالخير، فالإنسان الذي تسلَّحَ بقوة الكلمة للبركة هو نفسه الذي وقع تحت هذه القوة أي "الكلمة" للَّعن وهي أصلاً مستمدة من الله. فعندما ينظر الإنسان العاجز أنه كان ينتظر من الله أن يردع المعتدي ولم يردعه، فهو يتوهم أن هذا الحق أصبح له. وهي عملية لاشعورية أكثر منها شعورية تحت ثقل الألم الشديد.

ويحكي العالِم بافلوف الروسي، وهو عالِم نفساني، أنه كان له بركة ماء يُطعم فيها قطيعاً من البط، وكان يضبط ميعاد إعطاء الطعام بعد ضرب جرس معلّق فوق البركة الساعة الثانية بعد الظهر واستمر على ذلك مدة. ثمَّ جاء يوم الاختبار فلم يذهب ليُعطي البط طعامه، فما حلَّت الساعة الثانية بالضبط حتى تجمَّع البط حول الجرس وظل رافعاً رأسه ناظراً للجرس. فلمَّا لم يتحرَّك الجرس طارت بطة نحو الجرس وظلت تضربه بجناحيها. هكذا تخرج النفس عن كيانها وتتكلَّم باللعن حتى يصيب المعتدي ما كان يجب أن يصيبه من تأديب الله. ولسان حال المتألِّم من عدوه يقول: "ليته يتألَّم بما أتألَّم أنا به".

ولكن مزامير اللعن تدخل على كل حال تحت بند مزامير التضرُّع، فالإنسان يتضرَّع أن يرفع الله عنه آلامه، وإن كان ولابد منها يلقيها على عدوه. فهو تضرُّع جاهل للخروج من تحت الألم.

ونحن لا نحتقر مستوى التضرُّع الجاهل، فلا يزال بيننا وبين محبة الأعداء وإدارة الخد الآخر للَطم صليب وسفك دم ابن الله، بل وقيامته من الأموات وتغيير الخليقة الترابية بجملتها.

معنى الدعاء بالبركة واللعنة في المزامير[١٤]:

الأقوال الموجودة في المزامير التي تقول بالبركة أو اللعنة حقيقة يلزم أن نتعرَّض لها. وهي لا توجد قائمة بذاتها ولكنها متضمنة في المزامير وليست خاصة بنوع مستقل. وهي تظهر في اصطلاحات

(14) Artur Weiser, *The Psalms, A Commentary*, p. 86ff.

متعددة مثل النطق بالبركة على أحد "مبارك (فلان) ..." أو التوسُّل إلى الله أن يباركه: "يبارك الرب (فلان) ..." وكذلك بالنسبة للعنة. وكان يُعتقد قديماً عند الشعوب المحيطة بإسرائيل أن البركة واللعنة لها من تلقاء ذاتها تأثير سحري فعَّال dynamistic - magico كرقية أو تعويذة أو حجاب أي سر يسبي العقل، تُحدث أثرها بفعلها الخاص ولها تأثيرها الفعَّال القادر على زيادة القوة أو إضافة قوة الحياة. وبالألمانية الخلاص heil أو الخراب unheil.

ولكن البركة في المزامير تخرج عن فعل السحر إذ تتبع رغبة يهوه الذي وحده له البركة وقوى الخلاص والنعمة. فهو الوحيد صاحب البركة (مز ٢٤:٥):

مز ٢٤: ٥: «يحمل بركة من عند الرب وبرًّا من إله خلاصه».

مز ١٢٨:٥: «يباركك الرب من صهيون، وتبصر خير أُورشليم كل أيام حياتك».

مز ١٣٤:٣: «يباركك الرب من صهيون، الصانع السماوات والأرض».

لذلك فالدعاء بالبركة في إسرائيل يخرج من دائرة السحر ليدخل دائرة الدين في المحيط الإلهي. فالبركة باسم يهوه: «مبارك الآتي باسم الرب» (مز ١١٨:٢٦) يلزم أن تقودنا أن نستخلص أن القوة الإعجازية مذخرة في الاسم، اسم يهوه العظيم، وأن هذه تكون تحت أمر الإنسان الذي يستخدم الاسم للبركة، كما يقول العالِم جونكل، طالما كان الإنسان يوفي شروط استخدام الاسم. فاستخدام اسم يهوه في مثل هذا الاصطلاح كان من حظ الكهنة بحسب ما جاء في سفر العدد:

+ «وكلَّم الرب موسى قائلاً: كلِّم هارون وبنيه قائلاً: هكذا تباركون بني إسرائيل قائلين لهم: يباركك الرب ويحرسك. يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك. يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً. **فيجعلون اسمي على بني إسرائيل وأنا أباركهم.**[١٥] » (عد ٦: ٢٢-٢٧)

وهكذا يظهر من واقع هذا الاصطلاح الهاروني الطقسي أن استخدام اسم يهوه للبركة كان متصلاً بصميم العهد وطقوسه وبظهور اسم يهوه الذي أخذ مكانه واثقاً في الطقس، وننتهي إلى نفس النتيجة حينما نجد أن المزامير الخاصة بالبركة هي عادة منطوقة على الذين أدُّوا مطالب عهد يهوه مثل:

مز ٢: ١١: «اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة ...

(١٥) ومباركة الرب ومباركة اسم الرب في أصل الكلمة العبرية "Brk" تفيد التسبيح والتهليل للاسم لتحل البركة.

١٢: **طوبى لجميع المتكلين عليه».**

مز ٢٤: ٥: «يحمل بركة من عند الرب وبرًّا من إله خلاصه».

فمن هو هذا الذي يحمل بركة من عند الرب؟

مز ٢٤: ٣: «مَنْ يصعد إلى جبل الرب؟ ومَنْ يقوم في موضع قدسه؟

٤: الطاهر اليدين، والنقي القلب، الذي لم يحمل نفسه إلى الباطل ولا حلف كذباً».

مز ٣٤: ٨: «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب! طوبى للرجل المتوكل عليه.

٧: ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم» (عمل البركة)

مز ٤٠: ٢: «ثبَّت خطواتي.

٣: وجعل في فمي ترنيمة جديدة. تسبيحة لإلهنا.

٤: طوبى للرجل الذي جعل الرب متكله» (عمل البركة)

مز ٨٤: ٥: «طوبى لأُناس عزُّهم بك. طرق بيتك في قلوبهم. (عمل البركة)

١٢: يا رب الجنود طوبى للإنسان المتكل عليك.» (عمل البركة)

مز ٩١: ١: «الساكن في ستر العلي في ظل القدير يبيت.

١٤: لأنه تعلَّق بي أُنجيه. أُرفعه لأنه عرف اسمي» (عمل بركة)

مز ١٠٦:٣: «طوبى للحافظين الحق وللصانع البرّ في كل حين».

مز ١١٢:١: «هللويا. طوبى للرجل المتقي الرب، المسرور جدًّا بوصاياه».

مز ١٢٨:١: «طوبى لكل مَنْ يتقي الرب، ويسلك في طرقه».

مز ١٤٦:٥: «طوبى لمن إله يعقوب معينه، ورجاؤه على الرب إلهه».

وبالأخص فالبركة لكل شعب الله المختار.

مز ٣٣:١٢: «طوبى للأمة التي الرب إلهها، الشعب الذي اختاره ميراثاً لنفسه».

مز ٦٥: ٤: «طوبى للذي تختاره وتقرِّبه ليسكن في ديارك لنشبعن من خير بيتك، قدس هيكلك»

مز ٨٩:١٥: «طوبى للشعب العارفين الهتاف يا رب بنور وجهك يسلكون».

مز ١٤٤:١٥: «طوبى للشعب الذي له كهذا. طوبى للشعب الذي الرب إلهه».

كذلك فالقول: «يهوه يباركك من صهيون» يثبت النتيجة التي وصلنا إليها سابقاً أي أن الدعاء بالبركة باسم يهوه كان متجذراً بشدة في طقوس العهد والهيكل وصار أكثر فأكثر من اختصاص الكهنة.

مز ١٢٨:٥: «يباركك الرب من صهيون وتبصر خير أُورشليم كل أيام حياتك».

مز ١٣٤: ٣: «يباركك الرب من صهيون الصانع السموات والأرض».

وهذا يتوافق مع البركة الهارونية التي ذكرناها سابقاً والتي كانت من اختصاص الكهنة:

(عد ٦: ٢٤-٢٦): «يباركك الرب ويحرسك. يضيء بوجهه عليك ويرحمك. يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً».

ومن ناحية أخرى كانت هناك صيغة أخرى مخففة للبركة لا يُذكر فيها اسم الرب وهي: «طوبى ashri» وهذه ليست بركة الكهنة فقط بل كان يقولها العلمانيون أيضاً وقد استخدمتها بكثرة أسفار الحكمة. وفي مسار التاريخ في العهد القديم صارت البركة أكثر فأكثر على مر العصور مرتبطة بالنطق باسم الرب، وكانت تسندها قوة الاسم.

نماذج:

مز ١١٨: ٢٦: «مبارك الآتي باسم الرب. باركناكم من بيت الرب».

مز ١٢٢: ٨: «من أجل إخوتي وأصحابي لأقولنّ: سلام بك.

٩: من أجل بيت الرب إلهنا ألتمس لك خيراً».

مز ١١٥: ١٢: «الرب قد ذكرنا فيُبارك: يبارك بيت إسرائيل. يبارك بيت هارون.

١٣: يبارك متّقي الرب، الصغار مع الكبار.

١٤: ليزد الرب عليكم، عليكم وعلى أبنائكم.

١٥: أنتم مبارَكون للرب. الصانع السموات والأرض».

مز ١٢٩: ٨: «ولا يقول العابرون: بركة الرب عليكم. باركناكم باسم الرب».

أمّا اللعنة كمضادة للبركة فإنها تأخذ جذورها من الاعتقاد بالقوة السحرية المرتبطة بالنطق باللعنة ودخلت هكذا الطقس القَبَلي في التاريخ المبكّر لإسرائيل ونراها في سفر القضاة:

+ «العنوا ميروز قال ملاك الرب. العنوا ساكنيها لعناً. لأنهم لم يأتوا لمعونة الرب. معونة الرب بين الجبابرة.» (قض ٥: ٢٣).

+ «وقال بنو إسرائيل مَنْ هو الذي لم يصعد في المجمع من جميع أسباط إسرائيل إلى الرب لأنه صار الحلف العظيم على الذي لم يصعد إلى الرب إلى المصفاه قائلاً يمات موتاً.» (قض ٢١: ٥).

+ «ملعون مَنْ لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها. ويقول جميع الشعب آمين.» (تث ٢٧: ٢٦)

(هذه اللعنة تحمّلها المسيح على الصليب).

وهذا الطقس يستخدم داخل دائرة الأفكار الخاصة بالعهد كواسطة لتطهير جماعة الرب من أفرادها الأشرار، وخلال هذا التقليد حدث أن حُفظت بهذه الصيغة الفريدة التي تربط بين اللعنة والنطق باسم يهوه: "ملعون أمام وجه يهوه".

+ «وحلف يشوع في ذلك الوقت قائلاً: **ملعون قدّام الرب** الرجل الذي يقوم ويبني هذه المدينة أريحا ببكره يؤسِّسها وبصغيره ينصب أبوابها.» (يش ٦: ٢٦)

+ «والآن فليسمع سيدي الملك كلام عبده، فإن كان الرب قد أهاجك ضدّي فليشتمّ تقدمة. وإن كان بنو الناس فليكونوا **ملعونين أمام الرب** لأنهم قد طردوني اليوم من الانضمام إلى نصيب الرب قائلين: اذهب اعبد آلهة أخرى.» (١صم ٢٦: ١٩)

وفي أحد أدراج قمران توجد كتابة مقدّسة تفيد بأن النطق باللعنة كان يُستخدم في محيط التعييد لتجديد العهد.

وفي المزامير نجد اللعن هو بدرجة أقل من جهة الأهمية عن البركة. وفي مزمور (١٢٩: ٨) يأتي النطق باللعن بصيغة نفي البركة فقط: «ولا يقول العابرون بركة الرب عليكم. باركناكم باسم الرب». وفي مزمور (١٣٧) وهو مزمور السبي يتوسَّل صاحب المزمور من أجل لعن بنت بابل.

وفي مزامير (٨٣: ٩، ٣٧: ٣٤و٣٨، ١٤٩: ٧-٩) يكتفي عن اللعنة بإساءات أخرى. كذلك في مزامير: (١٧: ١٣، ٢٨: ٤ إلخ، ٥٤: ٥، ٥٦: ٧، ٥٨: ٦ إلخ، ٦٩: ٢٢ إلخ، ٧٩: ١٠و١٢، ١٠٩: ٦)، (إر ١٥: ١٥، ١٨: ١٩ إلخ) نجد صلوات نقمة وغضب.

وإن اتصال البركة واللعنة بالتقليد الطقسي للعهد الذي أقامه يهوه الذي استُعلن أيضاً في استدعاء اللعنة على الذين لا يتجاوبون مع مطالب العهد نتج عنه تطور للبركة واللعنة داخل المزامير. لذلك فإن تغيير البركة إلى مجرَّد دعاء "طوبى ashri" قد صاحبه تغيير اللعنة إلى مجرد إعطاء الويل "ويل ..." (oy) التي استخدمها الأنبياء بكثرة وكذلك بعض أسفار الحكمة.

نماذج لصلوات النقمة والغضب:

مز ٣٥: ٢٦: «ليخز وليخجل معاً الفرحون بمصيبتي ليلبس الخزي والخجل المتعظمون عليَّ».

مز ٤٠: ١٥: «ليستوحش (لتدخل الرعبة) من أجل خزيهم القائلون لي: هه هه!».

مز ١٠٩: ٦: «فأقم أنت عليه شريراً، وليقف شيطان عن يمينه.
٧: إذا حوكم فليخرج مذنباً، وصلاته فلتكن خطية.
٨: لتكن أيامه قليلة. ووظيفته ليأخذها آخر.
٩: ليكن بنوه أيتاماً وامرأته أرملة.
١٠: ليته بنوه تيهاناً ويستعطوا، ويلتمسوا خبزاً من خربهم.
١١: ليصطد المُرابي كل ما له، ولينهب الغرباء تعبه.
١٢: لا يكون له باسط رحمة، ولا يكن مترأف على يتاماه.
١٣: لتنقرض ذريته. في الجيل القادم ليُمح اسمهم.
١٤: ليذكر إثم آبائه لدى الرب، ولا تُمح خطية أمه.
١٥: لتكن أمام الرب دائماً، وليقرض من الأرض ذكرهم.
١٦: من أجل أنه لم يذكر أن يصنع رحمة، بل طرد إنساناً مسكيناً فقيراً والمنسحق القلب ليميته.
١٧: وأحبَّ اللعنة فأتته. ولم يُسر بالبركة فتباعدت عنه.
١٨: ولبس اللعنة مثل ثوبه، فدخلت كمياه في حشاه وكزيت في عظامه.
١٩: لتكن له كثوب يتعطَّف به، وكمنطقة يتنطَّق بها دائماً!!» (واحدة كانت كفاية)!!

وخطورة ذكر اللعنة بهذه الصورة ليس في ذكرها وحسب بل وفي الاعتقاد الراسخ أنها طالما قيلت في المزمور وفي مجال الليتورجيا في الهيكل فإنها تأخذ فعلها وتخلق ما يودّه قائلها.

٨ – مزامير الحكمة وأشعار التعليم

وأخيراً يوجد نموذج أدبي يلزم أن نذكره، كان يزدحم به الشرق الأوسط وكان شائع الاستعمال في الحياة العادية للناس ومنها دخل إلى المزامير. وهو أدبيات الحكمة التي نعرفها على الخصوص من تاريخ الفكر المصري، وقد كانت لها أهمية عظمى في هذه الحقبة الزمنية في مجال الاستنارة الفكرية، وكانت مختصة بتعليم الناس ليعيشوا يومهم في الحياة بنجاح.

وفي أسفار العهد القديم نجد تأثير هذا الأسلوب الأدبي واضحاً على الخصوص في مجموعات الأمثال الحكمية التي تتميَّز بالغرض التربوي وتعليم الحكمة في الحياة العملية، كما "سفر الأمثال" و"سفر الحكمة" وغيرهما. وفي المزامير نجد في مزموري ١٢٧و١٣٣ مختصرات لأقوال الحكمة. وأمَّا مزمور ٤٩ فهو كله مزمور حكمة.

مز ١٢٧: ١: «إن لم يبن الرب البيت فباطلاً يتعب البناؤون. إن لم يحفظ الرب المدينة فباطلاً يسهر الحارس.
٢: باطل هو لكم أن تبكّروا إلى القيام (للعمل) مؤخرين الجلوس، آكلين خبز الأتعاب. لكنه يعطي حبيبه نوماً.
٣: هوذا البنون ميراث من عند الرب، ثمرة البطن أجرة.
٤: كسهام بيد جبَّار، هكذا أبناء الشبيبة.
٥: طوبى للذي ملأ جعبته منهم. لا يخزون. بل يكلّمون الأعداء في الباب».

مز ١٣٣: ١: «هوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الإخوة معاً!
٢: مثل الدهن الطيِّب على الرأس، النازل على اللحية، لحية هارون. النازل إلى طرف ثيابه.
٣: مثل ندى حرمون النازل على جبل صيهون. لأنه هناك أمر الرب بالبركة، حياةٍ إلى الأبد».

ومزمور (٤٩) يعالج الأمر بتفصيل أكثر لذلك يوصف أنه "مَثَل mashal" أي "منطوق حكمة":

مز ٤٩: ١: «اسمعوا هذا يا جميع الشعوب. أصغوا يا جميع سكّان الدنيا.
٢: عال ودون، أغنياء وفقراء، سواءً.

٣: فمي يتكلَّم بالحِكَم، ولهج قلبي فهم.
٤: أميل أذني إلى **مثل**، وأوضح بعود لغزي ...
٧: الأخ لن يفدي الإنسان فداءً، ولا يعطي الله كفَّارة عنه.
٨: وكريمة هي فدية نفوسهم، فغلقت إلى الدهر».

كذلك فمزامير ١ و١١٢ و١٢٨ تُحسب أيضاً أنها مزامير حكمة.

كذلك المزامير:

مز ٣٤: ١١: «هلمَّ أيها البنون استمعوا إليَّ فأعلمكم مخافة الرب».

مز ٩٤: ٨: «افهموا أيها البلداء في الشعب، ويا جهلاء متى تعقلون؟
٩: الغارس الأذن ألا يسمع؟ الصانع العين ألا يُبصر؟»

وفي المزمور الأول يُحسب العهد أنه يكوِّن الخلفية الأساسية وراء هذا المزمور:
مز ١: ١: «طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار، وفي طريق الخطاة لم يقف ...»

لذلك نحن نحسب أن فكرة الدينونة (مز ١:٥) ويرافقها الطقس بحسب العهد يكوِّنان خلفية هذا المزمور. وهكذا فإن آداب الحكمة والتقليد الطقسي قد أثَّر كل واحد منهما في الآخر وهذا تؤكده الحقيقة أن مزامير الشكر (وهي أصلاً طقسية) تحوي أحياناً روح وشكل آداب الحكمة بواسطة تحذيرات لها الطابع التعليمي التربوي مثل:
مز ٢٥: ١٢: «مَنْ هو الإنسان الخائف الرب؟ يعلِّمه طريقاً يختاره.
١٣: نفسه في الخير تبيت، ونسله يرث الأرض».
مز ٣١: ٢٣: «أحبوا الرب يا جميع أتقيائه. الرب حافظ الأمانة، ومجاز بكثرة العامل بالكبرياء».
مز ٣٢: ٦: «لهذا يُصلِّي لك كل تقيّ في وقت يجدك فيه ...
٨: أُعلِّمك وأرشدك الطريق التي تسلكها أنصحك عيني عليك».
مز ٣٤: ١١: «هلم أيها البنون استمعوا إليَّ فأعلمكم مخافة الرب.
١٢: مَنْ هو الإنسان الذي يهوى الحياة ويحب كثرة الأيام ليرى خيراً.
١٣: صن لسانك عن الشر وشفتيك عن التكلُّم بالغش».
مز ٤١: ١: «طوبى للذي ينظر إلى المسكين، في يوم الشر ينجيه الرب».
مز ٥١: ١٣: «فأعلِّم الأثمة طرقك والخطاة إليك يرجعون».

مز ٦٢: ١٠: «لا تتكلوا على الظلم ولا تصيروا باطلاً في الخطف. إن زاد الغنى فلا تضعوا عليه قلباً».
مز ١١١: ١٠: «رأس الحكمة مخافة الرب. فطنة جيدة لكل عامليها. تسبيحه قائم إلى الأبد».

ومن جهة أخرى نرى المبادئ الأساسية للحياة الدينية بحسب أصول العهد هي السائدة دائماً في هذه المزامير، وذلك بعكس الميل العلماني لآداب الحكمة التي تتركز بالأكثر في تدبير حياة الإنسان الزائلة، وهذا يُضفي على مزامير الحكمة نغمة سفر المزامير الخاصة به.

وبالمثل بالنسبة لمزامير التعليم didactic poem نجدها قد صدرت أيضاً من وسط مشابه لمزامير الحكمة مثل مزامير: ٣٧ و٤٩ و٧٣ للشكر:
مز ٧٣: ١: «إنما صالح الله لإسرائيل، لأنقياء القلب.
٢: أمَّا أنا فكادت تزل قدماي. لولا قليل لزلقت خطواتي.
٣: لأني غرت من المتكبرين، إذ رأيت سلامة الأشرار ...
١٧: **حتى دخلت مقادس الله**، وانتبهت إلى آخرتهم».

وهكذا يمكن أن نستخلص أن مزامير التعليم هي نتيجة أجواء مماثلة للتي أنشأت مزامير الحكمة، وذلك في مزامير ٣٧ و٤٩ و٧٣، حيث يتفحَّص الأفكار الروحية التي تناسب المتشكِّك من جراء رؤية الآلام التي بلا سبب، إذ يجد أن الحياة بقرب الله واختبار يهوه هي التي تحل مشكلة الألم، لا بالفكر ولكن من جراء اختبار الواقع مع الله حينما يبلغ الإنسان الإيمان القاطع بعمل الله والاتكال عليه.

مز ٧٣: ٢٨: «**أمَّا أنا فالاقتراب إلى الله حسن لي.
جعلتُ بالسيد الرب ملجأي لأخبر بكل صنائعك**».

(انتهى الجزء الأول من كتاب شرح المزامير – المقدمة: وسيتبعه شرح المزامير في أجزاء)

كُتب في غسق الحياة
متى المسكين

BIBLIOGRAPHY

Barth, Christoph F., *Introduction to the Psalms*. Translated by R. A. Wilson, Oxford, 1966.

Briggs, C. A. and Briggs, E. G., *A Critical and Exegetical Commentary on the Book of Psalms*. 2 vols., ICC, Edinburgh, 1906, reprint. 1976.

Campbell, Murdoch, *From Grace to Glory: Meditations on the Book of Psalms*. London, 1970.

Clarke, Arthur G., *Analytical Studies in the Psalms*. Kregel, Michigan, 1979.

Drijvers, Pius O.C.S.O., *The Psalms, Their Structure and Meaning*. Herder, 1965.

Gunkel, Hermann, *The Psalms, A Form-Critical Introduction*. 1930. Translated by Th. M. Horner, Fortress Press, Philadelphia, 1967.

Keet, C. C., *A Study on the Psalms of Ascents*. London, 1969.

Kirkpatrick, A. F., *The Book of Psalms*. Cambridge, 1902.

Kraus, Hans-Joachim, *Psalms, A Commentary*, 1st vol.: *Psalms 1-59*, 2nd vol.: *Psalms 60-150*. Translated by H. C. Oswald, Augsburg Fortress, Minneapolis, 1989.

Kraus, Hans-Joachim, *Theology of the Psalms*. Translated by Keith Crim, SPCK, London, 1986.

Lamb, J. A., *The Psalms in Christian Worship*. London, 1962.

McCullough, W. S. et al., *The Book of Psalms: Introduction and Exegesis*, in The Interpreter's Bible, vol. 4, Abingdon, 1955.

Morris, H. M., *Sampling the Psalms*. California, 1978.

Mowinckel, Sigmund, *The Psalms in Israel's Worship*. Translated by D. R. Ap-Thomas, Blackwell, Oxford, 1967.

Neale, J. M. and Littledale, LL. D., *A Commentary on the Psalms from Primitive and Medieval Writers.* 4 vols., London, 1883, reprint by AMS, New York, 1976.

Oesterley, W. O. E., *A Fresh Approach to the Psalms.* New York, 1937.

Peters, J. P., *The Psalms as Liturgies*. Macmillan, New York, 1922.

Weiser, Artur, *The Psalms, A Commentary.* Translated by Herbert Hartwell, Philadelphia, 1962.

Westermann, Claus, *Praise and Lament in the Psalms.* 1965. Translated by K. R. Crim and R. N. Soulen, Atlanta, Georgia, 1981.

General Works :

Wright, G. Ernest, *Biblical Archaeology.* Westminster Press, Philadelphia, 1960.



كتابات الأب متى المسكين

(يونيو ٢٠٠٧م)

أحدث ما صدر من كتب للأب متى المسكين:

- ☐ أبونا القمص متى المسكين (السيرة الذاتية).
- ☐ رسائل الأب متى المسكين.

سلسلة "مع المسيح":

- مع المسيح (الكتاب الأول).
- مع المسيح (الكتاب الثاني).
- مع المسيح (الكتاب الثالث).
- مع المسيح (الكتاب الرابع).

سلسلة شروحات الإنجيل:

- القديس بولس الرسول
- شرح رسالة رومية
- المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا
- شرح إنجيل القديس يوحنا ــ ج ١
- شرح إنجيل القديس يوحنا ــ ج ٢
- شرح الرسالة إلى العبرانيين
- شرح الرسالة إلى أهل أفسس
- شرح الرسالة إلى أهل غلاطية
- شرح الإنجيل بحسب القديس مرقس
- شرح سفر أعمال الرسل
- شرح الإنجيل بحسب القديس لوقا
- شرح الإنجيل بحسب القديس متى

شرح إنجيل متى (أصحاحات منفصلة) طبعة اقتصادية للاستعمال الفردي أو للدراسة الجماعية

- الرسالة الأولى للقديس يوحنا الرسول: شرح وتفسير
- المزامير: دراسة وشرح وتفسير، في أربعة مجلدات. المجلد الأول: المقدمة
- المزامير: دراسة وشرح وتفسير. المجلد الثاني: من مزمور ١ حتى ٤١
- المزامير: دراسة وشرح وتفسير. المجلد الثالث: من مزمور ٤٢ حتى ٨٩
- المزامير: دراسة وشرح وتفسير. المجلد الرابع: من مزمور ٩٠ حتى ١٥٠

مجلّدات في مواضيع متنوعة:

- النبوَّة والأنبياء في العهد القديم
- القديس أثناسيوس الرسولي
- الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار
- حياة الصلاة الأرثوذكسية
- المسيح: حياته وأعماله

سلسلة دراسات في التقليد الكنسي:

- التقليد المقدس

- القديسة العذراء مريم (ثيئوتوكس)
- الصليب المقدس
- التسبحة اليومية ومزامير السواعي
- الإفخارستيا
- إفخارستيا عشاء الرب (ملحق كتاب الإفخارستيا)
- المعمودية: الأصول الأولى للمسيحية

سلسلة الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية:

- أعياد الظهور الإلهي
- الصوم الأربعيني المقدس
- مع المسيح في آلامه حتى الصليب
- القيامة والصعود
- الروح القدس الرب المحيي (في جزئين داخل كيس واحد)
- التجسد الإلهي في تعليم القديس كيرلس الكبير (مع عظة الميلاد للأب متى المسكين)
- ميلاد يسوع المسيح ابن الله
- رسالة الميلاد لنا اليوم وعمانوئيل الذي تفسيره الله معنا

مقالات منفصلة عن الميلاد والغطاس

مقالات تصلح للخدام والشباب:

- الخدمة (٣ أجزاء معاً)
- المسيحي في المجتمع
- المسيحي في الأسرة
- كيف تقرأ الكتاب المقدس
- في التدبير الروحى
- توجيهات فى الصلاة

أسبوع الآلام:

- مع المسيح في آلامه وموته وقيامته
- لأعرفه وقوة قيامته

عيد القيامة المجيد:

- القيامة والخليقة الجديدة
- القيامة والرجاء الحى
- قيامة المسيح هي فرح البشرية الدائم

مقالات منفصلة عن عيد القيامة

عيدا الصعود والعنصرة:

- عيد الصعود في اللاهوت الكنسي
- رسائل ومقالات في عيدي الصعود والعنصرة
- يوم الخمسين في التقليد الآبائي
- الروح القدس وعمله داخل النفس
- مع الروح القدس في جهادنا اليومي
- يوم الخمسين وميلاد الكنيسة

مقالات منفصلة عن عيدي الصعود والعنصرة

صوم الرسل:

- صوم الرسل ومكانته الروحية في الكنيسة، والروح القدس وصوم الرسل
- عيد الرسل وإيمان الكنيسة

صوم العذراء وعيد صعود جسدها:

- صوم العذراء القديسة مريم وعيد صعود جسدها إلى السماء
- مع العذراء القديسة مريم

عيد النيروز:

- الشهادة والشهداء (انظر: قصص مسيحية للحياة)

مقالات منفصلة عن عيد الشهداء

مجموعة مقالات في اللاهوت (ألقاب المسيح)

- ماهية المسيح ــ لاهوت المسيح الذي حدد مصير الإنسان
- المسيح ابن الله
- ابن الإنسان
- المسيح والمسيَّا
- المسيح رب
- المحبوب
- الفدية والكفارة
- الخلاص والإيمان
- عمانوئيل
- رئيس الحياة
- أنا هو نور العالم
- العريس
- أنا هو الطريق والحق والحياة
- أنا هو خبز الحياة
- أنا هو الكرمة الحقيقية وأبي الكرَّام
- حمل الله
- أنا هو القيامة والحياة
- مشتهى كل الأمم
- أنا هو الراعي الصالح

في الموضوعات الروحية العامة:

- التوبة
- التوبة والنسك في الإنجيل
- العمل الروحى
- الفضائل المسيحية بحسب الإنجيل
- رسائل القديس أنطونيوس
- الإيمان بالمسيح
- حبة الحنطة
- أين شوكتك يا موت
- التبرير
- الوحدة المسيحية
- مقالات بين السياسة والدين
- ملكوت الله
- المرأة حقوقها وواجباتها
- الكشف الأثرى في دير القديس أنبا مقار عن رفات القديس يوحنا المعمدان وأليشع النبي
- لمحة سريعة عن دير القديس أنبا مقار والرهبنة في مصر
- سيرة القديس أنبا مقار
- رسائل روحية
- غاية الحياة المسيحية
- القديس أنطونيوس ناسك إنجيلي
- رأي فى تحديد النسل
- الكنيسة الخالدة
- كلمة الله : خدمة وشهادة وحياة
- الوحدة الحقيقية ستكون إلهاماً للعالم

- لقد وجدنا يسوع ــ دعوة تعارف
- قصة الإنسان (حول الخطية والخلاص)
- تغيَّروا عن شكلكم
- حاجتنا إلى المسيح
- الكتاب المقدس رسالة شخصية لك
- النعمة في العقيدة والحياة النسكية
- الحدود المتسعة للإيمان بالله
- في تعليم المبتدئين
- ميلاد المسيح وميلاد الإنسان
- نصائح لرهبان جدد + اختبار الله في حياة الراهب
- تاريخ إسرائيل
- كيف سيدين المسيح المسكونة بالعدل
- الحكم الألفي
- أنشودة للتجسُّد
- الخلقة الجديدة للإنسان في الإيمان المسيحي ــ الجزء الأول
- الخلقة الجديدة للإنسان في الإيمان المسيحي ــ الجزء الثاني
- رسالة توعية
- "الإنسان والخطية" رسالة سلام للنفس المتعبة
- رسالة حياة لمن يطلب الحياة "تسليم الحياة للمسيح"
- الله واحد مع شرح صلاة "أبانا الذي في السموات"
- فن الحياة الناجحة
- كيف نبني أنفسنا على الإيمان الأقدس
- التحولات الروحية السوية
- إرشادات روحية للرهبان
- توجيهات ونصائح رهبانية
- متى صليتم فقولوا أبانا الذي في السموات
- قصص مسيحية للحياة

(في مجلد واحد)

(وهي تشمل ١٥ قصة طُبعت منفصلة في ٩ كتيبات صغيرة وعناوينها كالآتي):

- سفراء من العالم الآخر
- في زقاق المسيحيين
- قصة استشهاد الرسولين بطرس وبولس
- النيروز وذكرى أيام الشهداء
- أيقونة جميلة
- قصة استشهاد مؤثرة للغاية
- قصة طهارة واستشهاد بارع، القديس فوكا البستاني، فلسفة الموت عند شهداء مصر
- أولوجيوس والمقعد الرذيل، المحارب العجوز
- تاييس امرأة الأساطير، القديسة ميلانية العجيبة، صلاة فلاح، أتباع المسيح وبهرجة الفلسفات

تُطلب من:

دار مجلة مرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا ــ تليفون ٢٥٧٧٠٦١٤

الإسكندرية: ٨ شارع جرين ــ محرم بك ــ تليفون ٤٩٥٢٧٤٠

أو من مكتبة الدير

أو من خلال الموقع على الإنترنت:

www.stmacariusmonastery.org

الثمن ٤٠ جنيهاً

(٢٩٢)